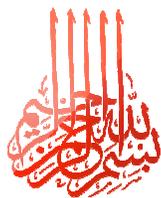


اعرف ربك

فضيلة الشيخ
هانج حلمي

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره

ونعوذ بالله من تشرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا

من يهده الله تعالى فلا مضى له ومن يضلل فلا هادي له

و أنتهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وإنتهد أن محمداً عبد الله ورسوله

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد

وبعد،،

فإنني أسأله الله تعالى أن يجعل جمعنا هذا جمعاً مرحوماً

وأن يجعل التفرق من بعده تفرقاً معصوماً

و أن لا يجعل منا ولا بيتنا ولا دولتنا تنقياً ولا محروماً

ربنا اغفر وارحم واعف عما تعلم، واهدنا وتجرم سبحانه الأعداء الأعداء

اللهم اجعل عملنا كله صالحاً ولو جهنم خالصاً ولا تجعل فيه لأحد غيرك شيئاً،،

مسألة التربية تقوم على أسس، أهمها:

- 1 معرفة الله جل وعلا
- 2 معرفة النفس
- 3 معرفة الطريق

ثم يكون لعملية التربية ركنان:

- 1) التخليية ..
- 2) التحلية ..

أو التصفية والتحلي بكمال الأخلاق ..

وهي عملية ::: **انزع وازرع** .. تتخلص من آفة، تستبدل هذه الظلمات بأنوار الهداية والإيمان.

أول خطوة في الطريق ← معرفة الله سبحانه وتعالى

👉 فاصل الأصول هو: معرفة الله جل وعلا ..

قال الله لنبيه محمد ﷺ { فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ } [محمد: 19]

وتعرفون أن البخاري - رحمه الله - ترجم في الصحيح باباً، وقال: **"العلم قبل القول والعمل"** ..

إذا فأول شيء هو العلم .. أي علم؟؟ .. هذا العلم: معرفة الله جل وعلا،

📖 **الله سبحانه وتعالى أمرنا بذلك** .. قال: { .. فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ .. } [الأنفال: 40]

فاعلموا جيداً أنه ليس لكم من دون الله تعالى ولي .. لن يتولى أموركم إلا الله سبحانه وتعالى ..

فاحذر أن يكون عليك نفسك أو الشيطان وأنت لا تدري!!

قال: {..فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ..} [الأفعال: 40]

لذا فإن أول شيء :: معرفة الله سبحانه ..

📖 والنبي ﷺ لما أرسل معاذًا إلى اليمن .. قال له "إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما

تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات .." [متفق عليه] .. لذا فالقضية الأولى هي: معرفة الله تعالى ..

📌 فالقضية الأساس هي: مَنْ رَبُّكَ ؟؟

وعليها قالوا بأن التوحيد أول الأمور .. التوحيد أولاً قبل أي شيء ...

👉 وهذه المعرفة محلها القلب

وهنا لنا وقفة ...

لماذا نتكلم في أن معرفة الله أصل الأصول والتوحيد أولاً ومحملها درس الاعتقاد، بينما نحن في درس تربية؟؟؟ .. لأن لدينا آفة خطيرة جداً في التلقي للأسف .. بالذات في علم العقيدة ..

🌟 صار علم العقيدة يُدرّس ليناخب العقول لا القلوب !!

وهذه مشكلة، فيتم تدريس أنواع التوحيد وأركان الإيمان والردود على الشبهات والمتكلمين والملاحدة وكذا .. والردود كلها تخاطب العقل، أكثر مما تخاطب القلب ..

فلا يستشعر من مسألة توحيد الربوبية، هذه الآية :

{.. وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي ..} [الرعد: 30]

فلا يستشعر معنى الإله وهو يتلفظ بالشهادة .. فكأنه يردد الكلمات دون استشعار معناها، فيقول: لا إله إلا الله، لا معبود بحق إلا الله .. لا أذل إلا الله .. لا أخضع إلا الله .. مجرد ترديد للكلام، لكن لا يوجد لها وزن في قلبه!! وهذا لأن طريقة التلقي بما آفة، وطريقة العرض بما آفة .. فيتم التركيز على إعطاء معلومات، يقوم المتلقي باستقبالها وتخزينها في ذاكرته دون أن يُخاطب بما قلبه !! .. على أن القلوب هي محل معرفة الله جلّ وعلا،

كما يقول ابن القيم في كتاب (الفوائد):

"أنزه الموجودات وأظهرها وأنورها وأشرفها وأعلاها ذاتاً وقرراً وأوسعها : عرش الرحمن جل جلاله. لذلك صلح لاستوانه عليه . . لأن يعلوه سبحانه ... وكل ما كان أقرب إلى العرش كان أنور وأنزه وأشرف مما بعد عنه، ولهذا كانت جنة الفردوس أعلى الجنات وأشرفها وأنورها وأجلها لقربها من العرش إذ هو سقفها، وكل ما بَعْدَ عنه كان أظلم وأضيق، ولهذا كان أسفل سافلين شر الأمكنة وأضيقتها وأبعدها من كل خير . وخلق الله القلوب وجعلها محلاً لمعرفته ومحبتة وإرادته فهي عرش المثل الأعلى، الذي هو معرفته ومحبتة وإرادته"

المثل الأعلى هو: المعرفة، المحبة، وأن يريد الله تعالى ..

لو أن الله تعالى استودع القلوب هذه المعاني، فما بعده شرف وما بعده من عز لهذا القلب .. فقد وصل لأعلى مكانة .. فبدخل القلب معرفة الله تعالى ومحبتة ..

👉 ينطق قلبه في كل وقت بـ : **الله**

يسير في الطريق، رأى امرأة متبرجة .. القلب ينطق: **الله بصير**

يسير في الطريق، سمع معازف .. القلب ينطق: **الله سميع**

يسير مناجياً لله، لماذا؟؟ .. **الله قريب**

يتعامل مع الناس، فسيه أحد ..

☆ جاء رجل لابن عباس فسيه، فقال لعكرمة - غلامه - "انظر ماذا يحتاج الرجل؟" .. فأعطاه مالا، فاستحيا

الرجل وخفض رأسه ... لماذا؟؟؟ حلمه عليه .

☆ وقيل: أن العلي بن الحسين أتاه رجل فسيه وطعن فيه، فخلع قميصه كانت عليه وأعطاه إياها ثم أعطاه ألف

درهم، قالوا: فجمع في ذلك خصال الخير:

أولاً ::: حلم عليه.. لم يتمادى في الخطأ معه، مما قد يعرضه للوقوع في أخطاء ..

ثانياً ::: فتح عليه باب التوبة والندم .. لأنه عندما يرى حسن معاملته له، سيراجع نفسه.

ثالثاً ::: دعاه إلى محاسن الخلق ..

قالوا: فاشترى كل هذا بثمن بخس،،

فهنا القلب قد استشعر: **الله حلِيم**.. فأريد أن يعاملني الله سبحانه وتعالى بحلمه،،

الله لطيف :: يُلطف بي في مقادير الأمور ...

كل هذه المعاني بداخل القلب، وليس شيئاً آخر .. وسائر الأمور تُوظف لخدمة هذا الهدف ..

لذلك دائماً أقول: وأنت في بداية طلبك للعلم .. اكتب::

" الهدف معرفة الله "

ماذا تريد من هذا العلم؟ .. أن تعرف ربك .. وليس أن تحفظ كلمتين لكي تتشدد بهن .. أن كان كل هذا

يوظف لخدمة الهدف، فهذا هو العلم النافع .. إن لم يكن كذلك، فاقم نفسك!!

قلنا:

1) فمعرفة الله أصل الأصول .. 2) والقلوب محل معرفة الله .. نخطب القلب، لا العقل ..

3) و الله سبحانه و تعالی من حكمنه ان فطر القلوب على معرفته ..

فتجد القلب مستوحش طالما كان بعيدا؛ لأنه قد فُطِرَ على معرفة الله سبحانه وتعالى ..

ابن القيم يقول :

الفطرة فطران :

1) فطرة تتعلق بالقلب .. وهي معرفة الله ومحبته وإيثاره،

2) وفطرة عملية .. وهي تلك الخصال (أي: خصال الفطرة؛ من استحداد وقص للأظافر وغيرها من الأمور

التي وردت في غير ما موضع من حديث النبي ﷺ)

فهذه الخصال الأولى تزكي الروح ..

﴿ هذا الأثر لابد أن يظهر، إذا عرفت الله تعالى ..

فمثلاً: أنت كنت غضوب .. فبدأت **تكظم غيظك**؛ لأنك تراعي عين الله الناظرة إليك ..

أحدهم يقول: أنا مُستعجب جداً، أنا لم أكن هكذا !! .. لم أكن لأضيع حق من حقوقي أبداً .. أما الآن فلو أن

أحدًا من إخوتي مثلاً اخطأ في حقي، أقبل رأسه لاسترضيه !! ..

فقلت: سبحان الله، هذا أثر من آثار الإيمان ...

لو لم يحدث ذلك، فاعلم أن هناك مشكلة كبيرة .. لأن الربَّ شكور ..

إذا كنت في طاعة، لا بد أن يكون هناك تغيير من داخلك .. ولو لم يكن كذلك .. فاعلم أنك واهم، وتحسب أنك على طريق الالتزام ولا يوجد من هو مثلك وتؤدي أوراك على أكمل وجه ... وفي الواقع أنك تسير في اتجاه خاطيء .. تعيش في وهم كبير.....!!

لذا، فالله سبحانه وتعالى قد فطر القلوب على معرفته ومحبه ..

الحديث في صحيح مسلم أن النبي ﷺ خطب ذات يوم، فقال :

"ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا؛ كل مال نخلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كليم، وإهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا .." [صحيح مسلم]

الشاهد: أن الله سبحانه وتعالى خلق العباد جميعًا حنفاء.

إذًا، معرفة الله سبحانه وتعالى من مقتضى الفطرة .. "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" [متفق عليه]

معرفة الله ينبغي أن تكون المقصود الاسم للإنسان في الحياة ..

فانظر .. الله يقول {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحديد:3] .. البداية عنده والنهاية عنده، فهو الأول وهو الآخر .. {وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ} [النجم:42] ..

مقصودك الأساسي هو الله .. لذلك عندما ندعو أحد: اعمل ما بدا لك فإن الله تعالى قد سألك

{فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ} [التكوير: 26] ..

أخبرني، أنت تسير في الأرض على هواك وتفعل ما يجلو لك .. فأين نقطة النهاية؟!

أحسب إنك عندما تسير بطريق متعرج سوف تصل سريعاً؟؟!

بالطبع، لا .. ولذلك قال النبي ﷺ: "قل: آمنت بالله ثم استقم" [رواه مسلم] ..

فعليك أن تسأل نفسك هذا السؤال كثيراً:

أيه سأذهب؟! ... تفرمه قدر الله إلى قدر الله ..

إلى أيه ستفر منه؟؟!

فينبغي أن يكون هو المقصد الأسمى في حياتك .. وأنت تسير حائرًا، لا تدري لمن أنت ذاهب!!

كان بعض السلف يعظ تلاميذه قال: استحيوا من الله ... ثم سكت وقال:

وكيف تستحيون ممن لا تعرفون ؟!

المفروض أن يستحي، إذا عرف ربّه بحق ..

وكذلك تعظيم الله.. أقول لك: الله أعلى وأجل، الله أعظم، الله أكبر ..

عندما أخذ أبو سفيان يقول يوم أحد: اعل هُبَل اعل هُبَل ...

قال النبي ﷺ لأصحابه : ألا تجيبونه؟؟

فقالوا: وما نقول؟ .. قال: قولوا: الله أعلى وأجل ..

فتستشعر عظمة الله عزَّ وجلَّ عند سماعك لهذا الكلام .. وعند استماعك لقوله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ

..} [الزمر: 67]

ولكن تأثير هذا الكلام يكون لحظياً؛ لأنه لا يوجد إكبار لله سبحانه وتعالى وتعظيم له على الوجه الحقيقي ..

لأجل ذلك لا تعيش المعنى ! ..

• فينبغي أن يكون المقصد الأسمى للإنسان في هذه الحياة هو: معرفة الله سبحانه وتعالى

..

واعلم ان من عرف الله سبحانه ونعماته حق المعرفة، فإن ذلك يوجب له
سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ..

✍ قال مالك بن دينار: "خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيّب شيء فيها"، قيل وما هو؟، قال "معرفة الله"

..

أجمل شيء، أن تتذوق المعنى وتتعرف على ربك بحق .. دعك من الكلام الإنشائي .. يوجد شيء بداخل القلب، قد استشعره
جدًا .. قد تعمقت بداخل قلبه:

سبحانه، كريّم، ودود، شكور، حليّم، عظيم ..

كل معنى من تلك المعاني يستشعره ويتذوق طعمه الجميل ..

ذوقوا ما تشاءون من متاع الدنيا ..

لو حصلت جميع متاع الدنيا — أقسم بالله، وليس مجرد كلام للوعظ — لكن هذا يعرفه، كل من ذاق
شيئاً منه ..

لحظة الأنس مع الله، لا يجعلها أي شيء ..

لا شهوة نساء أو مال أو أحلى طعام أو نزهة، يصير قلبك صافياً خالياً من أي مُغصات ..

خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيّب شيء فيها ..

هذه هي الجنة التي جعلها الله تعالى لعباده في الدنيا، ومن لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة

جنة معرفة الله سبحانه وتعالى والإنس به،

عِادًا، معرفة الله تعالى نوجب سعادة الدارين،

والجهل بالله موجب للشقاء في العاجل " الدنيا " والإجل " الآخرة "

تحيل أن أحداً قد أصابه بلاء، بلاءه ضحك وهمّ وغم ويتألم .. مريض، لديه آلام في جسده .. زد عليها الآلام النفسية، لو قابل هذا المرض بالتسخط .. فيجتمع عليه الاثنين؛ شقاء العاجل وأيضاً الآجل؛ لأنه يعاقب لا شك على هذا التسخط ..

الجهل بالله هو أصل كل آفة

إذا بحثت عن سبب أي مشكلة في الحياة .. أي شيء .. أخبرني: ما هي مشكلتك؟ ما الذي يقطع الطريق بينك وبين ربك؟ ..

ستجد إن أخطر شيء:: إنك لا تعرفه، لأنك لو عرفته لوجدت الراحة والاطمئنان .. ولم تكن لتستقبل القدر حلوه ومره، بالطريقة التي تستقبله بها الآن ..

فحلوه: فتنأ به وتنسى وتُشغل بالنعمة عن المنعم .. ومُره: تتسخط ولا ترضى ولسان حالك يقول: الحمد لله على كل حالنا، ما نفعل؟! ..

فلا ترضى، وطالما لم ترضى ستعيش العذاب والآلام النفسية التي ما بعدها آلام .. فهذا شقاء في العاجل، يجعله الله سبحانه وتعالى ..

{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: 124]

فمجرد إعراضه عن ذكره أوجب له الضنك؛ لأن ذكره مفتاح من مفاتيح معرفته .. لكن أن تغفل عنه تمامًا وتنشغل بنفسك وبمومك الدنيوية، هذا هو الشقاء بعينه! ..

ولذلك لا يقع الإنسان في الذنوب إلا بسبب الجهل

قال تعالى: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ..} [النساء: 17].

قال أبو العالية: كان يحدث أن أصحاب الرسول ﷺ كانوا يقولون

"كل ذنب أصابه عبد فهو جهالة"

وإلا لو كنت عالما بالله، لاستحييت منه، لراقبته، لاستحضرت أنه الآه يراكَ ..

للأسف قد تجد أخ ملتزم وقد يكون حافظاً لمتون العقيدة .. لكن هذا ليس وزن كبير في قلبه .. وإلا فإن من الأجدديات، أن من يعرف الله لا ينبغي أن يتكبر .. لا ينبغي أن يطلب العلو في الأرض ..

فلو طلب بعلمه هذا العلو، وأراد أن يعرف جميع الناس أنه قد ختم القرآن وحفظ عدة متون ويتكلم بطريقة ما .. فهذا جاهل وليس عالم!!

وهذا العلم الذي تلقاه، يُدعى "علم الصناعة" .. قد تعلم بضعة معلومات، لكنه ليس هو العلم الذي يراد والذي تتولد عنه الحشية ..

الجهد بالله موجب للشقاء في العاجل الدنيا والأجل الآخرة

معرفة الله سبحانه وتعالى تقوم على امرين ..

(2) معرفة توجب الحياء والمحبة

(1) معرفة الإقرار

كما يقول ابن القيم في (الفوائد):

"معرفة الله نوعان :

(1) **معرفة إقرار ..** وهي التي اشترك فيها الناس، البر والفاجر والمطيع والعاصي .. فالكل مُقر أن هناك ربًا بالفطرة، فهذا إقرار فطري ...

(2) **المعرفة التي توجب الحياء والمحبة ..** معرفة توجب الحياء منه والمحبة له وتعلق القلب به والشوق إلى لقائه وخشيته والإنابة إليه والأنس به والفرار من الخلق إليه .

هذه هي المعرفة الخالصة، لذلك يتفاوت الناس ها هنا تفاوتًا عظيمًا،

السؤال الهام في درسنا: كيف نعرف ربنا؟؟ .. كيف نمكن معرفة الله في

القلوب؟؟؟

أولاً: اعلم أن الله وصف نفسه ..

فقال {لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام: 103]

وقال {.. لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: 11]

وقال {.. وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه: 110]

لذا، أنت لن تستطيع بقدراتك العقلية الفذة وبطاقاتك الهائلة أن تصل إلى ذلك من طريق العقل أو من طريق الوجدانيات (هذا الطريق الذي سلكه الفلاسفة وبعض الصوفية وغيرهم) ..

هل لو كنت بعيدًا عن الشرع تمامًا .. ولم يكن هناك قرآن أو سنة .. وقد خلصت وجدانك من الآفات .. فهل هنا المحبة والمعرفة والحياء لله سبحانه وتعالى تدخل قلبك ؟

﴿ معرفة الله لا يمكن أن تكون بمعزل عن الشرع .. ﴾

لا يمكن أن تعرف الله، إلا من الله سبحانه وتعالى ..

﴿ معرفة الله بالله ومن الله .. ﴾

من أين ستعرفه؟ .. منه سبحانه وتعالى ..

"لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك"

أنا لا أعرف كيف أحمدك أو أشكرك .. لا أعرف كيف أمكن تلك المعرفة من قلبي، فقط عليّ أن أسلك الطريق وبعدها الله سبحانه وتعالى يتولى هذا الأمر عني ..

لذا، إذا سئلت: كيف تعرف الله؟ .. أعرف الله من الله .. أعرف الله بالله،

﴿ أعرف الله من الله .. من آثار الله .. ﴾

فانظر إلى آثار رحمة الله؛ لكي تتوصل لمعرفته بصفة الرحمة .. تعرف معنى الرحمن الرحيم من آثار رحمته .. إنما المعرفة المجردة، كأن تقول: الرحمة تعني الرقة وتعني وتعني .. فمجرد ترديدك لتلك المعاني، لا يدل على فهمك لمعنى أن الله تعالى رحيم رحمن .. هذا مجرد جزء فقط في المعرفة، إنما يجب أن يكون له تطبيقات واقعية .. فمن آثارهم، تعرفونهم .. كما يقولون .. لذا ..

أولاً: أعرفه من آثاره ..

ثانياً: أعرفه بما عرف به نفسه .. وهي أسماء وصفاته.

ثالثاً: أعرفه بقراءة آياته وكلماته ..

علماء الحديث عندما يتكلمون عن شروط الحديث الصحيح، يقولون للحديث الصحيح خمسة شروط:

1) اتصال السند ..

2) العدالة ..

3) الضبط ..

4) عدم الشذوذ ..

5) عدم العلة ..

وهنا سنقف عند شرط "عدم العلة"، فيقولون عنها: أن جهابذة المحدثين (وهم الذي يعيشون مع أحاديث النبي

ﷺ) ... عندما يُعرض عليهم حديث غير صحيح، يعرفون أنه غير صحيح بمجرد سماعهم له ..

فمن طول التعامل مع أحاديث النبي ﷺ، تتكوّن عندهم ملكة ..

وفي الدراسات الأدبية، مثلاً: إذا عرض أحداً شعراً لأبي تمام على إنه من كلام المتنبي، على شخص قد درس

وتعايش مع أبيات المتنبي .. فسيعرف مباشرة أنه ليس من شعر المتنبي .. وقد تكونت عنده تلك الملكة، بطول

العهد مع أبيات هذا الشاعر .. وهكذا معرفتك لأسلوب أي كاتب من الكتاب.

فَاللّٰهُ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى بِاسْمَائِهِ وَصِفَائِهِ، مُنْفَرِقٌ إِلَيْنَا بِكَلَامِهِ ..

من له حال مع الله تعالى، فإنه يتذوق كل كلمة بمذاق مختلف .. فيستخرج معاني لم تخطر ببال أحد، من آية قد

نمر عليها مروراً سريعاً ..

وهكذا طول العهد بكلام الله سبحانه وتعالى وكيفية تذوقه وتدبره، يجعله يتعرف على الله من كلامه ..

فيستخرج معاني مختلفة عن التي تقرأها في كتب التفسير، منضبطة بصواب تفسير الآيات المعروفة ..

لذا من الطرق المهمة جداً جداً لمعرفة الله سبحانه وتعالى



أن تنظر إلى تذييل الآيات

الآيات القرآنية تُذيل عادةً، باسم أو اسمين من أسماء الله سبحانه وتعالى .. مثل: { .. وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }
[الشورى: 11] .. لماذا خُتِمَت الآية بالسميع البصير؟؟

مثال آخر: { أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } [الملك: 14]

لماذا لم تكن (وهو الخبير اللطيف)؟؟؟ لماذا قدم اللطف على الخبرة؟؟؟ .. لماذا لم تختتم الآية مثلاً بـ " وهو الحكيم العليم " أو " وهو العليم الرحيم "؟؟؟ ..

وأنت لا تعرف الفرق بين اللطف والرحمة .. والعلم يتماشى مع الخبرة، فلماذا جاءت الخبرة بدلاً من العلم؟! ..
هذه هي الأسرار .. من يتعمق فيها، يستخرج معاني لا يمكن أن أن يتصورها بدهاءة .. لذا، فمعرفة تذييل الآيات من الأمور الهامة جداً ..

وهذا قد يكون مشروع العمر؛ أن يقوم أحدهم بهذه الدراسات باستقصاء تام .. وهي تحتاج جهد جهيد وفرق عمل، ليخرج لنا تفسير أسرار تذييل الآيات في القرآن .. من الممكن أن تظل مدة طويلة في معرفة التذييل الذي جاء في خامسة آية واحدة، إلى أن يفتح الله سبحانه وتعالى على عبده بذلك ..

وسائل معرفة الله تعالى

وسيلتان أساسيتان :

(2) كتاب الله المنظور "الكون"

(1) كتاب الله تعالى المقروء

تطبيق عملي:

سنأخذ هنا بعض الأسماء من أسماء الله سبحانه وتعالى، وتعلّم كيف ندخل هذه الأسماء إلى قلوبنا ...

نبدأ باسم الله تعالى ...

" الرب "

أولاً: نفهم معنى الاسم وتطبيقاته الواقعية، ثم نحدد واجب عملي لثَمَكِن هذا الاسم من قلبك ..

الربّ: العلماء يقولون: أنه لا يستحق لفظ الرب الا من اتصف بخمسة صفات :

صفات من استحق الربوبية:

1) الخلق

2) الملك

3) التدبير

4) الرزق

5) التدبير .. أي: الإحياء والإماتة

" هو ربي "

وأثناء ركوعك وسجودك، تقول:

سبحان ربي العظيم .. سبحان ربي الاعلى

كيف تنطق بكلمة " ربي "؟؟؟

عليك أن تستشعر هذه المعاني أثناء ترديدك لكلمة "ربي" ..

بي...خالقي ومالك أمري..ولي سبحانه .. بازقي ..هو سبحانه وتعالى منه بيده أمري.. هو الأول
والآخر..هو الذي خلقني .. أحياني .. وهو الذي من يميني .. {الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ *} وَالَّذِي هُوَ
يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ *} وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ { الشعراء: 78,80 }

تلك المعاني التي قالها إبراهيم عليه السلام، هي بالضبط التجسيد لإحساس العبد المحب لله، العارف بالله ..

فقوله {الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ} .. يترتب على معرفة أنه خالقه، وأنه يسر له أمور الهداية .. {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ
إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان: 3] .. خلقني فيهديني ...

واجب: قراءة جميع كلام سيدنا إبراهيم في القرآن، واستشعروا أنه خلیل الرحمن .. أكثر من أحب الله
في خلقه بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

ومنها قوله: {الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ *} وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ *} وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ *} وَالَّذِي
يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ { الشعراء: 78,81 }

أتصور كيف يقولها؟ .. يقولها كما يصف المحب حبيبه ..

{الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ} .. لذلك يقول {..إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّهْدِينِ} [الصفات: 99]

أنا متأكد.....د أنه سيهديني ..

أنا أعلم ذلك جيداً .. سيأخذ بيدي .. لن يتركني

فهو يحبه، فعندما ينني عليه تخرج منه بمعنى آخر وطعم آخر ..

عندما يجب الإنسان شخص معين، تصير متعة عنده أن يصفه .. وهذا الكلام في حد ذاته، متعة للمُحِب فضلاً عن المحبوب ..

الذي خلقني ————— ي فهو يهديني ————— ن

الذي هو سبحانه يطعمني ————— ي ويسقيني ————— ن

أنا أشعر بياء النسبة وهو ينسبها لنفسه ياااه

يطعمني ،،، يسقيني ،،، يشفيني ،، أنا؟! .. أنا لا أستحق!! ..

فانظر لمدى لطفه وكرمه، هذا الذي يشعر بمعنى **"ربِّي"** .. لذا هو يقولها هكذا:

إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي ..

رَبِّي سَبِّهْدِين ..

وعندما يقول له النمروذ: مَنْ أَنْتَ؟؟ ومن تتبع؟؟ و مَنْ الذي تدعي أنه ربك؟؟

هل تتصور أنه يقول { .. رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ .. } .. بطريقة سريعة؟

لا لا أقسم بالله لا تخرج منه هكذا .. فنحن عندما نتكلم عن محبوبات، لا يخرج الكلام هكذا وإنما تخرج الكلمات لها طعم آخر ..

وعندما يدافع عنها _ تجد الغيرة في كلامه _ هذا ما كنا نتحدث عنه فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول " الله أعلي وأجل " .. فهي تخرج من داخل أعماق قلبه .. بغيره ..

وهكذا موقف سيدنا إبراهيم، فلم يقل: الله يُحْيِي وَيُمِيت .. والمفترض أن يقول "الله" بدلاً من "رَبِّي" في الجدل .. حتى لا يدع له مجالاً للمراوغة، فيقول: هو ربك وليس ربِّي ..

وهذا ما قاله في المرحلة الثانية .. قال " { فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي } .. ولم يقل: فَإِنَّ رَبِّي يَأْتِي ..

رَبِّي .. رَبِّي .. عنن تتحدث؟؟ .. ألا تشعر بالمعنى الذي أشعر به؟؟

رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ..

فكان رد النمرود: { .. قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ .. } [البقرة: 258] .. فما دامت المسألة لم تصل لفهمه، فجادله بالحجج العقلية .. { .. قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [البقرة: 258]

فأريدكم أن تستشعروا كلمة رَبِّي دائماً هكذا ...

في مقام اعتزاز المؤمن بربه .. يقول تعالى { .. وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ .. } .. قل: يا محمد وأنتم كذلك من بعده .. { .. قُلْ هُوَ رَبِّي .. } [الرعد: 30]

وقوله: { قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ } [الزخرف: 81]

هل تستشعرون كيف يدخل المعنى للقلوب!؟ ..

♥ عَالَمِي ♥

في نفس الوقت هو الذي يدبر لي أمري .. بيده مقاليد الأمور سبحانه وتعالى ..

فأنا دائماً أدعوه ::

دبر لي، فإني لا أحسن التدبير .. صرّف لي أمري .. أنا توكلت عليك

أنت وليّ .. أنت القائم علي أموري .. أنت القيوم، بك قيام كل شيء .. سبحانك،،

{ إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ .. }

فـ :: ولي = ربي

{إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} [الأعراف: 196]

ولقد قلنا من قبل :: أن تصلي بتلك الآية فقط في ركعتي القيام ..

و في كل مره تقولها تذوقها،

{إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ ..}

مرة أخرى ..

{إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ ..}

ومرة ثالثة ..

{إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ ..}

ستجدها تدخل إلى قلبك .. وأنت تقول {.. وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ}

وقل له: _____ رب، اجعلي من عبادك الصالحين .. لا أستطع الإبتعاد عنك .. بيدك أمري ..

وأنا راض تمام الرضا بكل ما تقدره لي أو علي ..

خالقي .. مدبر أمري ..

♥ رازقي ♥

أنا لا أطلب رزقي من أحد، ولا أفكر أن الوسائل التي في يدي هي أسباب الرزق ..

والرزق لا يعني عندي المال .. وليست زوجة أو عقارات أو سيارات .. فكلها أمور دنيوية ..

وهذه الدنيا عند الله حقيرة، وكذلك ينبغي أن تكون في قلبي أيضاً ...

﴿ أعظم رزق المؤمن :: الإيمان ﴾

إنما لو حسبتها بعقول البشر، إذا فأنت خاسر .. فالرزق الحقيقي، هو الإيمان الذي يستودعه الله تعالى في قلبك

..

فالله سبحانه وتعالى يرزقني .. فبالتالي، أطلب رزقي منه وليس من البشر .. فأنا لا أذل من أجل المال أو من أجل

جاه في الدنيا .. أهم ما عندي أن أكون عند الله وحيهاً .. { .. وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِهاً } [الأحزاب: 69]

هذا هو الرزق الحقيقي .. هذا هو التميز الحقيقي

ماذا تريد من الأموال؟ .. أن تستمتع بحياتك وتعيش سعيداً؟!

السعادة الحقيقية هي هنا في قلبك ..

ما يفوتك، إن كان الله معك وهم يضرك، إن كان الله قد فاتك؟!

الله ربّي .. خالقي .. رازقي .. مُدبّرُ أمري سبحانه وتعالى

فنقطة البداية عنده ونقطة النهاية عنده .. كل تلك المعاني تستودعها قلبك ..

وليس معنى ذلك، أن تقول أثناء قولك " سبحان ربي العظيم " ... ربي خالقي رازقي .. لا، بل عليك أن تستشعر

تلك المعاني بقلبك حتى تتوغل بداخله ..

فتخرج من قلبك "سبحان ربي الأعلى وسبحان ربي العظيم" بطعم آخر ..

تخرج لها طعم آخر مختلف .. ستجد نفسك تنشرح أثناء قولك لها ..

ستجد نفسك وأنت ساجد، تقول له: **سبحان ربي الأعلى** ..

في البداية ستشعر بالجل .. هل هو ربي حقاً؟! .. هل هو الأعلى حقاً؟! ..

فتقولها "ربي" وأنت تعرف أنك لست أهلاً لذلك .. لولا أنه ينبغي أن أقولها ...

ففي البداية تقولها على استحياء، إلى أن تعرفه .. وعندما تعرفه تبدأ تقولها وتشعر بصدق نطقك لها، هذا مع

استمرار الحياء أثناء نطقك لها .. ولكنها صارت بسابق معرفة ..

تلك كانت طرق استشعارك، لاسمه تعالى "الرب"

برامج عملية

1) تحضر ورقة وتكتب تحت هذا العنوان ..

"هذا ربي"

وهذه تُسمى عبادة التملق، أي: الشفاء على الله عز وجل .. فتكتب كلام مُجِب عن محبوبه سبحانه وتعالى

.. اكتب كل ما تشعر به تجاه ربك سبحانه وتعالى، وليس مجرد كلام إنشائي ..

لو لم تتمكن من كتابة أي شيء، هذا جيد .. لأنه نقطة في العلاج .. أنك تعرف أنك لا تستطيع التعبير، ولكن

أبلغ منها أنك تستطيع البيان عما في نفسك ..

{الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} [الرحمن]

فتحاول أن تعرف ماذا تعرف عن الله سبحانه وتعالى .. "قل هو ربي"

2) في خلال هذا الأسبوع، تصلي بالآيات التي بها كلمة " ربي " والآيات التي فيها كلام سيدنا إبراهيم ..

لكن بشرط علي الأقل تكررهما 20 أو 30 مرة .. كما قلنا في الآية "إِنَّ وِلِيَّ اللَّهِ"

و تقول " وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي هُوَ رَبِّي "

مرة تلو الأخرى .. ثم تلاحظ تأثير الكلام عليك كيف يكون .. لتعرف ربك سبحانه وتعالى ..
فهذا اسمه الرب.

اسما آخر لله جلّ وعلا، هو اسمه تعالى :::



ابن القيم يقول في أول كتاب (طريق المهجرتين):

جلس الناس يفكرون في أدلة وجود الله عز وجل..

فمنهم من قال: أعرف الله بالنظر .. فالبعرة تدل على البعير، والخطى تدل على المسير ..

إذا فمنهم من قال أن المسألة تتعلق بالنظر ..

وآخرون قالوا: نعرفه عن طريق الشرع ... وذلك صحيح ..

ولكن ابن القيم يقول: أن مبتدأ الأمر أني أعرف الله بفقرتي واحتياجي إليه

فأول أمر: أن أعرفه بأنه الغني وبأنني الفقير ..

لذلك نريد أن نقف عند اسمه تعالى الغني، حتى نتعلم كيف نستشعر معنى الاسم بداخلنا، لأنه سينبئني عليه استشعارك بذلك وخضوعك وفقرك واحتياجك لله سبحانه وتعالى ..

يقول الله جلّ وعلا { .. إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ } [إبراهيم: 8]

أى لا تحسبوا أني عندما أطلب منكم أن تؤمنوا بي وأن تعبدوني ولا تعبدوا سواي ولا تشركوا بي شيئاً، أن ذلك به نفع لي بشيء (سبحانه) أو سيعود بمصلحه ما

أبدأ والله { .. إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ } [إبراهيم: 8]

ولنا وقفه هنا مع اسمه الحميد .. ما أجملها .. فلتستشعرها معي .. تشعر وكأنها تمزق القلب ..

تكفروا ⇐ وحميد

فحميد تأتي بمعنيان: محمود سبحانه وحامد

مثلها مثل شكور: شاكر سبحانه وتعالى، ومشكور

فحميد تستخدم في المعنيين، فإذا أخذناها على معنى حامد .. { .. إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ } .. غني عنكم .. و { .. حَمِيدٌ } .. أي: حامد ..

ويعلمك الله فيها أن :: من المفترض مع النعمة أن تقوم بحقها ألا وهو الشكر ...

فإذا بك تكفر وتجدد، مع أنه يمدك ويشركك على شركك له .. مع أنه المفترض إنه أقل واجب، أولاً وآخرًا ..

{ .. إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ } [إبراهيم: 8]

فالله لا يحتاج إلينا سبحانه ولن ينفعه ما نفعله .. وهو أولاً وأخيراً ... حميد.

ولماذا لم يقل مثلاً: غني حلیم؟؟؟ .. ولو افترضنا ذلك فستكون مناسبة جداً .. أنهم يكفرون به ورغم ذلك لا

يعاجلهم بالعقوبة ..

ولكنه قال: حميد حتى يتناسب مع مقام النعمة وشكرها

ويعطى لك هنا هاتين الرسالتين:

رسالة تقول: أن اقل شيء حينما أنعم عليك ألا وهو .. {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الرحمن: 60]

والأخرى: هل تعلم أنك إذا شكرتني، أنا أشكرك على طاعتك لي ...

والأمر الأخير أنه يبلغك: هل هذا هو جزائي؟ وجزاء نعمائي لك؟ هل هذا جزاء فضلي عليك؟؟ .. أنك تكفر بي؟؟!!

يقول الله تعالى في الحديث القدسي: "...يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب واحد منكم ما نقص من ملكي شيئاً .." [رواه مسلم]

ولذلك بين الله تعالى معنى غناه، وأنه لا تنفعه طاعتنا ..

فقال {وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [العنكبوت: 6]

لكنك تحسب عند قيامك ببعض الطاعات وكأنك تقول:

حقك يا رب قد قمت به ... هل مطلوب مني شيء آخر؟؟ .. فدعني أعيش كيفما أشاء وأقضى حياتي كيفما أرى!!!

هل تريد مني صلاة؟ .. الحمد لله أديت الخمس صلوات ..

تريدني أن اقرأ في المصحف؟ .. لا إشكال أن اقرأ فيه ..

أذكار؟؟ لا بأس .. لن يضر ولن أخسر شيئاً

لكن، الآن بعد أن أدت ما عليّ أرى نفسي هناك أشياء كثيرة أريد عملها والموضوع ده ممكن يغضبك مني يارب فأقضى فرائضك أولاً ثم أعطي لنفسي حقها !!!!

وللأسف كأن لسان حالنا يقول هكذا!!!

والله يقول :: { .. فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } [آل عمران: 97]

فلا تحسب أن الله يأمرك بطاعته ليستفيد منك (سبحانه)، فهذا لمصلحتك ..

فلا بد أن يجازى العبد عن كل سوء .. ولو جازاه الله عن كل سوء فقد رحمه .. فذاك عبد أراد الله به خيراً ..

لماذا؟؟؟ لأنه سوف يُبين له ضرر فعلته ...

فمثلاً: قد تسير في الطرقات وتُطلق بصرك، ولا تُعاقب .. فتقول لنفسك: أنا لست فاجراً ولا أقع في فواحش ..
فما المشكلة؟؟؟

ولو كان متزوجاً، فيحسب أنه لا توجد مشاكل .. ويحدث نفسه أنه إذا أستثارت شهوته، سيذهب لزوجته ..
فأين المشكلة.. ليست عندي مشكله ولن ارتكب فاحشه!!!

فيكون من لطف الله عز وجل به، أن يُبين له ضرر هذا الفعل عليه ..

فهو عندما بدأ في النظر، بدأ يحدث له تشبث في ذهنه وفكره وعمله ..

وهذا كله من لطف الله عز وجل به .. فالقصة والعبرة هنا ليست بالشهوة، وإنما هي **فساد قلبك** ...

فالنظرة سهم مسموم يسم القلب وأنت لا تدري،،

والله تعالى أعلم بذلك منك .. لذلك يُحذرك منه .. فإن أحسن العبد يكون إحسانه لنفسه، وإن أساء فعليها ..

وقال تعالى :: { هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ

وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ } [محمد: 38]

أتحسب إنك حين تبخل فقد أمسكت؟ فقد بخلت على نفسك هكذا .. أنفق أنفق عليك ..

فالسبيل للحصول على الأموال المباركة التي فيها النفع، إنما هو بنفقتك إياها في سبيل الله فيعوضك الله عنها مثلها وزيادة .. إنما أنت بئخلك قد بخلت على نفسك بالرزق المبارك .. وحسبت إنك حينما تدخر وتمسك عن الإنفاق في سبيل الله، أن هذا المال سينفعك عند حدوث أي مشكلة .. هذا سوء الفهم والبخل بعينه ..

{ .. فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ .. } [محمد: 38] .. وهل ينفق هذا المال الله تعالى بشيء؟؟!!

إذا فعليك أن تدرك وتعني في هذا الاسم الشريف (**الغني**) .. أنك فقير محتاج إلى الله سبحانه وتعالى، وإن الله سبحانه وتعالى غني عنك،،

وهنا عند قيامك بطاعة من الطاعات، فُتُجِبْ بنفسك قليلاً ... ففي البداية كنت ذليل مُطأطيء رأسك، وعندما قمت ببعض الطاعات بدأت ترفع رأسك رويداً ..

هنا يقال لك:: الله غني عنك وعن جميع طاعاتك، فلماذا تُعجب بنفسك؟

فأنت لا تقوم إلا بمقام العبودية فقط .. فتتكسر ببعض الأمور ..

أتحسب أنك أحسن من عبد الله عز وجل؟ .. فتأمل هذه الآيات {وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ(19) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (20)} [الأنبياء]

فعندما تم بقدرة، تعلم أنك فقير .. ولتقارن نفسك بـهم يسبحون عند ربهم ليلاً نهاراً لا يفترون،،

ففي بعض الأوقات قد لا تستطيع أن تقوم بنفس الأوراد التي كنت تقوم بها من قبل .. **لماذا؟!**

حتى تنكسر فيعلمك أنك فقير وأنه الغني .. ولولا أنه تفضل عليك سبحانه وتعالى، لما وصلت إلى ما وصلت إليه أبداً ..

للهم فالفقير :: يرى عمله بعين الذل وعين الصغار .. فيرى طاعته قليلة جداً في حق الله سبحانه..

لله وأما المعجب بنفسه أو المتكبر :: فهذا هو الذي لا يعرف لله معنى الغنى الحقيقي.

وهكذا، تستشعر هذا المعنى من غناه سبحانه وتعالى ..

إلى غير ذلك من المعاني، التي عليك أن تعيشها .. فتستشعر رحمته .. تستشعر كرمه .. تستشعر لطفه ..

يقول ابن القيم "والأمر بين لطفه وعطفه"

أي أن الدنيا بأكملها بين هذين الأمرين :: لطفه وعطفه

ونستخلص من ذلك

وسائل المعرفة لله سبحانه وتعالى على أمرين:

(1) قراءة آيات الله تعالى المتلوة ..

وذكرنا كيف تتفاعل مع القرآن وبالأخص الأسماء والصفات الواردة في أواخر الآيات، ونعيشها ونشعر بها وكيف نتذوق معنى الآيات.

(2) الرسائل في الكون ...

أحياناً تحتاج إلى أن تسير وتنظر كثيراً إلى السماء ..

واجب عملي: أن تفتح نافذتك وتتأمل السماء قليلاً،

فهذا يُسقط في قلبك معاني لا تدري بها .. فعندما تنظر إلى السماء، تستشعر عظمتها .. تستشعر أنه الكبير .. تستشعر أنه جميل .. فتدخل إلى قلبك معاني جليلة، لا تدري بها ..

فمن أهم الأمور: **التفكير ...** فهذا من واجبتنا العملية، انظر إلى السماء وتكلم معه قليلاً ..

وهذا كان فعل خليل الله إبراهيم عليه السلام .. في البداية .. { فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي .. } [الأنعام: 77] ..

فالنظر والتفكير هو الذي جعله يصل إلى معرفة الله عز وجل .. { فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا

أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ } [الأنعام: 78]

فما تشاهده أمامك يشهد بأن (خالقه): هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ..

فتتعلم اسمه الكبير بهذا النظر .. وتتعلم من ذلك أنك مسكين صغير، فتكبر أمره وتُعظمه وتُجله ..

فأنت لا تساوي مثقال ذرة في هذا الكون كله ..

لذلك تصل عندما تُشرب القلب تلك المعاني، فيصير للعبادة طعم مختلف ..

فحين تتأمل السماء وتستشعر عظمة ربك، وعندما تقف للصلاة ستكون قد عرفت من هو ربك جل جلاله ..

هذا هو ربك .. هذا هو الأكبر ..

وأنت كنت تقف مجرد وقوف في الصلاة من قبل .. وتصلي دون أن تستشعر ذلك ..

أنت أمام الكبير .. أنت أمام الملك ..

فبدأت تستشعر قُربه، فتغير صلاتك وتبدأ تذل وتخضع ..

والقلب لابد أن يُشرب هذه المعاني كئيبًا، فإن انقطعت عنه تلك المعاني يموت ..

يعني لا ينفع أن تأتي في لحظة وتقول: لقد تعلمت الأسماء والصفات وقرأنا القرآن واستخرجنا منه المعاني التي

ذكرتها، وقد أخذنا الطاقة والشحنة قد وصلت القلب .. فلا نحتاج للمزيد!!

والأمر ليس كذلك، فلو فرغت تلك الشحنة وأنتهت .. لن تتمكن من العمل مرة أخرى ..

وهذا ما يحدث، أن أحدهم قد يصل إلى مرحلة ويشعر أنه قد فهم .. فيعزل عن نفسه تلك الإمدادات ..

وهذا بالضبط مثل شخص في العناية المركزة، فيضعون له المحاليل (الجلوكوز) ويوصلون القلب بالكهرباء وتنفس صناعي .. إمدادات من جميع الجوانب؛ لكي ينقذوه من الموت ..

وهذا هو حالك بالضبط، قلبك يحتاج لهذا التنفس الصناعي ولتلك الكهرباء لكي ينبض .. ويحتاج أن يتغذى بهذه المحاليل (الجلوكوز) .. فتأتي في لحظة وتحسب أن حاله قد تحسن، فتقطع عنه تلك الإمدادات .. فيتوقف قلبك؛ لأنه كان لا يزال في مرحلة النقاهة ..

فإياك أن تعزل نفسك عن هذه الإمدادات!!

و الآن، هل عرفتم كيف نتعرف إلى الله سبحانه وتعالى؟

الواجبات العملية ::

- 1) نكتب تحت هذا الاسم : قل هذا ربي.
- 2) قيام ركعتين ونتذوق فيهما الآيات .
- 3) دراسة مُستفيضة لأسماء الله وصفاته.

اسأله الله تعالى أن ينفعنا بما قلنا وما سمعنا، وأن يجعله لنا لا علينا ..
سبحانه اللهم ربنا وبه حمده، نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفر من ذنوبنا إليك اللهم
صل على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم،،



فضيلة الشيخ / هاني حلمي

مكتبة

وزارة الثقافة

تعمري

فضيلة الشيخ

هانى حلمي

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره

ونعوذ بالله من تشروره أنفسنا ومن سيئات أعمالنا

من يهده الله تعالى فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له،

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله،

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد،

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد

مجيد،

أما بعد،،

فإنني أسأله الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما جهلنا

اللهم علمنا ما ينفعنا وأنفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ينفعنا،

اللهم اجعل ما نقول وما نسمع لغة لنا لا علينا..

سبحانك اللهم ربنا وبعثك على علمك بعد علمك .. سبحانك اللهم ربنا وبعثك على عفوك

بعد قتل نبي،،

علم مدى هذه الأيام ماذا وجدت في قلبك ؟ .. وهل اتضحت أمامك الحقيقة ؟

مه أنت؟! .. وماذا في قلبك لرئك؟ .. وماذا وجد الله عزَّ وجلَّ منك؟! ..

هل تظنه أن الله وجد منك حُسه الإقبال؟! .. وجد منك صدق النية؟! .. وجد منك حُسه العمل؟

وجد منك مجاهدة واجتهاد؟! .. وجد منك صبر واصطبار؟

هل حققت حتى الآن هذا المعنى؟ .. معنى قوله جلَّ وعلا {رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ

لَهُ سَمِيًّا} [مريم : 65]

نحنه دائماً نحتاج إلى إعادة برمجة لأهدافنا وإعادة برمجة لعقولنا وأذهاننا ..

لنبرمج برمجة إيمانية صحيحة ..

وأنا لذلك اخترت لكم هذه الوصايا؛ لتكون هي الأهداف الحقيقية التي نخرج بنتائجها إن شاء الله ..

توقفت عند بعض كلمات وحكم للصالحين تفتح لنا أبواباً من الطاعات والقربات الجديدة ..

كم أول معنى: توقفت عند كلمات لأبي سليمان الداراني، كان يقول:

" إن الله يفتح للعارف وهو على فراشه، ما لا يفتح لغيره وهو قائم يصل "

من هذا؟ هذا هو من سيسبق ... من يعمل بقلبه بطريقة صحيحة .. من يضبط بوصلة قلبه بشكل صحيح ..

بمعنى أن أحدهم - دعونا نتكلم بمنتهى الواقعية والصراحة - يقف يصلّى وجلّ الأمر أنه يؤدي الطاعة، وهذا جيد ..

أن نتمثل للأمر، لكن ورود المعاني على القلب ليست بالشكل المطلوب ..

الاحساس مفقود !!

يوجد مشكلة هنا .. فهو هنا يقول: أن هناك شخص يعمل بقلبه جيداً، فهو مشغول بالله سبحانه وتعالى ..

فلربما نراه نائماً، لكن القلب موصول ..

هذا لا يعني أنه لا يعمل .. بل معناه أنه مشغول بالله سبحانه وتعالى ..

لكن من الممكن تكون عبادات بدنه أقل من عبادات الكثير من الناس حوله .. من الممكن أن يكون قد قام الليل بوّرد قليل من القرآن، لكن هو قلبه قد عَمُرَ بمعاني أعلى بكثير من الذي قام بخمسة أو ستة أجزاء ..

هذه الكلمات أدت إلى الوصية الأولى::

تَعْرِفُ

إذا كان الله عزَّ وجلَّ يقول {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام: 91]

جاء عند بعض أهل التفسير "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ" .. أي: ما عرفوا الله حق معرفته ..

لم يُقَدِّرُوهُ؛ لأنهم لم يعرفوه .. لم يعظموه؛ لأنهم جهلوا كيف يتعاملون معه ..

قالوا إذا كانت دعامة أي بيت .. الخرسانات الأساسية التي يتم البناء عليها .. هذه الأساسيات يجب أن تتواجد في أي بيت ..

إذا كان دعامة البيت أساسه، فدعامة هذا الدين::

المعرفة بالله تعالى .. واليقين .. والعقل القامع ..

انظروا إلى الأسس التي ستأسس عليها دينك .. إلتزامك .. إيمانك ..

(1) معرفة ينشأ عنها .. (2) يقين ينشأ عنهما .. (3) العقل القامع ..

العقل القامع .. بمعنى العقل الزاجر، الذي يكف عن المعاصي ويحث على الطاعة ..

هل رأيتم كيف تتم المعادلة ؟

مه أيه تبدأ؟ .. معرفة تولد يقين ... يقين ينتج عنه وجود هذه الصفة (عقل) يكفك عن تلك المعاصي ويحثك على الطاعة ..

اسمعوا معي ودققوا حتى تُحَصِّل هذه الثمرة .. سوف أذكر لكم بعض العلامات الشديدة الأهمية لتحصيل ثمرة المعرفة ..

فقط دعونا نرى ماذا قال العلماء في تحصيل معنى المعرفة ..

ما هي الأمور التي نحتاج إلى فعلها، حتى نصل إلى الوصية الأولى تعرّف ..

طرقه نهصيل المعرفة ..

قالوا: المعرفة .. أي: معرفة الله عزّ وجلّ ..

المرتبة الأولى: ببدأها الإنسان بمعرفة أسماء الله وصفاته ..

تابع معي خطوة بخطوة؛ حتى نتعلم التطبيق سوياً .. أنا أريدك أثناء وقوفك في الصلاة .. أثناء قرائتك للقرآن ..

لاحظ بشدة **تذييل الآيات ..** ستتوقف عند بعض المعاني ..

مثلاً: { ... وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا } [الأحزاب: 51]

أي إن الله تعالى يعلم ما في قلبك .. انظر كيف يختم الآية؟ .. لماذا خُتِمَت باسمه الحليم؟

الحلم يقتضي الغضب ..

أي آية ذُيِّلَت باسمه الحليم، يجب أن تبحث عما يغضبه؟؟ .. لا بد أن يكون هذا الحلم ناتجاً عن شيء يغضبه، لكنه يحلم عنه ..

في هذا الموضوع لماذا يغضب؟ .. يغضب عندما يطَّلَع على ما في قلبك ويمجد غيره ..

يقول { يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا }

فيطَّلَع على ما في قلبك يجذبك مشغول بأشياء سواه .. مشغول بالزوجة .. مشغول بالبيت .. مشغول بالعمل .. مشغول بالمنصب .. مشغول بالمال ..

قواطع ...

فيقتضي ذلك أن قلبك .. الذي هو أتمن شيء عندك .. الذي قد فرطت فيه ... المفترض أنه يكون مستودع الإيمان .. المفترض أن يكون محل نظر الربّ ..

فيبدأ الانسان منّا يجود باطنه فيطَّلَع على ما في قلبك، فيجد ما يغضبه .. فيحلم عنك ..

فها هو الأمر .. الله جلّ وعلا يقول: تعلّم من هو الله؟ .. أو تعلّم ما هي صفته ..

فوجدت في القرآن **16** آية: {وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ}

ها هم الآن وراجعوا مواضعهم:

{وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} [البقرة:194] .. {وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [البقرة:196] .. {وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ} [البقرة:209]

اجمع معي المعاني: المعية للمتقين .. شدة العقاب .. العزة، الحكمة ..

{وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة:231] .. {وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [البقرة:233]

و الآية التي سبق أن تدارسنا بها الموضوعين .. {وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ} وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ

[البقرة:235]

{وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة:244] .. {وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [البقرة:267]

{وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المائدة:34]

وفي موضع .. {وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المائدة:98]

وآية .. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ...}

[الأنفال:24]

وهذه تحتاج إلى وقفة وجلسة .. {وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}

من ضمن **16** موضع وردوا في القرآن، فيهم ثلاثة مواضع: {وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}

وأيضًا .. {وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ} [الأنفال:40]

ثلاثة مواضع .. سبحان الله .. {وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}

وثلاثة مواضع أخرى .. {وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}

وآخر المواضع الواردة في القرآن .. {وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} [الحديد:17]

هل تفهمون؟ .. كأن بعد هذا كله .. سبحان الله .. في آخر المواضع التي ورد فيها هذا التعريف ..

{اعلموا أنّ الله يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا فَذَبِّئْنَا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الحديد:17]

فكأن فيها دلالة واضحة جيداً ..

أنا أريد منك أن تُركز على هذه الصفات خاصة، لماذا هذه الصفات التي تعرّف بها وقال لنا: تعلموها .. اعلموها .. افهموها ..

تعرّفوا على هذه الصفات واعرفوا الله بها ..

اعلموها حق العلم؛ حتى تصدق لكم المعرفة ..

أول خطوة: تعلّم وأعرف من هو الله سبحانه وتعالى بالأسماء والصفات .. هل عرفت كيف تقوم بها؟، وقد أخذنا عليها واجباً عملياً ..

ثانياً: يصدق الله في المعاملة ..

كيف ستعرّف؟ .. بصدق المعاملة

لا يبرخ قلبه .. لا يخادع ... لا يتلوّه ..

كأن صادق في المعاملة؛ لكي تتعرف بشكل صحيح ..

لأنك إذا أقبلت عليه بصدق .. هو شكور - سبحانه وتعالى - فسيشكر فعلك وسيشكر عملك، فستجد أثره فتعلم من هو ..

ستعرّف من هو الجواد والكريم والأكرم .. وتعرّف على الشكور والحميد

وتعرّف على هذه المعاني وأنت تعمل .. العمل نفسه .. المعاملة نفسها .. تُعلمك من هو الله ..

هذه المرتبة الثانية: المعاملة،،

المرتبة الثالثة: يننقى عن أخلاقه الرديئة ..

سيقف بينك وبين المعرفة دائماً حاجز ومُشكِل داخل القلب ..

قال: ثم يتنقى عن أخلاقه الرديئة ..

لأن هي التي ستحول بينه وبين الفهم عن الله حق .. هو بداخله مشاكل وآفات، تظهر في سلوكيات وأخلاق ..
مشاكلي الداخلية، تظهر .. وبعد ذلك، عندما تقوم ببعض الأعمال ويُقال لك: انتبه، لا بد أن تفهم عن الله ..
إن الله سبحانه وتعالى يريد أن يُشعرك هنا بعزته، وأنت لا تفهم وبداخلك مشاكل وكبير .. فلن تتعلم درس الذل .. لن تتعلم
معنى أن الله عزَّ وجلَّ عزيز ..

سأظل طوال الوقت أقول لك: الله تعالى يُربيك .. الله تعالى جعلك تقع في هذه الوقعة؛ لكي تتعلم معنى الذل والانكسار
والافتقار ..

سترفض وتقول: لا، إن الموضوع ليس كذلك .. لأن الظروف كذا .. ستأخذك العزة بالإثم، ولن تتعلم ..
فخلقت الرديء لن يُعلِّمك هذا المعنى .. لن تفهم؛ لأن بداخلك كبر وبداخلك صفة ذميمة تقطع بينك وبين الله.

المرتبة الرابعة: "ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه"

تقف بالباب وأنت متجرد تماماً عن أى حظ من حظوظ النفس .

واعكف بقلبك عليه .. لا زوجة، ولا عمل، ولا هاتف معك وأنت مُعتكف .. اغلق على نفسك واجلس هكذا مشغول بما
داخل قلبك .. وانظر كيف سيُسَلِّل الله سخائم صدرك .. وكيف سيغسل حوبة قلبك .. هذا هو شغلك الشاغل ..

عكوف على الله عزَّ وجلَّ،

ودام بالقلب اعتكاف فحظي من الله بجميع الاقبال، وصق الله في جميع الأحوال، فانقطعت عنه

هواجس النفس، ولم يضع بقلبه ربه، إلا خاطر يدعو إليه .

انظر أين ستكون مكانتك؟ .. عندما تعلقو، ستُحَصِّل تلك الثمرات ..

أول أمر: إذا صدقت الله سبحانه وتعالى، سيصدقك ..

أصدق الله، يصدقك ..

فيصدقك في جميع الأحوال .. فتقطع هواجس النفس ..
تلك الحظوظ والأشياء التي تؤذك للميل والزوغان تنقطع عنك ..
و لا يوضع في قلبك خطرات تدعوك إلى غير الله .. لذا جمع الشمل عليه ..

فإذا صار من الخلق أجنبيًا وعن آفات نفسه برًا، ومن امساكنات واطلاحيات نقيًا، وداح في السر

مع الله نجيا، حقه حين إذ أن يُبلّغ المنازل العليا

فإذا صار من الخلق أجنبيًا . .

أنا أتعامل مع الناس بجسدى ولكن قلبي ليس معهم .. أنا الآن يجب على أن أنزل إلى العمل وأقضي حوائجي وأقضي الطلبات التي ألزمت بها .. واعمل كذا وكذا ..

لكن قلبي ليس معهم .. قلبي ليس مستغرقا معهم ..

حينما يقول لي أحدهم: هل رأيت ما حدث .. قلبي ليس معه نهائيا ..

فصرت أنا عن الخلق أجنبيًا .. كأني لا أعرفهم .. كأني غريبًا عنهم ..

(1) فإذا صار من الخلق أجنبيًا . . (2) وعن آفات نفسه برًا . .

و تبرأ من تلك الآفات وخلص من تلك العيوب ..

ومن امساكنات واطلاحيات نقيًا . .

هذه المساكنات تفتح معك معنى جميل .. أحيانًا قد تُعطي لنفسك مُسكنات ..

فقد تعلم أن نفسك بما بعض الآفات .. فتأخذ مُسكن لمدة ثلاثين يومًا .. طوال فترة رمضان .. وبعد ذلك، سيزول مفعول

المُسكن وستهجم مرة أخرى .. (على الآفات)

أي إنك خلال ثلاثين يوم طوال رمضان، تضبط نفسك على العمل وجعل تلك الأيام لله سبحانه وتعالى ..

وبعد رمضان تعود لآفاتك القديمة! .. فكأنه يأخذ مُسكن، وعندما ينتهي مفعوله يعود إليه الداء وألمه ..

فلا يساكن .. ولا يساكن تلك الهموم ..

فقد قال إنه من المساكنات نقيا ..

لا تدرج نفسك .. فلا تنظر ولا تزغ .. ولا تخذل ولا تتلوه ولا تساكنه مثل تلك الأمور ..

إنما واجهه وطهره ..

ثم يقول: **ودام في السرمع الله نجياً** ..

أتذكرون درس **(وقربناه نجياً)** .. ماذا كنا نقول فيه؟

كنا نقول أن الطريق إلى الله سبحانه وتعالى يشبه طريق المائة متر .. آخر عشرة أمتار، لا تصلح للمشي ..

أول تسعون خطوة، من الممكن أن تسير فيها بأعمال القلوب وغيرها ..

عند وصلك للعشرة أمتار الأخيرة، يجب أن يُفتح لك في الثناء على الله عزَّ وجلَّ ..

{وَنَادَيْتَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ..} [مریم: 52]

تعال .. أقبل .. يُقبل وفي اللحظة التي سيدنو فيها .. **{.. وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا}** .. من حال كونه **مناجياً**

استتبطناها من حديث الشفاعة .. فيفتح لي محامد لا أعياها الآن.

النبي ﷺ يخبر يقول هكذا .. " .. ويلهمني محامد أحمده بما لا تحضرنني الآن .. " **[متفق عليه]**

ويسجد النبي ﷺ تحت عرش الرحمن، إلى أن يُقال له: **سَلِّ تَعْطَ ..**

لكن بماذا؟ .. لا بد من بعض الاحامد .. هناك ثناء مُعين .. هذا هو باب المناجاة ..

باب المناجاة .. أن تظل سائراً طوال التسعة أمتار الأولى، تُطهَّر وتقوم ببعض الأعمال ..

وعندما تصل لآخر عشرة أمتار، تحتاج أن يُفتح لك في باب **المناجاة في السر ..**

فتنجو ..

وهذا معنى .. " **دام في السرمح الله فجيًا، حقله حين إذ أن يُبلِّغ المنازل العليا**"

إدًا، هل نريد أن نعلم إن كنت عرفته أم لا؟؟

انظر إلى العلامات .. علامة مَنْ عَرَفَ حتى تصير أمامك مرآة، كلما وجدت أثر لعلامة من تلك العلامات قد بلغ قلبك .. فتعلم أنك تسير في الطريق والحمد لله ..

لإني أخشى من الذي يظل يجري في مكانه .. فهذا الذي يفعل بعض الطاعات .. من صيام وقيام، وبفضل الله عزَّ وجلَّ قد قرأ بضعة أجزاء من القرآن .. ثم بعد ذلك صلى العشاء وقيام وتوجد بثلاثة أو أربعة أجزاء .. فالأمور تبدو وكأنها على ما يرام .. وهو لا يكاد يلتقط أنفاسه .. لكنه لم يتحرك من مكانه!!

فبعد كل هذا المجهود الذي بذله، لا يدري أنه لم يتحرك من مكانه خطوة !!

كيف يخطو؟؟ .. هناك علامات في الطريق ..

حينما يخطو، إذًا سيتعرّف ..

يخطو، إذًا سيدنو .. سيتقرَّب ..

هيا بنا لنرى العلامات ..

علامات المعرفة بالله

العلامة الأولى: تعظيم الله سبحانه وتعالى

من أمارات المعرفة بالله: حصول الهيبة .. قال أبو علي الدقاق: "من إزدادت معرفته، إزدادت هيئته"

فالعلامة الأولى هي: تعظيم الله سبحانه وتعالى .. تجد في قلبك الله أعلى وأجل ..

تجد في قلبك الله الكبير المتعال سبحانه وتعالى ..

تُعَظِمُ الْأَمْرَ .. تعظيم في الصلاة .. تعظيم الصيام .. تعظيم للذكر ..

تعظيم لسائر الطاعات ..

تعظيم بمعنى الكلمة .. أي عندما تتحدث عن النوافل كأنك تتحدث عن الفريضة ..

فتصير السنن الرواتب كأنها فرائض .. مثلاً: إذا تركت سنة العشاء، فكأنك قد تركت صلاة فريضة!

تتعامل مع نفسك هكذا .. أي تشعر كأنك قد وقعت في كبيرة من الكبائر ..

لأن الموضوع صار له عندك هيبة وتعظيم، فبالتالي الموضوع أصبح مردوده في نفسك ليس بالأسلوب الذي نتعامل به ..

كأنه شيء عادي ... فالحمد لله أن ما ضاع منا كان سنة ويكن فرض .. فلا يوجد مشكلة!

← تعظيم للأوامر وتعظيم للنواهي ..

فأثناء جلوسه مع بعض الناس خاضوا في سيرة أحدهم، فخاض معهم شيئاً قليلاً ثم راجع نفسه ..

ما هذا الذي أنا فاعله؟! .. هذه غيبة!!!

هل أوقع نفسي في هذه الشركاء فيحبط عملي بكبائر الذنوب!! .. فيأخذ الموضوع على هذا الحمل ..

فتجده مُعَظِمٌ للأمور التي يستخف بها الناس اليوم .. {..وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ} [النور: 15]

قال الله تعالى {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج: 32]

ما هي ثمرة الصيام؟ .. (التقوى) .. وما هي علامتها؟ .. **التعظيم**

فقد قال أن تعظيم شعائر الله من التقوى .. إن ثمرة من الثمرات، أن القلب صار تقياً ..

الصيام { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة: 183]

أريد أن أعرف هل صرت بصيامي تقياً؟ .. انظر إلى ما تُعظِّمُهُ من الأوامر التي لم تُعظِّمها من قبل ..

فإن لم تكن مُعظِّمًا لشيئاً جديداً .. إذاً هناك مشكلة ..

أي إنك في غير رمضان قد يضيع منك القيام لبعض الظروف .. لكن في رمضان أنا مُعظِّم بشدة للقيام، لا ينفع أن تمر ليلة بدونه

.. هذا هو ما أعظمه .. المعتاد إني أنا في رمضان في نهار، أحاول أن أضبط الصيام قليلاً ..

إذا لم يزد شيء، إذا أنت تجري في مكانك ..

العلامة الثانية: السكينة في القلب ..

الثانية: قال أبو علي الدقاق أيضاً "المعرفة توجب السكينة في القلب، كما أن العلم يوجب السكون .. فمن إزدادت معرفته،

إزدادت سكينته"

فالعلامة الأولى: **التعظيم** الثانية: **السكينة** ..

تجده قد وضحت عليه هذه العلامة وهذه الأمانة، لم تعد تطيق أن تخوض وترفع من صوتك وتعمل أشياء من هذا القبيل وتعاند

حتى مع نفسك ..

اسكن واهداً وتدبر، ودعك من هذا الروغان والخذاع للنفس .. أنا أريدك ألا تكون بهمة الروح التمردية ..

أريدك أن تتعلم درس الانكسار والافتقار لله سبحانه وتعالى ..

أنتذكر عندما كان يجادلك أحدهم في مسألة علمية مثلاً، من المسائل التي تعرفها .. فكنت نفسك تريد أن ترد وتجادل ..

الآن لا تريد عمل هذا، صار لديك شعور بالتواضع .. مختلف تماماً .. صرت فاهماً ..

انظر لهذا المعنى، وتأمل متى تهجم نفسك .. وانظر هل تعلمت السكون والهدوء والطمأنينة والذل والخضوع والتواضع...

لو تعلمته، إذا أنت تتقدم .. لو مازالت إلى الآن بتلك النفس التمردية وبنفس الأسلوب .. إذاً، لدينا مشاكل!!

العلامة الثالثة: محو الحلائق ..

قال الشبلي:

" ليس لعارفٍ علاقة، ولا مُحِبٍ شكوى، ولا لعبدٍ دعوى، ولا لخائفٍ قرار، ولا لأحدٍ من الله فرار "

ليس لعارفٍ علاقة .. قلبه غير مُتعلِّق بأي شيء، أي شيء .. حتى ولو كان الكعبة .. قلبه غير متعلق بشيء، قلبه متعلق

بالله فقط ..

قلبي غير متعلق بالرصيد الذي بينته، غير متعلق حتى برصيد الحسنات، ولا برصيد الدنيا طبعاً، غير متعلق بشيء .. ليس لعارف

- لمن عَرَفَ الله - تَعَلَّقَ بسواه .. ليس لعارفٍ علاقة.

ولا مُحِبٍ شكوى، هذه هي: إن تعذبني فإنني لك محب، إن ترحمني فإنني لك محب.

لماذا لا يشكوك؟ لأنه يرتدي نظارة الحب .. فهو بيتليه، فيقول: لعلني أدخل تحت قول النبي ﷺ : " إذا أراد الله بعبدٍ خيراً غسله "

[صحيح الجامع (307)] .. هذه واحدة .. "ومن يرد الله به خيراً يصب منه" [رواه البخاري] .. فلا يشتكي، مما سيشكو إذا؟، إذا

كان يذوق الإبتلاء بمذاق آخر.

ولا لعبدٍ دعوى، لو أنا أشعر بمقام العبودية، الذي يقتضي الحب التام والذل التام على جهة الإجلال والتعظيم لله سبحانه

وتعالى، سأدعي أن لي حال؟، أو أن لي مقام؟، أو أن لي منزلة؟، أو أدعي أن ربنا سبحانه وتعالى أختصني بشيء دون الناس؟، على

ما سأدعي؟ فأنا مسكين .. فالعبد فقير، فلا يرى الأمور بهذه العين .. ليس لعبد دعوى، لا يدعي .. ليست له دعوى، فهذا

عبد مسكين فقير .. فهو يُقدِّم العمل ويشعر (كما في قوله تعالى) .. { يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الصُّرُورَ وَجَنَّنَا بِيضَاعَةَ مَرْجَاةٍ

فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا } [يوسف:88] .. يراها هكذا، ولا لعبدٍ دعوة،

ولا لخائفٍ قرار، وهذه تشعرها أنها عكس ما قبلها، السكينة والطمأنينة للمعرفة .. لكن هذا قرار غير القرار، الآخر كان هذا

هدوء وسكينة وطمأنينة تُحل بقلب الذاكر الموصول بالله تبارك وتعالى .. هذا شيء يجده في قلبه، لكن هو من تلقاء نفسه غير

مُستقر .. هؤلاء من قلوبهم .. { .. وَجِلَّةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ } [المؤمنون: 60]

لا، ما الذي يجعلني آمناً؟! .. فالحمد لله البشارات جميعها واضحة .. الله أكبر، أنت رأيت الرؤية التي قال لك عليها، وقد رأيت

تلك الأمارات، ورأيتك تبكي وعينك أغرورقت بالدموع وأنت جالس .. ما شاء الله لا قوة إلا بالله .. حتى ولو كنت كذلك!

ولا لخائفٍ قرار، ولا لأحدٍ من الله فرار

{فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ، وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} [الذاريات: 50,51]

أخذنا:

العلامة الأولى: هل عظمته وهيبته؟

العلامة الثانية: هل شعرت بشعور الأمان والطمأنينة والسكينة؟

العلامة الثالثة: هل تخلصت من العلائق التي تشغلك وتقطعك عن الله؟

العلامة الرابعة: التبراً والتفويض ..

قال الواسطي: "من عَرَفَ الله تعالى انقطع، بل خرس، بل انقمع"

.. ما معنى هذا؟

قال لك: نعم، قال النبي ﷺ " لا أُحصى ثناءً عليك"، هذه هي (سبحانك ما عبدناك حق عبادتك).

وأنا أعمل أريد أن يكون هذا العمل خالص لله سبحانه وتعالى، فبعد ذلك أرى عيوي فيه .. أرى مدى تقصيري من جهة، ومن جهة ثانية أرى بعين المنة وأرى تعظيمي لربي سبحانه وتعالى في قلبي، فأجد أن ما أفعله هذا لا يوازي ولا يكفيء شيء.

أتذكرون؟ قول النبي ﷺ: " سبحان الله وبجمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته" [صحيح الجامع (5139)]

.. يقول ابن القيم هذا الكلام في الواابل: أن هذا الكلام جمع كل الأشياء التي يمكن يتضاعف بها الأمر، كم من عدد خلقه؟،

رضا نفسه، على ما يرضيه هو، الذي لا أقدر أن أكيفه بكيفية، رضا نفسه .. زنة عرشه، أعظم وأثقل مخلوقات، عرش

الرحمن، زنة العرش ومداد كلماته، {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ} [الكهف: 109]

أحصى آخر آخر .. الذي ليس له حد .. فيقول سبحانه الله، يا رب أنزهك أقصى ما أتصور، وبرغم ذلك .. أقول لا

أعرف!

فيقول: جمع كل هذه الأشياء؛ لأنه لا يستطيع العبد بحال أن يوافي ربه حتى في مقام التزويه.

أن يقول: سبحانك يا رب منزه عن كل العيوب وعن كل شيء وعن كذا كذا، فأنا أسبحك هذا التسييح .. كم أسبحك؟

مئة مرة؟ لا ينفع، إذاً، أسبحك مليون .. لا يُجدي، يا رب عدد خلقك، الذي لا أعرفه .. من الممكن أن يكون العدد

قاصر، أي إن عدد التريليون التريليون لا يوفي حق الله تعالى .. أتكلم عن شيء أعلى، إذاً يا رب زنة عرشك، أثقل شيء في الدنيا، أيضاً له كم، أو له حجم معين، لا أقدر أن أصل له أو أقدر أكيفه .. أقصى شيء عندي، إذاً يا رب مداد الكلمات .. إذاً رضا نفسك .. على ما يرضيك أنت.

أرأيتم المعنى؟ .. هذا هو، من عرف الله انقطع "أخرس" .. إياك أن تنظر إلى عملك، إياك أن تقول قد صُمتُ رمضان وقمته .. إياك أن تكون تتحاسب مع الله بعدد الحتمات وبعدد الركعات وبعدد الأذكار ومن تسيحات ومن كذا ومن كذا .. إياك أن تكون تتحاسب هكذا!!

في النهاية تُقيّم نفسك كما بشكل معين، وبعد هذا الكم تعطي لنفسك تقدير !!

يعني لو صلينا اليوم بفضل الله عزَّ وجلَّ مثلاً ستة أجزاء، يصير اليوم مختلفاً .. فالיום أعطي نفسي جيد جداً .. فلو وصلت أني أقرأ عشرة أجزاء أو أختتم كل ثلاث، لذا فقد أخذت الامتياز مع مرتبة الشرف الأولى .. كسرت كل الأشياء والكلام الذي تسمعه ويُطبق فقط في الأحلام، سنختم ختمة من العشاء للفجر وأنا قائم في ركعة في الوتر مثل سيدنا عثمان وأيضاً كذا، لا، لقد صرت أعلى من الامتياز ومرتبة الشرف ومثل هذه التقديرات .. لقد صرت مع النبيين والصدّيقين والشهداء !! هو يرمج نفسه هكذا، فيرمج نفسه أن هذا العمل يساوي كذا وهذا يساوي كذا، إياك أن تكون تفهمها هكذا!! .. لا أحصي ثناءً عليك.

العلامة الخامسة: شدة الخوف ..

الذي هو طوال سيره في الطريق، تجده لو عَرَفَ يتقطع من داخله، خائفاً لأنه - قلنا قد بدأنا بمقام التعظيم بمقام الإكبار لله سبحانه وتعالى، هذا يستوجب المقام الثاني وهو مقام الخشية والخوف .. العلم يقتضي الخشية، أليس كذلك؟ .. {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: 28] .. هكذا هو .. إنما العلم الخشية .. فإن كنت تريد أن تعرف علامة معرفتك لله، انظر إلى الذنب الذي كنت تقع فيه في الخلوات، أو تعمله وتخادع به، أو تعمله على غير مرآى من الناس ..

أي: عندما لا يكون من حولك مُنتهباً لك، تنظر إلى اليافطات المعلقة في الطريق !! .. أثناء تحويلك للقنوات على التلفاز، ورأيت تصوير لإحدى الأغنيات تقوم بإلقاء نظرة خاطفة عليه ثم تُحوّل القناة!! .. أثناء تصفحك للإنترنت، مرت بك صفحة بها صور غير لائقة، فقامت بإلقاء نظرة سريعة عليها من باب العلم بالشيء!! .. تلك الأمور التي تفعلها خلسة ..

هذه الأعمال هي التي تُبين مدى معرفتك لاسم الله الرقيب في قلبك .. إذا عرفته، ستهابه .. ستعلم أنه يقول: { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } [الزلزلة: 7،8]، ستعرف وسيصير عندك يقين ..

قلنا أن الآفة الأكبر في قلوبنا جميعًا، هي **ضعف اليقين** .. لو صار عندي يقين ..

والله، أنا أقول هكذا لنفسي .. يااااه لو صار عندي يقين بأنه { .. مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا يُجْزَ بِهِ } [النساء: 123] .. يقين .. مئة في المئة .. أعرف إنني سأذبح في تلك الفعلة، فلن أُعرِّض نفسي للهلاك .. لكن نقطة مخادعة النفس، أي أظن أي ساستدرك أمري والحسنات يذهبن السيئات وإن شاء الله سيسترنا الله وربك عفو .. جزء الخداع هذا ..

إنما لو أنني أعرف أنني سأعاقب بلا شك، سأقول أنني له أحتمل هذا!

العلامة الخامسة قلنا: شدة الخوف والحشية.

العلامة السادسة: من عرف الله ضاقت عليه الدنيا بسعتها ..

أتذكرون هذا المنظر؟! .. أنا أحب أن نعيشه في خيالنا دائمًا، أريد أن أشعر كأني أقف في موقف الحشر .. تخيلوه .. نحن نقف في مكان مزدحم جدًا .. نحن الآن في بيت الله الحرام، وناس من الآفاق في موسم الحج، الآن حولك 5 مليون أو 7 مليون، أنت في كل مرآى بصرك ناس، وفي لحظة أنت واقف وتغمض عينك وكأنك تزيح بيدك الناس من حولك، ويتلاشى هذا الكون كله ولا يتبقى غيرك والله سبحانه وتعالى .. هذا الإحساس، هو الذي تعيشه نفسك .. أنت وهو فقط! ..

لكن هو الآن، ابنه يجذب في رجله وزوجته تجذب في يده، ومن معه في العمل ينادي عليه .. فقال لهم: صه .. فصار هو مع الله فقط!

فضاقت عليه الدنيا، أنا لا أريد أي شيء من الدنيا.

المعنى الذي أشار إليه بعض العلماء في قصة يوسف: ضاقت عليه هو الأرض .. أكثر من موقف .. وهو في الجب وهو صغير، في هذا الوقت لا يدعو الله عز وجل أن يموت وأن يقبض الله عز وجل روحه .. وبعد ذلك يدخل القصر ويشب وتراوده امرأة العزيز، ويُتهم وتصير مشكلة، ويُتلى بذلك، وفي تلك اللحظة يقول:

{ .. رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ .. } [يوسف: 33] .. ولا يقول: رَبِّ الموتُ أَحَبُّ إِلَيَّ ..

وبعد ذلك يدخل السجن ويلبث السنين الطوال في السجن، وبرغم هذا لا يقول: ربّ تعبت، اقضيني إليك غير مفتون .. لا يقول ذلك هنا ..

إنما عندما يكون في مقام الوزير أو مقام العزيز في مصر وتدين له الأرض ويأتيه سيدنا يعقوب ويتم له أمره، فيقول:

{ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ } [يوسف: 101]

انتبهوا لهذا المعنى: لا يتمنين أحدكم الموت لضراً أصابه،

لا يتمنين ذلك، إنما هو تضيق عليه الدنيا لأنها سجنه؛ لأنها هي التي تجعله لا يتواصل بالله التواصل القريب .. لا زال هناك حاجز، اسمه: دنيا .. لا بد أن أعبره، أعبر هذا الجسر وأصل للآخرة وأدخل جنة، لأصل ليوم المزيد وأراه، أفهمتم المعنى؟

العلامة السابعة: عكسها، من عَرَفَ الله في النقطة السابقة قلنا: ضاقت عليه الدنيا،

العلامة السابعة: من عَرَفَ الله صفا له العيش وطابت له الحياة ..

الحياة غير الدنيا، الدنيا ضيقة عليه وتعب منها ..

لكن هناك حياة في قلبه، هناك رغد عيش يشعر به في وجدانه، يوجد حلاوة إيمان، يوجد لذة مناجاة، يوجد لذة قرب، فيصفو له العيش مع الله عزَّ وجلَّ ..

وَيُنَكِّدُ عَلَيْهِ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا، الدنيا في يديّ الحمد لله، معي أموال، ومعني أولادي وعندي زوجتي وعندي كذا، أموري مُتيسرة .. الحمد لله هذا من خير الله عليّ .. لكن كل هذا لا يلزمني في شيء، هذا كله ما هو إلا وسائل ..

أنا ما يشغلني هو الغاية، والغاية هو سبحانه ..

لكن الله سبحانه وتعالى من جزائه الكريم، أنه يصفني له حاله .. فهذا لن تجده مشتت الحال .. لا تجده فقير النفس، لأنه جعل الهموم همًّا واحدًا همَّ المعاد؛ فكفاه الله ما أهمه، فصفت له حياته.

فقال: "من عرف الله صفا له العيش، وطابت له الحياة، وهابه كل شيء، وذهب عنه خوف المخلوقين، وأنس

بالله".

من يعرفه يأنس .. في أثر قرأته وأعجبي جداً، سألوا أحد الصالحين من سادات السلف، فقالوا له: أيهم أعلى مقاماً الحب أم الشوق؟

جواب، أيهم أعلى مقاماً الحب أم الشوق؟

قال النبي ﷺ: " .. وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك .. " [رواه النسائي وصححه الألباني].

إذا الشوق أعلى أم الحب؟ .. قال: الحب، قيل: لما؟، قال: لأنه ينشأ عنه الشوق.

هذا أعلى، بمعنى ألا تتطلع إلى السماء من البداية .. ضع القاعدة أولاً ثم ابن البناء، فلا تقول لي: من الآن سأعمل على الشوق، لا اشتغل في الحبة، وأقل من الحبة - أتذكرون هذا الكلام قلناه في أحبك ربي - قالوا له: بنا نحب الله عزَّ وجلَّ - نريد أن نندرس -، قال: مالي والحبة؟!، أنا أعمل في التوبة ..

التوبة تُبَلِّغ .. { .. اللّهُ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ .. } [البقرة: 222] .. فيحبهم .. فيصل حب، حب يُوصل لشوق .. وأعلى منهما الرضا بالطبع، أعلاها الرضا بلا الشك.

العلامة الثامنة: الحياء

كان ابن عطاء يقول: "المعرفة على ثلاثة أركان .." .. المعرفة لها ثلاثة أسس، إن لم يتواجدوا إذا لا توجد معرفة.

أركان المعرفة ثلاثة: الهيبة والحياء والأنس.

قلنا الهيبة.

الحياء .. قالوا: أن المعرفة الحق هي التي تُوجب الحياء والتعظيم، كما أن التوحيد يُوجب الرضا والتسليم.

المعرفة تُوجب الحياء، لو عرفته حق المعرفة ستستحي لا محالة، لذا كان النبي ﷺ كان يقول: " .. استحي من الله

استحياءك رجلاً من أهلك .. " [السلسلة الصحيحة (3559)] .. لو كنت تحبه وتعرفه، ستستحي أن يراك هكذا ..

يا أخي استح، يا أخي اخجل، يا أخي أين حمرة الخجل أن يراك الله على ما لا يجب وهو الذي أنعم عليك؟! .. وهو الذي أسخغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة؟! .. فتدخل من مقام الحياء وتذل وتنكسر وتتواضع ..

وبعد ذلك يأتي الأنا .. من يعرفه لن يريد أن يترك هذه المقامات أبداً، لو طهرت قلوبنا ما شبت من كلام ربنا .. تريد المزيد .. أتعرف تلك الرحمت؟، عندما تمسك بالمصحف وتنوي قراءة جزء، ثم تجد القلب يعمل ومنعش، أريد المزيد، أريد المزيد، أريد المزيد .. هذا هو، حتى يصير هذا الشغل الشاغل بالنسبة لك، وتأنس ها هنا، وتستوحش بعد ذلك من أي كلام .. عندما يريد أن يكلمك أحد تجد نفسك بتتكلم بمضض، لا تريد أن تتكلم الآن ..

أنس بالله تبارك وتعالى،،

العلامة التاسعة: تتبدى عليه أنوار الصفات ..

أتريد أن تعرف إن كنت قد بلغت خطوة أم لا؟، تفكر في الصفات التي تحليت بها منه، منه سبحانه وتعالى .. عندما تقرب تصيبك أنوار القرب ..

فهو حلِيم، هل تعلمت منه هذا الدرس؟ .. **هو سبحانه وتعالى رحيم،** هل بدأ يظهر في أخلاقك شيء من أثر المعرفة؟

وهذه هي القاعدة الاجتماعية: المرء على دين خليله .. فلو أنك عند الله بهذه المترلة، مترلة الخلّة .. **{وَاتَّخَذَ اللَّهُ**

إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: 125] .. إذا، كيف سيصير حالك؟ ..

فتأخذ منه سبحانه وتعالى الصفات التي تُعليك وتُبلغك، **{كُونُوا رَبَّانِيِّنَ}** [آل عمران: 79] .. تصير رباني ..

أتريد أن تضعها تحت مجهر المراقبة ؟ ..

قالوا: انظر في باب احتمال الناس، والحلم على أفعالهم؛ لتدرك هل تبدت عليك أنوار الصفات أم لا ..

هذا هو القانون، هل من الآن فصاعدا سترد مساويء الناس بالإحسان؟ .. الشرع يقول لك: **{ ذَلِكُمْ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا**

عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ .. } [الحج: 60]

وقفت معي اليوم في الورد، بماذا خُتِمَت الآية؟

انظر المقام هنا: **{ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ }**

تتوقع أن تكون الخاتمة بالقوي العزيز!، ولكن خاتمتها، **{ .. إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ }** [الحج: 60]

انظر المقام، كيف تكون الخاتمة العفو الغفور هذا؟

أريدك أن تصبح هكذا، الشرع يقول لك: {وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرْنَهُ اللَّهُ} رد الإساءة بالإساءة،

أريد أن تكون من المحسنين؟ .. اعفُ واخف ..

فهمت؟ يا رب نفهم.

العلامة العاشرة: جمع الشمل والهم ..

من يعرفه لن يرى غيره، أتعرفون هذا المعنى الجميل؟ .. ماذا يقولون؟

أريد أن تصير ملتزمًا بحق؟، لا تفقد هذه العية، أن ترى الله عزَّ وجلَّ الفاعل لكل شيء في حياتك ..

ولكني أعرف هذا، لا لا تراها تراها ..

بمعنى أن تفك شفرة الرسائل .. لماذا قال لي هذا الكلام؟، في رسالة .. لماذا فعلت معي هذا الموقف؟، في رسالة .. لماذا قابلت هذا الشخص؟، في رسالة.

فالله الفاعل لكل شيء .. فهو لا يرى سوى الله تعالى، لا يرى في حياته إله .. فجامع الشمل عليه.

اسمعوا هذه أيضًا: قيل لأبي يعقوب السوسي: هل يتأسف العارف على شيء غير الله عزَّ وجلَّ؟

الرجل يسأل سؤال طيب جدًا، يقول عندما يندم العبد الذي عرف ربه حقًا، على ماذا يندم؟ يندم أنه فاتته حظه من الله سبحانه وتعالى .. يندم على أنه لم يكن يعرف ربه قبل هذا،

هل يتأسف العارف على شيء غير الله عزَّ وجلَّ؟

فقال: وهل يرى غيره فيتأسف عليه؟!.

هل يرى غيره أصلاً، من عرفه لا يرى غيره.

قلت: فبأي عين ينظر إلى الأشياء؟

أنا أرى أمر من المستحسنتات من أمور الدنيا، السيارة التي أقودها، والزوجة التي تزوجتها، والبيت الذي أعيش فيه، والمال الذي أتكسبه، والحياة من حولي .. قال: **فبأي عين ينظر إلى الأشياء؟ .. كيف يراها؟**

قال: **ينظر إليها بعين الفناء والزوال .. أحب من شئت فإنك مفارقه.**

أحب كيفما تريد، أحب ما تريد من الأشياء .. ستفارقه لا محالة، وسيفراقك لا محالة.

قال يوسف بن علي: **لا يكون العارف عارفاً حقاً، حتى لو أُعطي مثل ملك سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لم يشغله عن الله طرفه عين.**

هذا معنى أن لا تكون في قلبه، هو في يده ملك سليمان لكن ليست في قلبه،

تفضلوا عبارة ذهبية أخرى، الشبل يقول:

العارف لا يكون لغيره لاحقاً، ولا بكلام غيره لافتاً، ولا يرى لنفسه غير الله حافظاً.

لا يكون لغيره لاحقاً، مفهومة؟ لا يرى غيره.

ولا بكلام غيره لافتاً، يصير قرآني .. يكون تابعاً للنص .. يكون سنياً .. يكون سلفياً.

ولا بكلام غيره لافتاً، كل ما شغلك عن الكتاب والسنة فهو مشغلة.

ولا يرى لنفسه غير الله تعالى حافظاً، بمعنى ما الذي يحفظ بدنك؟ .. أنك إنسان رياضي ومهتم بصحتك؟ .. ما

الذي يحفظ مالك؟ .. أنك ذكياً وتناجر ببراعة وتضع مالك في التجارة الصائبة والصفقات الراجعة .. فهل مالك محفوظ سبب براعتك ومهارتك؟

ما الذي يحفظ عليك بيتك؟ .. أنك لست من هواة المشاكل وتسير بجانب الحائط .. فأنت هكذا ليس مثيراً للمشاكل؟

ما الذي يحفظك؟

لا يرى لنفسه غير الله تعالى حافظاً، هذا هو من عرف به.

العلامة الحادية عشر: المبادرة للطاعات ..

علامة العرفان .. خذوها كلمة بسيطة .. كلمة جميلة أيضاً، أبو يزيد كان يقول: **العارف طيار والزاهد سيّار.**

العارف - يا حبيبي - لا يقف بجانبك في الصلاة .. فقد طار، صار عالياً .. وأنت ما زالت بالأسفل بدأت تقول: بسم الله الرحمن الرحيم وتخطو الخطوة .. هو كان عبر، وصل إلى البر الآخر .. من عرف الله سبحانه وتعالى انطلق إلى مكان .. أنت انطلقت إلى البر الذي تعرفه جيداً .. أتذكر وأنت تصلي، أين كان يشرد ذهنك؟! كل اللقطات التي خطرت بذهنك، هذه هي التي ما زلت تسير فيها .. إنما الآخر قد طار ..

طار بقلبه إلى الله عزَّ وجلَّ.

فالعارف طيار، يبادر للطاعات ويسرع إلى هذه القربات.

أما الزاهد .. الزاهد وعلى أنه مقام عال، إلا أنه ليس كمقام المعرفة بالطبع، مقام المعرفة أعلى، فهذا الزاهد يمشي ويسير ويعمل.

العلامة الثانية عشر: لذة التعبد ..

علامة المعرفة لذة التعبد، يقول: **العارف تبكي عينه ويضحك قلبه،**

هذا مقام عال .. هما مترلّتين، أو ثلاث.

واحد أول حاله بكاء قلبه وهذا الأوفق، الأدنى منه : من بكت عينه فقط،

الناس تبكي حوله، الجو العام هكذا .. كل الناس تبكي، والآيات تمز، والإمام لم يعد يسيطر على نفسه فوقف وأصابه نشيج، فالناس كلها الجو مآثر فيها، فكل واحد يبكي على ما جاء في خاطره.

بجد حال، حال من الأحوال جيد، هذا بكت عينه.

في واحد تاني واقف: أول هاتف دخل من القلب، فالآيات تدغدغ قلبه، فبكى قلبه، لكن لم توافيه عينه .. في واحد أعلى قليلاً، من الاثنين معاً، تعرفوا ذكر القلب وذكر اللسان مثلها بالظبط .. فبكت عينه وبكى قلبه ..

يوجد أعلى منهم الذي يتكلم عليه هنا، تبكي عينه ولكن يذيقه الله عزّ وجلّ لذة في قلبه في حال بكاء عينه،
حاليّن متناقضتين .. هو يبكي لكن من داخله سكينه وآمان واحساس وتقرب ومعاني لا توصف.

فجئة في القلب مع أن الظاهر يبدو حزبه.

العلامة الثالثة عشر: دوام الثناء ودوام المحاسبة ..

تذاكرناها من قبل، يحيى بن معاذ قال: يخرج العارف من الدنيا ولا يقضي وطره من شينين، بكائه على نفسه، وثنائه على ربّه.
فدائمًا لديه أمرين .. دوام الثناء على الله عزّ وجلّ، وتجدّه دائمًا لاهجًا بالحمد ... فليس مشغولاً إلا بمقام الحمد،

فبئني على ربّه وبيكي على نفسه.

العلامة الرابعة عشر: التخلص من حظ النفس ..

قال أبو يزيد: إنما نالوا المعرفة بتضييع ما لهم والوقوف مع ما له.

له ولك .. هذه هي القضية كلها، أنا أريد أن أنام وهو يريد ماذا؟ هو يريد القيام، فضيَّعت ما لي ووقفت عند ما له، بعبارة
أخرى،

أن تكون على مراده منك، لا على مرادك منه.

ماذا تريد منه؟ تريد رغد العيش، أنت ما ينقصك؟ ينقصك زوجة، ينقصك بيت، ينقصك عمل جيد، ينقصك استقرار، ينقصك
آمان للمستقبل وتأمين أحوال الأولاد في مستقبلهم .. كما تريد، ماذا ينقصك؟ هذا ما تريده فمشغول به.

وهو يريد منك:: {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ} [النساء: 27]

رأيت المعنى؟، فأنت على مراد من؟ .. على مرادك؟ أم على مراده؟

ما لك، أم ما له؟

إذا ضيَّعت ما لك ووقفت عند ما له، تم لك الأمر.

آخر هذه العلامات: الأُنس والوحشة ..

قال ذو نون: لكل شيء عقوبة، وعقوبة العارف انقطاعه عن الذكر، فالعارف يأنس بالذكر ويستوحش من الخلق ويفتقر إلى الله فيغنيه عن الخلق، ويذل لله فيعزه في الخلق.

هذه هي المسألة .. يأنس فيستوحش، ويفتقر فيغنيه، ويذل فيعزه.

تلك خمسة عشر علامة، وكل واحدة منهم فيها رسالة ..

ادخل ولو منه باب، بمعنى تعرف تدخل منه باب التعظيم، منه العيبة، الحياء، الأنس، الثناء .. أي باب، لابد أن تخطو الخطوة، واحذر أن تكون لازلت بتجري في المكان.

إذا تَعَرَّفَ فقد فاز،

سبائك اللهم ربنا وبهدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فضيلة الشيخ / هاني حلمي

عَظِيمِ رَبِّكَ

فضيلة الشيخ

هاني حلمي



قال الإمام ابن القيم في كتاب (الفوائد) : " إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغنى أنت بالله، وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله، وإذا أنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله، وإذا تعرّفوا إلى ملوكهم وكبائهم وتقرّبوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة، فتعرّف أنت إلى الله وتودد إليه تلك غاية العز والرفعة "

كلام يُكتب بمداد الذهب .. إذا استغنى الناس بالدنيا وبأهلها، فاستغنى أنت بالله .. ولا تفتقر إلى أهل الدنيا ولا إلى دنياهم .. وإذا وجدت الناس يفرحون بما يُحصّلون من متاع الدنيا الزائل والزائف فليكن فرحك أنت بفضل الله عليك وبرحمته فافرح أنت بالله .. وإذا كان الناس في هذا الزمان يستوحشون ويأنسون بأحباب وأصدقاءٍ وخِلان، فليكن أنسك أنت في الخلوة والتبتّل مع الله .. وإذا تعرّفوا إلى الملوك والكبراء وطمعوا في أن ينالوا من هذا ومن ذاك فيتقربون إليهم لينالوا بذلك العز والرفعة ..

فَتعرّف أنت إلى الله وتودد أنت إلى الله لتنال غاية العز والرفعة .

دعونا نشرع في هذه السلسلة المباركة بعد أن كنا في المحاضرة السابقة وضعنا شكلاً إجمالياً لهذه السلسلة (سلسلة تعرّف)، والمقصود منها::

تحقيق أصل الأصول، ألا وهو معرفة الله تبارك وتعالى.

وذكرنا فيما سبق أن هذه المعرفة هي الأساس، وينبغي للعبد أن يُحصّل الخمس معارف :

(1) معرفة الله .. (2) معرفة النفس .. (3) معرفة آفات النفس .. (4) معرفة الطريق .. (5) معرفة العوائق التي على الطريق.

أصل الإصطلاح لمعرفة الله عزّ وجلّ ..

فهي أعظم إضافة يُضيفها العبد إلى حياته، أن يرتقي فيصير اسمه عند الله عارفاً .. يعرف كيف يتعامل مع ربّه ويُبصر طريق الوصول إليه، فيشعر بعد حصوله على هذه المتزلة وعلى هذه المكانة الشريفة بأثرها وثمراتها العظيمة.

من يعرف الله سبحانه وتعالى حقّ المعرفة، ذلك الذي يُفارق الآفات والعيوب التي نشتكى منها إذا كنا ندّعي الالتزام كملتزمين.

كانوا يقولون : "إن مجالسة العارف .." .. فما بالك به، مجالسة العارف تدعوك من ست إلى ست، مجرد أن يكون عندك هذا في محيطك أو أن تتقرب وتنال صحبة هذا الذي عرف الله عزّ وجلّ تُخرجك من ست وتوصلك إلى ست، هذا من يصحبه فما بالك به ؟

قالوا وهذا كلام ابن القيم في (المدارج) : "تخرجك من الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الغفلة إلى الذكر، ومن الرغبة في الدنيا إلى الرغبة في الآخرة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الطويّة إلى النصيحة".

من الشك إلى اليقين: وربما عندما نقول الشك واليقين، يظن البعض أنه بمعزل عن هذه الآفة .. آفة الشك والمقصود بها ما دون اليقين، ومثلة اليقين من الخطورة، ولكي نفهم خطرهما لنا أن نتصور المعادلة الثلاثية التي قد قلناها الخاصة بقصة طالوت وجالوت .. قلنا هي ثلاث مراحل ..

لكي تتربى تربية إيمانية، لا بد أن تمر على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: هي مرحلة الإدعاء ..

المرحلة الثانية: هي مرحلة الدنيا .. مواجهة الدنيا وفتن الدنيا.

المرحلة الثالثة: مرحلة اليقين ..

ففي البداية نحن لم نخرج من الوهم ومن الادعاء أنني ملتزم، أنني بحق على مسئولية القول والعهد والوعد الذي يكون بيني وبين الله عزّ وجلّ ... وبعد ذلك عندما تواجهني الفتن فيكون هنا الامتحان **(امتحان الإيمان الحقيقي)** لاسيما في الدنيا .. فإذا مررت بهذا أيضاً - وقليل ما هم - (ولم تنته القصة بعد) يأتي بعد ذلك مرحلة { ... قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ... } [البقرة: 249]

فإذاً لكي نصل إليها، وأنت مازال لديك مشاكل في قصة اليقين هذه وتحقيقه، فمن جملة الأمور التي توصلك إليه:

Ⓒ أن تعرف وتعرف من يعرف.

إذاً أول شيء: يُخرجه من الشك إلى اليقين ..

ثانياً: يُخرجه من الرياء إلى الإخلاص .. قصة الرياء أين تكون إشكالياتها ؟ .. تعظيم قدر الناس .. فلو عرف الله، لم يعد الناس عنده بهذه المتزلة التي تجعله يركن إليهم أو ينتظر ثناءهم أو ينتظر نظرهم لأنه سيكون قد عرف الله عزّ وجلّ، فيخرج إلى **واحة الإخلاص والتجرد مع الله تبارك وتعالى.**

ثالثاً: ومن الغفلة إلى الذكر .. لأنه لو عرف سيزول الحجاب - **حجاب الغفلة** - ما الذي يصنع حجاب الغفلة؟ يكون أساسه من التعرّض إلى فتن الدنيا .. الانغماس فيها، فيورث الغفلة ..

فإذا عرف الله عزَّ وجلَّ دَامَ وصله به ودَامَ اتصاله وذكره له، فننقشُه عنه تلك السُّكْب؛ سَكْب الغفلة.

رابعاً: ومن الرغبة في الدنيا إلى الرغبة في الآخرة .. فالدنيا ستصير عنده بالمعرفة لا ميزان لها، لأنه سيزن بميزان

الربِّ تبارك وتعالى .. فإذا كانت الدنيا لا تساوي شيئاً عند الله عزَّ وجلَّ، ولا تعدل جناح بعوضة فسيكون أمرها كذلك.

فلن يكون همي أن تكون شقتي وأن تكون زوجتي وأن يكون أولادي وأن تكون وظيفتي وأن يكون مالي، لن يكون هذا ديدني ..

إنما أخرج من الرغبة في الدنيا إلى الرغبة في الآخرة، ماذا حصَّلت وماذا بليت لهذه الدار التي سأعمرها.

خامساً: ومن الكبر إلى التواضع .. المتكبر إشكاليته أنه يدفع الحق لظنه في نفسه .. مشكلة المتكبر أنه يرى نفسه بعين

التعظيم لا بعين الجناية ..

فإذا عرف الله عرف نفسه، فإذا عرف نفسه خرج إلى التواضع ..

بمعرفة أنه فقير .. سيعرف الله بصفة الغني .. بصفة الغني .. فيعرف نفسه بأنه الفقير له ذاتي.

سادساً: ومن سوء الطوية إلى النصيحة .. هنا الإشكال، هذا الذي خبثت نفسه وصار مُعْرِضاً، وصار لا يتقبل النصح ..

هذا ستجده إذا عرف الله عز وجل، سيغتنم النصيحة ويقبلها ويحبها، لا أنه يتلقاها بصدرٍ ضيق.

إذا عرف الله عزَّ وجلَّ تحقق بذلك، وإذا عرف من عرف الله عزَّ وجلَّ تحققت فيه تلك الست.

كما يقول ابن الجوزي في (الصيد): "من ذاق طعم المعرفة، وجد طعم المحبة".

لكنه يقول أن لها طعم، من ذاق هذا الطعم يذُق الطعم الأعلى .. طعم المحبة.

✪ **فالرضا من جملة ثمرات المعرفة ..** فإذا عرفته سبحانه رضيته بقضائه، أحبه إليه أحبه إليّ.

"وقد يجري في ضمن القضاء مرارات، يجد بعض طعمها الراضي" ..

أي: أن هذا الراضي لن يأخذها ماء زلال، لا سيكون بما تجرُّع للمرارة، لكن الصابر يتجرعها بشدة والراضي يتجرعها

ويستسيغها.

أي: أن الثاني مُتمرِّر لكنه قد حبس لسانه عن التشكِّي وقلبه عن التسخُّط .. فحبس نفسه عن مثل هذه المخالفات، إنما الراضي

يشعر بالمرار ثم بعد ذلك يستسيغها؛ لأن قلب الراضي هذا كأنه بالضبط قلبه مُحلَّى، تنزل عليه هذه المرارات فتحوَّل بعد أن

كان طعمها مُرٌ أصبح مُستساغٌ وتمر عليه دون مشكلة، هكذا يكون تشعر أن كل كلام الراضين والكلام الذي يذكرونه من قصص السلف في ذلك تشعر أنه يأخذها من هذا المنطلق " أن قدر الله أحب إلي من بصري " (لماذا أنت غاضب؟؟) يتزل على قلبه السكينة والرضا والطمأنينة.

فيقول: "أما العارف .." (انظروا) يقول: الراضي ممكن أن يجد مرار، ابن الجوزي هنا يقول: أن هناك منزلة أعلى من الصبر والرضا،

"أما العارف فتقل عنده المرارة لقوة حلاوة المعرفة، فإذا ترقي بالمعرفة إلى المحبة، صارت مرارة الأقدار حلاوة" ..

انظروا إلى الثلاث منازل.

يقول أن منزلة المعرفة، وهذه المعارف أنواع: هناك معرفة تُثمر حب، وحب قد يُثمر معرفة أعلى.

فيقول: أن الأول صابر، سيبصر ولن يكون هناك مشكلة لكن كما قلنا مع الحبس .. سيشعر بالمرار لكنه يجبس نفسه، الثاني يستحلى قليلاً، والثالث يحوُّها أصلاً فيجد مرارة الأقدار حلاوة،

أبايتم كم أه ثمار المعرفة عظيمة وجليلة؟؟

يقول القشيري في (التحبير في التذكير): "ومن أوصاف العارف ألا تأخذه في الله لومة لائم، فيكون بالحق ناطقاً وبحق الله قائماً وفي دين الله قوياً .." .. لماذا؟ لثمره من ثمرات المعرفة .. "لأن المعرفة تقتضي استصغار الأقدار سوى قدره".

الأقدار المقصود منها هنا أوزان الشيء، قدر الشيء بمعنى ثقله.

فيقول أن أي شيء ليس له وزن عنده (استصغار الأقدار) سوى قدره سبحانه وتعالى.

فيقول: لأن المعرفة تقتضي .. لو عرف الله عزَّ وجلَّ، فبعد ذلك لا شيء .. إذا كانت أمور تخص الدنيا والدنيا لا تُساوي شيء لا قدر لها عنده، وما المشكلة إذا ابتلي البدن أو يُبتلى الإنسان في كذا وكذا أو في ماله أو في ولده، ما المشكلة؟ المهم أن ما حصل من الإيمان، هذا هو الذي عنده بالمرتلة.

فالمعرفة تقتضي ذلك؛ أن يستصغر أي شيء دونه ..

"ومحو الأذكار سوى ذكره"

فكل ما يذكره وكل ما يهتم به، يحوه إذا حلّ ذكره سبحانه وتعالى في قلبه،

"فإن نطق بالله وإن سكت سكت به، وأفضل الأشياء كلمة حق عند من يُخاف ويُرجى" ..

عموماً .. إذا علامة من علامات من عرف الله عزَّ وجلَّ أن يُحصَل تلك الثمرات.

تعالوا نُفصِّل ما كنا أجهلناه في المحاضرة السابقة حينما تكلمنا عن من عرف الله عزَّ وجلَّ وعلامات ذلك، وكنا ذكرنا في أول علامة :

﴿ قول الدِّقَاق: "من أمارات المعرفة بالله حصول الهيبة من الله، فمن ازدادت معرفته ازدادت هيئته".

هنا نتحدث عن موضوع ما أهمه وأخطره، موضوع التعظيم لله تبارك وتعالى ..

﴿ **التعظيم من علامات المعرفة ..** والله سبحانه وتعالى سمي نفسه باسم **العظيم**، وهذا الاسم تكرر في القرآن في تسع آيات موجودة في أربع سورٍ ومُدارسَة ذلك بين يديّ هذا الموضوع من الأهمية.

مواضع ورود اسم الله "العظيم" في القرآن الكريم

(1) ختام آية الكرسي .. أول آية في القرآن ذُكِرَ فيها اسم الله العظيم هي .. **أعظم آيات القرآن؛ آية الكرسي ..**

فالله سبحانه وتعالى ختمها بقوله : { ...وَلَا يُوَدُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } [البقرة: 255]

(2) مُفْتَتِحُ سُورَةِ الشُّورَى .. ثم الموضوع الآخر ورد في سورة الشورى في مُفْتَتِحِهَا، في قوله سبحانه وتعالى : { لَّهُ مَا فِي

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } [الشورى: 4] .. وهنا سنتوقف وقفة عند التحليل لماذا يقترن اسمه العلي باسمه العظيم، لابن القيم فيها كلام.

(3) سُورَةُ الْوَاقِعَةِ .. ثم الموضوع الثالث ورد في سورة الواقعة، ورد في موضعين الموضوع الأول في قوله سبحانه وتعالى : { نَحْنُ

جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (*) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ } [الواقعة: 74، 73] .. وفي خاتمة السورة في قوله سبحانه : { إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (*) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ } [الواقعة: 95، 96]

(4) سُورَةُ الْحَاقَّةِ .. وورد أيضاً في سورة الحاقة في موضعين الأول في قوله تعالى : { إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ } [الحاقة: 33]

وفي خاتمة السورة : { فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ } [الحاقة: 52]

لو تأملنا، وأنا أريد أن أبدأ من آية سورة الحاقة لأن فيها معنى مهم، لو تأملناها يقول الله تبارك وتعالى : {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ (*) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ (*) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (*) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ (*) هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ (*) خُدُوهُ فَغُلُّوهُ (*) ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلُّوهُ (*) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ} [الحاقة: 25,32] لماذا؟

{إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ} [الحاقة: 33]

وهذا الموضوع وحيد في القرآن أنه ذكره هكذا، بالله العظيم، أتعرفون ما هو المعنى ؟

المعنى أنه كان لا يُعَظِّمُ أمونا، لا يُعَظِّمُ أمرنا لا يُعَظِّمُ نعبنا، فلا يُعَظِّمُنَا .. فَإِنَّهُ مِنْهُ عِلْمُهُ تَعْظِيمُ اللَّهِ الْعَظِيمِ؛ أَدُّ يُعَظِّمُ فِي أَمْرِهِ وَيُعَظِّمُ فِي نَهْيِهِ وَيُعَظِّمُ حُرْمَاتِهِ.

هل ترون العقوبة ؟ .. لو أن ربك ليس في قلبك على هذا التقدير والتبجيل، العقوبة أن يكون من أصحاب الشمال .. ومن هنا يتبدى خطر الموضوع {إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ} [الحاقة: 33]، لو يؤمن بالله العظيم والله العظيم لا يمكن بحال أن ينتهك الحُرْمَاتِ، لا يمكن بحال أن يقع في هذه الشراك، فيفتته المال ويفتنه الجاه والسلطان وينشغل عن الله تبارك وتعالى ولا يعطي الله حقوقه {وَلَا يَخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ} [الحاقة: 34].

فالمعنى الأول: من لم يُعَظِّمِ الله تبارك وتعالى متوعد بأشد العذاب .. متوعد بأن يكون والعياذ بالله من أصحاب الشمال.

ثم في نفس السورة ليبين نفس المعنى، ختمها بذلك فقال : {فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (*) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (*) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (*) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (*) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (*) تَتَرَبَّلَّ مِنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الحاقة: 38,43]، ثم انظروا يقول : {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ} [الحاقة: 44] .. يتكلم في حق النبي ﷺ لو أن النبي ﷺ زاد حرفاً أو قال ما لم يأذن الله له به، ولو تقوَّل كلمة لم يؤمر بها {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (*) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (*) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ} [الحاقة: 44,46]، انظروا المقام كم فيه من قوة وفي نفس الوقت فيه وعيد ليناسب هذا، مقام إجلال وهذه هي صفة المعظم، المعظم مُمتثل، لماذا قال : {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الحاقة: 52] في النهاية؟ .. من أجل هذا المعنى ..

المُعَظِّمُ لِأَمْرِ اللَّهِ تَجِدُهُ بِسَبْرِ حَزْوِ الْقِدَّةِ بِالْقِدَّةِ، بِسَبْرِ بَدْرِكَيْهِ .. لَا يَلْتَفِتُ .. لَا يَزِيدُ .. لَا يَغْلُو .. لَا يُفْرَطُ.

هكذا {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (*) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (*) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (*) فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (*)} وَإِنَّهُ لَتَذَكُّرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (*)} [الحاقة: 44,48] .. لتكون تذكرة لكل من يسلك السبيل إلى الله تبارك وتعالى، التعامل لا بد أن يكون بهذا الإمثال .. بهذا الإزعان .. بهذا الخضوع.

{وَأِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ (*) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (*) وَإِنَّهُ لِحَقُّ الْيَقِينِ (*) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الحاقة:

[49,52

هل استشعرت المعنى الثاني الذي استفدناه من تحليل الآيات؟ .. ألا وهو :

المعنى الثاني: المعظم لأمر الله تبارك وتعالى منقاد، مستسلم، خاضع، لا يتزبد ولا يتنقص.

لو تأملنا آية الكرسي .. ابن القيم يتحدث عن ختام هذه الآية باسمه العظيم ويورد ما في ذلك من نكتة علمية .. هذا في (الصواعق المرسله)، يقول : ففي آية الكرسي ذكر الحياة، التي هي أصل جميع الصفات {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ} ..

أصل جميع الصفات: أن الله سبحانه وتعالى هو الحي، هو الذي يحيي وهو الذي له الحياة الكاملة الدائمة .. كان الله وما زال، وكذلك لن يزول، كان الله سبحانه وتعالى ولم يك شيء وسيظل سبحانه وتعالى له الحياة السرمدية ..

"وذكر معها القيومية المقتضية لذاته وبقائه .." .. فهو القائم بكل شيء، والذي به قيام كل شيء، فكيف يفنى إذا كان هو الذي يقيم كل شيء سبحانه وتعالى؟ والذي به قيام كل الأشياء وهو القائم المدبر لجميع الأمور والأشياء، فيقول: "فستفي بذلك الآفات جميعها عنه" .. الحي والقيوم الاثنان سوياً، فيوجب انتفاء جميع الآفات والعيوب عنه سبحانه وتعالى، لا يكون مُتَّصِفٌ بنوم ولا سِنَةٌ ولا عجز؛ ولذلك جاء التفصيل بعد ذلك في الآيات.

قال: " ثم ذكر كمال ملكه" .. سبحانه وتعالى .. فقال جلّ وعلا {.. مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ }

قال: "ثم ذكر كمال ملكه ثم عقبه بذكر وحدانيته في ملكه وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ثم ذكر سعة علمه وإحاطته، ثم عقبه بأنه لا سبيل للخلق إلى علم شيء من الأشياء إلا بعد مشيئته لهم أن يعلموه، ثم ذكر سعة كرسية منبها به على سعته سبحانه .." .. الله تعالى الواسع .. "وعظمته وعلوه، وذلك توطئة بين يدي ذكر علوه وعظمته".

أي كأنه كل ما ذُكِرَ في هذه الآيات، ليؤكد ويدل على اتصافه بهاتين الصفتين سبحانه وتعالى فهو **العلي الأعلى** وهو سبحانه وتعالى **العظيم** ..

"ثم أخبر عن كمال اقتداره وحفظه للعالم العلوي والسفلي من غير اكتراث ولا مشقة ولا تعب ثم ختم الآية بمهذين الاسمين الجليلين الدالين على علو ذاته وعظمته في نفسه"

فقال {..وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة: 255].

قال: صفة العلي صفة كمال من صفات كماله سبحانه وتعالى، وكذا صفة العظيم، ويجتمع من اقتترانها كمالاً ثالث، فالله حاذ العلو بكل أنواعه ..

علو في ذاته، علو في صفاته ..

وجمع العظمة بكل صورها، فهو عظيم في علوه، عال في عظمته.

قال : ولعل تقديم اسم العلي على العظيم، من تقديم السبب على المسبب؛ فعظم لعلوه على كل شيء ..

لماذا هو عظيم ؟ لأنه علي .. هو يقول عظم لعلوه، من الأعلى ؟ .. عندما نقول الرأس، فهذا الرأس الذي هو الملك مثلاً الذي في يده سياسة أمور البلاد فهو الرأس .. هو على قمة الهرم .. فعندما يكون عالياً يكون عظيماً لا شك، فكأن هذا من فقه اقتران اسم الله تعالى العلي باسمه العظيم.

ابن القيم له كلام آخر في اقتران اسم الله العلي باسمه العظيم يقول : شرع الله سبحانه لعباده، ذكر هذين الاسمين العلي العظيم في الركوع والسجود .. فهو الأعلى والعظيم .

قال : {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة: 96] و {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: 1].

عن عقبة بن عامر قال: لما نزلت {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة: 96]

قال رسول الله ﷺ "اجعلوها في ركوعكم"، فلما نزلت {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: 1]

قال رسول الله ﷺ "اجعلوها في سجودكم" [رواه أبو داود وحسنه الألباني، مشكاة المصابيح (879)]

وهذا الحديث رواه الإمام أحمد وأبو داود، ولكن في إسناده نظر .. فضعفه الشيخ الألباني في ضعيف أبي داود.

لكن الثابت بطبيعة الحال أن في الركوع والتسبيح مع التعظيم، وفي السجود والتسبيح مع إثبات صفة العلو لله سبحانه وتعالى.

يقول: وهو سبحانه كثيراً ما يقرب بين الاسمين { ... وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } [الشورى: 4]، { ... هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ } [الحج: 62، سبأ: 23].

{عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} [الرعد: 9] .. وهذه تحتاج إلي بحث؛ لأن هنا قدّم الكبر علي العلو في الرعد .. قال
{عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} [الرعد: 9]

فيثبت بذلك علوه علي المخلوقات وعظمته، فالعلو رفعته والعظمة عظمة قدره ذاتاً ووصفاً.

ومن هذه الأسرار الجميلة والحكم الجليلة المتعلقة بهذا الاقتران، قوله سبحانه وتعالى .. إنه سبحانه قرن بين هذين الاسمين الدالين على علوه وعظمته في آخر آية الكرسي وفي سورة الرعد وفي سورة سبأ { ... قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ } [سبأ: 23].

عرفنا هذا في شأن آية الكرسي.

في الشورى .. افتتح هذه السورة بقوله جلّ وعلا : { كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (3) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (4) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ (5) } [الشورى: 3,5] .

لاحظوا الآيات متوالية، وذُكر فيها ست أسماء لله تبارك وتعالى ..

أثبت له العز والحكمة والعلو والعظمة والغفران والرحمة، هذه الصفات الست.

اسمه العزيز الحكيم .. أخذنا القاعدة التدرجية؛ كلما وجدنا اسماً من أسماء الجلال بحسنا عن معني يناسبنا نحن، حظنا نحن من اسم الجلال عكس هذه الصفة .. فنحتاج نحن أن يكون عندنا الذل والحكمة.

والله يقول : { كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ ... } .. وكان الذي سيستفيد من هذا الوحي هو ذلك الذي سيكون أكثر انكساراً وافتقاراً وذللاً، وهو الذي سيتعلم العلم الذي سيورثه الحكمة، فحظنا من اسم الله الحكيم هذا اسم جمال أن نتصف بتلك الصفة.

المعادلة تقول : **ذل وانكسار يورثك علماً، العلم يورثك حكمة.**

ثم قال : { لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (4) } .. هذه صفة جلال أم صفة جمال ؟

لو هكذا ففي حق العبد له فيها أيضاً الأمران، يعني عليه أن يعلو على سفاسف الدنيا، وعليه أن يكون متواضعاً وليس متعالياً
 { .. أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ .. } [المائدة : 54]، فعلوه هو سبحانه وتعالى يقتضي في حقلك أنت أن تكون هكذا .

العلو العظيم صفة العظمة التي نتكلم عنها اليوم صفة جمال أم جلال ؟ صفة جمال في حقلك أنت إذا لا تعظم نفسك { ... فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى } [النجم : 32]

انظروا إلى أول الآية: { ... هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى } [النجم : 32]

انظر إلى سياق الآيات يعني من أنت ؟ فعلام ترى نفسك ؟ وهو عالم بعيك ونقصانك و ما فيك من عورات .. فأنت أصل كل عيب وعورة وخطيئة وذنوب .. { ... هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ .. } .. فعلام تُعجب بنفسك؟

فهو العظيم سبحانه وتعالى تحتاج منك أنت، فإذا عرفت الله عزَّ وجل بصفة العظمة ألا ترى لنفسك شيئاً ولذلك قال : { لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } [الشورى : 4]

إذا كان الأرض بما فيها والسموات بما فيها كل ذلك لله تبارك وتعالى، فإذا كان يعلم كل ذلك سبحانه وتعالى فهو المستحق لهذا الوصف صفة العلو وصفة العظمة.

ثم دلل على ذلك فقال : { تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ... }
 تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ .. إجلالاً وتعظيماً وهيبةً لله تبارك وتعالى .

الموضع الآخر الذي هو في سورة الواقعة، سيفيدنا معنى آخر ألا وهو أن الله سبحانه وتعالى لما عدد نعمه على عباده فأخذ يقول سبحانه :

{ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ } [الواقعة: 58] .. { أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ } [الواقعة: 63]

{ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ } [الواقعة: 68] .. { أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ } [الواقعة: 71]

وأخذ يعدد هذه النعم على عباده تبارك وتعالى، ختم هذا فقال: { فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ } [الواقعة: 47] ،

وكان في هذا إشارة على أن العبد يستطيع أن يصل إلى ذلك بالتقوى،

وهذا هو كلام أهل العلم فيها ، أنه عندما يتفكر في هذه المعاني، يتفكر أفرأيتم ما تمنون أفرأيتم كذا .. أفرأيتم ...

انظر انظر انظر ويبحثك على ذلك،

﴿ فَكأن التأمّل في خلق الله تبارك وتعالى وفي بديع صنعته سبحانه وتعالى يورث لا محالة تعظيم قدره .. ﴾

لذلك قال: فإذا رأيت بعين الإنصاف وإذا رأيت وأمعنت النظر فستصل لا محالة إلى التعظيم.

فنحن عندما نتحدث في تعظيم الأمر والنهي، ونقول أنك تعظم الأمر يعني الصلاة على أول وقتها، تعظم قدرها .. وتعظم النهي بأنك لا تقع فيه كل ما يؤدي إليه أو فيما جعل حصناً .. فلا ينبغي أن تتعدي حدود الله.

فإن قلنا هذا الكلام، حسناً ... فماذا أفعل لكي يكون بحق عندي هذا الإحساس؟ أكون معظم لأمر الله؟

قال تفكّر... تفكّر وعليك أن تُمعن،

وإذا أنعم عليك بنعمة التفكّر والتأمّل والنظر ستصل إلى سبح باسم ربك العظيم

{ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ } [الواقعة: 74]

في الموضع التالي في نفس السورة .. قال جلّ وعلا بعد أن بيّن شأن القرآن { إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ } (*) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (*) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (*) تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (*) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (*) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ } [الواقعة: 77,82].

ثم بعد ذلك بيّن أحوال كل طائفة من ذكر في أول السورة، سواء جزاء المقرّبين وجزاء أصحاب اليمين وجزاء الضالين المكذّبين من أصحاب الشمال، بيّن كل جزاء لهم ثم قال: { إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ } (*) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ } [الواقعة: 95,96].

هل منكم من التفت لماذا ذُيّل بعد ذكر الجزاء وبعد ذكر القرآن،

لماذا ذُيّل خاتمة هذه الآيات باسمه العظيم؟

كأنهم لما لم يكونوا قائلين لله سبحانه وتعالى بحقه وقدره ولم يعظّموا أمره ولم يعرفوه؛ لذلك قال "سَبِّحْ" نزهه .. لأنك لو تعرفه ما كنت لتقع فيما تقع؛ لأن الذي لا يعرفه هو الذي يقع في مثل ذلك، لا يعرف جلاله ولا يعرف هيئته سبحانه وتعالى، فيكون من

جرّاء ذلك الوقوع في هذه الأمور، أما الذي يعظّم وعلى قدر تعظيمه يكون جزاءه فيكون من أصحاب اليمين ويكون من المُقرَّبين، وهذا هو ما قلناه الآن أنه ثمرة من ثمرات المعرفة الهيبة والتعظيم وهذا التعظيم يورثه هذه المنازل.

هكذا نكون قد أخذنا اسم الله العظيم في القرآن ..

الآثار الواردة عن السلف في معنى تعظيم الله تبارك وتعالى

هناك بعض ما أثر عن سلفنا الصالح في معنى تعظيم الله تبارك وتعالى وتحليه جلّ وعلا بهذا الاسم ..

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله جلّ وعلا: { وَ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا }

[الإسراء : 72] .. قال: "من كان في الدنيا أعمى عما يرى من قدرتي، من خلق السماء والأرض والجهال والبحار والناس

والدواب و أشباه ذلك فهو عما وصفت له في الآخرة ولم يرى أعمى سبيلاً وأبعد حجة" .. { وَ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى ... } هذا ليس على معنى التحقيق أنه سيكون أعمى في الآخرة.

يقول: إذا كان هو لا يرى وهو في عالم المشاهدة، لا يرى بديع خلق الله وغير مُعظّم لأمر الله، والآيات كلها تنطق بذلك، إذا فهل يرى الجنة والنار؟ فبالتالي سيكون أبعد، هذا رأي أو هذا قول لابن عباس.

قال قتادة في قوله تعالى: { وَ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى .. } .. قال "من عمى عما يرى من الشمس

والقمر والليل والنهار وما يرى من الآيات والرسائل التي يرسلها الله عزّ وجلّ للعبد ليل نهار ولم يصدّق بها، فهو عما غاب عنه من آيات الله أعمى وأضل سبيلاً".

وذكر عنه قريباً من ذلك أيضاً .. عن قتادة نفس هذا المعنى { وَ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى .. } أي: في الدنيا فيما أراه الله عزّ وجلّ من الآيات، فهو في الآخرة الغائبة التي لم يرها أعمى وأضل سبيلاً.

هذا معنى من المعاني الذي يوصلنا إلى تأكيد ما كنا بصددده من:

﴿ أَهْ التَّفَلُّ يورث التعظيم، وعكسه يورث الغفلة والعمى .﴾

الأمر الثاني ورد في قول الله تبارك وتعالى: { ... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى والبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ } [الأنعام : 50]

قال قتادة: "الأعمى: الكافر الذي عمى عن حق الله وأمره ونعمه عليه، والبصير: هو العبد المؤمن الذي أبصر بصرًا نافعاً ووحدّه وعمل بطاعته سبحانه وتعالى فانتفع، تفكّر فعرف فعظّم".

وورد أيضاً في قول الله جلّ وعلا: {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ} [الذاريات: 20]

قال محمد بن صالح التميمي: "كان بعض العلماء إذا تلى تلك الآيات، قال: أشهد أن السموات والأرض وما فيها من الآيات تدل عليك وتشهد لك بما وصفت به هيبتك، وكلُّ يؤدي عليك الحجة ويقر لك بالألوهية، موسوماً بآثار قدرتك ومعالم تدبيرك الذي تجليت به خلقتك".

يقول: والله .. {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ} .. أشهد والله أن هذه السموات وهذه الأرض وما يحدث لي في ذاتي وأن كذا وكذا وكذا، كل ذلك ناطقٌ بأن الله سبحانه وتعالى هو الجليل الكبير العظيم جلّ جلاله.

قال خليفة العبدي وكان متعبداً: "لو أن الله تبارك وتعالى لم يُعبد إلا عن رؤية ما عبده أحد" .. لو كل الناس قالت: أنا لا بد أن أرى الله سبحانه وتعالى لأعبده .. قال "ما عبده أحد، ولكن المؤمنون تفكروا في مجي هذا الليل إذا جاء فملاً كل شيء وغطى كل شيء، وفي مجي سلطان النهار إذا جاء فمحي سلطان الليل، وفي السحاب المُسَخَّر بين السماء والأرض، وفي النجوم وفي الشتاء والصيف، فوالله ما زال المؤمنون يتفكرون فيما خلق ربهم تبارك وتعالى حتى أيقنت قلوبهم برهم فكأنما عبدوا الله تبارك وتعالى عن رؤية".

ثمرات التفكير ← تعظيم يوم الإحسان، فعبد الله كأنه يراه.

وقال أحمد بن الحواري: التقى حكيمان من الحكماء فقال أحدهما لصاحبه - هذا الكلام جميل - فقال أحدهما لصاحبه: بم عرفت ربك؟ قال "بفسخ العزم" - عرفت الله بنقد العزائم -

أنا أريدها هكذا وحسبتها هكذا والمعادلة تسير هكذا (2 = 1 + 1) .. أجدها لا تتحقق .. يذاكر 8 ساعات ليصير الأول على الدفعة، يذاكر 12 ساعة يحصل على تقدير مقبول، والأمر ليس كذلك .. يأخذ كل الأسباب ويرسمها خطة محكمة ويفتقد فيها **شرط الاستعانة**، ويحسب أن الخطة بهذه الطريقة ناجحة، ويقول له علماء الإدارة هذا المشروع ناجح مليون في المئة .. دراسة الجدوى تقول والوضع كذا وما شابه .. وبعد ذلك يخيب ظنه وتخسر الصفقة ولا يحدث شيء، عرفت الله بنقد العزائم ..

عرفت الله بفسخ العزم ومنع العزم، قال: لما عزمت أزالني القدر ..

عندما قلت أنا أريد وجاء القدر بشيء آخر .. **وهمت فحال بيني وبينه همي**، وعزمت على العمل وهمت أني سأفعل هذا الموضوع وبعد ذلك أجد شيء آخر وجهتي لشيء آخر تمامًا .. همت أني أفعل كذا وكذا، فإذا بي يُحال بيني وبين ما قد همت به، قال: **فعلت أن المستولي على قلبي غيري**. (هذا هو أول شيء) .

قال: **فيمَ عرفت الشكر؟ (كيف تشكر ربك؟)**

قال **"بكشف البلوى، لما رأيت مصروفاً عني موجوداً في غيري شكرته على ذلك"** .. كشف البلوى (متى شكرت الله؟) عندما نظرت إلى شخص مُبتلى ووجد نفسي دخلت المستشفى وهذا الرجل مريض وهو في مثل عمري، واستشعرت أنه أزال عني ما أستحق، فلما نظرت بهذا النظر شكرته على ذلك، لما رأيت البلوى مصروفةً عني وموجودة في غيري شكرت على ذلك.

قال: **فيمَ أحببت لقاءه؟**

قال **"بأصل التخيير وانتفاء التهمة"**.

قال: **ما أصل التخيير وانتفاء التهمة؟** .. لم يفهموا مقصده من الجملة.

قال **"ما اختار لي تبارك وتعالى - انظروا إلى حسن الظن وحسن الرجاء، دعونا نستفيق بعض الشيء - ديه الأنبياء والملائكة أحسنت به الظه ونفيت عنه التهمة - أليست التهمة التي لا يصرح بها الإنسان: أنه ظلمي، لماذا جعلني أنشأ في هذه البيئة، لماذا فعل بي هكذا؟ .."**

قال: **فلما اختار لي أن أتوه على ديه الأنبياء وعلى ديه الملائكة، أحسنت به الظه ونفيت عنه التهمة وعلمت أن الذي اختاره لي هذا لا يسئ إلي فأحببت لقاءه.**

كان بعضهم (طالما الكلام قد طاب ... استمعوا لكلام المناجاة في التعظيم) .. كان بعضهم يناجي فيقول:

"سبحانك موجوداً غير محدود، معروفاً غير موصوف، لا تدرکه الأبصار وهو يدرك الأبصار، جل جلاله سبحانه وتعالى"

العظيم الله سبحانه وتعالى يقول: **{مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً} [نوح: 13]** .. ليستخرج على خَدِكِ حُمْرَةَ الخجل .. يقول لك: لماذا لا تريد أن تعظمني؟ هل أنا أستحق منك ذلك؟ لماذا؟ ماذا بك؟ لِمَ لَمْ تُفَكِّرْ في هذا ولم تحسبها بهذه الطريقة؟ لماذا قدرني عندك ضعيف؟

{مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا}

لو توقفنا عند معنى الاستفهام هذا : ما لكم ؟ لا ترجون لله وقاراً ؟ أم مالكم لا ترجون لله وقاراً ؟

قال ابن عباس: {لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} "لا تعلمون عظمته" .. إذا علمت من هو، لما كان هذا حالك معه .. كلمة تفتت القلب وآية محتاجة فعلاً أن تمرر على القلوب الفينة بعد الفينة، صلِّ بها ورددوها؛ حتى تشعر بما فيها من وخز من الممكن أن يُحنن قلبك عليه، مالكم ؟ مالكم ؟ {مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} لا تعلمون من هو فتعظموه.

قال ابن عباس في قوله: {ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: 27] .. قال: أي ذو العظمة والكبرياء.

وقال سعيد بن الجبير "تكلمت اليهود في صفة الربِّ تبارك وتعالى، فقالوا ما قالوا وهم لا يعلمون ولم يدروا، فأنزل الله عزَّ وجل {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ...} [الزمر: 67] .. ثم بيَّن عظمته للناس، فقال: {وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر: 67] .. فجعل صفتهم له بما لم يتصف به شركاً" .. يعني لو أنا لا أعظم الله وعندما أوصفه لا أعطيه كماله لا أعطيه ما يستحق سبحانه وتعالى .. شرك، إنما حقه سبحانه وتعالى أن تعرف، يعني لو أنا قلت: عظيم سبحانه وتعالى عظمته لا تُحد، وأنا ما بداخل قلبي من معنى هذا التعظيم من الممكن أن يكون مشابه لتعظيمي لبعض الخلق فشرك .. شرك في التعظيم .. بمعنى أني أعظم جداً .. يعني أخاف وأصاب بالرعب من أن فلان الفلاني يطلع عليّ في هذا المشهد .. مثل أحدهم يقوم بعمل ذنوب خلوات كذا أو كذا، يصاب بالرعب لو دخل كبيره أو والده أو لو زوجته فعلت كذا، معظم جداً لهذا ومع الله سبحانه وتعالى هذا لا يحدث .. يكون هذا شرك، فهو يعظم مخلوق أكثر مما يعظم الخالق فقال جلَّ وعلا: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ...} [الزمر: 67].

وروى الترمذي وحسنه الألباني من حديث أبي: أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك، فأنزل الله {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ

(1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2)} [رواه الترمذي وحسنه الألباني، صحيح الترمذي (3364)]

قال ابن عباس: "الصمد: هو السيد الذي قد كَمُلَ في سؤدده، قد كَمُلَ في مقامه، سبحانه الشريف الذي قد كَمُلَ في شرفه، العظيم الذي قد كَمُلَ في عظمته، الحليم الذي قد كَمُلَ في حلمه، الغني الذي قد كَمُلَ في غناه، الجبار الذي كَمُلَ في جبروته، والعالم الذي قد كَمُلَ في علمه، الحكيم الذي قد كَمُلَ في حكمه، وهو الذي قد كَمُلَ في أنواع الشرف والسؤدد، هو الله سبحانه هذه صفته لا ينبغي إلا له، ليس له كفاء ليس له مثل سبحانه وتعالى الواحد القهار".

﴿عندما تثبت لله صفة الصمدية يستوجب ذلك تعظيمه،﴾

فأله سبحانه الصمد.

قال قتادة: "أي: الباقي بعد خلقه الذي قد انتهى في السؤدد" .. أي: في المقام.

وقال عبد الله بن بريدة عن أبيه: "الصمد: الذي لا جوف له".

وقال ابن عباس: "الصمد الذي تصمد إليه الأشياء، أي: تستجير" .. إذا نزل بهم كرب .. إذا نزل بهم بلاء فهو سبحانه وتعالى المتصف بذلك.

حظ العبد من اسم الله تعالى العظيم

هذا ربنا جئ جلاله العظيم ... ما حظنا من اسمه العظيم .. كيف نعظمه ؟

نعظمه إذا عظمنا أمره ونهيه وعظمنا الحرمات .. يقول الله جل وعلا { ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ... } [الحج : 30] .. ثم قال { ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ } [الحج : 32].

فأرشدنا إلى أن من يعظم حرماته سيلقى الخير، ويُرزق التقوى .. بل هي من علامات ذلك.

ماذا يعني ذلك عملياً ؟

التعظيم للحرمات قالوا، كما قال طبري: "أي: اجتناب المرء ما أمره الله عز وجل باجتنابه في حال إحرامه، تعظيماً منه حدود الله".

وقال النيسابوري: "أي: العلم بوجودها والقيام بحقوقها" .. يعرف ماهي الحرمات ويعرف هذه الأمور، فيراعيها ويعظمها كما أمر الله تبارك وتعالى .. فيقوم لله فيها بالحق.

العلماء وابن القيم له هذا الكلام في الواابل قالوا: "تعظيم الحرمات على درجات ثلاث .. (ركزوا هنا لأن هذا هو التطبيق العملي) .. قال:

الدرجة الأولى: تعظيم الأمر والنهي ..

كيف يتحقق هذا؟ .. بحيث لا يعارضاً بترخص جاف .. عندنا رخص، مثلاً حال المطر يجوز الجمع وحال السفر كذلك، وعندنا رخصة حال شدة الحر أن يُبرد بصلاة الظهر .. فيؤخرها عن وقتها فترة حتى يزول أثر شدة الحرارة، فابن القيم يضرب بذلك المثال على مسألة: لا يعارضاً بترخص جاف .. فيقول "بترخص حتى يجمع الجمع الصوري .." .. أي: أن يصلي قبل صلاة العصر مباشرةً بدقائق يصلي الظهر بذلك، هذا ترخص جاف ثم بعد ذلك يأتي بصلاة العصر فكأنه جَمَعَ .. يعني يصلي الظهر، فيإمكانه تأخيرها ساعة، لكنه يؤخره لمدة ثلاث ساعات .. فيصليه قبل صلاة العصر بوقت قصير .. ويقول لك أنه يُبرد بالظهر .. اليوم الجو حار .. هذا ترخص جافي ..

ألا يعارض بترخص جافي: فيأخذ بالرخصة ويستخدمها في غير ما جعلت له حتى يخرجهما إلى حد الجفاء ..

هي رخصة، وهذا كثير من الأخوة عندما يتعبدون بالرخص ويعرفوا بعض العلم ويعرفوا أن هذه المسألة بما أقوال وما شابه فيستغل ذلك، مثل مسألة الجمع: جمع النبي ﷺ - حديث ابن عباس - في غير سفر ولا مطر .. فالترمذي حين علق على هذا، قال: أن هذا يكون عند - مؤدى كلامه - عند الاضطرار .. مثلاً أنت لديك ضرورة في هذا الأمر .. بمعنى أنه من الصعب أن تؤدي الصلاة في وقتها لأي حال طراً عليك، فمن الممكن أن تستخدم هذه الرخصة وقيدوها حتى ببعض الأمور وحتى العلماء لم يتركوا المسألة هكذا.

الشاهد: فيأتي فيقول الحديث مُطلق أو الحديث يجوز أن استخدمه ويلعب بها، فهنا يُقال له: خفة الديانة، أي أنك تستخدمها في غير موضعها ..

"ولا يعارضاً" .. عكس النقطة السابقة .. "بتشدد غالي فيتعبد بالعزائم جميعها ويأخذ فيها بغلو فلا يترخص ولا يأخذ بالرخصة" .. لو صَلَّى في السفر، لا يصلّيها هكذا دائماً، لا يقصر .. فهذا يُخرج الأمر عن التعظيم،

التعظيم اعتدال، التعظيم لا يعارضاً بترخص جافي ولا بتشدد غالي،

قال "ولا يحمل الأمر والنهي علي علة توهن الانقياد لهما".

ما العلة في مسألة مثل الربا ؟ .. فيقول لك: حرم الله عز وجل الربا خشية استغلال الفقراء، أما وإنه لا استغلال للفقراء لذا فإنه حلال حلال حلال .. هذا حمل النهي علي علة فتوهن الانقياد، فهذا لا يحقق معني الربا .. وهناك الكثير من الأمثلة في مبحث العلة.

لماذا حُرِّمَت الزنا ؟ حُرِّمَت لاختلاط الأنساب، لا يوجد الآن اختلاط أنساب مش نعمل أي شيء، فتوهن الانقياد.

لَمْ حَرَّمَ اللهُ إِطْلَاقَ البَصَرِ؟ نَحْنُ أَصْبَحْنَا فِي زَمَنِ ... عَمَّ تَتَكَلَّمُ نَحْنُ نَتَكَلَّمُ فِي عُرْيٍ فَاحِشٍ ... وَ... وَتَقُولُ لِي أَنْظِرْ فِي وَجْهِهَا يَا شَيْخَنَا؟؟؟ تَوْهِنُ الْإِنْقِيَادَ.

أي علة أنت تريدها، فقط احضر أي حكم لا يعجبك وضّع له العلة الخاصة به.

لَمْ حَرَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَي شَيْءٍ، الخمر؟ بسبب الإسكار وأنا رأسي مصفحة أصلاً، فتوهن الانقياد، أليس مدمنوا المخدرات يقولوا هكذا؟ يقول لك: أنا الحشيش لا تأثير له على رأسي، فتوهن الانقياد.

لَمْ حَرَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ؟ لَمْ أَمُرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْحِجَابِ؟ .. الْحِجَابُ حِشْمَةٌ وَصِيَانَةٌ وَسِتْرٌ، وَالْآنَ هِيَ لَوْ تَرْتَدِي طَوِيلَ (ماكسي) ومحترمة في كلامها ليس شرطاً، شعر ماذا الذي تتكلم عنه الآن، توهن الانقياد.

هكذا فيعظم الأمر، يقول أنه عمل كذا؟؟؟ الصلاة لم يصلّها في أول الوقت؟ عمل كذا؟ لا، لا، ربنا جعل الصلاة لتكون صلة بينك وبين الله، طالما قلبك عامر يبقى لا توجد مشكلة إطلاقاً!!.

فهذا ..

1) الترخُّص الجافي .. 2) وهذا التشدد الغالي .. 3) وهذا الذي يحمل الأمر والنهي علي علة توهن الانقياد ..

﴿ هذا يخرج عن معنى التعظيم. ﴾

⊖ الترخص الذي يمنح صاحبه من الامتثال أو كمال الامتثال ..

⊖ الغلو الذي يتجاوز بصاحبه حد الاعتدال .. اذا تفريط وإفراط.

⊖ أو أن يتأوّل ويأتي بعلة للأمر أو النهي ليخرج عن ذلك.

عرفنا هذه هي الدرجة الأولى.

الدرجة الأولى تتحقق بثلاثة أشياء:

لا تفرط لا تقرب، وفي نفس الوقت لا تتأوّل وتبيح المحرمات لنفسك بأي علة من العلة التي تقدم ذكرها.

الدرجة الثانية : تعظيم الحكم ..

أن يبغى له عوج أو يدافع بعلم أو يرضى بعوض،

المقصود بالحكم، هنا الحكم الكوني القدرى .. الحكم الكوني مفهوم .. كُن .. من السنن الكونية النافذة .. الأمر الكوني ليس المقصود به الحكم الشرعي، كما هو معلوم في الفرق ما بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية .

فيقول: "أمر الله النافذ .." يقول "تعظيمه، ألا يطلب له عوجاً أو يري فيه عوجاً".

أي عندما يتزل الآن، الحكم القدرى أنت مرضت .. كيف يكون تعظيم هذا الحكم ؟ .. أنت مرضت فلا يطلب أو يري فيه عوج .. لا يقول لماذا مرضت ؟؟ .. لقد كنت نويت أن أعمل كذا من الأعمال، فيأتي الآن القدر فيثبطني !! .. فيري كأن الموضوع فيه نقيصة، هو كان يريد أن يعمل كذا .. فهو لم يرزق هذا مع أنه كان قد رتب الأمور بشكل جيد، فلا يري فيه عوجاً .. "بل يراه كله مستقيماً فلا يري في أمر الله النافذ".

أراضي المسلمين مسلوقة ونحن لا حول لنا ولا قوة، ماذا نعمل ؟ .. لماذا يارب الناس مستضعفين ويُقتلوا ويُشردوا فتجد من داخلك أن هذه حكمة الله .. فيرى هذا الحكم القدرى كأنه فيه عوج .. فلسان حاله يقول: لا يستحق هؤلاء الفلسطينيين أن يحدث لهم ما يحدث .. كأنه يري ذلك.

تجد الناس تقول والله أخلاقه جيدة، كيف يدخل النار هذا، على الرغم من إنه علي غير ملة الإسلام!.

لذا أول أمر:

لَا يَطْلُبُ أَوْ يَرِي فِي هَذَا الْحُكْمِ الْقَدْرِيِّ عَوْجًا.

قال "ومن كمال التعظيم: ألا يرضى العبد بعوضٍ يطلبه أو يدفعه بعلم".

فالشخص الذي يري الأمر فيه عوج سيدفع الأمر، ويقول: يارب لو كنت رزقتهم ألم يكن هذا أفضل؟ .. كأن هو الذي عنده العلم وكأن الله سبحانه وتعالى غير مطلع علي هذه الأمور التي أنت مشفق من أجلها .. والآخر يرضى بالعوض يطلبه بعمله، فإن طلب ثواب الله وجزاء عمله .. أنه يفكر فيها بهذه الطريقة، يعني أنا عملت كذا وعملت كذا فأنا أنتظر الفيوضات والرحمات هكذا، يطلب العوض أنا عملت لك فاعطيني رحمت، هذا هو المعنى.

فالدرجة الثانية أعلي .. الدرجة الأولى كنا نتكلم في الأمر والنهي الشرعي، قال لك: لا تغلوا لا تفرط، لا تأتي بعلة لكي تراوغ.

في الأمر الكوني، المقام الأعلى الذي يقتضي مقام الرضا، قال: لا ترى أي شيء فيه خلل، وتراه بأنه هو المستقيم وهذا هو الحكم الأحكم والأسلم والأصوب في حق، وفي نفس الوقت ترضى به تمام الرضا.

الدرجة الثالثة: تعظيم الحق سبحانه ..

وهو ألا يجعل دونه سبباً ولا يرى عليه حقاً أو ينازع له اختياراً.

تأمل معي هذه الدرجة العالية من اليقين، تعظيم الحق سبحانه ألا يجعل دونه سبباً .. قالوا: فهذا الذي تيقن بأن الذي سيوصله إلي الله هو الله، فلا يتوصل إلي رضاه إلا به.

فهذا ألقى بالحمل تماماً، ولا يرى إلا الربَّ المدبّر لكل شأنه، فقائم بأعلي مقام من مقامات الرضا والتوكل ...

فلا يتوصل إلي رضاه إلا به ما دلّ علي الله إلا الله، ولا هدى إليه سواه ولا يرى لأحد من الخلق حقاً علي الله بل الحق لله علي خلقه ..

لا يرى أنه يوجد أحد يقدر أن يُمن .. { يَمْتُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا... } [الحجرات: 17].

لا يوجد أحد يقدر يقول حقي، حقي أن أنت كنت تُحسن لي في ذلك، ولا لأي خلق، ولا لأي أحد، ولا حتى شخص النبي محمد، حتى النبي محمد صلي الله عليه وسلم .. لا أحد من الخلق له حق علي الله، الموضع الذي وقع فيه المتكلمين عندما قالوا: حقّ علي الله أن يصنع ذلك، حقّ علي الله أن يدخله الجنة.

لا يوجد حقّ علي الله هذه، بل هو الذي يجعل ذلك علي نفسه، هو الذي يقول { ... وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ } [الروم:

47] .. هو يقول .. لكن أنت توجب عليه الحق وتقول له: لمّ لم تعطيني الرزق؟ وأنا عبدك وأنا ملتزم وأنا لم أترك فرضك ولست عامل كذا، لذا فأنت قد أسأت الأدب.

فهو يالزام الله سبحانه وتعالى، ألم يقل ربنا سبحانه وتعالى قال: حقّ علي الله إذا عبده ولم يشركوا به شيئاً، هو الذي أحقه علي نفسه إنما يجب عليك ألا تتطلب .. فتقول له أنا عبدتك فاعطيني، وألزم هو نفسه سبحانه وتعالى.

فالحق في الحقيقة لله علي عبده وحق العبد هو ما اقتضاه جوده وبره وإحسانه إليه بمحض الجود، ويعني هذا ألا ينازع المسلم (الثالثة) أو ينازع له اختياره .. الله قد اختار لي هذا، مقام الرضا الذي تكلمنا عنه، اختار لي هذا فأنا راضي بما اختاره لي .. بل يرضى بما اختاره له فإن ذلك من تعظيم الله له ومن تعظيم حرمت الله.

علمتم الدرجات الثلاث؟

درجات تعظيم الحرّات:

الدرجة الأولى: تعظيم الأمر والنهي الشرعي ..**الدرجة الثانية: تعظيم الحكم الكوني ..**

الدرجة الثالثة: تعظيمه هو، الحق سبحانه وتعالى .. بالألا يجعل من دونه سبباً أو لا يري عليه حقاً أو ينازع له

اختياره.

حسناً، لكي نجسد هذا المعنى في بعض الأمور .. ونحن سنضرب مثالين للتعظيم واقعيّاً أيضاً.

إذا أردت أن تعظم الله فلا بد أن تعظم قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فمن علامة تعظيم الله، مثلما ذكرنا تعظيم الأمر والنهي .. أيضاً

من علامة تعظيم الله: توقير وإجلال النبي صلى الله عليه وسلم ..

الذي هو أحد شعاب الإيمان بالله جلّ وعلا .. قال في شأن تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم { لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ } [الفتح: 9] .. أي: تُعَظِّمُوهُ وَتَفْخَمُوهُ وَتَنْصُرُوهُ وَتَمْنَعُوا مِنْهُ.

وقال جلّ وعلا مبيناً بعض مظاهر تعظيمه، قال: { لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً } [النور: 63]، { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ } [الحجرات: 2].

فذكروا في جملة الآداب التي ينبغي أن تكون مع النبي صلى الله عليه وسلم قالوا:

1) حرمة المصارعة والمسابقة قولاً أو فعلاً أمامه .. { ... لَا تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ... } [الحجرات: 1]

2) حرمة رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ .. مشهور كلام ابن القيم: إذا كنا لا نرفع الصوت كيف تقدم عقولنا علي سنة نبينا؟!.

3) حرمة الغلظة له بالخطاب ومناداته باسمه .. فلا بد من إجلاله وتوقيره، وذمّ الله الذين ينادونه من وراء الحجرات إذ هذا منافٍ للأدب، يا محمد يا محمد يا محمد، فهذا من سوء الأدب معه صلى الله عليه وسلم .

4) وقال جلّ وعلا: { مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يُرِغِبُوا بِنَفْسِهِمْ عَنِ نَفْسِهِ }

{.. [التوبة: 120] .. فعلمهم أن نفس الرسول ﷺ أكرم وأشرف وأزكي وأجمل من أنفسهم، فلا يسعهم من ذلك إلا أن يصرفوا أنفسهم له ولا ينبغي بحال أن يصرفوا أنفسهم عما لا يصرف نفسه عنه فيتحلفوا .. إذا كان النبي صلي الله عليه وسلم يبذل نفسه الذاكية، فما بالك ونفسك أنت هذه الحقيرة كيف يبذلها هو وأنت...

5) وقال جلّ وعلا: { إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا } [الأحزاب: 57] .. فبين الله تبارك وتعالى جعل أن حفظ كرامة النبي صلي الله عليه وسلم وصيانته عن أذى كل ذي أذى، أن هذا أمرٌ حتم وأن من آذاه متوعدٌ باللعن والطرود من رحمة الله تبارك وتعالى.

ولو تأملنا التطبيق العملي من الصحابة في ذلك وقارناه بما نحن عليه، علمنا هل نحن معظمين لقدر النبي ﷺ أم لا ..

☆ انظروا... لما يذكر عمرو بن العاص تعامله مع النبي ﷺ فيقول: **وما كنت أطيق أن أملاً عيني منه إجلالاً له، ولو سؤلت أن أصفه ما أطقت ..** فما كان يستطيع أن يُحد النظر في وجهه وجه النبي ﷺ هيبه له.

☆ وكان لا يتوضأ هو ﷺ إلا ابتدر الصحابة وضوءه، وكادوا يقتتلون عليه، ولا يبصق بصاقاً ولا يتختم بنخامةٍ إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا بما وجوههم وأجسادهم، ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها.

☆ وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يمدون إليه النظر تعظيماً له، صلى الله على النبي محمد ﷺ.

فتعظيمه بالقلب بانتهاء ما دلنا عليه النبي ﷺ .. فهو ما يتبع اعتقاد كونه عبد الله ورسوله، وتقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين، هذا حق تعظيم النبي ﷺ بالقلب.

وتعظيمه باللسان: بكثرة الثناء عليه بما هو أهله .. مما أثنى عليه ربه به وأثنى على نفسه من غير غلو ولا تقصير {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: 56].

☆ **ومن تعظيم اللسان ألا نذكره باسمه أبداً ..** وإنما لا بد من زيادة ذكر النبوة والرسالة والصلاة عليه، **نبينا محمد ﷺ** .. وما ورد طبعاً توقيفاً أمراً آخر، اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد، هذا أمرٌ توقيفي ليس داخلياً في هذا، وإنما نتكلم عند ذكره هكذا مجرداً.

☆ ومن تعظيم اللسان تعداد فضائله وذكر خصائصه ودلائل نبوته .. وتعريف الناس به، وتعريف الناس بصفاته وأخلاقه ومزنته، هذا كله داخل تحت تعظيم النبي ﷺ باللسان.

أما تعظيم الجوارم: فهو بالتأسي بسنته ﷺ .. هذا أمر عملي، إذا أردتم أن تعرفوا، أنتم تعظمون ربكم أم لا، فانظروا كيف حال النبي عندكم .

الأمر الثاني: على النقيض تماماً، تعظيم الذنب ...

كيف يكون ؟

كما أذكر هنا كلام ابن عباس في (الحلية): "يا صاحب الذنب لا تأمن سوء عاقبته، ولما يتبع الذنب أعظم من الذنب إذا عملته، قلة حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال وأنت على الذنب أعظم من الذنب، وضحكك وأنت لا تدري ما الله صانع بك أعظم من الذنب، وفرحك بالذنب إذا ظفرت به أعظم من الذنب، وحزنك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب، وخوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب إذا عملته".

فالذي يُعظّم ربّه ويُعظّم شأن النهي ينظر في هذه المعاني: قلة الحياء، وعدم الحجل، وعدم الاكتراث بنظر الله الأسبق وباطلاع الملائكة الأشهاد، وعدم المبالاة .. تضحك ولا تكثرث وتتهمنا أننا نريد أن نصيبك بالاكتئاب .. ذنب وعقوبات .. ذنب وسيحدث لك وفي نفس الوقت يكد حتى يصل إلى ما يريد، فإذا وجده فرح بأنه حصل على الذنب الذي يريده، وإذا فاته حزن، ولا يكون عنده هذا الاحساس باستشعار نعمة الستر، واستشعار مراقبة الله ونظر الله، بل خوفه ورجاؤه متعلقٌ بالأسباب ومتعلقٌ بالسوا.

وخوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب، ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب .

وكما قال ابن مسعود: "فالؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعدٌ تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وأما الفاجر فيرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه، ثم قال به هكذا".

دعونا نعظّم شأن ربنا ونختتم بهذه التسابيح وتلك المناجاة من كلام سلفنا، فكان عون بن عبد الله بن عتبة يقول في مناجاته:

**يبي ... ما أحلمك وأمجرك وأجودك وأنافك وأرحمك وأعلاك وأقربك وأقربك وأقهرك وأوسعك وأفضلك
وأزورك وأبعاك والطفك وأخبرك وأعلمك وأشكر وأحلمك وأحلمك وأعظمك وأكرمك.**

ربي ... ما أكرم شأنك ... وأحسبه ثوابك.
 ربي ... ما أجزل عطائك ... وأجلُّ ثناءك.
 ربي ... ما أحسبه بلاءك ... وأسبغ نعمائك.
 ربي ... ما أعلى مكانك ... وأعظم سلطانتك.
 ربي ... ما أعزَّ ملكك ... وأنمَّ أمرك.
 ربي ... ما أمتك كيدك ... وأغلب مكرك.
 ربي ... ما أعظم عرشك ... وأشد بطشك .
 ربي ... ما أوسع كرسيك ... وأهدى مهديك .
 ربي ... ما أعزَّ نصرك ... وأقرب فتك .
 ربي ... ما أعزَّ بلادك ... وأكبر عبادك .
 ربي ... ما أوسع رحمك ... وأعرض جنك .
 ربي ... ما أوسع رزقك ... وأزيد شكرك .
 ربي ... ما أسرع فرجك ... وأحكم صنعك .
 ربي ... ما أطف خيرك ... وأقوى أمرك .
 ربي ... ما أبدر عفوك ... وأحلى ذكرك .
 ربي ... ما أعدل حكمك ... وأصدق قولك .
 ربي ... ما أوفى عهدك ... وأنجز وعدك .
 ربي ... ما أحضر نفعك ... وأتقه صنعك .

اللهم لك التناء الحسنة، ربَّ العرش العظيم ما أعظم شأنك، وأعلى مكانك، وأرفعك، وأطيقك، وأمنعك، أنت
 أعظم وأجلُّ وأسمع وأبصر وأعلا وأكبر وأظهر، وأشكر، وأعفي، وأقدر، وأعلم، وأخبر، وأعز، وأكرم، وأبر،
 وأرحم، وأحمد، وأمجّد، وأجود، وأقدر

أنت أكمل مه أن يدرك عبادك ومه أن يدرك عبادك عظمك يا رب العالمين.

قال أبو سعيد الأزرق: دخلت مكة ليلاً فبدأت بالمسجد ودخلت الطواف، فبينما أنا أطوف إذا أنا بامرأة في الحجر رافعةً يديها ملتزمة البيت قد علا تسيحها فدوت منها وهي تقول:

يا مه لا تراه العيوووون و لا تخالطه الأوهام والظنووووون ولا تغيره الحوادث ولا يصفه الواصفون، ولا يخاف الغواير، ولا تُغيّبات العواقب، عالم بمناقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعقد قطر الأمطار والأشجار، وعقد ما أظلم عليه الليل وأشرف عليه النهار، لا يوارى منه سماء سماء، ولا أرضة أرضاً، ولا جبل ما في وعره ولا بحر ما في قعره، استكثت لعظمته جوامع الأمم، ونزلت لهيبته السماوات والأرضون ..

أسألك أسألك أن تجعل خير عمري آخره وخير عملي خواتمه وخير أيامي يوم ألقاك .. متناً منك
وطولاً .. يا ذا الجلال والإكرام،،

ثم صرخت وغشي عليها .

فنسأل الله تبارك وتعالى أن تكون له معظّميه، وأن يستودع في قلوبنا هيبته.

يا رب ... يا رب اجعلها في قلوبنا الآن الآن، اجعلها في قلوبنا إلى يوم نلقاك، اجعل هذه الهيبة وهذا التعظيم لقدرك، يا عظيم، يا كريم، يا ذا الجلال والإكرام، يا رحمة يا رحيم، يا حي يا قيوم نسألك ألا تردنا، نسألك ألا تردنا، وأن تفرح كبرنا، وأن تحسن خاتمتنا، وأن تجعلنا مه أخلص عبادك لك، ومه أصدق عبادك لك، ومه أكثر عبادك لك طاعة، ومه أكثر عبادك لك عبادةً وتوبة.

سبحانك اللهم ربنا وبصهدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فضيلة الشيخ / هاني حلمي

مناجاة

السكينة

فضيلة الشيخ

هاني مطري



أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



الحمْد لله وحده وصلى الله وسلم وبارك على النبي المصطفى وآله المستحجبين التشرفاً ..

ثم أما بعد ..

فأسأله الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا ... وأن ينفعنا بما علمنا ... وأن يزيّدنا علماً ينفعنا ..

اللهم اجعل ما نقول وما نسمع لغة لنا لا علينا ..

سبحانك اللهم ربنا وبلادك في كل علم بعد علم ..

سبحانك اللهم ربنا وبلادك في كل عفو بعد عفو ..

ما زال الحديث موصولاً حول ثمرات المعرفة ... وهذه السلسلة المباركة ... سلسلة "تعرف"
وهذا هو اللقاء الثالث ... وسوف نتذكر فيه مقاماً محموداً ومقاماً عظيماً من مقامات الإيمان ...

قال أبو علي الدقاق: " المعرفة تُوجبُ السكينة في القلب، كما أن العلم يُوجبُ السكون فمن ازدادت معرفته
ازدادت سكينته"

لا يوجد أحد في هذا الزمان من لا يعاني من الغموم ومنه عدم راحة البال ... الجميع تجدهم متعطشيه للطمأنينة
والراحة .. الجميع يبحث عن مُلطف يُلطّف به أرجاء نفسه لتصفو ... الجميع تراه يطرق كل باب ليستطيع أن يترقى
في درجات الفلاح ويعلو ..

فإلى الباحثين عن السكينة والطمأنينة ...

تعالوا لتعرف كيف تتحقق هذه الثمرة العظيمة للمعرفة ... كيف يمكننا أن نحقق سكون القلب بالمعرفة بالله جلّ
وعلا ..

في البداية تجد النبي صلى الله عليه وسلم يبين لنا عظم هذا المقام، كما في الحديث الذي رواه الطبراني وحسنه
الألباني، قال صلى الله عليه وسلم "إن الهدي الصالح والسمت الصالح، جزءٌ من سبعين جزءاً من النبوة" [رواه
الطبراني وحسنه الألباني، صحيح الجامع (1992)]

وفسّر أهل العلم هذا السمت الصالح بما يكون عليه حال المؤمن من الهدوء والطمأنينة والسكينة، فهذا من أعلى
سمات السمت الصالح ..

السمت الصالح فيم يتضح ؟

للأسف في وقاره وفي سكونه، لاسيما سكون القلب بطبيعة الحال الذي يظهر أثره على الجوارح ..

وفي حديث مناجاة موسى الذي رواه الإمام أحمد في كتاب الزهد .. فيه "واعلم أنه لم يتزين لي العباد بزينة هي
أبلغ من الزهد في الدنيا فإنها زينة المتقين ، عليهم منها لباس .. (ما هو لباس التقوى ؟) .. لباسٌ يُعرفون به ألا
وهو: السكينة والخشوع "

لباس التقوى: السكينة والخشوع ، فـ { .. سِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ .. } .. أولئك أوليائي حقاً .. فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك، وذل لهم قلبك ولسانك

إِذَا السَّكِينَةُ ابْتَدَأَتْ هِيَ: السمت الصالح

ثانياً: هي زينة المتقين ولباس التقوى

وكان ابن مسعود والأثر في النهاية لابن الأثير، كان يقول : "السكينة مغنم وتركها مغرم" .. السكينة غنيمة المؤمن، وتركها يوقع الإنسان في مفاسد وفي آفات يترتب عليها أمور عظام ..

ترى ابن القيم يتكلم عن هذا في (الفوائد)، فيضع فائدة في معنى قول الله جلّ وعلا {وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ..} [الحجر: 21] .. فيقول هذه الآية تتضمن لكثرة من الكنوز (استمع وافهم) ..

كثرة السكينة كيف سيحقق؟

يقول الله جلّ وعلا {وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ..} [الحجر: 21]

يقول أنه "متضمن لكثرة من الكنوز، وهو أن كل شيء لا يطلب إلا من عنده خزائنه ومفاتيح تلك الخزائن بيده. وأن طلبه من غيره، طلب ممن ليس عنده ولا يقدر عليه.

وقوله {وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى} [الجم: 42] .. متضمن لكثرة عظيم ..

اجمع معي الكنوز ..

الكنز الأول: {وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ..} [الحجر: 21]

الكنز الثاني: {وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى} [الجم: 42]

هذا .. "متضمن لكثرة عظيم، وهو أن كل مراد إن لم يُرد لأجله ويتصل به فهو مضمحلّ منقطع فإنه ليس إليه المنتهى .."

أيه هي الآخرة ؟ أيه هي نهاية الطريق ؟

ستتعلق بسبب، وهذا السبب .. سرّ معي حتى نهايته، ستجد في نهاية الأمر أن لحظة الختام، والخط الفاصل النهائي سينتهي عنده سبحانه وتعالى ..

"فإنه ليس إليه المنتهى وليس المنتهى إلا إلى الذي انتهت إليه الأمور كلها فانتهدت إلى خلقه ومشيتته وحكمته وعلمه، فهو غاية كل مطلوب، وكل محبوب لا يجب لأجله فمحبته عناء وعذاب. وكل عمل لا يُراد لأجله، فهو ضائع وباطل. وكل قلب لا يصل إليه، فهو شقي محبوب عن سعادته وفلاحه،

فاجتمع ما يراد منه كله في قوله: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ..} [الحجر: 21]

واجتمع ما يراد له كله في قوله: {وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ} [النجم: 42]

فليس وراءه سبحانه غاية تطلب وليس دونه غاية إليها المنتهى

"وتحت هذا سرٌّ عظيم من أسرار التوحيد "

☪ ها هو سلوك القلب وهذه هي السكينة

"وهو: أن القلب لا يستقر ولا يطمئن ويسكن إلا بالوصول إليه، وكل ما سواه مما يُحَبُّ فمرادٌ لغيره. وليس المراد المحبوب لذاته إلا واحد إليه المنتهى .."

إذاً كل ما تُفني قلبك عليه، وكل ما أنت مشغول بهم .. كله إلى زوال وكله لن يؤدي إلى الغاية؛ لأن المنتهى عنده وحده سبحانه وتعالى، ولأن الخزائن كلها بيده وحده سبحانه ..

إذاً .. إذا كنت مشغولاً برزق فعنده الخزائن، وإذا كنت مشغولاً بالمستقبل فإليه المنتهى ..

فله يحدن سلوك القلب إلا بهذه المعرفة

هل عرفتم من أين المعنى الذي ندور حوله اليوم؟ وسنظل طوال الجلسة نتحدث عن هذا المعنى وتحقيقه .. كيف يكون السكون؟ وفيم تتحقق السكينة؟ وفيم ذكرها القرآن؟ وما هي المواضع التي لا بد أن نسكن فيها ونُحقق معنى أدب السكينة فيها؟ وفيما نتحرّرها؟ .. كل ذلك لنصل إلى هذا المعنى الإجمالي الذي يُشير إليه ابن القيم هنا

..

المعرفة سنحقق شيئان:**المعرفة الأولى: بأن الخزائن بيده ..****المعرفة الثانية: بأن إليه المنتهى ..**

بذلك يستقر ويطمئن ويسكن القلب، بغيره يتشتت ويتعذب بحب سواه، بالذل والخضوع لسواه، بالتعلق بسواه .. فستعيش في غمرات هذه الآفات من التعلقات الكاذبة والتشتت في الدنيا وفنائها

يقول : "ويستحيل أن يكون المنتهى إلى اثنين كما يستحيل أن يكون ابتداء المخلوقات من اثنين، فمن كان انتهاء محبته ورغبته وإرادته وطاعته إلى غيره بطل عليه ذلك" .. لا يصح أن تعطي قلبك لاثنين،

{ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ .. } [الأحزاب: 4]

لن يجدي أن يكون الأمر هنا وهنا، أن تُشتت قلبك في اتجاهين مختلفين ..

فلذلك يقول : "فمن كان انتهاء محبته ورغبته وإرادته وطاعته إلى غيره، بطل عليه ذلك وزال عنه ، وفارقه أوج ما كان إليه. ومن كان انتهاء محبته ورغبته ورهبته وطلبه هو سبحانه، ظفر بنعمه ولذة القرب منه وبهجة ذلك وسعادة ذلك أبد الآباد"

فيقول : (هذا هو المعنى الثاني نريد أن ننتبه له في معنى السكينة، الذي يلفت ابن القيم النظر إليه)

"فالعبد دائماً مُتقلب بين أحكام الأوامر وأحكام النوازل، فهو مُحتاج بل مضطر إلى العون عند الأوامر وإلى

اللفظ عند النوازل .."

استمع مرة ثانية : أنت مطلوب منك شيء ويقع عليك أثر للقدر ، تنزل بك نازلة وفي نفس الوقت مطلوب منك أمر شرعي مُكلف به .. الأمر المطلوب منك الذي تحتاج إليه هو العون فتحتاج أن تستعين، والأمر الذي يقع عليك أنت تحتاج اللطف فيه .. واسمعوا في معنى هذا اللطف فائدة في الحاشية ..

الأولى : انظر إلى قول الله تعالى في سورة الشورى .. يقول الله جلَّ وعلا {اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ

يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} [الشورى:19] .. بعد أن ذكر الإشفاق من الساعة ومن أهوالها، كان الخطاب فيه شيء

من الزجر، فقال {اللَّهُ لَطِيفٌ ..} .. وجدت عند الألوسي معنى رقراق، يقول: "اللطيف هو الذي يُلطف بعباده يوم القيامة فينسيهم الذنب؛ حتى لا يتحسروا" .. أتعرف ما معنى هذا؟ .. أي أن تقف أمامه ويقول: يا عبدي فعلت كذا يوم كذا، فتقول له: نعم، فينتهي الموقف .. في الأصل حينما تقول له ذلك، ستتحسر وتكون في قمة الخجل، لكنه سيقرر فقط .. بدلاً من أن ينفطر قلبك وأنت ترى .. {..وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ..} [الكهف:49]

﴿ اللطيف: يستر على عبده فيلطف بهم، فينسيهم الذنب حتى لا يتحسروا ..

فهذا معنى عالي جداً، يحتاج تأمل عالي جداً .. انظر الآية: {اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} [الشورى:19]

ما الذي أتى بصفة الجلال مع هذا اللام الجميل الرقراق؟؟

رزق ولطف .. فهذه هي القاعدة:

﴿ تضاعف ما استطعت؛ فإه اللطف مع الضعف أنك ﴾

لأنه قويّ حقها ذل، إذا ذل وضعف يُحقق اللطف ..

إذا عند النوازل أنت تحتاج إلى اللطف، واللطف يحتاج إلى ضعف وذل، أظهر له ضعفك وأظهر له ذلك ..

يقول: "وعلى قدر قيامه بالأوامر يحصل له من اللطف عند النوازل"

أنتبهون للربط؟ .. يقول: لدينا أوامر ولدينا نوازل، أنت عليك أن تستعين حال الأوامر، إذا عملت سيلطف بك عند النوازل ..

"فعلى قدر قيامه بالأوامر يحصل له من اللطف عند النوازل، فإن كَمَلَ القيام بالأوامر ظاهراً وباطناً ناله اللطف ظاهراً وباطناً"

والشاهد على ذلك من القرآن، قوله: {لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} [الأنبياء:27]

لما ذكر كرامات المتقين وعلو منزلتهم، قال: {لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ ..} [الأنبياء:27] .. على معنى أنه لا اختيار لهم

مع اختياره .. { .. وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } [الأنبياء: 27] .. قالوا: هذا باتِّباعِ السُّنَّةِ في الظاهر، وبالمراقبة في الباطن.
هل فهمتم الثلاثة؟ ..

هذا يبلغكم درجة التقوى العلى ..

(1) ليس لك اختيار مع اختياره

(2) الظاهر .. على إتِّباع

(3) الباطن .. مراقبة

حققت الثلاثة تُبلِّغ ذلك ..

و هو يقول : "فإن كمل القيام بالأوامر ظاهراً .." .. بماذا؟ بالاتباع .. و"باطناً" .. بماذا؟ بالمراقبة .. "نال اللفظ ظاهراً و باطناً" ..

"وإن قام بصورها دون حقائقها" .. مثل المنتزعين في هذا الزمن، يكون محققاً لظاهرها ومُتبع وملتحي ويرتدي كذا ويحافظ على الجماعة ويحضر الدروس ويقرأ في المصحف و... فهو محقق لمعنى تحقيق الأمر في الظاهر .. فيقول: "وإن قام بصورها دون حقائقها وبواطنها، ناله اللطف في الظاهر وقل نصيبه من اللطف في الباطن" .. ولهذا لا يكون عنده السكينة ..

عرفتم الآن يا ملتزموا هذا الزمن لماذا ليس لديكم سكينة مع أنكم مُؤدِّين للأمر في الظاهر؟؟ .. هل وصلت رسالة ابن القيم؟

لماذا ليس لدي هذه السكينة مع أنني أصلي وأذكر وأحافظ على كذا وكذا وكذا؟؟ ..

لكن ليس لدي هذا الهدوء وهذا السلوك، وليس عندي هذه المعاني القلبية من خشوع وإخبات و ...

لهذا ترى الناس عطشى جداً لهذه المعاني المهجورة تماماً في الحياة ..

لماذا تجد الناس مهتمة بصور الأعمال ومهتمة بتقييم الناس على الصور؟ ..

♥ القصة قصة قلب، قصة باطنه بلطف به اللطيف ♥

يقول: "فإن قلت: وما هو اللطف الباطن؟" .. علمنا ابن القيم فقال:

"هو ما يحصل للقلب عند النوازل من السكينة والطمأنينة وزوال القلق والإضطراب والجزع"

عرفتم ما هو اللطف الباطن؟ هذا هو موضوعنا ..

هل تأيتم السكينة؟

السكينة هي السمات الصالح .. السكينة هي تلك الغنيمة .. السكينة لباس التقوى .. السكينة هي اللطف الباطن.

عرفتم كيف تتحقق؟

قال: "إذا كنت بين يدي سيدك ذليلاً، له مستكيناً، ناظراً إليه بقلبك، ساكناً إليه بروحك وسرك، قد شغلك مشاهدة لطفه بك عن شدة .."

لو ظللت مشغولاً بمعنى اسمه اللطيف وأنت مبتلى، و مشغول بالطفاه وكرمه وفضله عليك، وقمت له بمقام الذل والانكسار حالة إذ .. فإن هذا يغييه عن شهود تلك البليات ..

"فيغييه عن شهود ذلك معرفته بحسن اختياره له، وأنه عبد محض يجرى عليه سيده بأحكامه فيرضى أو يسخط، فإن رضي نال الرضا وإن سخط فحظه السخط .."

فهذا هو اللطف الباطن ← ثمرة تلك المعاملة الباطنة، يزيد بزيادتها وينقص بنقصانها"

أريد أن أركز على كلمة **المعاملة الباطنة** ..

قال ابن قدامة في **(المختصر)** وبالتالي هذا كلام الغزالي ومن بعده ابن الجوزي .. يقول: أن علم العلوم هو علم المعاملة، و أن أعظم العلوم ليس هو علم العقيدة المجرد ولا علم الفقه ولا علم الأصول ولا علم اللغة لا سائر هذه العلوم، وإنما أعلى العلوم هو **علم المعاملة** .. لأن كل هذه العلوم تُخَدَّم على هذا المعنى::

كيف تعامل ربك؟

هذه من غير استطراد -لأنها تحتاج درسا كاملا- :

تكوينه الحال مع الله .. كيف أكون حال؟

حين تحدثت عن معنى قسوة القلب جاءني طيلة الأسبوع شكاوى الناس .. أحد شكاوى بعض الناس اليوم، وقصة انتكاس مُرّة من دعوة وكذا وكذا ، ويشار إلينا بالبنان وقد حفظنا قدرًا من القرآن .. إلى أسفل سافلين.

الشاهد::

كيف استحضرت قلبي؟ كيف أكون هذه المعاملة الباطنة؟ كيف أكون حال؟

قلت:

أول شيء يُكُونُ به الحال هو ← الدعاء ..

الدعاء الذي يكون فيه **مناجاة** وليس طلب .. أنا أقول طلب، لكن الذي يشغل بالي هو شعوري أن الله قريب ..

وأنا أقول له أنا متعب ومُحتَاجٌ إليك .. أنا لا أساوي شيئاً بدونك وليس لي ربٌّ سواك، وليس لي إله غيرك، وأنت سيدي ومولاي وقرّة عيني وأنت حييِّب قلبي وأنت وأنت ..

حتى استجمعتُ القلب على شهود الرب، وبعدها بدأتُ أشعر بالمعيّة، وبدأتُ أشعر أنني الآن في جواره وبدأتُ أناجيه عن قرب ..

إنما الذي يتعامل مع الله عزَّ وجلَّ عن بُعد، تكون هذه مشكلة دائماً .. هو يعظّم تعظيم يظنه هو التعظيم والإجلال المطلوب، لكنه و هو يعظمه -للأسف- تجده يقول لك هذا ربنا .. هو لا يريد ذلك!

إنما حين تشعر أنه قريب منك تماماً، يبدأ يتكوّن الحال من هنا .. تجده يتحدث مع الله، تجده دائم الاستخارة، تجده دائم التواصل وفي نفس الوقت هو يحتاج معها إلى::

الذكر ..**لماذا؟**

لأن تكوين الحال يحتاج مني أن أزيل حجاب من الحُجب العشرة على القلب، والتي تحدث عنها ابن القيم وهي: **حجاب الغفلة ..** وقد ذكرناها حين تدارسنا هذا المعنى أكثر من مرة، حين ذكرنا هذه الآية:..

{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْإِنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ (*) وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ..} [الأعراف: 179,180]

إذاً، أعظم سبب من الأسباب التي سيتكون بها الحال، و سيستشعر فيها هذه المعاني، وسيعرف اسم الله الرقيب، اسم الله القريب، السميع البصير واللطيف ..

كيف سيستشعرها؟

سيستشعرها بهذا الاحساس، أن يتفكر في هذه المعاني ويتذكرها ..

٢ فمعرفة بأسمائه وصفاته ودوام ذكره لها، يَكُونُ الحال ..

فتكون هناك معاملة باطنة .. أنا أشعر بقربه، فقلبي خاشع، قلبي ساجد الآن ..

وإن كانت الجوارح ليست محققة للمعنى .. قلبي ساجد بين يديه؛ لأنه مكسور ومستشعر الآن كأن القلب في صلاة أخرى .. الذي يظل يتعامل بهذه المعاملة ..

كيف يَلُونَهَا؟ .. بالدعاء والذكر، وبعد ذلك يرتقي لمقام الكلام.

ففي المعنى الأول: استجمع القلب وأضع نفسي في حضرة الرب**وبعد ذلك في المعنى الثاني: يبدأ يحدث نوع من الكلام ..**

هذه المرة لست أنا من سيتكلم ، هذه المرة القلب سيسمع، وتأتي مترلة التعامل مع القرآن بهذا الشكل .. فنيته في القراءة ليست التدبُّر للمعاني في حد ذاتها، وإنما سماع القلب لكلام الرب .. ولأن القلب متعطش ومستشعر

بدأ يسمع ، فبدأ يشعر بمعنى آخر تماماً .. فهو يستمع إلى كلام سيده وحببيه .. كلام ربِّي .. كلام ربِّي .. كلام ربِّي .. فبالقلب هنا يسكن، وهذا هو معنى السكينة الذي أتحدث عنه، وهذه هي المعاملة الباطنة التي نريد أن نصل إليها ..

يسكن القلب هكذا .. { .. أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } [الرعد: 28]

وقال تعالى {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ..} [الإسراء: 82]

وكل هذه المعاني التي ندندن حولها، تتحقق هكذا ..

هناك قراءة غير القراءة التي نقرأها .. نحن نقرأ ورد، ونكمل جزء وجزئين ، صليت بكذا .. ليست

هذه، ليست مثلما أن تظل طول الليل تقول {اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ..} [الشورى: 19] .. وقبلك يكاد يطير من الفرح؛ لأنه قد استشعر معنى اللطف .. {اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ..} .. وظل يستشعر هذه المعاني الجميلة في معنى اللطف ..

فطار القلب وقتك مع أسره، وسلته واطمأنه، وهذا بتلك المعاملة الباطنة ..

هناك درجات أعلى، لكن نجعلها في درس مستقل .. بداية تكوين الحال تبدأ من هنا .. هل فهمتم هذا المعنى؟

إدًا، تعالوا نرى معنى السكينة مع بدايته ..

ما معنى السكينة؟ ودرجات السكينة في القمّاه؟ وما وصايا العلماء بها؟

بعد الصورة الإجمالية التي أعطيتها لكم في الجزء الأول من هذه المحاضرة ..

معنى السكينة لغةً

يقول العلماء أن **السكينة لغةً** هي خلاف الإضطراب والحركة، وهذا المعنى هو بالضبط الذي سندندن حوله .. ألا وهو شعار الساكن دائماً::

{..وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ} [الحجر: 65]

لا يتحرك يمينه و لا يسرة و لا يضطرب فؤاده بل يثبت ويسكن، تجده عند البلايا ثابت راسخ لا يعرف زوغان القلب .. أي أن درسنا اليوم يقول: أريد أن يتحقق فيك معنى::

{ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً .. } [آل عمران: 8]

تريد أن تكون بمنأى عن هذا النوع من الزيغ والانحراف ؟ .. كيف يتحقق هذا المعنى؟؟

يتحقق هنا .. عندما تتزل هذه السكينة على الواحد منا .. في القرآن، الله جلَّ وعلا يقول {..فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ

عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ..} [الفتح: 26]، قالوا: "أنزل الله السكينة، أي: الطمأنينة والوقار، فثبتهم على

الرضا والتسليم" .. لاحظوا ثبتهم، وليس رضاهم وجعلهم مستسلمين ، لا .. هم تلقوا الموضوع ابتداءً برضا

وتسليم، لكن لكي يُكْمَل ويثبت؛ هذا هو الذي جاء من قِبَل الله سبحانه وتعالى ..

وهذا الذي سيفرِّق بين مقام السكينة، ومقام الرضا، ومقام التسليم نفسه، ومقام التوكل ..

➤ في البداية أنا أستقبل بمقام الرضا والتسليم والتفويض لأمر الله سبحانه وتعالى، لكن لكي تثبت قدمي في هذا

الميدان أنا أحتاج سكينة ..

لله وهذه تكون منحة من قِبَل الله لهذه القلوب الراضية المستسلمة ..

معنى السكينة اصطلاحاً

بعد أن تعرفنا على تفسير العلماء اللغوي، انظروا إلى كلام أهل العلم عندما فسروها اصطلاحاً، يقولوا:

يقول الجوزاني في (التعريفات) "السكينة: هي ما يجده القلب من الطمأنينة عند تزلُّ الغيب"

دائماً تكون هناك فجأة لأمر .. دائماً تكون هناك نازلة من النوازل، فيحدث له شيء من الطمأنينة ..

"وهي نورٌ في القلب يسكن إليه شاهده وبطمئن، وهي زوالٌ للخوف والرعب".

يقول ابن القيم في (المدارج): "هي الطمأنينة والوقار والسكون، الذي يترله الله في قلب عبده عند اضطرابه من

شدة الخوف، فلا يزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان وقوة اليقين والثبات" ..

🌟 هذه ثمرات السكينة::

زيادة الإيمان .. قوة اليقين .. والثبات.

وإذا تناولناهم من أسفل لأعلى .. يكون لدينا

توكل واستسلام وإذعان ورضا ينشأ عنه سكون ينشأ عنه يقين

هل فهمتم كيف تسير المعادلة؟

السكينة طمأنية القلب واستقراره .. أصلها في القلب وتفيض بعد ذلك على الجوارح .. فترى

على جوارح الإنسان المطمئن بذكر الله، أثر السكينة والهدوء والخشوع ..

وهذا كان معنى السكينة لغةً واصطلاحاً.

درجات السكينة

ما هي درجات السكينة؟

درجات السكينة ثلاث::

(1) **سكينة الخشوع .. (2) وسكينة عند المعاملة .. (3) وسكينة توجب الرضا.**

(1) سكينة الخشوع .. هذه التي تنزلت على قلب النبي محمد **صلى الله عليه وسلم** وعلى المؤمنين، سكينة

تكسر القلب فتجعله خاشع .. وهذا الخشوع وهذه السكينة تنشأ عن ماذا؟

يقول الله جلّ وعلا { .. وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ } [البقرة: 45]

هم يا رب الخاشعيه؟

لهم { الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } [البقرة: 46]

فإذا تحقق هذا المعنى في القلب، يخشع وينكسر ويفوض ويستسلم ويرضى ويعيش هذه المقامات كلها.

(2) السكينة عند المعاملة .. وتحقق بثلاث:

1) محاسبة النفس .. 2) وملاطفة الخلق .. 3) ومراقبة الحق.

في السكينة عند المعاملة، سيعامل الفرد ثلاثة:

1) سيعامل رباً .. 2) وسيعامل نفسه .. 3) وسيعامل الناس.

أثناء معاملته لنفسه، سيحاسبها .. أثناء معاملته للناس، سيتلطف معهم ، وهذا أثر اسمه اللطيف ..

☺ أَلْطَفٌ يُلْطَفُ بِهِ.

فيلطف بهم ليعامله الله باللطف، فيكون من أثر ذلك أن يحدث له اللطف الباطني فيسكن ..

3) مراقبة الحق .. هذه المراقبة كيف تأتي؟ ..

عندما سيكون القلب موصول، وفيه عين البصيرة وسيبصر ← سراقب ..

لذا أثرها .. تأتي من أي شيء؟؟ تأتي من انفتاح عين البصيرة في القلب ، وهذا كيف يحدث؟

عين البصيرة هذه كيف تأتي ؟ .. تأتي بأمور، منها ..

أولاً: يبدأ من تحسس القلب .. أن تجعله يعمل، فمثلاً إذا كان لديك -مع الفرق في المثال- لديك نظارة مكبرة لا تستخدمها، بإمكانك أن ترى من خلالها عن بُعد، واضطرت أن تستخدمها لترى شيئاً من خلالها .. وطوال إهمالك لاستخدامها، سيكون مد البصر لديك قليل جداً .. لكن حينما استخدمت العدسة المكبرة، بدأت ترى آفاق أوسع وأعلى ..

هذه هي عين القلب، وهي التي لا نستخدمها ونتجاهلها،

أولاً: تحسس قلبك وأعمل عين البصيرة فيه .. ولكي يتحقق ذلك عندك، لابد أن تنظف العدسة المكبرة لهذا القلب وإلا لن ترى من خلالها .. لا يصح أن تترك عليها غطاءها، وتمسك بها وتتساءل لماذا الدنيا مظلمة!؟

أليس من المفترض أن ترى عن بُعد؟! .. وأنت في الأصل تضع غطاءها ولم تزيل الغطاء ،

هذا الغطاء هو الحجاب الحاجز لك عه النظر،

إذاً، قم بتركيبها وتنظيفها تمامًا وضعها وركز حتى تصل وتلتقط، وتبدأ تري ..

هذه هي عيه البصيرة، وهي التي تحقق مراقبة الحق ..

الإنسان عندما يكون عنده عين البصيرة يبدأ يرى، فيستشعر القرب، يستشعر المعاني التي نتحدث عنها ..

فيراقب ويعلم أنه مراقب وكل شيء يُسَجَّل عليه .. وماذا يحدث للقلب ؟

القلب حيه يشعر بالقرب بسكته،

فمثلاً: أنا أتعامل بشئ من الطيش في غياب ولي أمرى، وفور سماعي لصوته بدأت أُعَدِّل من تصرفاتي، بدأت

أسكن ولا أتحرك هذه التحركات؛ لأن له بداخلي هيبة .. هذا هو ..

القرب يُحدث هذه العيبة .. فيحدث المراقبة .. فيحدث سكوه القلب،

القرب ينشأ عنه ← هيبة ينشأ عنها ← مراقبة الحق ينشأ عنها ← سكون القلب

(3) سكينه توجب الرضا بما قسم الله عزَّ وجلَّ .. وتمتع من الشطح الفاحش ..

وهذه ستتحقق كأثر من الآثار -ذكرناها قبل قليل- ، أن الله ألقى في قلبه هذا النوع من السكون، فتجده دائماً

يتلفظ بمعاني وكلام مثل أحبه إلى .. أحبه إلى ، قدر الله أحب إلي من بصري .. لا يوجد لديه مشكلة في هذا

كله؛ لأنه يقرأه بعين البصيرة ، يقرأها بشكل مختلف ..

قرأتها بقلبي، ولم أقرأها بأعنيه الناس،،

ليس كمن يقول: ماذا حدث لي؟! لماذا يحدث لي كل هذا؟ ولماذا هذا؟ ولماذا هذا؟ .. فهذا يؤدي به إلى

الشطح الفاحش ، فهو يشطح أي يستخدم معنى الشطح في هذا الالتفات وفي هذا الاعوجاج ، وفي التفاتات

القلب تلك .. بينما الساكن تجده يقف مطأطئ الرأس وهادئ وليس لديه مشكلة

نفس الكلام الذي ذكرناه حينما تحدثنا عن محن الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكرنا كلام بن الجوزي في الصيد وهو يقول : الرسول صلى الله عليه وسلم يحدث له كذا وكذا وتطلق بناته ويوضع عليه سلا الجذور ، وهو ساكن هادئ راضى بما يعامله به مولاه ، هذا هو سكون المعاملة الذي نتحدث عنه ..

سكونه يوجب الرضا بما قسم الله عزَّ وجلَّ، ويمنحه منه الشطح،،

هذه درجات السكينة الثلاث ..

ورود السكينة في القرآن ..

لماذا السكينة في القرآن؟ .. لتلك الفائدة الذهبية التي سيذكرها لنا ابن القيم ..

ذكرت في القرآن في ستة مواضع::

يقول ابن القيم -وسأقرأ لكم من (المدارج) رأساً- : "وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذا اشتدت عليه الأمور قرأ آيات السكينة، وسمعتة يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه تعجز العقول والقوى عن حملها، من محاربة أرواح شيطانية ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة .."

وهذا الكلام لكي نريح من يقول أننا مسحورين وملبوسين، وأن هناك من يسحر للأخوة .. يقول: شيخ الإسلام أنه جاءته في آخر عمره نوع من المقاومة الشديدة لهذه الأمور، من محاربة أرواح شيطانية ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة ..

قال : "فلما اشتد عليَّ الأمر، قلت لأقاربي ومن حولي: اقرأوا آيات السكينة"

قال : "ثم ألق عني ذلك الحال وجلست وما بي قَلْبَةٌ" .. أي: لم يحدث لي أي مشكلة ..

ويقول ابن القيم : "وقد جربت أنا أيضاً قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب مما يرد عليه، فرأيت لها تأثيراً

عظيماً في سكونه وطمأنينته " اهـ -كلام ابن القيم رحمه الله من مدارج السالكين - منزلة السكينة (2 / 502)

وقبل أن أتحدث .. لأن الأخوة سيقولون هذا كلام ابن القيم في المدارج، وهم رجال ونحن رجال، و ابن القيم يخطيء ويصيب، ليس لدينا مشكلة ، ولكن المعاني التي يتحدث فيها الأخوة نتفق معها كأصول، لكن في التطبيق

نفهم عن الرجل و نلتمس له حتي ولو عذر ..

أولاً: هل قام شيخ الإسلام اليوم بعمل رسالة قال فيها ورد الطائفة التيمية بقراءة آيات السكينة عند اضطراب القلب خمس مرات وعشرين مرة حتى يحدث كذا؟! أم أن هذا يندرج تحت أصل عام قد ذكرنا تَوَّأً .. {وَتُنزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ..} [الإسراء: 82]

إِذَا، الْقَرَأَنَ فِيهِ شِفَاءٌ ..

ثانياً: نحن إن قلنا على معنى الرقية الشرعية .. "اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك" [رواه مسلم] .. لا تكون هناك مشكلة، ونأتي لمن يرقى في أمراض القلوب وتقولوا عليه مشكلة؟!

عدوها من باب الرقى، مندرجة تحت أصل عام ومندرجة تحت أصل خاص لكي لا يكون فيها مشكلة.

ثالثاً: أنه في الأمور التجريدية هذه، ما زال الناس يُحدث لهم ذلك أشياء .. أنا عندما أبدأ القراءة في سورة كذا أو كذا أشعر بمعاني لا أشعر بها في سائر السور .. وهذا شأنى أنا .. وأحياناً أنقل تجربتى لغيرى فأقول له: دائماً حين أقرأ هذا الورد وهذه الآيات أو أصلي بها، أشعر بكذا ويحدث كذا ..

لعلها تنفعك لكن قد لا تنفع كثيرين، وهذا الذي يفرق بين البدعة الإضافية وبين سُنيّة الأمر .. أو ما دخل تحت المخالفة أو الخذور الشرعى .. ما الفرق؟

إن النبي صلى الله عليه وسلم ما ترك شيئاً يقربنا إلى الجنة إلا ودلنا عليه، المعنى هنا أن وصفة شيخ الاسلام لن تنفع كل المسلمين .. وأقولها بملء الفم ، لأنها لو كانت تنفع كل المسلمين لنصَّ عليها الأمين صلى الله عليه وسلم، لكنها ستنتفع أناساً أحوالهم قد تكون قريبة من هذا الحال ..

فلاستشفاء بآيات القرآن قد ذكره العلماء، وهذا تأصيل ثالث لها .. وقد ذكرنا أن هجر القرآن على خمس منها: هجر الاستشفاء، ولذلك فإن تأصيلها العلمى مهم قبل أن ندخل في ثنايا المعاني ..

ذكر الله سبحانه السكينة في كتابه، في سنة مواضع:

أولاً: قول الله تعالى في سورة البقرة .. لاحظوا الآيات : ثلاث آيات في سورة الفتح، آيتين في سورة التوبة، آية

في سورة البقرة ..

الآية الأولى .. قوله تعالى: { وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ .. } [البقرة:

248]

وهذه الآية التي اختلف في تفسير معنى السكينة فيها، ورد عن ابن عباس -وتجدوا هذا في القرطبي وغيره - أنه كان يقول: "كل سكين في القرآن فهي طمأنينة، إلا التي في سورة البقرة" .. علي أن بعض المفسرين -واسمعوا مثلا كلام الشيخ ابن العثيمين وهو يوجه هذه الآية- قال: **التابوت**: (وهو معروف بأنه شيء من الخشب أو العاج يشبه الصندوق) فكان يزل ويصطحبونه معهم، وفيه السكينة: يعني أنه كالشيء الذي يُسَكَّنُهُ ويطمئنون إليه" ..

فعلى هذا التوجيه لا توجد فيها مشكلة، يعني كأنه شيء كان له هذا الأثر عليهم، فإذا رأوا هذا التابوت كانت تسكن قلوبهم وتنشرح صدورهم .. علي هذا التوجيه فكل الآيات فيها الطمأنينة ..

الآية الثانية: قول الله تعالى في سورة التوبة: { ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا

لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ } [التوبة: 26]

هذا في يوم حنين، في تلك الساعات الحرجة التي قال الله عنها: { .. وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ } [التوبة: 25] .. ثم قال الله { ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ } [التوبة: 26]

الآية الثالثة: الآية الأربعون في سورة التوبة .. عندما اجتمع المشركون على الكيد للنبي صلى الله عليه

وسلم، وكان مكان إديان وقت الهجرة، فلو نظر أحد المشركين إلى ما تحت قدمه في يوم الهجرة لرأى النبي وصاحبه ..

قال الشيخ السعدى "فهما في تلك الحالة الحرجة الشديدة المشقة، حين انتشر الأعداء من كل جانب يطلبونهما ليقتلوهما، فأنزل الله عليهما من نصره ما لم يخطر لهم على بال .. فقال:

{إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِنَّنِي إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ

مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ { [التوبة: 40]

الآية الرابعة: ونبدأ بآيات سورة الفتح الملأى بهذه السكينة من بدايتها .. انظر ثلاث مواضع في سورة

الفتح، وكان من فتح الله عز وجل على عبده أن يتزل على قلبه بذلك ، والآية تقول هذا:

{ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ

عَلِيمًا حَكِيمًا { [الفتح: 4]

ففى يوم الحديبية تزلزلت القلوب من تحكم الكفار فتزلت فى تلك اللحظات السكينة، والظاهر -والله أعلم- بأن الحديبية كانت من أشد المواقف التى امتحن فيها المسلمون، ويدل على ذلك اختصاص هذا الموقف بالذكر فى ثلاث مواضع بأن تتزل السكينة فيها ..

بالطبع يوم الحديبية وموقف سيدنا عمر أكبر مثال يوضح لنا الاضطراب الذى من الممكن أن يحدث، **لم تُعطى**

الدية فى ديننا ؟ .. ونحن فى هذه الحن منذ عشرين سنة، وجاءتنا اللحظة التى يمكن أن نفتك بهم ونتصر عليهم

ويكون لنا الغلبة، وأنت تداهنهم .. أو يظهر له أنه يقوم بمقام الضعيف! .. فيقول: على هذا كانت هذه الحادثة

من أشد الحوادث التى أبتلى بها المؤمنون.

الموقف الثانى الذى ذكر الله فيه تتزل السكينة فى الحديبية، عند بيعة الرضوان فى سورة الفتح الآية 18 ..

قال الله جلّ وعلا : {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ

عَلَيْهِمْ وَأَنَابَهُمْ فَتَنَحَّاهُمْ قَرِيبًا} [الفتح: 18]

وهذه الآية مفتاح الدرس بأكمله::

☞ { .. فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ .. } ☜

فإذا كان فى قلبك جهاز الاستقبال هذا ستتزل السكينة، أما إذا كان قلبك فاسد لا يصلح أن تتزل عليه

السكينة سيلتفت ويضل السبيل ..

{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا

قَرِيبًا} [الفتح: 18]

وهذا هو الربط بين معنى السكينة ، ومعنى الفتح في هذه الآية.

بعد ذلك الآية السادسة والعشرين .. وهي الآية السادسة والأخيرة من آيات السكينة ، والثالثة التي ذكر فيها السكينة في يوم الحديبية ..

قوله تعالى: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى

الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الفتح: 26]

فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ .. بهذا التعبير يرسم السكينة كما تنزل في هدوء ووقار، تنزل وتوضع في القلب بمنتهى الهدوء والوقار، لتحدث هذا الأثر، تضيء على القلوب الحارة المتحمسة المتأهبة المنفعلة برداً وسلاماً وارتياحاً وطمأنينةً .. فإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على أهمية السكينة، وأن بعض المواقف تحتاج إلى تنزل هذه السكينة أكثر من مرة .. فكما رأينا ثلاث مرات وثلاث آيات في سورة واحدة تتحدث عن نفس الموقف، تنزل في ثلاثة أنواع من السكينة مختلفة في ثلاثة مواقف في حدث واحد .. فهذا يدل على أن بعض المواقف تحتاج إلى تنزل السكينة أكثر من مرة، لأهميتها في تجاوز ذلك الموقف ، والموقف من وفقه الله

إِذَا، عندما تنزل بك الساعات الدرجة ولحظات الاضطراب، تأمل في حساسية المواقف التي تنزل عليك، وادعوا الله عز وجل أن ينزل أثر السكينة في قلبك لتثبت نفسك ويسلك قلبك، وحالة إذ تخرج من هذه النوازل سالماً معافى محققاً للمعاملة الباطنة، آخذاً اللطف الباطني.

هذه الآيات الست كلها تدور في معنى واحد وفي فلك واحد .. مواقف صعبة، تنزل السكينة فيها هو من أعظم الأسباب لتثبيت القلب ..

الواجب العملي: حفظ هذه الآيات والتعبد لله عز وجل بتمريرها على القلب وتسكين النفس بها، حتى

نأخذ هذا الأثر.

وما ذكرناه من التجربة العملية لابن القيم وشيخ الإسلام بن تيمية ، هذه ترجع إلى كل واحد منكم أن يتداوى بها أو يستعملها على حسب حالته وعلى حسب استقباله لهذه المعاني.

مواضع تحقيق السكينة

السكينة كما ذكرنا وردت في القرآن في هذه الست مواضع ، وقد طوّلينا في مواضع ، وهذا كما في سنة النبي محمد **صلى الله عليه وسلم** أن نحقق معنى السكينة ، لدينا أكثر من ست أو سبع مواضع نحتاج أن نحقق فيهم السكينة ..

أول هذه المواطن :: الصلاة ..

السكينة تنزل حال الصلاة .. وتحتاج أنت أن تسأل الله عزّ وجلّ هذا ابتداءً، إنك في البداية لا بد أن تأخذ في اعتبارك أن تكون ساكناً، لا تلتفت، لا تزوغ عينك، لا ينشغل قلبك بكذا وكذا، لا تذهب إلى الصلاة مهرولاً؛ لأن هذا يسبب عدم الخشوع ولا يجعلك تُحصِل المعنى الأساس في الصلاة .. فإذا حققت هذا وأخذت بالأسباب، تنزل عليك السكينة المطلوبة التي ينبغي أن تجدها أثناء الصلاة ..

فالسكينة تنزل حال الصلاة، فينبغي للعبد أن يحرص عليها ..

بهذا جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال: "إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا" [متفق عليه] إذاً، نحن لدينا معنى مختلف .. تجد الأخ يريد أن يدرك تكبيرة، الإحرام فيمكن أن يذهب مهرولاً لا مشكلة، وإن دخل في الصلاة وظل ينهج طوال الركعة الأولى لكنه أدرك تكبيرة الإحرام هكذا يهدأ .. لكنه لم يحقق السنّة ولم يحقق الهدف، نحن للأسف الشديد ظاهرين حتى في معاملة الله عزّ وجلّ ..

النبي **صلى الله عليه وسلم** -وأمره أهم من أي شيء آخر- يقول: "إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون وعليكم السكينة .." لا تجري إلى الصلاة ، سير كعادتك في السير، ويمكن أن تزيد خطوتك شيئاً ما لكن

ليس في هذا ما أرشدنا إليه النبي، فالنبي **صلى الله عليه وسلم** نهي أن يركض الإنسان إلى الصلاة، وأمرنا أن نأتي إلى الصلاة وعلينا هذا المقام العظيم - مقام السكينة - ، لأن العبادة ينبغي أن تتحقق بهدوء وبطمأنينة نفس ..

أما الإنسان الذي يلهث من شدة الركض والعناء، فإنه لا يُقبل على صلاته كما ينبغي ..

لهذا جاء في البخاري من حديث أبي بكر: أنه انتهى إلى النبي **صلى الله عليه وسلم** وهو راکع، فركع قبل أن يصل إلى الصف، فذكر ذلك للنبي **صلى الله عليه وسلم**، فقال "زادك الله حرصاً ولا تعد" [صحیح البخاري]

جاء أبي بكر، والرسول **صلى الله عليه وسلم** راکع، فأسرع وقد حَفَزَهُ النفس ثم ركع ولحق النبي **صلى الله عليه وسلم** في الصلاة، فلما سلم النبي **صلى الله عليه وسلم** سأل: من الذي أتى وهو راکع؟، قال: أنا يا رسول الله، فذكر له الحال فقال له النبي **صلى الله عليه وسلم**: "زادك الله حرصاً ولا تعد" .. لا تعد لمثل هذا، وائت إلى الصلاة وعليك السكينة والوقار ..

لأنه أحياناً ونحن نحقق المعاني العالية - وهذا للأسف الشديد عندنا في الفكر بشكل عام- يمكن أن تجد بعض الإخوة مثلاً مجتمعين على معنى تعظيم لقدرة الصلاة في أول الوقت وإدراك تكبيرة الإحرام و...، فإذا دخل أحدهم الصلاة ولم يدرك تكبيرة الإحرام تكون مشكلة .. لماذا؟ لأنه يريد أن يدخل ويدرك الصلاة وبهذا يكون أدي الصلاة، وتجد النظرات إليه ومنظره أمام المصلين كيف يأتي متأخراً؟! .. على الرغم من أن آخر من الممكن أن يكون قد صلى الأربع ركعات وهو شارد الذهن، لكنه حققهم وصلاتهم من تكبيرة الإحرام فالجميع سيشجعه! الأول من الممكن أن يظل حزيناً على الركعة التي فاتته وينكسر قلبه، هذا لا يصح أبداً .. وليس معنى ذلك أن نقول للآخر فرط وانكسر، على أساس أن التفريط هو ما سيجلب لك الإنكسار!!، لا هذا ولا ذاك، المهم قلبك وما يحملة في داخله، هل أنت ذاهب إلى الصلاة لكي تحقق المعنى؟

ولذلك تشعر بينك وبين نفسك -حتى دون نظر الناس- بمراءة النفس، فتقول لنفسك: اليوم عندي خمس صلوات وقد صليتهم من الركعة الأولى كنت خاشع أو غافل هذه ليست قصتي، أنا لدي الحديث آخذ بظاهره "من صلى لله أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى، كتبت له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق" [رواه

الترمذي وحسنه الألباني]

هذا فهم مغلوط، ولن يحدث أن تأخذ براءة من النار وبراءة من النفاق وأنت في الأصل لست خاشع ولا خاضع ولم تحقق أي معنى في قلبك .. إذا أنت واهم ..

هل تدركون المعنى؟ فالنبي **صلى الله عليه وسلم** أرشده إلى هذا المعنى وقال لا تعد ..

عن عبد الله بن أبي قتادة عن النبي **صلى الله عليه وسلم**، قال "لا تقوموا حتى تروني، وعليكم السكينة" [صحیح

البخاري]

معنى الحديث: أن جماعة المصلين لا يقومون عند الإقامة إلا حين يرون أن الإمام قام للإمام، أي عندما يقوم يقومون عنده .. المسألة فيها خلاف فقهي ليس محله الآن، لكن المهم: "وعلیکم السکينة"، ادخل الصلاة وأنت ساكن ..

إدًا، هذا أول مقام نحقق فيه السكينة .. حال الصلاة

المقام الثاني: حال الحج

لما أفاض النبي **صلى الله عليه وسلم** من عرفة وكان عليه السكينة، وكان معه ما يزيد علي مائة ألف حاج، فكان يقول "يا أيها الناس عليكم بالسكينة" [رواه البخاري] .. رويدكم .. رويدكم .. كل الناس الآن مقبله وذهابين إلى مزدلفة، ويوم شاق جدًا على عرفة، والكل يريد أن يجري إلى مزدلفة لبيت بها ويرتاح .. فقال النبي **صلى الله عليه وسلم** "أيها الناس عليكم بالسكينة، عليكم بالسكينة، عليكم بالسكينة" .. فأفاض النبي **صلى الله عليه وسلم**، وأمر أصحابه بالسكينة وبالهدوء الذي يتناسب مع حرمة الحج وحرمة العبادة .. فالسكينة مطلوبة من العبد في كل حال، وينبغي للإنسان أن يحرص عليها في هذه النسك خاصة .. إذا، هذا الأمر الثاني حال الحج.

المقام الثالث: عند تلاوة ومدارسة القرآن

النبي **صلى الله عليه وسلم** كان إذا نزل عليه الوحي تغشته السكينة، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنت إلى جنب رسول الله **صلى الله عليه وسلم** فغشيت السكينة، فوقع فخذ رسول الله **صلى الله عليه وسلم** على فخذني فما وجدت ثقل شيء أنقل من فخذ رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، ثم سري عنه، فقال "أكتب"،

فكتبت في كتف: { لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .. وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .. } إلى آخر الآية .. فقام ابن أم مكتوم وكان رجلاً أعمى لما سمع فضيلة الجاهدين، فقال: يا رسول الله فكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين؟، فلما قضى كلامه غشيت رسول الله **صلى الله عليه وسلم** السكينة، فوقع فخذه على فخذي ووجدت من ثقلها في المرة الثانية كما وجدت في المرة الأولى، ثم سري عن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** فقال "اقرأ يا زيد"، فقرأت: لا يستوي القاعدون من المؤمنين، فقال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: { .. غَيْرُ أَوْلَى الصَّرَرِ .. } [النساء: 95] الآية كلها .. قال زيد: فأنزلها الله وحدها فألحقتها والذي نفسي بيده لكأني أنظر إلى ملحقها عند صدع في كتف. [رواه أبو داوود وقال الألباني: حسن صحيح، صحيح أبو داوود (2507)]

قال الله تعالى { إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا } [المزمل: 5]، كان **صلى الله عليه وسلم** يتغشاها من شدة الوحي شيء عظيم حتى يتفصد من جبهته .. **أي**: يعرق عرقاً شديداً، وإن كان في اليوم الشاتي من ثقل الوحي عليه.

الشاهد: أن السكينة كانت تنزل على النبي **صلى الله عليه وسلم** عند نزول الملك، كذلك عند قراءة القرآن .. حديث أسيد بن حضير الذي في الصحيحين أبلغ مثال علي ذلك :

"بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة ، وفرسه مربوط عنده ، إذ جالت الفرس ، فسكت فسكت ، فقرأ فجالت الفرس ، فسكت وسكت الفرس ، ثم قرأ فجالت الفرس ، فانصرف ، وكان ابنه يجي قريباً منها ، فأشفق أن تصيبه ، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها ، فلما أصبح حدث النبي **صلى الله عليه وسلم** فقال : (اقرأ يا ابن حضير ، اقرأ يا ابن حضير) . قال : فأشفقت يا رسول الله أن تطأ بجي ، وكان منها قريباً ، فرفعت رأسي فانصرفت إليه ، فرفعت رأسي إلى السماء ، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح ، فخرجت حتى لا أراها ، قال : (وتدرى ما ذاك) . قال : لا ، قال : (تلك الملائكة دنت لصوتك ، ولو قرأت لأصحت ينظر الناس إليها ، لا تتوارى منهم " [صحيح البخاري]

كان أسيد من كبار الأنصار وكان ذات ليلة يصلي صلاة الليل في مربد له فقرأ سورة البقرة - وفي رواية في الصحيحين أنه قرأ سورة الكهف- ، وكان الخيل مربوطة قريبة منه، فقرأ ورفع صوته بالقرآن ، وكان أسيد حسناً جميل الصوت، فجالت الفرس وبدأت تذهب وتقبل وتدبر حتى خشي أن تفك رباطها، وكان ولده يجي إلى جنبه وكان طفلاً صغيراً ، فخشي عليه من الخيل فسكت عن قراءة القرآن فسكنت الخيل، فعاود القراءة بعد

ذلك فجالت الفرس وبدأت تُقبِل وتُدبر حتى خشى على ولده فسكت، فرفع صوته بالقرآن مرة أخرى، فتحركت الخيل هكذا وجالت حتى خشى على ولده فسكت، ثم صلى فرفع رأسه إلى السماء، فإذا مثل الظلة فوق رأسه، وإذا فيها أمثال المصاييح. فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: يا رسول الله إنه حصل البارحة كذا وكذا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: اقرأ يا بن حضير اقرأ، قال: فقرأت يا رسول الله، فجالت الخيل حتى خشيت على ولدي يجي فسكت، قال: اقرأ أبا يجي قال: فقرأت يا رسول الله، حتى جالت الفرس، فخشيت على ولدي فسكت، قال: اقرأ أبا يجي، قال: قرأت يا رسول الله حتى خشيت على ولدي فسكت، قال صلى الله عليه وسلم: "تلك السكينة -وفي رواية: تلك الملائكة- تنزل لقراءة القرآن ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها، لا تتوارى عنهم".

أي: إن أكملت واستمررت في القراءة، كانت الناس إذا استيقظت ستجد هذه السحابة ويراهم الجميع .. فنزلت السكينة، ونزلت الملائكة لقراءة أسيد بن حضير رضي الله عنه القرآن .. فهكذا شأن القرآن. إذا، تتزل السكينة بذلك .. وعلي هذا ففي هذا الوطن ينبغي أن يكون الإنسان ساكناً ..

ينبغي أن يكون الإنسان حاضر القلب حال قراءة القرآن،

هناك جزئية يذكرها العلماء تعليقاً على حادثة أسيد، يقولوا ما السبب في نزول الملائكة؟

قالوا عدة أشياء من باب اللطيفة العلمية ..

السبب الأول قالوا: هو عظمة ما قرأ .. بعض الناس قالت أنه قرأ البقرة أو قرأ سورة الكهف ، فأما سورة

الكهف فالنبي صلى الله عليه وسلم أخبر: أنه من قرأها في جمعة أضاعت له ما بينه وبين الجمعة الأخرى، وأما سورة البقرة فمعلومة أنها هي الزهراء .. التي لا يستطيعها البطلة ولا يدخل الشيطان بيتاً يُقرأ فيه هذا ، فهذه أو تلك .. إذاً، علي هذا التوجيه من فضائل سورة البقرة والكهف.

السبب الثاني : قالوا: أن القارئ كان يفهم معنى ما يقرأ ويتأثر به ويخشع له .. فكان هذا هو السبب

لنزول الملائكة ونزول السكينة. وهذا ما يفيدنا نحن ، لأنه إن كان على هذا التوجيه نجد أنه

﴿ كلما كاه الإنسان أكثد تدبياً وأكثد خشوعاً وأكثد انكساراً، تنتزل الرحمة وتنتزل السكينة بذلك.﴾

السبب الثالث: قالوا: أنه كان يرفع صوته بقراءة القرآن .. وكأنه -والله أعلم- كان حسن الصوت بالقرآن، فكما كان أبو موسى الأشعري واستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة إلى قراءته، فأنصت وأعجب بقراءته أيما إعجاب، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي موسى "لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت زمزماً من مزامير آل داود" [صحيح مسلم] .. أي: صوتك بالقرآن جميلٌ جميلٌ.. فقال: يا رسول الله، والله لو علمت أنك تسمعي؛ حيرته لك تحبيراً.

الملائكة تحب سماع القرآن فتزلوا لذلك ، هذا توجيه .. لكن طبعاً التوجيه الثاني هو ما يهمنا أو حتى الأول بالاعتناء بهاتين السورتين ..

هكذا أخذنا موطن الصلاة ، وموطن الحج ، وموطن قراءة القرآن.

المقام الرابع: حال الجنائز

الموطن الرابع الذي ينبغي أن نكون فيه ساكنين، وتنتزل فيه السكينة: حال الجنائز .. قال أبو قلابة " كانوا يعظمون الموت بالسكينة " .. لأنه عادة يكون وقت هلع، وأناس يبكون، وآخر يصرخ وآخر شارذ وآخر يسأل عن مكان المدافن وو... فيغيب معني التذكُّر في هذه المواطن، فلذلك ينبغي أن يكون الإنسان أهدأ ما يكون في هذه الأوقات ، لا سيما وهو يشيِّع جنازة أو نحو من هذا، إن كان يريد منها العبرة والعظة لنفسه ، فبالتالي عليكم أن تستزلوا تلك السكينة بسكونكم حال هذا الوطن.

المقام الخامس: حال الجهاد

خامساً: في الجهاد .. حال الجهاد في سبيل الله كما حدث في يوم الحديبية، وكما ذكرنا في الآيات التي في سورة الفتح، كلها كانت تدور حول معنى الثبات والجلد والصبر؛ حتى يستدفع الإنسان ما يكون في هذه المواطن وهذه الأوقات من همٍّ وقلق يصيب الناس .. وذكرنا قصة سيدنا عمر المشهورة وكيف أن الله عزَّ وجلَّ أنزل السكينة على قلوب المؤمنين وعلي قلب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الوطن؛ ليكون في ذلك طمأنينة لهم حتى لا يصيبهم الفرع والقلق والخوف.

فالنبي **صلى الله عليه وسلم** ، والحديث رواه أبو داود عن سمرة أنه قال : " سمي رسول الله **صلى الله عليه وسلم** **خيلنا** - في الجهاد - **خيل الله** " لماذا؟ .. لأنها الخيل التي أوقفت في القتال في سبيل الله، وحملت المجاهدين الصابرين الذابيين عن حوزة الإسلام ، " وكان يأمرنا إذا فزعنا بالجماعة والصبر والسكينة " [رواه أبو داود وضعفه الألباني] .. فهذا أمرٌ من قِبَل النبي **صلى الله عليه وسلم** بأن يتحلّى الإنسان بهذا،

أولاً: الجماعة فلا يشرد، وثانياً: تحقيق مقام الصبر والسكينة ،

وكان أصحاب رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، إذا كانوا في حال المعارك يرتجزون بالشعر، يسألون الله تعالى أن ينزل عليهم السكينة، وكان الرسول **صلى الله عليه وسلم** يجيبهم:

"والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينةً علينا وثبّت الأقدام إن لاقينا

إن الأولى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا"

فكان النبي **صلى الله عليه وسلم** يردد وراءهم : " أبينا أبينا " [متفق عليه] .. صلّ الله علي النبي محمد **صلى الله عليه وسلم** ..

فهكذا تكون السكينة حال المقام ، مقام الجهاد في سبيل الله،،

المقام السادس: عند القيام بمقام العبودية ..

مقام من مقامات العبودية .. ذكرنا أن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال " .. وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده .. " [رواه مسلم]

فقالوا: إن السكينة تنزل على أتباع الأنبياء، هذه السكينة تنزل عليهم عند القيام بوظائف العبودية بشكل عام لذلك ختمنا بتحقيق معنى من معاني العبودية سواء: في الذكر، في الصلاة، في الصيام، في النسك ، في سائر هذه الأمور ..

إذا كان العبد قائماً لله بمقام الخشوع والذل وغض الطرف واجتماع القلب، فإن السكينة تنزل على العبد حالة إذ،

هذه هي المواطن ..

كيف نحقق السكينة؟

هذا هو أهم ما في الدرس، كيف نحققه؟ .. استمعوا إلى هذا الأثر المهم الذي ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب **(العقل وفضله)** .. وأريد منكم التركيز لأنه يعطينا المعادلة، وأنا أحب الذي يعطينا المعادلة التراكمية (إذا عملنا كذا يتحقق كذا، يتحقق كذا)، يقول: قال وهب ابن منبه: **"المؤمن مُفَكِّرٌ مُذَكِّرٌ، فمن ذكَّرَ تفكَّرَ .."** إذا، تابع معي .. ما هي البداية؟

← الذِّكْرُ يزيل الغفلة،

بعد ذلك ماذا يحدث؟

← تفكَّر،

"فعلته السكينة .."

فالسكينة تتحقق بعد التفكير، **"وقنع فلم يهتم"** .. تورث القناعة وتورث الثبات .. **"ورفض الشهوات فصار حراً، وألقى الحسد فظهرت له الحبة، وزهد في كل فان فاستكمل العقل، ورغب في كل شيء باقٍ فعقل المعرفة"**

ذكر **يترب عليه** ← **تفكَّر** ← **يورث** ← **السكينة** ← **تورث** ← **القناعة والثبات**



درس الزهادة

(1) يتحرر من الشهوات .. (2) تخلص من آفات القلب (الحسد) .. (3) حب راسخ في الوجدان

استكمل العقل ← **عقل المعرفة بالله تعالى.**



إذاً ذكر يترتب عليه تفكّر، التفكر ماذا يورث؟ السكينة .. يحدث له بعد ذلك القناعة .. فلا يعد يهتم بتلك الابتلاءات و لا بكلام الناس ولا بمشاغل الحياة فلم يعد يهتم .. ويقنع بما يعطيه الله إياه، فلما يقنع يتعلم درس الزهادة .. فأول شيء يرفض الشهوات فيتحرر، ولا يكون فيه الآن عبودية لا لمال ولا لنساء ولا جاه، و لا تعس عبد الدرهم و لا تعس عبد الخميصة و لا شيء من قبل هذا ، فيرفض الشهوات فيصير حراً و إذا تحرر القلب تخلص من آفاته ، و من أخطر آفاته الدفينة الحسد .. فيلقى الحسد فتظهر المحبة، وكأن المحبة في باطن القلب و عليها غلاف اسمه الحسد و النظر إلى الناس و الاهتمام بهم والدينيات .. و{.. أَهْوَاءٌ مِّنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِنَا ..} .. وهذه المعاني ، فإذا زال غلاف الحسد ظهر الحب الراسخ في الوجدان وفي الغريزة، فيزهد في كل فاني ، فبالتالي يستكمل العقل ، فيبقى هذا هو صاحب اللب و صاحب العقل الرزين ، فإذا رغب في كل شيء باقي، يعقل المعرفة بالله تبارك و تعالى.

و كأننا قلنا- سبحان الملك- نفس المعادلة التي كنا نقولها الآن : معرفة تؤدي إلى معرفة ، معرفة ستوصلنا إلى السكينة، المعرفة الأولى هذه ذكر وتفكر، ووصلنا في النهاية للمعرفة الأم التي نرجو الوصول لها::

معرفه الله تبارك و تعالى.

إذاً، أول سبب نتحقق به السكينة هو الذكر والفكر .. هذا الكلام الذي تناولناه هو الكلام

النظري ، كيف نحققه عمليا ؟

الكلام الذي ذكرناه توأ - ونحن نتحدث عن تكوين الحال - أول ما ذكرنا قلنا أيضاً، الذكر و الدعاء و التفكير في معاني الأسماء والصفات تحقق هذه المقامات ..

قلنا كيف ننفذها؟

{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}

[البقرة: 186]

استشعر القرب و استشعر المعاني ، انك تزيل حجب الغفلة وغيرها ، يلين لك قلبك و تنتزل عليك السكينة.

المفتاح الثاني: مفتاح الانكسار والتواضع .. تكلف ذلك حتى يصير الإنسان هكذا، انظروا إلى هذا

الحديث -وربما يمر هكذا وليس مشهور، لكنه مهم لأنه في الصحيحين و اللفظ في البخاري- قال أبو هريرة سمعت رسول الله **صلى الله عليه وسلم** يقول : " **الفخر والخيلاء في الفدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم، والإيمان يمان والحكمة يمانية**" [صحيح البخاري]

كلنا نحفظ آخر الحديث تقريباً، لكننا نقول طالما ذكر الفدادين و أهل الغنم إذن لا يخصني، لكن مغزاه يخصنا ..

ما هم الفدادين؟

الإمام النووي يقول: " **الفدادين بتشديد الدال جمع فداد، بدالين أولاهما مشددة، وهذا قول أهل الحدث**

واللغة" .. ما هو الفداد؟ .. " **هو الصوت الشديد ، بمعنى أن تعلق أصواتهم في إبلهم وخيلهم وحرثهم**" ..

وعلي سبيل المثال: أنت تجلس في مزرعتك أو شقتك أو سيارتك الموديل كذا، ووجدت أحدهم يُضيق عليك

فبدأ يعلو صوتك وتقول له: أنت لا تعرف بكم هذه السيارة ؟ أنت لن تغرم ما سأغرمه أنا في قطع غيرها

.. وكذا وكذا ، فأنت ترى نفسك في عز، عز السيارة وعز المسكن وعز المقام الذي أنت فيه، وكذا وكذا،

لذلك قال: **الفخر والخيلاء؛** لأن الكبر في الطبقات الارستقراطية موجود بكثرة - بدون أن نتأول و دون أن

نحاول الدخول في الحديث يمينا ويساراً، ونقول لا .. أبداً هذا يتعامل بأسلوب جيد لأنه يفهم أن الكبر ... -

ما زلت أردد أن الكبر ليس غمط الناس فقط، بل إن الكبر يمكن أن يكون في شخص اجتماعي جدا ويتحدث

جيداً، ولا يضع أنفه في السماء ولا شيء من هذا ، بل إنه شخص عادي ويحبه الناس ..

لكن .. أين بطر الحق ؟ أين أنك تتكلف هذه المعاني ، فأين وأين وأين ... ، لا تجده يتحقق ، و تظل تشرح له

أن هناك ما يسمى ضروريات و ما يسمى حاجيات و ما يسمى تحسينيات ، لماذا تشغل نفسك بهذه التحسينيات

كلها وتتعب قلبك بسببها ولماذا ولماذا ولماذا ؟ .. تجده في النهاية يقول لك لا أستطيع ، كل من حولي هكذا ومن

الصعب جدا أن أحقق هذا المعنى ، فتجده عنده الجزء الخاص به، والكل يقول نفس الكلام .. فمن غير استطراد

فيها ..

الشاهد:: أن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال إن الفخر و الخيلاء هذه تؤدي إلى كبر .. " **الفخر والخيلاء في**

الفدادين أهل الوبر" .. فهذا هو، أما أهل الغنم .. فَتَصَوَّرْ أن أحدهم يركب سيارة بتعبيرنا -سيارة 127 أو متواضعة - هذا الذي هو من أهل الغنم ، هذا المسكين من أهل العشوائيات ، هذا الذي يفترض أنه تحت الصفر، السكينة تنزل على هذا، هذا هو الحل للموضوع كله.

فالسكينة في أهل الغنم ، وقالوا لأجل ذلك رعى النبي صلى الله عليه وسلم الغنم ..

قال "وإنما خصَّ أهل الغنم بذلك؛ لأنهم غالبًا دون أهل الإبل في التوسعة والكثرة" .. فليس عندهم فخر أو خيلاء، بل تتحقق عندهم معاني الانكسار و التواضع ، هذا هو..

تريد أن تنزل عليك السكينة ؟

السكينة في هؤلاء .. في أهل الغنم، أي:

في المتواضعين، في المتواضعين، فيمن لا يرهو لهم وزناً ولا قيمة.

ولا هو يعتمد على مركز اجتماعي ولا على رصيد في بنك ولا على شقة في مكان محترم ولا على كذا وكذا .. إذا تحقق هذا المعنى .. إذا، تنزل السكينة.

السكينة تنزل ثالثاً ..

السبب الثالث: بجمع الشمل .. انظروا إلى هذا الحديث ، ربما تسمعه لأول مرة بهذا اللفظ، وسبحان الله

في الصحيحين واللفظ لمسلم، قال النبي صلى الله عليه وسلم "يَسْرُوا وَلَا تُعَسَّرُوا، وَسَكُنُوا وَلَا تُنْفَرُوا" [صحيح مسلم]

ما معنى يسروا ؟ .. أي: اصرفوا وجوه الناس إلى الله في الرغبة إليه، وردوهم في طلب الخواج إلى الله .. معنى جميل وقفت عليه في أحد الشروح

قالوا عن معنى التيسير .. أي اجعلوا الناس تحب الله ، اجعلوا الناس عندما يكون لديهم أي حاجة لا يطلبونها إلا من الله، و ردوهم في جميع أحوالهم على الله فإن اليسر كله عند الله.

قال تعالى {..يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ..} [البقرة: 185] .. وقال {..مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ

مِنْ حَرَجٍ .. { [المائدة: 6].

"و لا تُعَسِّرُوا" : أي لا تردوهم إلى المخلوقين في طلب الحوائج وقضائهم من عندهم، فإنهم محتاجون إلى مثل ما يُحتاج إليهم فيه .. هم أيضا محتاجين مثل الآخرين فكأنهم يتجادبون شيئاً بينهم، هل سأذهب إلى من هو في الأصل محتاج؟! .. فَيُعَسِّرْ عليكم وَيُعَسِّرْ عليكم الوصول لأنه في النهاية يوجد شيء ما لا أحد يستطيع أن يأخذه إلا من قبل الله تبارك وتعالى ، نفس الكلام الذي ذكرناه في بداية الدرس ، حين ذكرنا أن الخزائن كلها بيده سبحانه وتعالى.

"وَسَكِّنُوا" : تصديقاً لما ذكرنا بأن السكون هو الطمأنينة، والله عزَّ وجلَّ يقول {.. أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: 28] .. فلا يزال قلب المؤمن في اضطراب في نيل ما يرجوه، وكذلك ما يريده حتى يرد إلى الله .. فمعنى سَكِّنُوا: أي رُدوهم إلى الله فيسكن اضطراب قلوبهم ضرورة واختياراً .. ضرورة أي لن تجد غيره ، و اختياراً أن تعلم أن هذا طريقك وليس لك غيره، سَكِّنُوا أي تسكين القلب.

"وَلَا تُتَفَرَّوْا" : أي لا تفرقوهم في دلائهم على غير الله، وردوهم إلى من سواه، فإذا فعلتم ستفرق بهم المذاهب وتختلف عليهم المسالك والطرق .. فحينئذ تحدث الفرقة وحينئذ يكون الشتات ..

فالسكون يكون بجمع الشمل، وجمع الشمل يكون بأن تدروا الناس إلى الله،،

انظروا إلى المعنى، عجيب عجيب بمعنى الكلمة .. وسبحان الله، نُسيِت أن أذكر لكم المرجع لأنني أول مرة أرجع إليه في التفسير ..

عرفنا الآن ثلاثة أسباب أساس يتحقق بها معنى السكون ، عرفنا من خلال هذا الكلام كله أن:

- (1) **السكينة علامة رضا الله عن العبد ..** كما نصّت على ذلك الآيات،
- (2) **والسكينة سمة العلماء وصفة الأولياء ..** والمتشبه بهم إن شاء الله يكون في زمرةمهم ،
- (3) **والسكينة علامة اليقين وثقة المرء برب العالمين ..** وهي فيها طاعة لله وتآسي برسول الله **صلى الله عليه وسلم**،

- (4) والسكينة تثبت قلوب المؤمنين وتزيدهم ثقةً وإيماناً،
 (5) والسكينة تؤدي إلى الرضا بما قسم الله عز وجل، وتمنع من الغلو والشطط.
 (6) والسكينة عند معاملة الخلق تؤدي إلى اللطف في هذه المعاملة وتجلب المحبة وتشيع الألفة،
 (7) والسكينة تثمر الخشوع وتجلب الطمأنينة وتلبس صاحبها ثوب الوقار،
 (8) والسكينة تجعل صاحبها ينطق بالحكمة والصواب، وتحول بينه وبين اللغو والفحش وكل باطل،
 (9) وأخيراً، السكينة من الأمور التي تُسكّن الخائف وتسلّي الحزين والضّر .
 ولا تنسوا ما ذكرناه ابتداءً في فضائلها فهي:

(1) السكينة سمت الصالح

(2) السكينة لباس التقوى

(3) السكينة مغنم، هي غنيمة المؤمن الباردة

(4) السكينة هي اللطف الباطني

أسأله الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما جهلنا وأن يرزقنا هذا المقام العالني العالني، وأن يرزقنا السكينة والوقار والطمأنينة ..

وأن يجمعنا وإيماننا فنجي ظلمة عرست الرمن يوم لا ظلم إلا ظلمه ..

فستذبحون ما أقول ليجم و أفوض أمرني إلى الله ..

سبائك اللهم ربنا وبهدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فضيلة الشيخ / هاني حلمي

مناهاج

التعاقد بغير الله

فضيلة الشيخ

هاني حلمي



أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



الحمْد لله وحده وصلى الله وسلم وبارك على النبي المصطفى وآله المستجملين الشرفاء،

ثم أما بعد،،،

فأسأله الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علماً ينفعنا.

اللهم لا تجعل في قلوبنا غيباً إلا لك ولا تعلقاً إلا بك.

اللهم اجعل حبك إلينا من أنفسنا وأموالنا ومن الناس أجمعين.

اللهم أطق قلوبنا بربك حبك.

سبحانك اللهم ربنا وبمحمدك علي علمك بعد علمك،

سبحانك اللهم ربنا وبمحمدك علي عفوك بعد قدرتك.

كما قد ندرسنا على مدى المحاضرات السابقة الكلام حول معرفة الله تبارك وتعالى، وذكرنا أنه هناك علامات لهذه المعرفة.

من عرف الله لا بدَّ أن يكون فيه كذا وكذا من الصفات.

وقلنا أننا بدأناها من هنا لإعتماد:

أولاً: لكي يستكشف كلُّ منّا نفسه .. أي أن ..

كُلُّ يَدْعِي وَصِلاً بِلَيْلِي، وَلَيْلِي لَا تَقْرُ لَهُمْ بِنَاكَ .. الْجَمِيعُ يَقُولُ نَحْنُ نَدَبُ رَبِّنَا، نَحْنُ نَعْرِفُ رَبَّنَا.

وحتى لو لم تكن المعرفة القويّة جدّاً، لكن عندي مقدار من المعرفة أعيش به وهذا هو الذي يُرسِّخ معاني الإيمان في قلبي. حدود هذا الكلام ربما تكون غير واضحة...

وهذا هو المقصد الأساسي لسلسلة تعرّف:

إلى أيه وصلت من خلال صفات الناس الذين عرفوا الله سبحانه وتعالى؟؟؟

أنت تريد أن تعرف ربنا.. أنصف بهذه الصفة ..

أنت بالفعل قد وصلت لمرحلة جيدة فأعرف أيه أنت من الطريق حتى تستكمل الجوانب الناقصة عنده ..

هذا هو الموضوع .. تكلمنا في الدرس الثاني بعدما وضعنا الملامح العامّة لهذه الصفات (**صفات العارفين**) .. أخذنا في الدرس التالي (**العظمة والهيبة**) على أنّها أوّل هذه الصفات، ثم كان في الدرس الماضي الكلام عن (**السكينة**).

❁ واليوم، محو العلائق .. ❁

سَمِعَ قَالَ الشَّيْلِيُّ: "لَيْسَ لِعَارِفٍ عِلَاقَةٌ، وَلَا لِحَبِّ شَكْوَى، وَلَا لِعَبْدٍ دَعْوَى، وَلَا لِحَانَفٍ قِرَارٌ، وَلَا لِأَحَدٍ مِنَ اللَّهِ فِرَارٌ"

كلام جميل، ويحتاج إلى أن يفهم، نحن سنأخذ منه فقط الكلمة الأولى... العبارة الأولى

ليس لعارفٍ عِلَاقَةٌ

وإن كانت كل كلمة منها تحتاج إلى درس خاص.

ليس لعارفٍ عِلَاقَةٌ .. إذا القلب ليس مُتعلِّقٌ بسواه.

ولا لمحبي شكوى .. هو يقول العلامات، علامة العارف .. علامة من فهم .. علامة الذي بلغ المتزل ..

٢ ألا يكون في قلبه أدنى تعلُّق بسواه سبحانه وتعالى ..

والمحبّ لا تراه يشتكي، وهذا يتمشى مع كلام ذو التّون عندما تكلم عن أعلام الرضا فقال:

"أعلام الرضا ثلاثة:

(1) لا اختيار له قبل القضاء .. (2) فقدان المرارة بعد القضاء .. (3) وبيجان الحب في حشو البلاء"

وبيجان الحب في حشو البلاء .. معناه أنه وهو مُبتلى، لا تجده يشتكي .. يحبه .. هذا هو من يقول: **أحبه إليه، أحبه إليّ**

.. فيصعد لأعلى المنازل: **منزلة الرضا**. ولهذا يقول: **ولا محب شكوى ..**

ولا لعبدٍ دعوى .. لو أنا قائم بمقام العبودية إذاً لن أدعي، لن أعترض .. حتى يكون متمشياً مع الدّل والانكسار، الذي هو

معنى العبودية:

كمال الحب مع تمام الدّل والانكسار لله سبحانه وتعالى،

فلماذا سيدعي؟! .. أنا عبد .. لا وجه للاعتراض، ولا وجه للإدعاء، ولا وجه إلى أن يقول: أنا! .. من أنا؟ أنا عبد، فلا يدعي صفة ليست فيه،

ولهذا فإنّ العبد أبعد ما يكون عن اللب: يعتدّ لك لا يتكبر،

إنما من لديه هذه الدّعوى، ومن عنده رؤية النفس .. هذا هو الذي يدعي، فتجد عنده إشكاليات التعارض العقلي مع التصّ الشرعي .. فلسان حاله يقول: أنا لست مقتنع، هذا الأمر لا يستوعبه ذهني صراحةً، الموضوع ليس هكذا، يستحيل بأن يكون هكذا ... هذا هو .. وكلّ واحد له طريقته: فلو درس بعض العلم الشرعي، يستخدم علمه الشرعي في بضعة معلومات .. لو لم يكن لديه علم، ولديه نظر عقلي وثقافة .. سيقول: لا لا لا ..

هذا هو من يرى نفسه بعين ليست هي عين الازدراء وعين الاحتقار، وليست هي العين التي ينبغي أن ينظر

بها إلى نفسه .. هو لا يرى عيوب نفسه، إنما هو منشغل برؤية التّفنن ورؤية العمل والجانب الإيجابي الذي في حياته: هو ذكي،

هو عنده مهارة معينة، هو عنده بعض الإمكانيات الخاصة التي يتميز بها عن الآخرين ... **ولا لعبدٍ دعوى ..**

ولا لخائفٍ فرار .. لو تجده في الطريق محلّك سر لا يتقدّم، لا يقيم هذا القانون الذّهبي عند أهل السنّة: **أنّ الإيمان يزيد**

وينقص، فإنه لم يتركه فإنه ينقص. لو وجدته متوقف في الطريق، فإن هذا ليس خائفاً .. إنما الخائف طوال الوقت يتسائل: هل قبل أم حبط؟ راضٍ أم ساخط؟ .. مُنشغل بالخواتيم ..

همة العارفين بالخواتيم،

تجده مشغول بالخاتمة، بِمَ يُختم لي؟ .. تقول له ربنا يفتح عليك ما شاء الله لا قوة إلا بالله اليومين السابقين .. هلم وافعل كذا؟ تجده يقول: المهم أن يتقبل الله ... بِمَ يُختم لي؟ .. مُنشغل بهذا .. ولا لخائف فرار ..

ولا لأحدٍ من الله فرار .. { فَأَيَّنَ تَذْهَبُونَ } [التكوير: 26] .. { فَفِرُوا إِلَى اللَّهِ إِيَّايَ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ } (*) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِيَّايَ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ { [الذاريات: 50,51] .. وهذه مدخل الدرس ..

مدخل الدرس في هذه الآية:

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾

ما هي الألوهية؟ .. الله سبحانه وتعالى الإله أي: المعبود، المألوه المحبوب لذاته الذي يُدَلُّ ويُقاد إليه ويُخضع له سبحانه... جميل ... فعندما يقول: { فَفِرُوا إِلَى اللَّهِ .. } .. لا تدخل إلى طريق آخر، بل اجري في هذا الطريق وابتعد وفرّ؛ لأن هناك أشياء ستتمسك بك، هناك أشياء ستخطفك، هناك أشياء ستعلق بك، ستجد دنيا تسحبك، ستجد عمل، وزوجة، ومنصب، وهدف دنيوي، وبيئة محيطة تجذبك .. فيقول لك: { فَفِرُوا إِلَى اللَّهِ } .. ابتعد .. { .. إِيَّايَ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ } (*) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ .. } .. فكّ العلاتق؛ لأنه عندما يذكر كلمة "إله" فابحث مباشرة في هذا الحقل .. لأنه يتكلم عن قضية تمس **الذل وتمس الحب.**

فيقول لك: { .. وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ .. } .. إِيَّاكَ أَنْ تَحِبَّ أَحَدًا مِثْلَهُ .. إِيَّاكَ أَنْ تُعَلِّقَ قَلْبَكَ بِأَحَدٍ مِثْلِهِ .. إِيَّاكَ أَنْ تَذِلَّ لَشَهْوَةٍ أَوْ لِإِنْسَانٍ أَوْ لِأَيِّ شَيْءٍ ..

لا تذلة لأحد، لا تذلة إلا له.

{ .. وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ .. } .. هنا نبدأ من خلال هذه الآية عرض هذا الموضوع، الذي هو من أخطر الموضوعات التي على السالك إلى الله أن يعنى بها، ويعرف المراتق التي توقع الناس في شركها .. واليوم الجلسة مع ابن القيم في الغالب بل يعني تسعين في المائة، لأن ابن القيم فارس هذا الباب خاصة.

تعالوا نتأمل كلاص الإمام ابن القيم في بياح أهمية قضية التعلق بغير الله وخطورتها وأضرارها ..

قال الإمام ابن القيم في (الفوائد): "المطلب الأعلى موقف حصوله على شيئين .."

انتبه ... **المطلب الأعلى** .. ما هو مطلوبك؟ ما هو هدفك؟ .. يتكلم في قضية الهدف، متخصصي الإدارة ومن يتكلمون في قضية الهدف وهذا الكلام .. هذا هو... ابن القيم يقول: **المطلب الأعلى** .. الهدف الحقيقي الذي تعيش لأجله، متوقف على شيئين حتى تستطيع تحقيقه ..

همة عالية، ونية صحيحة، فمن فقدهما تعذّر عليه الوصول إليه.

يجب أن يكون عنده همة .. يجب أن يكون عنده القوة العملية، وفي نفس الوقت عنده القوة العلمية ..

وهذه القوة العلمية مه المفترض أن تنتج نية صحيحة.

وعنده قوة عملية، إرادة وعلو همة يدفعه للسَّير .. ومن ليس لديه الاثنين لن يصل، ويعيش في بحر التمني طول الوقت، يعيش في بحر التمني، ستجده طوال الوقت يقول لك: أنا أريد أن أصير .. أنا هذه السنة وضعت لنفسي ..، وهو لا يتحرك! فنيته إما أن تكون مدخولة .. فيها غش، أو همته فيها مشكلة. ولماذا فيها مشكلة؟ .. لأن هذه الهمة يكون لها بواعت، وهذه البواعث مرتبطة بقضية النية أيضاً:

ما هو المنشأ الإيمان الذي يحركني؟ ما هي النار والبركان الذي يتفجر بداخلي فيدفعني للتحرّك .. أريد أن أعمل شيء؟؟

لله فمه ليست عنده الهمة العالية، ومه ليست عنده التبية الصحيحة يستحيل أن يصل، سيظلّ يشاهد فقط!!

طوال الوقت يشاهد، ما أجمل الجنة .. لا يوجد أحلى من هذا ... يعيش بحر التمني ..

إن الهمة إذا كانت عالية، تعلّقت به وحده دون غيره ..

وهذا هو الشرط، وجاءك أحدهم وقال لك أن فلان مثلاً الحائز على جائزة كذا .. الأستاذ الدكتور كذا كذا كذا... هذا معناه أن هذا الرجل يعمل ومثابر ويعمل بالثمانية عشر ساعة ويعمل كذا، فبمصلحتنا هذا الإنسان عنده علو همة، قال: لا.

إن مصطلح علو الهمة وهذا مصطلح شرعي، لا يُطلق إلا على عمال الآخرة ..

الناس المُعلِّقة قلوبها بالسما، بينما الناس المتعلقة قلوبها بالدنيا لا يُسمى هذا بعلو همة .. فيجب أن يكون عندنا ضبط في المصطلحات.

يقول ابن القيم: **الهمة إذا كانت عالية ..** شرطها أن يكون القلب متعلّق بالله دون غيره، لا يرى غير هذا ..

وإذا كانت النية صحيحة سلك العبد الطريق الموصّل إليه ..

تأملوا هذه الكلمات وافهموها وكتبوها وانقشوها:

فالنِّيةُ تُفردُ له الطريق .. الذي هو الصراط المستقيم .. والهمة تُفردُ له المطلوب ..

نقول ثانية: **فالنِّيةُ تُفردُ له الطريق ..** فصاحبنا هذا لن يُشئت شمله، صاحبنا هذا لن يكون مُلتفت، لن يكون زانع القلب، لن يكون: { مُدْبِدِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ .. } [النساء: 143] .. الطريق واضح ... هو يركز فيه ... معاملة واضحة تماماً... يعرف كيف يمضي فيه .. تُفردُ له الطريق ..

{ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ .. } [الأنعام: 153]

إذا، النِّيةُ تقوم بهذه الأمور .. أن يكون عارفاً إلى أين يؤدي هذا الطريق ..

ولذلك ماذا ينوي؟؟ .. هو ينوي الجنة.

إلى أيه يتوصل طريقك؟؟ .. رؤية الله في الجنة.

ما هو أكبر مطلوبك؟ ما هو أكبر حلم تحلم به؟ .. أه يرضى ...

الطريق هنا .. ليسه لديه هنا وهناك.

كل شيء يُوظف لخدمة هدف حقيقي يعيش له .. هنا يا شباب كلنا نفع .. هنا الإشكالية كلها .. إمّا بتزيين الشيطان: أقول لك .. أنت منذ أن عملت في الوظيفة الفلانية تلك وأنت ضائع، وأحوالك الإيمانية ليست على ما يرام .. تقول لي: لا، المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف .. اليد العليا خير من اليد السفلى .. الكلام طيب ... ولكن هذا الغلاف الخارجي (السلوفان)... لكن أنت في داخلك عندك حظ نفس و ليس حق ربّ ..

والصراع الدامي بين العبد وبينه تلك العوائق والعلائق هنا:

حظّ النفس أو حقّ الربّ.

ماذا أريد؟؟ أريد أن أتزوج لأجلي .. أريد مالاً؛ لكي أعيش .. أريد أن أركب سيارة؛ لأرتاح ... أرتاح للراحة. الأخ يبدأ يقول لك: ليس لأجلي فقط يا شيخنا ... الموضوع ليس فقط هكذا ... أنا أريده أيضاً لأجل أن أوظفه لخدمة الآخرة .. فهل يُرى هذا في عملك!!! .. أمتلكنا السيارة وركبنا، وتزوجنا وأنجبنا وعملنا ..

ما شاء الله إذن هناك تقدّم في الطريق إلى الله عزّ وجلّ! .. ألم تكن تقول: لو أننا عرفنا نتعامل مع هذه العوائق والعلائق .. انتهى الأمر؟؟.. ماهو العائق الآن؟؟ العائق هو الشهوة .. أريد أن أعفّ نفسي... إذن أنت تزوجت لله أم لحظّ النفس؟؟ حظ النفس!

وأين تكون المشكلة؟؟ أنها لا تكون بالصورة الواضحة .. لا تعترف بأنها حظ نفس هكذا. لا يقول لك: من الآخر أريد أن أعيش. لا لا .. بل يزينها: أريد أن أعيش وفي نفس الوقت والله العظيم لكي لا أقع في المعاصي .. الاثنين سوياً .. من هنا يدخل ما هو المفروض أن يحدث؟؟؟

المفروض التجرد: تجريد النية .. يبدأ بنزع.

يعني هو ماض هكذا؟؟؟ لا .. بل يصمم على هدف، وكل ما يوسوس له الشيطان بشيء أو الواقع أو النفس تضغط عليه وتقول له يا حبيبي ليس هكذا!!! والله يا حبيبي أنت تخادع نفسك وأنت لا أدري ماذا!!!! .. لا .. هو طريقي هكذا. ولن أزيغ عنها تحت أي ظرف من الظروف وتحت أي ضغط من الضغوط ... لن يحدث. أنا أعيش لهذا.

ولذلك لا بدّ أن يعيش هذا الهدف ...

يعيشه في خياله... يعيشه بمحفزات. طوال الوقت:: "أنا أعيش للجنة" .. ولا أعرف ما هي الجنة ولا أحلم بالجنة؟؟؟! .. إذا، أنت تقول لي أن الصراط واضح وأن نيتك تُفرد لك الطريق؟؟؟ إذا، أنت غير متواصل .. هذا الجانب: جانب الحب والتعلق وجانب الرضا .. هذه المعاني.. تأخذها هكذا .. بشكل ذهني .. يعني تكتفي بسماع درس عنها .. تقرأ عنها كتاب .. وتعجبك جداً وتقول: يا الله هذه الأشياء جميلة جداً .. لكن لا تمارسها عملياً!!! إذا، أنت تخادع نفسك .. تعيشها فقط بالذهن ولا تعيشها بالواقع .. الحل::

أه أبدأ مه جديد وأصحب نيتي .. احتسب مه جديد وأجدد ..

"مازلت أصحح إسلامي" شيخ الاسلام .. نعم سأصحح إسلامي إلى أن أموت، وأنا أقول: دخل فيها حظ نفس" .. وأنا سأجاهد نفسي لكي لا تبقى هكذا، إلى أن أثبت بالتضحيات وبالبذل وبالمواقف أنه ليس لحظّ النفس وإنما لحقّ الربّ .. عندما يحدث هكذا، تكون النية صحيحة ويكون الصراط أمامك ..

أما المهمة فتُفرد له المطلوب .. ما الذي أريده؟؟؟ هذا في الطريق وهذا في آخر الطريق ..

النية تمهد الطريق والعمة تبلغ المطلوب ..

وتجعلك تركز في اتجاه واحد، وهو الانتهاء من هذه المهمة .. مثل أهل الدنيا: أنا عندي امتحان بعد شهر، فأنا هممتي متعلقة بهذا الشيء .. فأبدأ أركز فيه تركيز تام، وهذا الذي يستتبع النجاح ..

يقول: فالنية تفرد له الطريق .. الصراط المستقيم .. والمهمة تفرد له المطلوب ..

الله سبحانه وتعالى بين هذه القضية بوضوح وبجلاء .. قضية الدنيا: من كان همّه الدنيا ومن كان همّه الآخرة.

قال الله تعالى: { مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .. } [النساء: 134]

فعندما يتكلم الشيطان ويقول: لا لشيء فقط والله أنت تعرف ظروف الحياة والدنيا، أنا فعلا أريد الآخرة و لكن هي لن تأتي إلا بكذا .. يُقال لك : لا تدخلها من هنا .. لا تدخلها من طريق الدنيا. اطلبها منه ابتداء وهو سييسرها لك .. اجعل القلب متعلق بالآخرة، تأتيك الدنيا والآخرة .. " .. وأتته الدنيا وهي راغمة .." [رواه الترمذي وصححه الألباني] .. إنما من كان يريد ثواب الدنيا، إذا سيضيع عليه ثواب الآخرة.

فالله تعالى يذكره ويقول له عندي الاثنان لو طلبت شيء واحد فقط: اطلب الآخرة وسأعطيك الاثنان. اطلب الدنيا ربما تأخذ الدنيا، ولكن ليس لك في الآخرة من نصيب. وهذه هي الآية الأخرى ..

لما قال الله عز وجل { مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَرِذْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ

نَصِيبٍ } [الشورى: 20]

اختار .. القضية واضحة تماما { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ .. } [الإسراء: 18] .. و أيضا ما ستأخذه من الدنيا: يا ليت كل ما ستتمناه ستأخذه ... إذن أنت كأنك حظيت بما طلبت ... لا!!! سيعطيك ما سيقسمه لك ولن تأخذ كل شيء ويستحيل أن يكون أحد تمنى أشياء وأخذ كل شيء... يستحيل .. ليس هذا في سنة الله الكونية. .. لا بد أن يكون هناك أشياء تتطلبها ويحول بينك وبينها القدر ..

{ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا (*) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى

لَهَا سَعَىٰهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا } [الإسراء: 18, 19]

إِذَا، النية تفرد له الطريق .. العمة تفرد له المطلوب،،

قال ابن القيم "إذا توحد مطلوبه .." .. ما يسمونه بوحدة الهدف .. والتركيز على الهدف .. ووضوح الهدف .. ها هو الكلام .. هو نفسه .

"إذا توحد مطلوبه .. (هدفه) .. والطريق الموصلة إليه كان الوصول غايته، وإذا كانت همته سافلة تعلقت بالسفليات"

وهو ما يتحدث عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما يقول "إن الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرفها، ويكره سفاسفها"

[رواه الطبراني وصححه الألباني، صحيح الجامع (1890)]

عندما يكون قلبي متعلق بالدينيات انظروا لأين؟؟ لأسفل .. إذا هناك قانون الجاذبية ... ستجذب .. المفترض ألا يكون لجميع الجواذب الأرضية أي تأثير لها عليك، فأنت تطير .. انظر إلى الجاذبية الأرضية عندما تكون موجودة، أنت تسير على الأرض ..

إذا أردت أن تعلق في السماء، لابد أن تتخلص من قانون الجاذبية .. هذا هو .. كلما نظرت إلى أسفل، ستجذبك الجاذبية لأسفل .. وكلما كنت تحلق وتبتعد، لن تكون هذه الجاذبية موجودة .. فأنت تطير.

يقول: "إذا كانت همتك سافلة تعلقت بالسفليات ولم تتعلق بالمطلب الأعلى، وإذا كانت النية غير صحيحة كانت طريقته غير موصلة إليه".

إذاً، سينقطع الطريق .. طالما صار لدي أكثر من هدف .. اختلطت عندي الدنيا بالآخرة .. فتجده في النهاية لا يحصل لا هذه ولا هذه .. خسرت الدنيا والآخرة.

فمدار الشأن على همة العبد ونيته وهما مطلوبه.

المقدمة هذه كلها .. إلى أين يريد ابن القيم أن يصل؟؟؟

قال: "ولا يتم له .. أي أن تكون نيته صحيحة وأن تكون همتك عالية ... لا يتم له هذا الأمر إلا بثلاثة أشياء:

(1) ترك وهجر العوائد .. (العادات) تغيير العادات .. يقول ابن القيم أيضاً: "ما عادت الرسل شيئاً منلما عادت

العادات" .. عوائد الناس .. لأنه لماذا كذب؟؟ .. القانون الذي أسير عليه كله سيتغير الآن .. وتريد أن تفهمني أن أجدادي وآبائي كلهم كانوا على ضلالة؟؟؟ من الصعب جداً أن أُغَيِّر النظام من حولي .. فهذه العوائد ..

قال: "وهي تلك الرسوم والأوضاع التي أحدثها الناس".

هذه الأولى: هجر العوائد ..

(2) هجر العوائق، التي تعوقه عن إفراد مطلوبه وطريقه وقطعها .. العوائق وهي عائق الشيطان،

عائق النفس، عائق الدنيا الممثلة أمامه، عائق صحبة السوء الموجودة، عائق الشبهات، عائق الشهوات .. عوائق تعيقه عن إفراد مطلوبه، فتجده مشتمت .. أريد .. أريد .. لما لا ؟ يسمع كلمة تؤثر به وهكذا

(3) الثالثة وهي محل الشاهد: قطع علائق القلب التي تحول بينه وبين تجريد التعلق

بالمطلوب .. قالوا: ما الفرق بين الاثنين؟ ...

ما هو الفرق ما بينه العوائق والعلائق؟؟ ..

للـ قال: "العوائق هي الحوادث الخارجية، والعلائق هي التعلقات القلبية" ..

أتعرف أين المشكلة؟؟ يأتي يقول لك مثلاً: أنا مدمن إطلاق بصر .. أنا أعدت هذا الأمر .. يقولون لي هكذا بالهاتف: أنا

أعدت أن أدخل على الإنترنت على المواقع السيئة .. والله ليست شهوة .. عادة فقط. أنا أصبحت أقوم ادخل وأفعل كذا .. أصبحت عادة .. بالنسبة لي هذا شيء مألوف. أشعر أنني بعد فترة لو لم أفعل هذا الشيء يكون هناك خلل .. ممكن يكون ليس مؤثراً كشهوة ولكن قد تعودته .. فماذا أفعل في هذا الأمر ؟ .. هنا المشكلة .. هو يقول إنها عادة ولكنها عائق.

المشكلة أنه قد علق حب الذنب في القلب، فأصبح هناك مشكلة قلبية .. وأنا أقول في قضايا الشهوات: أن الكثير يخلو لها خطأ .. يحللها على أنها عوائق وهي عائق .. فعندما أقول له: لا تنظر .. يعني وأنت سائر في الطريق، كلما رأيت امرأة التفت للجهة الأخرى .. وأنتهى الموضوع يا حبيبي .. لماذا تصنع منها مشكلة؟؟

هذا هو الخارجي، الذي من الممكن أن يتحكم به بهذه الطريقة .. لكن القلبي؟ لذلك قلت: أن الله سبحانه وتعالى قال عن هذه القضية:

{قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} [النور: 30]

والمقام يقتضي اسمه البصير .. يعني ونحن سائرون تجده يقول لك: أنا أراك وأعرف ماذا تفعل، لو قال بصير يكون يتكلم عن عينك التي تنظر للحرام .. لا .. قال: **خبير مطلع على ما بداخل قلبك..** لأن ما بداخل قلبك هو من أعطى الأمر لك أن تنظر .. لما لا؟ ولما لا يكون؟ فأحب الذنب، فصار مرض بالقلب. ثم تأتي لتحل المشكلة ظاهرياً!! .. حتى لو قلت له ابتعد عن المثريات .. يبتعد عن المثريات .. ولكن يوجد شيء بالداخل يُشير ..

فيجب عندما أدوي، أن أدوي من الجهتين ..

أدوي العائق وأدوي العالق ..

إذن عواقب القلب ما هي؟؟؟ عرفنا التعريف:

"هي التعلقات القلبية" .. بماذا؟! .. قال: "بالمباحات" .. انظر إلى المصيبة .. العواقب مباحات؟! .. نعم ..

هو الآن زوجته، قره عينه، حبيبته ... هل هذه مشكلة؟؟ ... "في بضع أحدكم صدقة" ... "وفي في امرأتك صدقة" .. إنها تعبديات. يعني أقل ما فيها، إذا لم نتكلم في منزلة الوجوب أو منزلة الندب وتكلمنا في منزلة الإباحة، علاقة بشرية بين رجل وامرأة ليس فيها أي مشكلة .. لكن بالنسبة له زوجته كالصنم في قلبه .. من الممكن أن تكون هكذا .. والعكس، تكون متعلقة به تعلق شديد .. والتعلق الشديد له عدة أمور: غريزة امرأة ورجل، والجانب الثاني المجتمع .. لو هذه العلاقة سُرحت ستكون مصيبة، ومن ناحية ثالثة لو هو فكر أن يتزوج عليّ، سيكون لها مردود اجتماعي ومردود نفسي عليّ ... فتمسكة بهذه الناحية وتتعامل بطريقة مرضية خطأ .. تتعامل بطريقة خاطئة: فالتعلق مذموم ..

هو يستقبل الموضوع: يجدها مثلاً تتكلم بأناشيد الحب والغرام .. وهذا ليس صحيح؛ لأنه تعلق بغير، تعلق مذموم فهي لا تعطي

الحب الفطري الذي له حدوده ..

والعكس هي كل شيء في حياته .. ولو هي غير موجودة .. هو لن يعمل .. هو لن يتمكن من عبادة الله .. هي من يضبط كل شيء بالحياة .. وهذا لا يصح: هي لها مكان وهناك مشاعر وهناك أحاسيس وهناك علاقة بشرية لها حدودها .. ولكن ليس معناها أن تطغى عليك إلى أن تصل إلى هذا الأمر .. لا يعرف أن يتحرك، لا يعرف أن يأخذ قرار، لا يعرف أن يتحدى بعض الصعوبات بسبب هذا العائق .. انظر ماذا يقول ؟ ... تعلق قلبي هي بالنسبة له هكذا ..

وهكذا عمله: **هناك أناس عملها هو العائق ..** تأتي لتقول له تعال نعتكف .. هو يحب العمل .. والعمل بالنسبة له ممكن يكون نفس الأحكام، فيعمل عمل مباح ..

ابن القيم أتى من الأسفل تمامًا، لكي لا تقول أن هناك أي مشكله .. عمل مباح لم نقل شيء .. حتى هذا فهو مشكلة ..

من الممكن أن يتعلق بشخص .. صاحبه فلان .. يقول لك: عندما خرج فلان من حياته، ضاع ... لما كل هذا؟؟

تعلقان قلبية فاسدة .. فما بالك لو كاه هذا التعلق بحرام!؟

لو كانت هذه العلاقة حرام ..؟؟ أو لو كان متعلقاً بذنب فكيف ستكون ..؟؟ .. وهذا موجود بالقلب والله تعالى يطّلع على القلب، فيجد قلبك زائغ في هذه الأمور ..

قال: **"وأصل ذلك ..** اسمعوا لأن هذه العبارة كلها وهذه الفائدة تلخيص لكل شيء حتى أنه سيقول العلاج ونحن سنفصل .. يقول: **"وأصل ذلك ترك الفضول** - يقول هي لماذا تحدث؟ لأنه يزيد عن الحد .. وهذا ما كنت أقوله الآن على هذه الزوجة مع زوجها وهذا الزوج مع زوجته .. هناك إطار و هناك حقوق .. {..وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ..} [النساء: 19] .. وهناك **"إنما هو جنتك ونارك"** .. هناك إطار ..

ولكنه عندما نزيد عن الحد هنا تنقلب الأمور للضد ..

يقول: **"أصل ذلك ترك الفضول ..** لو أننا تركنا الزائد وهذا الإسراف، لما كان الموضوع هكذا .. **"وأصل ذلك ترك الفضول التي تشغل عن المقصود من الطعام والشراب والنمائم والخلطة"** .. التي هي مفسدات القلب ... **"فأخذ من ذلك ما يعينه على طلبه ويرفض منه ما يقطع عنه أو يضعف طلبه، والله المستعان"**.

فابن القيم يلخص لنا القصة ..

السبب الرئيسي في التعلق هو الإسراف ومجاوزة الحد

والعلاج يكون في الاعتدال

في أن يضبط هذا، ولكي يتمكن من ضبط هذا فيحتاج إلي تفصيل .. كيف أتمكن من الضبط وعدم الوقوع في الإسراف أو تجاوز للحد ..

قال في الفوائد أيضاً .. وهنا تُوَسَّع بالموضوع وسنقرؤها بدون استطراد في ذكر هذه الفائدة،

قال: "الوصول إلى المطلوب موقوف على هجر العوائد .. تغيير العادات .. وقطع العوائق"

كما تحدثنا ..

أولاً: العوائد ..

قال: "العوائد.. انظر إلى العادات، وهذه هي التفاصيل .. مثل ماذا؟؟؟"

السكون إلى الدعة والراحة

هو قد اعتاد هذا .. تأتي لتقول له: أنت تريد أن تصبح طالب علم؟ لا يُطلب العلم براحة الجسم فلا بد أن تغير من هذه العادات فلا بد أن تنام 6 ساعات .. أنا أنام 9 .. لا .. لا بد من تغيير هذه العادة .. لا بد أن تعود نفسك أن تجلس أمام الكتاب ولا تنهض من مكانك لمدة ساعتين .. أنا حركي .. لا أعرف .. لا... جرب هذه الملكة : ابدأ 10 دقائق انتهي فقط من هذه الصفحات وخذ بالثابرة بالمصابرة وسيجح الموضوع.

المهم عادته أين كانت؟ .. كانت في المباح: في السكون إلى الراحة والدعة.

وما ألفه الناس واعتادوه من الرسوم والأوضاع التي جعلوها بمنزلة الشرع المتبع، بل هي عندهم أعظم من الشرع

عُرِف بلدنا هكذا... لا يصح ..

فإنهم ينكرون على من خرج عنها وخالفها ما لا ينكرون على من خالف صريح الشرع ..

أنت تريد الناس أن تأكل وجهنا !... إنما لو جئت تقول لهم: الشرع يقول هكذا .. نريد أن نقيم عرساً، هذا العرس به مخالفات .. أنت تريد الناس أن تأكل وجهنا ! .. إذاً، لا يجوز أن نفعل كذا وكذا وكذا ... لا تتدخل أنت، لماذا بنت عمها جاءها كذا وكذا وبنت خالتها حصل لها كذا وكذا ... فيجعلونه أعظم من الشرع ..

وربما كفروه أو بدعوه وضللوه، أو هجروه وعاقبه لمخالفة تلك الرسوم، وأمانوا لها السنن، ونصبوها أنداداً للرسول يوالون

عليها ويعادون، فالمعروف عندهم ما وافقها والمنكر ما خالفها .

هذه في الرسوم والعادات ..

إذاً هناك سلطان، اسمه : سلطان العادات ..

وهذه الأوضاع والرسوم قد استولت على طوائف بني آدم من الملوك والولاة والفقهاء والصوفية والفقراء والمطوعين والعامّة. فربي فيها الصغير ونشأ عليها الكبير واتخذت سننا بل هي أعظم عند أصحابها من السنن، الواقف معها محبوس والمتقيد بها منقطع. عم بما المصاب، وهجر لأجلها السنة والكتاب. من استنصر بما فهو عند الله مخذول، ومن اقتدى بما دون كتاب الله وسنة رسوله فهو عند الله غير مقبول، وهذه أعظم الحجب والموانع بين العبد وبين النفوذ إلى الله ورسوله .

ثانياً: العوائق ..

وأما العوائق: فهي أنواع المخالفات ظاهرها وباطنها، فإنما تعوق القلب عن سيره إلى الله وتقطع عليه طريقه، وهي ثلاثة أمور : فيزول عائق الشرك بتجريد التوحيد ، وعائق البدعة بتحقيق السنة ، وعائق المعصية بتصحيح التوبة . وهذه العوائق لا تبين للعبد حتى يأخذ في أهبة السفر ويتحقق بالسير إلى الله والدار الآخرة . فحينئذ تظهر له هذه العوائق ويحسن بتعويقها له بحسب قوة سيره وتجرده للسفر، وإلا فما دام قاعدا لا يظهر له كوامنها وقواطعها. هنا التفصيل لقضية العوائق، قال: ..

أنواع العوائق ثلاثة:

(1) الشرك .. (2) البدعة .. (3) المعصية.

فيزول عائق الشرك: بتجريد التوحيد ، وعائق البدعة: بتحقيق السنّة ، وعائق المعصية: بتصحيح

التوبة .

وهذه العوائق لا تبين للعبد حتى يأخذ في أهبة السفر ..

طالما هو ساكن، لن يبين له شيء؛ لأنه لا يعمل .. فلا بد أن يتحرك ليراه .. عندما تتحرك سيظهر لك.

فَلَوْ أَنَّكَ تَتَدَرَكُ وَبَيْتَهُ لَكَ، فَلَا يَدْعُوكَ هَذَا لِأَنَّهُ تَلَبَّطَ.

فأحياناً عندما يتحرك قليلاً يقول: أنا عندي كبير؟ أنا عندي تلك الآفة !! .. هذا جيد، فقد بدأت بإثارة ما بداخلك، فبدأت

تظهر .. فلو انك جلست كما أنت .. محلك سر .. فإنه لن يبين لك شيء.

ثالثاً: العلائق ..

وأما العلائق: (محل الكلام) فهي كل ما تعلق به القلب دون الله ورسوله من ملاذ الدنيا وشهواتها ورياساتها وصحبة الناس والتعلق بهم، ولا سبيل له إلى قطع هذه الأمور الثلاثة ورفضه إلا ..

هذا علاج، نضمه على العلاج الذي ذكرناه في الفائدة السابقة .. ما هو العلاج بشكل عام؟ ... قال:

ولا سبيل له إلى قطع هذه الأمور الثلاثة ورفضه إلا: **بقوة التعلق بالمطلب الأعلى**، وإلا فقطعها عليه بدون تعلقه بمطلوبه **ممتنع**.

لا تحاول .. يعني لو دخلنا على الموضوع من طريق آخر: المعالجة آفة تلو آفة ..

يعني مثلاً أنت تحب الدنيا، أقول لك: ذم الدنيا وما فيها وو .. فتكرهها، لكن لو لم أضع لك في المقابل حب الرحمن، فإنك ستتعلق من ناحية أخرى .. تكون قطعت من هنا، وستوصله من ناحية أخرى .. هو هذه المرة فهم أنه حب الدنيا يعني المال فيقطع من هنا، ولكن سيتعلق بالجاه .. ستأتي و تفقل عليه هذا الطريق، سيتعلق بشيء ثاني .. سيتعلق بشيء ثالث .. سيتعلق بالناس.

فالقلب لا بد له من ما يتعلق بشيء، فلو لم تضعه على الصراط المستقيم وجعلته يهتدي هنا وجعلته متعلق بالرحمة، فله ينفذ.

يعني دواء كل من عنده آفات قلبية ومبتلى بحب أي أحد سوى الله عز وجل .. دواءه في: **ترياق الحب** بهذا المعنى ..

إذا، لا سبيل إلا بقوة التعلق بالمطلب الأعلى ..

وإلا فقطعها عليه بدون تعلقه بمطلوبه ممتنع. فإن النفس لا تترك مألوفها و محبوبها إلا محجوب ..

هي تحب كذا: أنت أحببت للدنيا .. لماذا أحببت هذه المرأة؟ لماذا تعلق قلبك بها؟؟ .. لماذا ترى أنه لا بد من أن تكون هي التي تكون في حياتك؟؟؟

أنت أحببتها لأنك رأيت فيها بعض الايجابيات .. فلا بد أن ترى الجانب الناقص هنا؛ لكي تتخلص من التعلق ..

وفي نفس الوقت يكون واضح لك الايجابيات الأخرى، التي لا سلبيات فيها حين يتعلق القلب بالحبوب سبحانه وتعالى.

المسألة هكذا .. أنا أتكلم نظري لكن سنتكلم تفصيلياً أكثر .. لأنني قلت أن القضية في أخطر ما يكون؛ لأنها ستحل مشاكل

كثيرة نحن نقع فيها ولا ندري ..

أخطار التعلق بغير الله

هيا لنرى قضية مدى خطر التعلق بغير الله، نحدد لهذا الكلام أربع أشياء ..

(1) التعلق بغير الله هو: أعظم مفسد للقلب

فيا من تقول لا أجد قلبي، اجث معي: قلبك مُعلق بمن؟؟؟ .. أنت تقول: أنا أدخل الصلاة ولا أجد قلب .. أنا أحاول منذ فترة طويلة جداً، أن أحفر معاني الإيمان في القلب ولا أجد الرّسوخ المطلوب .. أنا أتعلّم، والحمد لله متدين بشكل أو بآخر .. أنا أحاول أن أقدم شيء لديني .. أنا بفضل الله عزّ وجلّ مثلاً أقوم بكذا وكذا من الطاعات ..

لكن لا يوجد أثر!!

اجث عن أحد هذه المفسدات .. وهذا أخطرها: قلبك متعلق بمن؟؟؟

ودعنا لا نتكلم بالكلام النظري ولا أريد إجابات ارتجالية وإجابات عفوي الخاطر. بأن تقول: طبعاً كذا .. إمّا سلبيّاً أو إيجابياً .. أنا متعلق بالدنيا، فماذا سأفعل؟؟؟ .. لقد حاولت قبل ذلك ولم أستطع فعل شيء؟؟؟ .. أو على العكس: لا، كيف؟؟؟ هل هناك أعظم من ربنا بقلبي؟؟؟
لا .. فلنكن موضوعيين في التحليل.

قلبك متعلق بمن؟؟؟

انظر إلى نفسك: فيما بشرت زهتك؟؟ ما هو أكثر ما يشغل بالك؟؟ .. عندما تكون في خلوة، ما هو أكثر شيء يهجم

عليك؟؟؟ هل تكون مشغول طوال الوقت به؟؟؟

بالله، لو خلوت وقُطعت عنك هذه العوائق وهذه العلائق، هل تجد نفسك مُقبل على ربك وتريد أن تتحرك وتقبل عليه؟؟؟؟ .. هذه صفة صحة وخير، وإن كان الأمر يحتاج أن ينضبط أكثر وأكثر؛ لكي يكون التعلق أوثق .. لكن إن وجدت نفسك عندما تريد أن تنام، تفكر في مشاكلك اليومية والحياتية .. و.. و لا تستطيع أبداً أن تفكر بأي شيء آخر ... ممكن ما يؤزك شيء تكون مفرط فيه: يعني مثلاً: " ما هذا؟؟ أنا اليوم لم أقم بكذا وكذا... الأشياء الواجبة بحقك... يعني هناك من بالنسبة له قيام الليل هو شيء واجب، وهناك من يرى أنّها صلاة العشاء: أنا لم أصل بعد صلاة العشاء .. فهذه

ولابد أن يخلد هنا .. ألم تأخذ هذه؟! .. أليست تريد الدنيا ؟ .. إذا، اشبع بها .. ستكون العقب الذي سيدغك ويسمك ويتعبك ... أي أمر من أمور الدنيا.

انشغل بأن يركب سيارة بعدة ملايين ويكون ... لا أدري ... رقم واحد بمصر بكذا... وحين يركبها، يكون خائفًا من الحسد .. أنا أدخل بيوت الأغنياء والفقراء وأجد أول كلمة يكلمني في أمور أخرى: "تصور يا شيخ أنني أحسد على المرض. قلت له: ما هذا؟؟؟" .. قال لي: نعم فأنا الحمد لله ربنا ابتلاني ببلاء، فسافرت لندن وسافرت لأجل كذا وجاءني الكلام من الناس .. يا نهار أبيض... هو حتى عندما يمرضوا يسافرون إلى الخارج، حتى هذه محاولة. أما نحن حين نمرض لن نجد ... فكيف يعيش؟؟؟ مرعوب ... لا يريد أن يدخل بيته أحد ... لأنه عندما دخل بيتي فلان .. حدثت مشاكل ..

أيه النعمة؟؟ أيه الإحساس ببهجة النعمة؟؟ ..

فالنعمة تظهر بعيون الناس .. إذا، أنا أركب السيارة ومرتاح فيها و لكن فعلا عندما يأتي أحدهم ويقول لي: ما هذا؟؟؟ هذا وهم!!! وهم. فلما شعرت بالنعمة، اقول له: لا انت لم ترى كل شيء، فهي تفعل كذا وكذا وانظر سأفتح لك السقف وشاهد الآن .. وأنا هكذا أكون أحسست بالنعمة، ولكن إذا أتى ونظر لي فيها لا أدري كيف؟؟؟ لا أستطيع الاستمتاع بها .. طوال الوقت لا أريد أن يراي بها أحد.

و أي أمر من أمور الدنيا بنفس هذا الأمر ... عندما تزوج فلانة ... يا الله .. يقولون عن فلان كذا ! .. تحصل مشكلة بينه وبين زوجته فيقول: أرايت لقد حسدت .. لا يستطيع الاستمتاع بالنعمة .. فهو طوال الوقت .. يقول لها: لا تقولي لأحد أننا سنذهب إلى المكان الفلاني ... لا تفعلي كذا ولا تسوي كذا .. فتجدهم مُقيدين: هذا المهم لا يتركني أعيش على راحتي .. هو القصة هنا فيتعذب بجنس النعمة ..

"ولا إلى ما أمله ممن تعلق به وصل"

وهذه هي المشكلة .. أحد المليارديرات كان يقول: كانت ثروتي في الوقت الذي كانت ميزانية مصر ستة مليار كانت شركاتي واصلة لحوالي مليار و300 مليون .. انظر إلى ضخامة المبلغ .. وكان يقول: والله العظيم ما كنت أستطيع أن أنام، كل حين تأتيني مكالمة: أخذوها؟؟؟ حصل كذا؟؟؟ لا أستطيع أن أنام ..

"ولا إلى ما أمله ممن تعلق به وصل"

وأنت تقول هو فقط لم يعرف كيف يعيش حياته!!! معه مليار ولا يستطيع أن يعيش؟؟؟ .. هكذا هي المشكلة .

قال الله تعالى {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} (*) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا} [مريم: 81,82]

وقد قلنا أنّ كلمة الاله بمعنى أهم أحبوا شيئا وذلّوا وخضعوا لشيء فعبدوه من دون الله .. وأن العبودية لا تقتصر على السجود لصنم ولا أن يعبد شمس وقمر .. النبي **صلى الله عليه وسلم** قال "تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الحميصه .." [صححه الألباني، الإيمان لابن تيمية]

قال الله {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ} (*) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ} [يس: 74,75]

"فأعظم الناس خذلاناً، من تعلق بغير الله فإن مافاته من مصالحه وسعادته وفلاحه أعظم مما حصل له من تعلق به وهو معرض للزوال والفوات" .. من أمور الدنيا .. ثم قال ابن القيم "ومثل المتعلق بغير الله: كمثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت أو هن البيوت"

يعنى من تعلق بغير الله سبحانه وتعالى، كأنه .. حتى يحمى نفسه من هذه العوامل الخارجية –أنا أريد أن أعيش و حتى لا أمرض يجب أن يكون عندي مال كثير من الآن – كأنه بالضبط: كمن لاذ بمن لا ينفعه .. كمن استظل ببيت العنكبوت الذى هو أو هن البيوت ..

قال "وبالجملة : فأساس الشرك وقاعدته التي بنى عليها : التعلق بغير الله ولصاحبه الذم والخذلان كما قال الرحمن:

{ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا } [الإسراء: 22]"

خذوها أيضاً قاعدة :

إذا تولت عنك أسباب التوفيق ← فاجت في تعلقات القلب الفاسدة

أنا غير موفق، كل ما فعلت شيء لا أوفق. فكّر في هذا الموضوع!!!

أعظم أسباب الخذلان؛ لأنه ذكر هنا معنى الخذلان .. {.. فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا} .. لماذا؟ لأن قلبك متعلق بغيره ..

فانظر فيما أنت مخذول وافهم أن هنا توجد نقطة معينة فيها تعلق مذموم سبب لك هذا الخذلان ..

أولاً: التعلق بغير الله أعظم مفسد من مفسدات القلب ..

(2) التعلق بغير الله: أصل للمعاصي

كما قلنا قاعدة الشرك وأنه أكثر شيء يفسد عليك قلبك وقيم قلبك .. ثانياً إذا أردت أن تعرف مصدر المعصية، لم تفعل هذه المعصية؟؟؟ .. ففكر في هذا المدخل ..

يقول ابن القيم في (الفوائد):

أصول المعاصي كلها، كبارها وصغارها، ثلاثة :

1) تعلق القلب بغير الله .. 2) وطاعة القوة الغضبية ... 3) والقوة الشهوانية،

فكر معي في أي معصية وقعت فيها ..

1) تعلق القلب بغير الله .. وهنا يدخل موضوع الشبهات، لأن المدخل الثاني: العلماء قالوا: أن أصول المعاصي من

الشهات أو الشهوات. هذه وجهة وهذه وجهة تتماشى معها، لكن ابن القيم فصلها هنا بعض الشيء .. قال: تعلق القلب بغير الله ..

2) طاعة القوة الغضبية .. بسبب الغضب، يجور و يظلم و يتعدى ..

3) والقوة الشهوانية .. فيقع في الفواحش وفي الفجور و وو

قال وهي لو ستذكرها كأمثلة للمعاصي:

تعلق القلب بغير الله: شرك.. القوة الغضبية: ظلم.. القوة الشهوانية: الفواحش ..

"فغاية التعلق بغير الله شرك وأن يدعى معه إله آخر. وغاية طاعة القوة الغضبية القتل. وغاية طاعة القوة الشهوانية الزنا .

ولهذا جمع الله سبحانه وتعالى بين الثلاثة في قوله :

{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا} [الفرقان:

" [68

هذه الآية جمعت أصول المعاصي .. وأنت دائماً تعالج بشكل خاطيء .. عندما تتوب تتوب من السطح .. من أعلى: مثلاً تقلع عن إطلاق البصر، لا تدخل على هذا الموقع، لا تكذب، لا تغش .. إذا أردت أن تعالج بشكل صحيح، اعمل على الأصول .. بأن تعرف كيف تروض هذه الطاقات سواء الغضبية أو الشهوانية وتعرف كيف تعلق القلب بالله تبارك وتعالى .. نكون حللنا المشكلة بأكملها.

3) التعلق بغير الله: سبب العذاب .. فهو سبب ضحك العيش والاضطرابات النفسية

سأقول لكم كلام ذكره بعض الأخصائيين النفسيين، عن هذا المعنى بالضبط. لكن الرجل عنده وجهة نظر أو فكرة بالعلوم الشرعية، فلذلك سيقول بالضبط الكلام الذي ذكره العلماء ..

يقول ابن القيم: "وقد قضى الله تعالى قضاء لا يرد ولا يدفع .. سنّة كونية .. أن من أحب شيئاً سواه، غُذِبَ به ولا بد"

فيا مه جرحت في العلاقات العاطفية والعلاقات البشرية وفيما شابه: احرف أنّ هذا هو السبب ..

لله عذاب مه الله لالتفات القلوب عه المحبوب ..

تنظر إلى فلان أو علّانه؟ هؤلاء هم؟ اشبع بهم ودعهم ينفوك.

و في (إغاثة اللهفان) .. الكلام قاله في أكثر من موضع ومهم جداً:

"إن تعلق العبد بما سوى الله تعالى مَصْرّة عليه إذا أخذ منه .. نفس الكلام الذي افترضنا به الدرس، أن السبب الأساس أين؟

التعلق هذا يأتي بالإسراف .. إذا أخذ منه فوق القدر الزائد على حاجته .."

مادام معتدل في المسألة لا يوجد تعلّقات، وهو هكذا في الإطار الخدود له شرعاً .. ما أن يتجاوز ويريد التوسع في المباحات ويظن أنها ليست بشيء، يقع في هذه العقوبة ..

يقول: "فإذا أخذ منه فوق القدر الزائد على حاجته، غير مستعين به على طاعته. فإذا نال من الطعام والشراب والنكاح واللباس

فوق حاجته ضرّه ذلك .."

ويا ليت شباب المسلمين يفهموا هذا الكلام ويا ليت المسلمين عامة يفهموا هذا الكلام: أنّه من الممكن مليس .. مليس !! ماذا فيها؟؟ ما العيب في أن يكون لأحدنا شيء جميل وأنا أحبّ أن يكون عندي مال، أقتني به أحدث الصيحات .. هل في هذا الأمر مشكلة؟ هذا حرام يا شباب؟ هل ستحرمون علينا حياتنا لماذا يا شباب؟

نعم: **الزائد عن الحد** .. طوال الوقت يريد هذه وهذه .. أنا أرى الشباب هكذا، وأنا نفسي أتخيل أن هذه ممكن تكون آخر الأمور التي يمكن أن تفسد على الناس حياتهم .. لكن عندما تحتك بأحد كان من الأصل عنده هذه العادة وكان يتميز بها أمام الناس كلها، حتّى عندما ينتقل إلى الالتزام تجد الشكاوى تأتي من بيته: يا جماعة إنّه يسرف إسراف غير طبيعي. الملبس عنده مشكلة ويجب أن يلبس الماركة الفلانية وإلا فسيكون في كرب واكتئاب ومن الممكن أن يُهمل في العبادة ويفعل كذا، لأنه لا يقدر أن يتنفس في شهوته ثم يقول: أهو حرام!؟

هناك أناس عندهم نفس الكلام في الأكل والشرب: أمور مباحة. فهو إذا لم يفعل كذا فهو لا يعيش، ولو لم يدخل الخلل الفلاني ولم يأكل كلّ شهر طعام شهوي من الأطعمة المحترمة .. لو لم يفعل كذا وكذا يشعر أنه لا يعيش. لو أكل أي أكل وشرب أي شرب:

ما هذا؟ فلماذا نعيش؟ هو يعيش ليعتدق ثم يقول: أنا لا أزي .. أحرام لو ألبس لبس حلو واكل أكلة نظيفة، هل هذه مشكلة؟ أنا لا أزن! ... وعندما يتزوج تجده مسرف جدًا في الاستمتاع بزوجه .. والدنيا كلها يقضيها هكذا وتجده مهموم ومستاء لأنه لا يستطيع أن يعيش حياته بهذه الطريقة، وسبحان الله .. الله تعالى يقضي بقضائه أنه مهما يفعل، لا بد أن يجد البذرة في الثمرة ..

اعمل ما تشاء، سيأتي عليك أوقات عذر ماذا ستفعل؟ .. اضرب رأسك في الحائط ..

هذه حكمة ربنا حتى لا تتعلق .. ما تستمتع به هو نفسه محل النجس، ماذا تريد أكثر من هذا؟؟ ألا تستشعرون لماذا وضعها الشرع هكذا؟؟؟

حتى لا يتعلق القلب بسواه .. هذا هو سواه الذي يتوجع قلبك من أجله وهذا آخرها .. هذا النوع من التفكير هو من الأمور التي تجعل هذه الأشياء تختفي ..

يقول: "فإذا نال من الطعام والشراب والنكاح واللباس فوق حاجته ضره ذلك، ولو أحب سوى الله ما أحب فلابد أن يُسلبه .."

← هذا شيء آخر في العلاج ← أحب من شئت فإنك مفارقه..

سيتركك لا محالة.. والملبس الحلو سيذوب أو أن صيحتته ستنتهي، فأنت ممكن تتكلف فيه أموال كثيرة وستستمتع به لحظة وانتهى الأمر. لا ينفع أن يبقى معك طول الوقت. والزوجة ستكبر والأمور ستتغير، والسيارة التي تركبها نوعها سيقدم والدنيا كلها إلى زوال .. أحب من شئت فإنك مفارقه ..

"فإن أحب لغير الله فلا بد أن تضره محبته ويُعذب بمحبته، إما في الدنيا وإما في الآخرة والغالب أن يعذب به في الدارين"

تكون نعمة وتقلب إلى نقمة .. {..لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد} [إبراهيم: 7]

كانت نعمة: نعم المال الصالح للعبد الصالح... و انقلبت الأموال وأصبحت القاطع بينه وبين الله؛ لأنه يريد أن يعيش ويريد أن ينفقها في كذا أو تكبر بها .. أو يقول: هؤلاء الناس لا يفهمون أم ماذا؟؟ أنا أجلس مع هؤلاء الفقراء !!! .. وفي نفسه وجدت هذه المعاني ... وما شابه .. هو تزوجها وكانت نعم المرأة الصالحة، ثم بعد ذلك فتنوا كليهما .. ثم بعد ذلك أوقع الواحد منهم الآخر، وبعد قليل صارت نقمة عليه وصار سبب النكد والحزن والكرب كله من داخل البيت وصار أكبر قاطع .. هذه الدنياويات .. اسمعوا الأدلة على ذلك:

قال الله تعالى {.. وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي

نَارِ جَهَنَّمَ فُكُورًا بِهَا بِيَاهُهَا وَجُثُوبُهَامْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ} [التوبة: 34,35]

يقول تعالى {فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..} [التوبة: 55]

ابنك يكون أكبر عذاب بالنسبة لك .. نفس القانون: يتعامل معه على أي منطلق .. يريبه لأنه هو الذي سيكمل؛ لأجل هذه الثروة ... من سيأخذها؟؟ .. أعطيتها لفلان أو علان؟؟ .. أريده لي أنا .. فيريته لنفسه ... لذلك يُعذَّب به: يصير الولد عاق أو يصير الولد منحرف سلوكياً في كذا .. {لِيُعَذَّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة: 55]

إذا من أبلغ العذاب أن يتعلق القلب بغير الله، فيكون من جراء ذلك : تشتت الشمل .. اسمعوا أنواع العذاب ..

أنواع العذاب:

"تشتت الشمل وتفريق القلب وكون الفقر نصب عيني العبد لا يفارقه .."

... طول الوقت يقول لك: والله ويُقسم لك ... تقول : أنت تخزي الشيطان وتخزي الحسد؟؟ .. ويقول لك : والله.. أنت تحسب أي كذا وكذا وكذا؟؟ أنا أريد و محتاج وأشعر أن طول الوقت تنقصني أشياء... وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي وصححه الألباني : "من كانت الآخرة هممه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا هممه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأتها من الدنيا إلا ما قدر له " [رواه الترمذي وصححه الألباني]

إذا :

"تشتت الشمل، تفريق القلب، يكون الفقر نصب عيني العبد لا يفارقه ولولا سكرة عشاق الدنيا مجَّها لاستغاثوا من العذاب"

الدنيا خمر ... فأنت طوال ما أنت مخمور وسكران وتحيا، فتشعر أنك بخير .. ولكن من داخله هو يشعر بهذه المعاني .. بالفعل السكارى هكذا .. غالب من يشربون هذه الأمور، مشكلته الأساسية: أريد أن أنسى .. أريد أن أغيب عن الوعي .. لم تريد أن تفقد الوعي؟؟ .. أريد أن أكون سعيداً ... ولم لست سعيداً؟؟ .. ما كل الأمور التي حولك جيدة ... لم تشرب هذا؟؟ لم؟؟؟؟ ... لأعيش سعادة أخرى .. أنت لو كنت تعيش السعادة الحقيقية لم تكن لتتحيا لهذا ... غياب عن الوعي ... وفي غياب عن الوعي، يبدأ يزيّن لنفسه الأمور ... لكن هذه سعادة حقيقية أم سعادة مزعومة وموهومة؟؟ ..

"لاستغاثوا من هذا العذاب على أن أكثرهم لا يزال يشكو ويصرخ منه، وهذا مصداقه قول النبي صلى الله عليه وسلم "إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم، تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإن لا تفعل ملأت يديك شغلاً ولم أسد فقرك" [رواه الترمذي وأحمد وصححه الشيخ الألباني] .. هذه أنواع العذاب.

أيضاً من أنواع العذاب : اشتغال القلب والبدن بتحمل أنكاد الدنيا ومحاربة أهلها ومقاساة معادتهم .

قال بعض السلف: من أحب الدنيا فليوطن نفسه على تحمل المصائب،

علامات مُحب الدنيا:

ومحبّ الدنيا لا ينفك من ثلاث: همّ لازم، تعبٌ دائم، حسرة لا تنقضي ...

همّ لازم، تعب دائم، وحسرة لا تنقضي .. لماذا؟!!

قال: "لأنّ محبها لا ينال منها شيئاً إلا طمحت نفسه إلى ما هو فوق .."

أخذ هذه يريد ما فوقها .. يريد هذه فيريد ما فوقها ... فيظل يجري يجري .. يلهث يلهث يلهث و لا يبلغ ...

"لو كان لابن آدم واديان من مال لا ابتغى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب" [متفق عليه] .. كما

في الحديث الذي في الصحيحين ..

ومثّل عيسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - محب الدنيا بشارب الخمر كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً.

وكتب الحسن البصري .. اسمعوا هذا الكلام لأنه كلام جيد جداً ودقيق جداً ويصب صباً في المقصود، ولكن هو كلام فيه بعض

الطول ولكن اسمعوه و انقشوه على القلب ... اسمع ما سيقول الحسن لعمر بن عبد العزيز ..

قال: "إن الدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة .. هي إلى زوال دار غربة .. إنما أنزل إليها آدم عليه السلام عقوبة فاحذر يا أمير

المؤمنين، فإن الزاد منها تركها والغنى فيها فقرها .. لها في كل حين فتيل تذلل من أعزها وتفقر من جمعها، هي كالسم يأكله من لا

يعرفه وهو حثفه، فكن فيها كالداوي جراحه يجتمى قليلاً مخافة ما يكره طويلاً .. ابتعد عنها كأنك في فترة النقاهة؛ لتتقي أن

تصيبك بلوائها .. ويصبر على شدة الدواء، مخافة طول البلاء .. فاحذر هذه الدار الغرارة ..

تغرّ، تغرّ، ثم تمر ..

.. الخدّاعة ..

كانوا يسمونها السحارة: تسحر أعين الصّالحين ... حلوة خضرة .. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ..

.. الخيالة ..

تجعل الواحد يعيش في خيالات وأوهام ..

التي قد تزيت بخدعها ..

زينة إبليس، حتى إذا غسلت وجهها، تبين إنما قبيحة ..

التي قد تزيت بخدعها وفتت بغرورها وختلت بآمالها وتشوفت لخطابها، فأصبحت كالعروس المجلوة ..

عندما أغلق عليهما الباب ظهر الأمر على حقيقته ..

فالعيون إليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لأزواجها كلهم قاتلة .. فعاشق لها قد ظفر منها بجأته فاغتر وطفى ونسى المعاد .. فشغل بما له حتى زلت عنها قدمه، فعظمت عليها ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت وألمه وحسرات الفوت ..

هذا واحد عشقها فانظر ماذا فعلت فيه

وعاشق لم ينل منها بغيته، فعاش بغضته وذهب بكمده ولم يدرك منها ما طلب ولم تسترح نفسه من التعب فخرج بغير زاد ..

وواحد آخر كان يريد ويريد ويريد ولم يأخذ منها شيئاً: فالذي أخذ، ماذا فعلت به؟؟؟ .. والذي لم يأخذ ماذا فعلت به؟؟؟

فخرج بغير زاد، وقدم على غير مهاد، فكن أسراً تكون فيها، احذر ما تكون لها ..

خف منها جداً وابتعد عنها وحاول أن تتخفى منها ...

سرورها مشوب بالحزن، أمانها كاذبة، آمالها باطلة، صفوها كدر، عيشها نكد ..

ماذا تريد أكثر من هذا؟؟؟ أنا قد اشأززت والله!! هذا يكفي!!! هذه هي الدنيا .. يعني يُقال لك: "ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم" [رواه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني] .. ولا فائدة!.

يُقال لك أن النبي **صلى الله عليك وسلم** مر بجدي أسك ميت . قال "أيكم يجب أن هذا له بدرهم؟"، فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، قال: "فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم" [رواه مسلم]

وأقول لكم انظروا كم هي قبيحة وكم هي منتنة وكم تُشبهه بالجيف القدرة!!! وهذه الجيف القدرة في قلبك و تسكت؟؟؟ ..

فإن القليل من الأموال الثائرة هي هذه الجيفة القدرة التي في القلب .. مه أجل ذلك يأبى القلب أن ينظف؛ لأن فيه نجاسات .. فاستشعر من كل هذا اللام أنما شيء نجس، شيء لا ينبغي أن تطمحل له، ولا أن تتعلق به.

إذاً، من تعلق بغير الله عذب .. انظروا الآن إلى كلام الطبيب النفساني يقول "و بحكم عملي جاءتني حالات كثيرة. وللأسف شبان وشابات متعيين نفسياً. فتجد أحداً تعلق بالآخر، والآخر تركه - الصدمات العاطفية المعروفة - أو يصبح لا يعيره اهتماماً .. أحببته يا دكتور وفعلت له وسويت له ... وفي النهاية، التذلل تركني وأهملني ولا يريد الرد على مكالماتي الهاتفية! .. فيظن الشاب أو الشابة أنه سحره أو عمل له عمل - أنه هناك من سحره.. نحن كنا نحب بعضنا البعض جداً !! لا!! أكيد فلانة دخلت في الموضوع لأنها كانت تريده لها- ويظن ذلك أنه سحر أو عمل له عمل فتركه. بينما هو مرض نفسي بسبب **التعلق بغير الله** - هذا الرجل يتكلم بحكم التخصص النفسي، ماذا يقول؟؟؟- فيصاب بنوع من أنواع الاكتئاب فتجده-المتعلق بغير الله - مُنطوي، لا يأكل، يكره أهله، تجده دائماً متضايق، ولا يعلم أين يذهب، كثير التفكير بمن تعلق به، دائماً حزين، قليل النوم جداً،

به أرق: و هذه عقوبة من الله .. يقول: والدليل أنك تجد أناساً مات لهم أقرب الأقباء فيحزن ويصبر ويحتسب، و لا يُصاب بمرض نفسي. ومن هنا اعلّموا أنّ ما بُني على باطل فهو باطل، والنهية مأساوية، وأنّ الشخص الذي بنيت معه محبة ليست في الله، ستتغيّر عليك يوماً من الأيام، وبعد أن يُوقعك بمتاعب أو بحصول حالات ابتزاز منه، فمهما تظاهر بصدقه أو وجدت شيئاً من حلو لسانه، أو أخلاقه التي يصطنع،

لا تغتدّ فالشيطانُ بزَيِّه.

فالتعلُّق بغير الله عذابٌ عذاب.

أخيراً، في أضراره،

(4) التعلُّق بغير الله:: يطمس الفكرة ..

فإنّ بداية العلاج فكرة .. بداية العلاج ما هي؟؟ أمران، لو تذكّرتُم معادلة العلاج و..

معادلة التغيير:

شحن + فكرة + عمل وتطبيق + استمرارية.

من يتبع هذه المراحل الأربع يتغيّر. لو لم يكن هناك هذا الأمر: لم يكن لديه فكرة كيف يتغيّر، وكيف يتوب، ماذا سيفعل؟؟ .. لو دماغه تأخذه إلى طريق آخر، سيكون هناك دائماً خطأ في قضية التوبة والتغيير؛ لأنّه لم يبنها على أساس عقلائي صحيح، ولم يضع الخطة التي يتبعها. فهذه الفكرة خطيرة جداً: وهنا تكمن القضية.

في مدارج .. لمن يعرفون، تعلمون ما هي أول منزلة؟؟ .. **منزلة البيقظة ...** أول شيء: الشحن وهو التيقُّظ .. فتجده فجأة انتبه .. ماهذا؟؟ .. كيف أفعل كذا؟؟ .. فتجده بدأ يستشعر الخطر ... تيقُّظ وانتبه .. ف يريد أن يتحرّك: أريد أن أتوب؟؟ ماذا أفعل؟؟ أصلي؟؟ أذهب إلى العمرة؟؟ فتقول له: لا لا !!! المسألة فيها منهج .. وهذا المنهج .. انتبه .. فيه تدرّج معيّن: أن تبدأ بالواجبات ثمّ كذا ثمّ كذا .. فهناك منهج ولا بدّ أن تكون هناك فكرة ..

هنا يقول ابن القيم: "وإنما تُجتنى ثمرة الفكرة بثلاث أشياء .. تريده أن يفكر بطريقة صحيحة ويصل ..

بقصر الأمل، والتأمل في القرآن، وقلة الخلطة والتمني والتعلُّق بغير الله والشبع والنام"

يعني أن قصر الأمل والتأمل في القرآن وتجنّب مفسدات القلب الخمس، تجعله يفكر بطريقة صحيحة .. فقصر الأمل سيجعله

ينشغل بالمطلوب، الدار الآخرة .. والقرآن سيرسم له المنهاج والطريق .. وتجتب مفسدات القلب، ستصح له هذا القلب وقد قلنا أن البداية من هنا: التصديق بالجنان. فالإيمان ليس فقط قناعة عقلية وإنما هو تطبيق قلبي..وليحصل هذا الأمر، التعلق يكون بالله سبحانه و تعالى حتى يكون الفكر مسدداً ..

العلاج

العلاج في نقاط سريعة جداً، ثم بعد ذلك نفصلها لأن الوقت اتسع بما فيه عرض الظاهرة .. ماهو الأمر الذي يبلغنا أن يتعلق القلب به؟؟ ما سمعته إلى الآن، وربما شعرت أن لديك هذه المشكلة ... لو أنت شعرت بهذه المشكلة ..

فالدواء الأول هو: المعرفة

كيف تكون هذه المعرفة؟؟؟ كيف تثمر هذه المعرفة التعلق الواجب؟؟؟

فلنأت بما من العكس!!!

لماذا تعلقت بغيره؟؟؟ ما هي الإيجابيات التي وجدتها في غيره؟؟؟

يسعدني .. يهنيي ... أشعر بالراحة ... أطمح من وراء هذا الأمر إلى التميز ... المال يجعلني أشعر أنه من معه قرشاً يساوي قرش...فبالتالي أنا أرى الجانب الإيجابي له ..وأنا أتيتك الآن بالجانب السلبي؛ لتعلم أن ما تشغل به نفسك زينة ثمحي .. إنما أنت في المقابل لا تعرف سوى أن تتكلم كلام مجرد .. فلو قلت لك كلمتي عن الله وأجعلني أحبه .. لا أريد كلاماً مجرداً: هو الذي خلقتني وهداني ورزقني وعافاني وهو الذي يصلحني وهو الذي يحييني وهو الذي يُميتني، ربُّ الأرباب سبحانه وتعالى، ملك الملوك وتُسَمَعِي الكلام حَبِيبِي فِيهِ !! اجعل قلبي يُحِبُّهُ !! اجعل قلبي يُقْبَلُ عَلَيْهِ!!! أشعري بصفات جماله وأدخلها قلبي !!! .. اجعل القلب مُقْبَلٍ عَلَيْهِ أكثر ..

فما الذي يشغلني بما يوجع قلبي في التعلق بغير الله؟! .. وأنا تارك كل هذا النعيم أشغل نفسي بالتأكد في التعلقات المدمومة. وهنا يُقْبَل ... وهذا يأتي بأول الشيء: هذه المواقف يجب أن تسجلها:

👈 المواقف الربانية في حياتك...

وهذه هي أول خطوة في العلاج:

سجّل على قلبك وعلى خاطرك وفي أعماقك تلك المواقف الربّانية .. وروّض به نفسك

أنا أقول لك بتجربة عملية .. لأني لو جلست أشرح لك اسم الله الكريم الأكرم من الآن إلى الصباح .. ستُصفق وستخرج وتقول: و الله فعلاً أنت كريم يا الله .. أكرم الأكرمين والله .. وتترك الموضوع هكذا من دون أن يكون هذا الإحساس مجسّداً في أعمال: أليس بأكرم الأكرمين.. استحي منه .. يكرمك و لماذا تبعث له معاصي؟! .. ذنوبك إليه صاعدة ونعمه عليك نازلة .. أنت كذلك. بينما هذه المواقف هي التي تحرك: أتذكر الموضوع الفلاني وكان كروباً شديداً وعافاك .. وعندما تحتك بأهل البلاء عندما تزور أحدهم إذا مرض أو ظلم... كان من الممكن أن يحصل لك ما حصل له .. لماذا لم يبتليك مثله؟؟؟ .. عافاك وأنت لا تستشعر هذه النعمة !! .. لا تستشعر نعمة الرّخاء .. لا تستشعر نعمة الصحة .. لا تستشعر نعمة العافية .. لا تستشعر نعمة المال الذي بين يديك .. لا تستشعر نعمة الزوجة التي عندك ... انظر كم هو كريم وأكرم وجميل .. فهل ينفع أن يكون هو هكذا و أن تكون هكذا؟؟؟ لا ينفع .

فعندما تداوي قلبك بحسن الظنّ وحسن الرّجاء؛ لأنّ الشيطان يجعل القلب يقسو بالتسخّطات .. فعندما يكون في القلب معنى حسن الظنّ وحسن الرّجاء، ويعلم أن الله سبحانه وتعالى لن يُضيّعه وأن ربنا يعلم المُفسد من المصلح وأن ربنا يختار لي الأوفق وأن ربنا سبحانه وتعالى أنعم عليه فنعمه عليه سابقاً .. { وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً } [لقمان: 20] .. عاش عملي ... وهذا الكلام جُسّد:

وهذه هي رؤية النعم التي تورث المحبة في القلب،**ثاني شيء: اشغل نفسك به..**

ماهي فكرة الذكر يا شباب؟؟؟..

بعض الناس يفهمها بمعنى التحصّن .. أنا أقول أذكار الصباح والمساء لأخزي الشيطان ونتخلص من المشاكل .. والناس التي تخاف من الجنّ والشياطين والمشاكل وهذه الأشياء تجده: أنا كل يوم أتلو سورة البقرة يا شيخنا !! .. فهو منضبط جداً هنا ... حتى في هذه؟؟؟ .. يا أخي اذكره ليكون على لسانك، فتكون قريباً منه .. الله يقول لك { فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ .. } [البقرة: 152] .. اذكره ليذكرك ... يا أخي اذكره لتستعذب عذوبة اسمه على لسانك وقلبك ... يا أخي استشعر هذا المقام العالي جداً في الذكر .. مقام عالٍ لأنك عندما تذكره فهو يُثني عليك ... يا إلهي!! ماذا أكون أنا لكي أستحق هذه المترلة العالية. الإنسان إذا أحبّ شخصاً يتكلّم عنه طوال الوقت: انظر إلى نفسك عندما تتزوج .. ما إن تعقد... تقول لأصحابك: البارحة خرجت و أتيت لها بأكل ... و فعلت كذا ... و قالت لي كذا... و لا أدري كيف أتصرف؟؟ أقول لها كذا؟؟؟ طوال الليل و النهار يحدث أصحابه عن قصص التي سيتزوجها ... فعندما تحبّ شيئاً تذكره طول الوقت: حبيبها

و لم لا يحدث هذا الأمر مع الله؟ .. وعندما اتكلم عن هذا الموضوع أشعر أنني: ماذا يعني هذا؟؟؟ نتكلم عن ربنا؟؟؟ طيب!!! نتكلم عن ربنا و لكن ماذا نقول؟؟ ياااااااااااا ربنا عظيم..ربنا كريم...تشعر أنه كلام تقليدي..كلام يجب أن تقوله و لكن لا ينبع من داخلك...صحيح يا شباب؟؟؟؟تشعرون بهذا الإحساس ..أننا نتقمص الدور...أنا أشعر بهذا عندما أجلس مع أحدهم و هو يريد أن يكلمني في موضوع و حتى لو سيكلمني عن ربنا سبحانه و تعالى أو سيكلمني في العقيدة أشعر أنه يتكلم إما كلام نظريا يردده على لسانه: التوحيد ثلاثة أنواع...و لكنه لا يجبرني عن ربي فأخرج مستشعرا معنى ربي ...لا يقول لي إلهي فأستشعر ان قلبي يهتف بهذا الإحساس ...لا يقول لي لا إله إلا الله فأكون مستمتعا وأنا أقولها ... أشعر بمعنى آخر: القلب معلق بغيره؛ ولذلك لا يستطيع إخراج المعنى .. لا يستشعر جمال المضمون عندما يتكلم عن الله سبحانه وتعالى...تقرأ هذا الكلام في علم العقيدة فتكون بذلك .. يقول: وأعظم العلوم علم الاعتقاد لأنها تتعلق بذات الله وبصفاته وبأسمائه .. فتقول نعم علم العقيدة هذا من أفضل العلوم .. وتدخل أنت أيضا في النظري .. أين الإحساس؟؟ لا بد للقلب أن يحس .. لو عرفت تطبيق هذا الأمر عمليا قفلنا هذا الجانب.

في المقابل يجب أن تقطع: اقطع و أوصل.

لا ينفع أن تقطع .. تقطع .. تقطع دون وصال: مثال: أنا سأقطع هنا..أنا أقفلت علاقة فاسدة كانت بيني و بين أي شيء من الأشياء التي كنت متعلقا بها غير الله... فأوصل في قيام .. في دعاء.. في منجاة و تصرع..قطعت و وضعت. أنا كنت مشغول ليلًا نهارًا بمشكلة ما .. فأصبحت أشغل بالي بشيء يمسه ديني .. بشيء يحبه .. بشيء يرضاه .. فأصبح بيني و بينه حوار .. فأنا طوال الوقت أسأل : يا رب أمضي هكذا أم هكذا... انا عندي استعداد أضحي بأي شيء!!! صادق؟؟؟ عندك استعداد تضحي بأي شيء؟؟؟ تعال و خذ هذا الاختبار...مطلوب منك أسبوع اعتكاف... سيسبب لي مشاكل في العمل ... إنما لو أسبوع في سفر مع الشباب ...الشباب كله سيتجمع و من سيتخلف ستضيع احلى يوم في عمره...نحن لسنا آلات ...و سيعمل المستحيل ليحصل على إجازة...و لكن نأخذ أسبوع لله؟؟يبدأ في الكلام .. صح ..هو كذلك. تستطيع القيام بهذه المواقف : أن تقف و تقفل أي شيء مهما كان: الصفقة الفلانية بايعة .كان سيأتيك أضعاف ما كان يأتيك من أي صفقة أخرى..و قلبي؟؟؟ أنا كنت أعمل في هذا العمل لأي سبب؟؟؟ هذا المال كنت أريده لأي سبب؟؟؟ لأجل أن أرضيه أو لأطغي نفسي؟؟؟ هناك كلمة لا بد أن تقال في موضوع التعلق و في كل أمور الدنيا و يجب أن تحفرها أيضا و أجعلها

قاعدة: أنت تطلب ما يطغيك و الله يعطيك ما يكفيك..

أليس هذا كلام ابن القيم .. الإسراف الإسراف .. ما يطغيك، والله تعطيك ما يكفيك : فالذي يرزقك به الله يكفيك فهو يدري أكثر منك بحالك .. و سيعتبه لك .. هو ليس بخيلاً .. فلا تشغل بالك من أين سيأتي الرزق من أين سيأتي؟؟؟ اعمل فقط هكذا

ولا تهتم .. فالأمر سيتم من عنده .. خذ فقط بالأسباب .. أنا لا بد أن أفعل الآن كذا و كذا.. لا يجوز .. {هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [النجم: 32] .. فاقطع وأوصل وتعرف عليه بالموافق ..

الثالثة: نحتاج في طريقة القطع هذه أن نتعلم الزهادة من كل من سواه

وهذا هو موضوعنا في اللقاء القادم ..

أسأل الله تبارك و تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا و أن ينفعنا بما علمنا و أن يتقبل منا إنه هو السميع
العليم.

سبحانك اللهم ربنا و بصهدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك و أتوب إليك.
و صل اللهم على نبينا محمد و على آله و صبه و سلم.

فضيلة الشيخ / هاني حلمي

مناجاة

قلبي كله لله

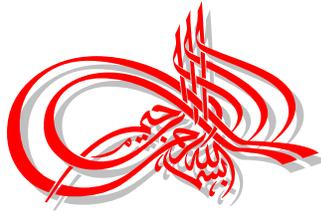


فضيلة الشيخ

هاني حلمي



أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



الامم لله وحده

وصل الله وسلم وبارك على النبي المصطفى وآله المستجملين المنزه

ثم أما بعد ..

فأسأله الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علما ينفعنا

ربنا أنت نفوسنا تقواها وزجها أنت خير من زجها أنت وليها ومولاها

اللهم لا تجعل في قلوبنا غبا إلا لك ولا تعلقا إلا بك،

سبناك اللهم ربنا وبلادك على علمك بعد علمك

سبناك اللهم ربنا وبلادك على عفوك بعد قدرتك

هذا هو اللقاء الخامس في هذه السلسلة المباركة "سلسلة تعرف" ..

كنا على مدى المحاضرات الأربع الماضية، ذكرنا في اللقاء الأول هذه المعالم لهذه السلسلة ..

وذكرنا علامات العبد الذي تحققت فيه معرفة الله سبحانه وتعالى ..

ثم بدأنا في تفصيل تلك العلامات وأخذنا منها ثلاث علامات حتى الآن،

فكانت العلامة الأولى: التعظيم والهيبة ..

وكانت العلامة الثانية: هي السكينة ..

والثالثة: محو العلائق

والتي استفدناها من كلام الشبلي، حين قال "ليس لعارفٍ علاقة .." .. وهذا الذي جعلنا نبدأ في تفصيل قضية **التعلق بغير**

الله تبارك وتعالى ..

ذكرنا في اللقاء الماضي كلام العلامة ابن القيم في شرح أبعاد هذه القضية، لاسيما حينما تكلم في غير موضع في كتبه عن:

العوائد والعوائق والعلائق .. وقلنا أن الأمر نقصد منه خاصة هذه الثالثة:

العلائق .. ما يتعلّق بالقلب، ويقطع العبد عن الربّ تبارك وتعالى .. وفي ثنايا التحليل بدأنا في ذكر المظاهر التي تكون

للمتعلّق بغير الله تبارك وتعالى، ثم وضعنا أصول للعلاج وانتهى درسنا الماضي عند ذلك.

سنراجع سريعاً؛ لأن ذلك هو الإطار العام لقضية العلاج .. قلنا أن مبناها على أمرين أساسيين كما قال ابن القيم ..

الأمر الأول: قوة التعلّق بالمطلب الأعلى .. والأمر الثاني: ترك الفضول

قوة التعلق بالمطلب الأعلى .. قال ابن القيم كلاماً في منتهى الخطورة قال:

"النفس لا تترك مألوفها ومحبوها إلا لخبوب .."

فلا ينفع أن يكون قلبي متعلقاً بالزوجة أو بالأولاد أو بالوظيفة أو بالمال أو سوى هذا من جملة المتعلقات، وأنا أحب جداً تلك الأمور ولدي في نفسي مرشحات لاستحسان تلك الأمور .. فلا يجوز أن أقول له: أغلق هذا الباب فهائياً والعلاج أن تقطع هذه العلائق. ليس هذا

﴿ وإنما تحويل التعلق إلى الجانب السوي .. إلى الصراط المستقيم .. ﴾

إذاً، كل ما سنتحدث عنه سيكون في ضوء هذه القاعدة ... فماذا عليه أن يفعل؟؟ ..

أول شيء لكي يقطع من هذا الجانب ... أنا مثلاً أحب هذه الزوجة حباً زائداً عن اللازم، أو أنا أحب هذا المال بزيادة أو أنا أحب كذا بزيادة، فما هو المطلوب؟

المطلوب أن يرى في هذا الجانب، الذي من المفترض أن يقطع تعلقه المذموم به ﴿ أن يرى عيبه.

من أجل ذلك حين نتحدثون عن قضية التعلق بالدنيا، فماذا يكون الحل؟ .. **الحل:** أن تقول الدنيا ملعونة، الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة .. إن الله عزَّ وجلَّ ضرب مثلاً للدنيا بمطعم ابن آدم، وإن قرحه وملحه فانظر إلى ما يصير .. النبي ﷺ كان يمر مع الصحابة على جدي أسك، فيقول: "فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم" [رواه مسلم] ..

ماذا يفعل؟ .. يقول لك ما لا تراه .. حبك للشيء يعمي ويصم .. فأنت لا ترى ولا تشعر .. يا عبد الله، ما تراه حسناً كاملاً يحتوي على معائب كثيرة ..

إذاً، أول أمر: أنه يرى العيب فيما تعلق به ..

والجانب الآخر: يبدأ يرى الحسن التام والكمال المطلق في الجانب الذي ينبغي أن يتعلق به ..

والذي هو في حبه للربِّ تبارك وتعالى،،

إذاً، هذا هو الأمر الأول الذي تحدث فيه ابن القيم .. يقول هنا عندما يبدأ في التوجيه، وتصوروا معي أن هذا القلب يخرج منه شيء مثل الحُطَّاف أو يخرج منه حبال .. هذا الحبل أمسك في المال أو أي شيء من هذه التعلقات .. أمسك في المرأة ..

فأول شيء ينبغي فعله: أن لا تشد الحبل .. أن ترخيه أولاً شيئاً فشيئاً، والذي هو (**معرفة العيب**) ثم بعد أن ترخيه تجذبه ولا تجذبه وتتركه في الهواء؛ لأنه سيتعلق بالغير .. بعد أن كانت امرأة، سيتعلق بالجاء أو أي شيء آخر .. فماذا تفعل في تلك اللحظة؟ .. **تربطه بالمطلب الأعلى** وتجذب .. قوة التعلق بالمطلب الأعلى، ثم تبدأ بالزيادة.

إذاً ماذا سيحدث؟ عندما نقول تجربة عملية للخروج من هذه الآفة؟ إذاً، ماذا ستفعل؟

أنت جالس هنا، قد وضعت نفسك في عزلة شعورية وعزلة حسية .. وفي نفس الوقت تسكب على قلبك المعاني التي تربطك بالله تبارك وتعالى .. لذلك قد طالبتكم كطريقة عملية في نهاية الدرس الماضي، قلت

﴿ سجّل على قلبك المواقف الربانية في حياتك؛ لأنها ستجعلك تريد من هذا الجانب .. الجانب الذي ينبغي أن تتعلّق به .. وفي نفس الوقت تُوّجه من الجانب الآخر ..

تفعل الاثنين معاً ..

انزع وازرع ..

انزع من هذا الجانب وازرع في الجانب الآخر .. إذا لا بد أن يسير في الإتجاهين معاً، مفهوم؟

﴿ أن ترى عبد المحبوب هنا، وفي الجانب الآخر لا بد أن ترى فيه كمال المحبوب الأحقّ بذلك .. الربُّ تبارك وتعالى ..

ما معنى ذلك؟ .. متى يتعلّق القلب أكثر بالله تبارك وتعالى؟ .. عندما تُعدد صفات الله سبحانه وتعالى، وترى معاملته لك ولو ندخل من باب الستر .. عندما تدخل من باب الستر، تجرد نفسك مستحيًا .. عندما تتفكّر وترى أهل البلاء، وتشعر أنك من الممكن أن يكون مكانك ليس هو هذا المكان .. ولو أن للذنوب رائحة لقرزني الناس .. ولو علم الناس هذا الفعل المعين، لما استطعت أن أسير بينهم ولو ولو ولو ... ورغم ذلك يسترني ويعافيني ولا يُطلع الناس على عيوبي ..

فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

فتشعر بالحياء، وبعد ذلك تحب غيره!! .. ويشغلك حطام الدنيا الفاني؟! .. وبعد ذلك تهفو نفسك لشيء وتجري ساعياً حتى تستحوذ عليه .. شخص سيُجن جنونه ويتزوج هذه المرأة، فيتزوجها وبعد ذلك هل يظن أن الحياة ستستقر ولن يرى عمره منها وجهاً آخر؟ .. شخص سيُجن جنونه ويركب هذه السيارة .. سيُجن جنونه كي يكون عنده بيتاً شكله كذا .. سيُجن جنونه ليعمل في تلك الوظيفة وهذا يريد كذا.

وبعد ذلك؟ هل اتناح واستقر وأصبح في سَكينة؟ أم أمّ آخراً؟!

والجميع يشتكي: لا أجد قلبي وحالي النفسية غير مستقرة وأموري متدهورة ووو ... فهذا الجانب، لماذا لا ترى عيبي؟!

وفي نفس الوقت يصبر الله تعالى عليك .. يراك تحونه .. يرى قلبك يزيغ ويتجه لغيره .. هو يسيطر يده وأنت لا تهم! .. هو يأبى أن يرد يديك صفراً خائبتين وأنت لا تكتري! .. هو يغضب إن لم تسأله وأنت في عالم آخر! .. تسأله في حاجتك فقط .. حاجتك التي تمس محبوبك الحقيقي، وهو متعلقك من الدنيا ..

إذا القصة هنا ..

✧ الأمر الأول: قوة التعلق بالمطلب الأعلى .. ✧

حينها وضعنا تحت هذا المعنى أمرين عمليين ..

الأول هو: تسجيل هذه المواقف الربانية .. لماذا لا تقوم بشكل عملي بعمل أجددة إيمانية، سجّل فيها المواقف .. عدّد فيها خمسة أو ستة أو عشرة مواقف، كل ما تذكرهم تذوب خجلاً وحياءً من الله عزّ وجلّ .. فتجلب قلبك ..

والأمر الثاني: هو الإنشغال بالمقصد الأعلى .. أنا مشغول بالجنة، وأنا لا أتعايشها بوجداني أو في حلمي أو في حياتي أو كلما رأيت شيئاً من نعيم الدنيا أذكر نفسي بنعيم الآخرة .. هذه المعاني تكون لحظات وغير مستقرة في القلب .. فلا بد أن تكون موجودة، وهذا يحدث في **وقت العزلة**؛ لأننا هيأنا المناخ .. فقد تسمع درساً عن الجنة وأعطيك درساً جميلاً جداً وتجلس تتحدث يااااااااااا عن حلاوة الجنة ... أو تسمع شريط أو تقرأ كتاب، لكن ليس هذا هو المقصد الأعلى والأسمى .. أنت لا تحيا لذلك.

فمن الممكن أن تضع خطة بعيدة المدى لمشاريعك الدنيوية التي تقصد من ورائها مال معين أو كذا وكذا، ويكون شغلك الشاغل وهذا لا يحدث في مشروع الآخرة .. فلا بد من شغل النفس بالمقصد الأعلى، وإذا كان المقصد الأعلى هو سبحانه وتعالى .. إذاً الإنشغال يكون بذكره .. الإنشغال بأن ترطب اللسان بذكر الرحمن .. {فأذكروني أذكركم ..} [البقرة: 152] .. هذا الإحساس .. هذا هو الأمر الأول ..

إذًا، القاعدة الأولى هي: قوة التعلق بالمطلب الأعلى.

✧ الأمر الثاني: ترك الفضول .. ✧

قال ابن القيم: **"ترك الفضول"**. وقلنا ترك الفضول: المفسدات الخمسة، ومن ضمن هذه المفسدات الخمس التعلق .. فكأن الأربع مفسدات الباقيات، تؤثر في القضية الأساس .. يعني أول هذه المفسدات وهو: **التعلق بغير الله** .. يفسده تلك الأشياء .. يفسده المنام الطويل .. عندما يريد المرء أن يغيب عن الوعي أكثر من اللازم، الذي يؤثر الراحة والدعة .. **طول المنام** تفسد القلوب .. **وفضول الكلام** .. والثثرة، فهذا شخص لا يحيا من أجل المطلب الأعلى .. فهو شخص يريد أن يحيا حياته بشكل من إتباع الهوى والحياة الأريحية التي على هواه .. فيظل يتحدث فيما لا يُفيد، وبالتالي لديه مشكلة تؤثر هنا أيضاً .. كذلك **فضول المخالطة** .. ففضول المخالطة هذا هو نفس القصة، أنا أريد أحداً يربطني هنا لا يرجعني مرة أخرى .. جلسة مع أصحاب الدنيا .. مثلما ذكر ابن القيم في **(بدائع الفوائد)** وفي غيرها من المواضع، الكلام المشهور عن المخالطة: **الماء والداء والدواء والسّم** ..

السّم هو أهل المعاصي .. والداء أهل الدنيا ..

لا يقول شيئاً إلا: الجوال الجديد شكله كذا، والسيارة الجديدة بكذا، وفلان أمتلك بيتاً في المنطقه الفلايية .. لا يقول شيئاً مُحَرَّم، لكنه يشغلني عن المقصود الأعلى .. فهذه الفضول تأتي بعد ذلك، وتوهن الحبل المربوط بينه وبين السماء، وتقوى الأمر مع سفاسف الدنيا للأسف الشديد .. وبالتالي، الآن ترك هذه المفسدات أو هذا الفضول هو أصل العلاج .. وزاد ابن القيم في تفصيل هذا الكلام في موضع آخر، عندما تحدث أن المرشحات لتحقيق هذين الهدفين: قصر الأمل وتدبير القرآن .

﴿ قِصْرَ الْأَمَلِ وَتَدْبِيرَ الْقُرْآنِ، مِنَ الْوَسَائِلِ الْهَامَةِ جَدًّا كَمَا نَحْنَعُ هَذَا الْمَسَارَ الَّذِي يَرْبُطُكَ بِالدُّنْيَا .. ﴾

خير تطبيق لكل هذا: قصة وصلتني على البريد لعلها أفضل ما يبدأ به في درسنا الليلة .. من أخت تشتكي حالها واسمحو لي أن أحذف ما يمكن التعريف من خلال السرد بشخصيتها، تقول:

أنا والحمد لله من ستة أشهر في حال مختلف عن السابق، بفضل الله عزَّ وجلَّ أواظب على الصلاة .. كما أنني والحمد لله أزيد، حيث كنت في البداية حريصة على الفرض ثم صرت على السُّنن ثم قيام الليل إلى أن وفقني الله عزَّ وجلَّ للمواظبة على صلاة الفجر في وقتها وقبلها قيام الليل والله الحمد على هذه النعمة. أنا كبرت في السن ولم أوفق لتجربة الزواج، ولم تتم حتى الآن خطبتي؛ لأن كل المحاولات تبوء بالفشل في مهدها .. وهذا مفتاح في الشخصية .. رغم تفوقها في العمل، وتيسرها مادياً نوعاً ما .. تقول: أن كل أهلها .. أخواتها الصبيان والبنات تزوجوا، وبفضل الله كانت نِعَمَ الفتاة لأهلها .. تمكنت من دعوة أبيها للإلتزام بالصلاة، وصار الآن لا يترك فرضاً .. **أيه المشكله؟**

.. قالت: أن المشكلة أني إنسانة مزدوجة، بالنسبة لأهلي: العاقلة الرزينة التي يُعتمد عليها .. حتى كل من حولي يشهدون لي بذلك .. لكن ما بيني وبين نفسي، قالت: أنا لا أنكر أني كنت أقوم بالعديد من الأمور الجدية لكن بجانبها .. عادة سيئة .. مواقع إباحية وما شابه !!!!. انتبهوا لثلاثة أشياء، قالت: أن لديها مشكلة من حيث الشهوات، والمشكلة الأخرى أنها تعمل في مكان، والعمل يكون له ميزانيه معينة .. فرملاؤها بينهم وبين أنفسهم يضعون تكاليف زيادة تكاليفهم الشخصية في الميزانية دون علم رئيس العمل بذلك، ويرون أن هذا حق من حقوقهم؛ لأنهم يرون أن هناك جوراً عليهم فهم يستحلون هذا المال بهذه الطريقة .. إلى أن وفقها الله سبحانه وتعالى لعمرة، بعدها رفضت هذا المال لكن صارت نفسي كثيراً وكنت أفضل للأسف وجاءني إحساس وقتها أن عمري لم تكن مقبولة .. لكن جاء العام التالي وذهبت أيضاً لأداء العمرة، لكن وقفت مع نفسي وقلت: هذه فرصة ثانية من الله بما علي ولا يمكن أن أضيعها وبدأت التنفيذ .. وأول شيء .. انتبهوا الشخصية فيها معاني كثيرة هامة جداً، يعني لدينا ثلاث مشكلات نتحدث عنهم: مشاهدة تلك الأشياء، وما كان في شأن المال، وتلك الأشياء التي كانوا يقومون بها .. فكل هذا متعلقات ليس من السهل على أي أحد أن يتركها، ستفقد وظيفتها لو وقفت أمام الناس .. مشكلة مثل مشكلة الشهوات، ليس أي أحد يعرف أن يتعامل معها ..

تقول: بدأت بالتنفيذ، أول شيء نجحت فيه ذهبت لصاحب العمل وأخبرته بما يحدث وصارحته بكل شيء .. فقال: ها أنت ذاهبة لأداء العمرة؟ اذهبي وبعد ذلك يفعل الله ما يشاء. ذهبت بالفعل وهي في الطريق تم فصلها من المدير المباشر، فوصل لها عن طريق زملائها أنه حدث لكى كذا وكذا. في أثناء أيام العمرة التي قضيتها، تقول: في آخر يوم وهي تطوف ذهبت للصلاة هي ووالدتها .. دخلا الحجر وبعد أن خرجت وجدت الهاتف يرن سبحان الله امتن الله عليها وقُبض على المدير المباشر في قضية اختلاس، وفُصل من العمل وعادت هي للعمل وصاحب العمل أخبرها: أنه ساعها على ما مضى؛ لأنها لن تفعل هذا مرة أخرى وبالفعل قِيمت قيمة المال وأخرجته صدقة .. هذه أول تجربة ونجاح في موضوع ليس بالأمر السهل.

الموضوع الثاني، قالت: كان لابد أن أقف مع نفسي في قصة الشهوات والأشياء التي كانت تُرتكب؛ بسبب ضعفها في هذا الجانب .. **ماذا فعلت؟** .. قالت: أني بفضل الله عزَّ وجلَّ سمعت محاضرة (بدون حرج)، وأنت قلت في أحد الدروس أن أحلف على نفسي بشيء عظيم، وفعلاً أقسمت إنه في حالة إذا هممت أو فعلت أي شيء من هذه الأشياء أن أصوم ألف يوم .. تقول: ووالله وفقني الله حتى الآن، فوالله ما صنعت شيئاً من هذا .. لم أدخل على موقع سيء من لحظتها .. ولم أقع في العادة السيئة بفضل الله عزَّ وجلَّ.

يعني أنت أمام شخصية تنحى وتقوم وتنجح مع الله سبحانه وتعالى .. أليه المشكلة؟!

قالت: ويأتي الإختبار الحقيقي، حيث أنني منذ عامين وأنا على علاقة بشباب، وكان في محاولة للإرتباط .. هي كبيرة في السن وتريد أن تتزوج، فذُجِل عليها من هذا الباب .. لكن حدثت مشاكل ولم يتم الإرتباط؛ لأن والدته رفضتني لأني في مثل سنه وفرصتي في الإنجاب ستكون قليلة وأيضاً لست جميلة جداً رغم أنه شخص عادي!.

وقصتي مع هذا الشاب؛ أي عرفته وهو بدون عمل وكان مهموماً؛ لأن أمه كانت لا تسأل عنه ولا تهتم به فبدأت هي تهتم به .. فكانت تصنع له الطعام في بيتها وتعطيه له، فوجد قمة التعاطف وقمة الحنان في التعامل وبدأ يرتبط بها .. والأهل غير موافقين، وبعد ذلك سمعت أنه سيتزوج وأهم خطبوا له والوضع كذلك. وهو من ناحية أخرى يقول لها: هي ليست مثلك، المشاكل المعتادة التي تحدث. بعد ذلك تدخلت في الزيجة الأولى، وانهارت تماماً فاتصلت بأهل الفتاة وأفسدت الزيجة .. جاء يتزوج، فحدث منها ما كان .. بالطبع تفاقم الموضوع إلى أقصى ما يكون، وبعد ذلك حدثت محاولة أخرى بعد تقارب، وكالعادة تعلقت به وبعد ذلك حدث مرة أخرى أنه سيتقدم لخطبة بنت وعلمت هي إنه خطب وكذا وكذا.

ما هي المشكلة؟ .. انظر أمام الشهوات وأمام موقف كموقف المال، أمام كل هذه الأشياء كانت صلبة وعرفت تأخذ قراراً .. لكن أمام هذا التعلق، لا تستطيع عمل شيء ولا تعلم ماذا تفعل !!

وتقول: إنما أخذت العهد على نفسها بعد العمرة الثانية إنما لن تتكلم معه نهائياً، وبالفعل أغلقت كل الأبواب التي توصلها به، ولكنها رأت رؤيه أن جدتها تقول لها: أنه سيكون لكي واصبري. وهي متأكدة أنه في طريق آخر، وهي مازالت متعلقة بهذا الإنسان!! . تقول: بصراحة أنا أكثر منه التزاماً؛ لأنه مقصراً في بعض الأشياء ويجب أن يتكلم طوال الوقت بكلام بالتأكيد من ورائه ذنوب .. فأقول لنفسي وأستغفر الله على ذلك: هو حياته ستكون جيدة، خطب فتاة أفضل مني وسيمتلك بيتاً ويستقر .. أما أنا فأصبحت هكذا!! . فمن المؤكد (الشبهة داخلية لها من هنا) أنه عند الله أفضل مني من أجل ذلك، لأنه سيستقر أما أنا فضائعة! .. لذلك وفقهم الله للاستقرار وعمل حياة جميلة، وأنا أبكي من شدة الخوف من الله وأيضاً مؤمنة جداً أن الله قادر على كل شيء .. مؤمنة أن الله غفور ورحيم، وإن شاء الله سيغفر لي ذنوبي .. لكن الشيطان يجعلني أفكر كذلك في أوقات، حتى أياس من رحمة الله والعياذ بالله .. (صداً داخلياً) .. فبالله عليك، أخبرني بطريقة عملية أتغلب بها على هذا الشيطان، وأستحلفك بالله أن تدعو لي أن ينصفني الله؛ لأنني مهما وصفت لك كم خذلي موضوع خطبته هذا وكيف أعيش من الداخل .. سواء مع نفسي أو وسط أهلي وأصدقائي، رغم أنهم يواسوني لكني أشعر بالانكسار، ليس لأنه خطب ولكن لأني

كأي إنسانة ينقصني شيء وسط الناس من حولي .. فانا أشعر أني إنسانة ميوذة، وأشعر بآلام من كل هذه الأحاسيس. تقول: هل تعرف أنا أذهب إلى الأماكن التي كنا نتقابل فيها، وأقف أستغفر الله في المكان الذي كنت أقبله فيه، وأجلس أستغفر ألف مرة في كل مكان قابلته فيه حتى لا أغضب الله سبحانه وتعالى. أحياناً أقول لنفسى: هل تظنين إنك على خير؟ وستتوقفين عن الكلام معه حتى يرضي الله؟ .. لا أنتِ لن تكلميه لأنه فقط ارتباط وليس من خير من نفسى، ومن الممكن أنه لو كلمني لن أرفض، وسأقول الكلام المعتاد .. يعني سأقع في الذنب مرة أخرى وسأشعر أني قليلة جداً، وأنه لم يحصل إختبار حقيقى لرفضى للمعصية .. أرجوك ذلكى بطريقة عملية، كي أبعاد الأفكار الشيطانية التي تريدني أن أياس.

وأنا أعلق فأقول: **مَنْ أَحَبَّ أَحَدًا سِوَى اللَّهِ، حُزِبَ بِهِ وَوَلِدَ .. مَنْ تَعَلَّقَ قَلْبَهُ بِغَيْرِ اللَّهِ، أَبَاهُ اللَّهُ السُّوءَ.**

انظر هي تقول: أنا أعلم أنه ليس ملتزماً وأعلم أنه كذا .. {وَوَحَّتْ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ..} [الجاثية: 23]

قال الرحمن: {الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [الحجر: 96] .. قال الرحمن: {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ} [الشعراء: 213]

نعم، فآفة التعلق كما ذكرناها **شركيات خفية** .. لذلك يُعَذَّبُ الإنسان من قبلها .. {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ..} [البقرة: 165]

نعم، هذه آفة التعلق .. **الخذلان** .. {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْدُورًا} [الإسراء: 22]

نعم، فالتعلق عاقبته **نكد الدنيا وعذاب الآخرة** .. {وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَذْهُورًا} [الإسراء: 39] ..

تعالوا نتفكر، لو تعلق قلبك بغيره من سبائك بقلبك؟!

إذا كان هذا القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء .. قال الله {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَحَمَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ} [الأنعام: 46]

والخضوع له والتعبد، والعبادة لا تحصل إلا له وحده، والعبادة هي كمال الحب مع كمال الخضوع والذل .. والشرك في هذه العبودية من أظلم الظلم الذي لا يغفره الله، والله تعالى يُحِبُّ لذاته من جميع الوجوه وما سواه فإنما يُحِبُّ تبعاً لمحبهته".

اكتب هذه العبارة .. هذه العبارة أساس::

﴿ والله تعالى يُحِبُّ لذاته من جميع الوجوه وما سواه فإنما يُحِبُّ تبعاً لمحبهته ﴾

ثم قال "وقد دلَّ على وجوب محبته سبحانه وتعالى جميع كتبه المنزلة ودعوة جميع رسله وفطرته التي فطر عباده عليها".

إذاً، يا جماعة من يريد أن يحبه ويتعلق به ويكون تعلقه بالمطلب الأعلى وبالمقصود الأسمى، ماذا يفعل؟ .. هو يقول من الذي وضَّح لنا هذا الأمر؟

● كتبه المنزلة ..

لذلك عندما نقول ابن القيم قال من جملة الأشياء التي تُعين في هذا الباب:

(1) تدبر القرآن والتعامل مع كلام الرحمن بهذه الشفافية ..

ونحن في تفسير الآيات سنمر على الموضوع ونشعر بما كما ينبغي، أن نشعر .. إذاً، هذا عن طريق دعوة جميع رسله وكتبه المنزلة .. قال "وفطرة" .. وما الأمر الثاني المطلوب؟

(2) صفِّي قلبك .. طهر قلبك، وأزل الغبار الذي على القلب والفطرة التي تلوّثت ..

المطلوب فقط أن تبعد الأشياء التي جعلت هذه الفطرة مطموسة .. مُنتكسة .. المطلوب أن تُخرج هذه الشوائب التي تعلقت بقلبك ولوّثت فطرتك، فإنك لو تركت نفسك لفطرتك لاستجابت لنداء الربّ تبارك وتعالى ..

يقول "وما رُكِّبَ فيها من العقول وما أسِغَ عليهم من النعم".

هذه الثالثة، ونحن الآن نُحلل ونستخرج ماذا؟

(3) كشكول النعم ...

الذي نجمع فيه النعم .. مثل ما طالبتكم بنفس هذا المعنى، التي هي المواقف الربانية في حياتك، لكي تكون من نفس هذا الباب ..

"فإن القلوب مفطورة مجبولة على محبة من أنعمَ عليها وأحسن إليها".

ولكن أنت لا تشعر بهذا الإحسان، لهذا من الآيات التي تحركك: {وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ} [القصص: 77]

يا أخي الله تعالى قد أحسن إليك، فلا ينبغي أن ترد الإحسان بالإساءة! ..

{وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ} [القصص: 77]

فاستشعر أن الله سمي نفسه باسم المحسن .. الله المحسن، فتعبده بهذا الاسم ..

واسمه الجواد واسمه الكريم واسمه الأكرم.

"فكيف بمن كل الإحسان منه، وما بخلقه جميعهم من نعمة فمنه وحده لا شريك له،

كما قال الله جلَّ وعلا: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} [الحل: 53]"

وسأتي مع هذا الآية ونتوقف؛ لأن قلبها أيضاً معنى في السياق سنتوقف عنده.

"وما تعرّف به إلى عباده من أسمائه الحسنى"

(4) مدارس الأسماء والصفات ..

دائماً نتكلم فيها، لكن التعامل مع أسرارها .. التعامل مع أسرارها .. لذلك لو أننا في تدارسنا لعدة صفات التي سنذكرها، لو تدارسناهم حق المدارس وتعايشنا معهم حق المعيشة، سيكون هذا هو ما يثبت حقاً العلاقة .. عندما تكون متعايش بحق ومُحصي بحق لهذا الاسم في حياتك، سيكون لها تأثير آخر تماماً بتعلق القلب بالحبوب تبارك وتعالى.

قال: "وما تعرّف به إلى عباده من أسمائه الحسنى وصفاته العلى، وما دلت عليه آثار مصنوعاته"،

(5) التفكير ..

"من كماله ومهائه وجلاله وعظمته،"

فيقول: "فأحبة لها داعيان .."

هذا هو التعلق يا جماعة، الحبة ..

الحبة لها داعيان: الجمال والجلال ..

ليس الجمال وحده، افهموا هذا جيداً، الحبة لها داعيان الجمال والجلال ..

الشخص من الممكن أن ينيهر بشخصية أمامه، لها هيبه وعظمة ووقار وحشمة .. فينيهر به ويتعلق جداً بهذا .. وقد يتعلق بالجمال، سواء كان هذا الجمال جمال الخلق أو جمال الخلق .. سواء كان من الجمال الظاهر أو الجمال الباطن .. هنا القلب يتعلق ..

أي شيء أنت متعلق به بسبب أمر من هذه الأمور .. مظهر من مظاهرها، المال بالنسبة لك يؤدي إلى أشياء، يجعل لك شهرة ويجعل لك مكانة في البلد، وفي نفس الوقت تتمكن من شراء جميع احتياجاتك، فجميل وجميل باعتبارك أنت .. وسائر الامور، أنت بتتعلق بهذه المرأة لماذا؟ لأنك ترى فيها جمال معين، لأنك ترى فيها خلق تحبه، سلوكيات معينة تألفها، شخصيتها متناسبة مع شخصيتك، وهكذا .. فداعي الحبة اثنين: جلال وجمال.

والله سبحانه وتعالى ..

والربُّ تبارك وتعالى له الكمال المطلق من ذلك، فإنه جميل يحب الجمال، بل الجمال كله له، والإجلال كله منه، فلا يستحق أن يُحب لذاته من كل وجه سواه،

قال الله: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} [آل عمران: 31]،

وقال جلّ وعلا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [المائدة: 54]

ماذا قال بعدها؟ .. {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ} .. الذي ينبغي أن يُوالى ويُحب هو سبحانه وتعالى .. ويُنتصر له هو سبحانه وتعالى

{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ، وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ

آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} [المائدة: 55، 56]

فعلّق ابن القيم وقال: "والولاية أصلها الحب، فلا مولاة إلا بحب كما أن العداوة أصلها البغض والله ولي الذي آمنوا وهم أوليائه، فهم يوالونه بحبهم له، وهو يواليهم بحبته لهم، فالله تعالى يوالي عبده بحسب محبته له".

إِذْ، {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ} [محمد: 7]، {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة: 54] .. تحبه يُحبك، تُقبل عليه يُقبل عليك، ترضى عنه يرضى عنك .. ارضنا لك ربًا، نرضاك لنا عبدًا.

"ولهذا أنكر سبحانه على من اتخذ من دونه أولياء خلاف من والى أوليائه، فإنه لم يتخذهم أولياء من دونه، ولكن موالته لهم من تمام موالته. وقد أنكر على من سوى بينه وبين غيره في المحبة .."

فقال "وأخبر أن من فعل ذلك فقد اتخذ من دونه أندادًا يحبونهم كحب الله .."

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} [البقرة: 165]

انظر الآية القادمة،

وأخبر عن من يسوي بينه وبين الأنداد في الحب أنهم يقولون في النار لمعبودهم::

{تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ، إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: 97,98]

ضعها هكذا، تسوي بينه وبين أي شيء، وتقدّم سواه عليه !!

{تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}

تحتاج إلى أن تتعامل بهذه الآية مع المتعلقات بغير الله، {تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ، إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء:

98,97]

قال "وهذا التوحيد في الحب، أرسل الله جميع رسله وأنزل جميع كتبه وأطبقت عليه دعوة جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم، ولأجله خلقت السماوات والأرض والجنة والنار، فجعل الجنة لأهله والنار للمشركين به فيه.

وقد أقسم النبي ﷺ أنه "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده - متعلقات - ووالده والناس أجمعين" [صحيح الجامع

[7582]

فكيف بمحبة الرب؟؟!

إذا كان محبة النبي ﷺ لا يتحقق الإيمان إلا بأن يُحب هو ﷺ بكل هذه المحاب،

وقال لعمر "لا، حتى أكون أحب إليك من نفسك"، أي لا تؤمن حتى تصل محبتك إلي هذه الغاية ..

وإذا كان النبي أولى بنا من أنفسنا في المحبة ولوازمها .. {النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم} [الأحزاب: 6]،

**أفليس الربُّ جدُّ وعلا وتقدست أسمائه وتبارك اسمه وتعالى جدُّه ولا إله غيره، أولى بمحبة
عباده من أنفسهم؟!**

ثم سيرتجل ابن القيم حبًا، فسيقول:

"وكل ما منه من عبده المؤمن يدعو إلى محبته مما يحب العبد ويكره، فعطائه ومنعه، ومعافته وابتلائه، وقبضه وبسطه، وعدله وفضله، وإماتته وإحيائه، ولطفه وبره، ورحمته وإحسانه، وستره وعفوه، وحلمه وصبره على عبده، وإجابته لدعائه وكشف كربته، وإغاثة لهفته وتفريج كربته، من غير حاجة منه إليه بل مع غناه التمام عنه من جميع الوجوه، كل ذلك داعٍ للقلوب إلى تأله ومحبته، بل تمكينه عبده من معصيته وإعانتها عليها وستره حتى يقضي طره منها، وكلائته وحراسته له وهو يقضي طره من معصيته، وهو يعينه ويستعين عليها بنعمه، من أقوى الدواعي إلى محبته".

.....

تُذنب، وفيها غضبه، وفيها سخطه، وفيها ما لا يرضيه، فيمكّنك من معصيته، بل يُمدك بالقدرة على ذلك، ويسترك وتقضي حاجتك فلا يعجل لك بالعقوبة،

أو ليس هذا من أقوى الدواعي إلى أن ينصرف القلب له؟

منه من الخلق يستطيع أن يصبر عليك هذا الصبر؟

لو أحب الناس إلى قلبك وأنت تفعل به هذا، تخونه وتستخدم فضله عليك وكرمه عليك ونعمته عليك .. تستخدمها بأنك تضربه في ظهره! تستخدمها لكي تعصيه، هذا في حق البشر، مَنْ يصبر على هذا؟! .. ليس أحدًا أصبر من الله تبارك وتعالى، إنهم ليدعون له الولد ويرزقهم ..

"بل تمكينه عبده من معصيته وإعانتها عليها وستره حتى يقضي وطره منها، وكلائته وحراسته له وهو يقضي وطره من معصيته وهو يعينه ويستعينه عليها بالنعمة، من أقوى الدواعي إلى محبته، فلو أن مخلوقًا فعل بمخلوق أدنى شيء من ذلك، لم يملك قلبه عن محبته،

فكيف لا يحب العبد بكل قلبه وجوارحه منه يحسسه إليه على الدوام بعدد الأنفاس مع إساءته؟؟!

فخيره إليه نازل وشبه إليه صاعده .. يتحجب إليه بنعمه وهو غني عنه،

والعبد يتبغض إليه بالمعاصي وهو فقير إليه، فلا إحسانه وبره وإنعامه عليه يصده عن معصيته، ولا معصية العبد ولا لؤم العبد يقطع إحسان ربه عنه ..

فألام اللؤم تخلف القلوب عن محبة من هذا شأنه، وتعلقها بمحبة سواه.

وأيضًا فكل من تحبه من الخلق ويحبك إنما يريدك لنفسه وغرضه منك، والله تعالى يريدك لك كما في الأثر الإلهي: عبدي كل يريدك لنفسه وأنا أريدك لك.

فكيف لا يستحي العبد أن يكون ربه له بعذه المنزلة، وهو مُعرض عنه، مشغول بحب غيره قد استغرق

قلبه بمحبة سواه؟!

وأيضًا فكل من تعامله من الخلق إن لم يربح عليك لم يعاملك،

لا غرض له، لا منفعة له .. لن تفيده في شيء سيتركك ولن يعبك،

احذر أن تعتقد أن في أحد من البشر كائنًا من كان .. ولو كان والدك ووالدتك، ولو زوجك وولدتك .. إنه إن لم يربح عليك ولم ينتفع منك بأي منفعة، إنه سيقى على الود، وسيبقى على آصرة المحبة وووو .. هذا كلام شعارات، وقت التطبيق لو أنت لا تصرف عليهم، لو لن أنتفع بوجودك في حياتي بأي وجه من الأوجه، لو أنت لن تستر هذه المرأة، لو أنت لن تعمل كذا وكذا، بالنسبة هؤلاء الأهل أو العشيرة،

لو أنك لست منك نفع بالنسبة لهم من أي وجه .. أنهم له يعاملوك، قصت سنة الله الكونية بذلك.

لكن الشيطان يلوّث علينا الفكر .. ((لا بالطبع هو يجني حب مجرد))، ((لن يستطيع أن يعيش من غيري))، ((ولن كذا وكذا)) .. والناس أدرى بما يحدث في الواقع من عكس ما يوسوس به الشيطان.

قال: فكل من تعامله من الخلق إن لم يربح عليك لم يعاملك، ولا بد له من نوع من أنواع الربح .. والربّ تعالى إنما يعاملك لتربح أنت عليه أعظم الربح وأعلاه، فالدرهم بعشرة أمثاله إلى سبعة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيئة بواحدة وهي أسرع شيئاً محوًا.

**وأيضًا فهو سبحانه خلقك لنفسه، وخلق كل شيء لك في الدنيا والآخرة، فمه أولي منه باستفراغ
الوسع في محبته وبذل الجهد في مرضاته؟!**

أنا أريد منكم أن تجمعوا هذه المعاني وأنتم تسمعونها، نعم اسمعوا بقلوبكم؛ لأن الكلام يحتاج لأن يُحرك القلوب قبل الأذهان، لكن جمع كل هذا، هذا كشكول النعم الذي أتكلّم عنه ..

عَدِدْ عَدِدَ هذه الأمور، لأنك محتاج أن تصبح يقين في حياتك، تحتاج لأن تكون في الذاكرة البعيدة عندك، وليس مجرد معلومة تأخذها وتضعها في ذاكرتك القريبة ثم تتلاشى بعد ذلك!

وأيضًا فمطالبك بل مطالب الخلق كلهم جميعًا لديه،

وهو أجود الأجوذب، وهو أكرم الأكرمين،

أعطى عبده قبل أن يسأله فوق ما يؤملهُ .. يشكر القليل من العمل وينميهِ، ويغفر الكثير من الزلل ويمحوهِ.

{يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن: 29]

لا يشغله سمع عن سمع ولا تُغَلِّطه كثرة المسائل، ولا يتبرم بالخاح المُلحِن، بل يحب المُلحِن في الدعاء، ويُحب أن يُسأل، ويغضب إذا لم يُسأل، يستحي من عبده حيث لا يستحي العبد منه، ويستتره حيث لا يستتر نفسه، ويرحمه حيث لا يرحم نفسه، دعاه بنعمه وإحسانه وآياديه إلى كرامته ورضوانه فأبى.

خذ هذه واعمل! .. خذ هذه الصحة، هذه العافية، المال، تريد كذا خذ، لكن اعمل!

دعاه بنعمه وإحسانه وآياديه إلى كرامته ورضوانه فأبى، فأرسل رسله في طلبه، وبعث إليهم معهم عهده،

ثم نزل سبحانه بنفسه وقال: **مه يسألني فأعطيته؟، مه يستغفني فأخفرت له؟، والله سبحانه وتعالى قال: أدعوك إلى الوصل تأتي،**

ابعث رسولى في الطلب، أنزل إليك بنفسى ألقاك في التَّوَامِ،

وكيف لا تحب القلوب من لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يُذهب بالسيئات إلا هو، ولا يُجيب الدعوات ويقيل العثرات ويغفر

الخطيئات ويستتر العوارات ويكشف الكربات ويغيث اللهفات ويُبيل الطلبات،

كيف تحب القلوب سواه؟! !!

فهو أحق من ذكرك، وأحق من شكر وأحق من عُبد، وأحق من حُمِد، وأنصر من ابْتُغِي وأرأف من مَلِك، وأجود من سُئِل وأوسع

من أعطي وأرحم من استرحم، وأكرم من قُصِد، وأعز من إلتجأ إليه، وأكفأ من توكل العبد عليه، وأرحم بعبده من الوالدة

بولدها، وأشد فرحاً بتوبة التائب من الفاقد لراحته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة إذا يأس من الحياة ثم وجدها،

وهو الملك لا شريك له، والفرد فلا ندَّ له، كل شيء هالكٌ إلا وجهه، لن يُطاع إلا بإذنه، ولن يُعصى إلا بعلمه،

يطـاع فيشكر، ويتوفيقه ونعمته أُطـيع .. ويُعصى فيغفر ويعفُ، وحقه أُضـيع ..

فهو أقرب شهيد وأجل حفيظ وأوفى بالعهد، وأعدل قائم بالقسط،

حـال دون النفوس وأخذ بالنواصي وكتب الآثار ونسخ الآجال .. فالقلوب له مُفضية السر عنده علانية، والغيب لديه

مكشوف وكل أحدٍ إليه ملهوف، وعنت الوجوه لوجهه، وعجزت العقول عن إدراك كُنْهه، ودلت الفِطْرُ والأدلة كلها على

امتـناع مثله وشبهه،

أشـرقت لنور وجهه الظلمات، واستنارت له الأرض والسمـاوات، وصَلَّحَت عليه جميع المخلوقـات،

لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل،

حجابه النور، ولو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه،،

فكـمال اللذة وكـمال السعادة تتحقق للعبد، إذا شهد هذه المعاني ووجدها حقاً في قلبه.

يقول: وهاننا أمرٌ عظيم يجب على اللبيب الاعتناء به، وهو أن كمال الذة والفرح ونعيم القلب وابتهاج الروح تابع لأمرين:

والعكس في محبة سواه.

أحدهما: كمال المحبوب في نفسه ..

أما نقصانه فينعص على الإنسان عيشه .. تذكر أي شيء تعلقت به وأصابك النكد ..

الهمُّ والغم والحزن، منه وباء تعلقات القلب بسواه.

فكمال الحبوب في نفسه وجماله وأنه أولى بإيثار المحبة من كل ما سواه.

هذه هي ما تحقق السعادة الحقيقية، عندما يحب ويكون محبوبه كامل عن النقصان ..

والأمر الثاني: كمال محبته واستفراغ الوسع في حبه وإيثار قربه والوصول إليه على كل شيء ..

فمن أثر حبه على حب غيره، كانت له اللذة والسرور والفرح، وحدث له هذا النوع من الاستقرار النفسي والاستقرار الوجداني والعاطفي الذي جُبل الإنسان على أن يروى هذا الجانب منه ..

فإنسان عقل ووجدان، جسد وروح.

فتبالي، سيصير الإنسان في همٍّ وفي أنكد وفي أمراض وعلل نفسية، وفي مضايق هذه الدنيا طالما لم تتحقق هذه المعاني في قلبه!

إِذَا، هَذَا هُوَ الْمَحْبُوبُ لِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَتِلْكَ صِفَاتُهُ ..

{ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } [طه: 8]

صفات الربِّ الموجبة لمحبهه والتعلق به

لنبداً هذا البحث من خلال القرآن لننظر في صفات الربِّ الموجبة للحب له والتعلق به ..

كل كلامنا ينحو نحو المنحى الأول، الذي هو: **قوة التعلق بالمطلب الأعلى والمقصود الأسمى ..**

الله سبحانه وتعالى لما ذكر اسمه **الإله** في القرآن وهو من أسمائه، ذكرها وذُيِّلَ عادة الآيات التي ذكر فيها ببعض الأسماء .. أرى أن مدارستها والتفكير في مدلولات معانيها من أفضل الطرق وأقصرها لتحقيق ما نحن بصدده من شدة التعلق به سبحانه وتعالى. انظروا إلي هذه الصفات ..

أول صفة: الرحمن الرحيم

وهي من أول ما ذُكر، على حسب ترتيب القرآن الذي بين أيدينا.

قال الله جلَّ وعلا: {وَاللَّهُمَّ إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} [البقرة: 163]

فمن تأمل رحمته وعَلِمَ أن رحمته تسبق غضبه، وأن رحمته سبحانه وتعالى لا توصف ولا تُحد .. فهو أرحم بك من أمك وأبيك ومن سائر من تظن أنهم يرحمونك .. فالله هو الرحمن وهو الرحيم، سمي نفسه باسمين للدلالة على هذا المعنى .. بل إنه لما أراد أن يختار اسماً ليكون مقارباً أو مماثل لاسم الجلال (**الله**) جعل اسمه الرحمن ..

{قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَبَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [الإسراء: 110]

تذكر هنا أسرار هذا الاسم في حياتك، رحمته بك كيف تكييفك أنت .. أنت لها؟ .. بمعنى المعنى الذي نتكلم عليه الآن هو المواقف الربانية التي تُحفر على القلب، سجّل على كل اسم سنتدارسه أو سنذكره الآن موقف ربّاني ربّاك به الله على محبته، بدون إنشائيات .. معاني واقعية في حياتك أنت ..

رحمته بك جعلتك تستمع إلى كلامه الآن، رحمته بك جعلتك في وسط الجو الملوّث من حولك على الأقل تؤثر عبادته ولو أحياناً .. رحمته بك أنك منذ خلقت وأنت مسلم، رحمته بك أنه بصرك بطريق الهداية .. رحمته بك خير لك من عملك، فإنك لن تدخل الجنة بعملك وإنما أن يتغمدك هو برحمته.

نحتاج أن نتدارس أسرار هذا الاسم في حياتنا.

إذا الاسم الأول والاسم الثاني: الرحمن والرحيم.

الاسم الثالث والرابع: الحي القيوم

في قوله تبارك وتعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ..} [البقرة: 255]

ذكرها في آية الكرسي، فالحي القيوم ..

الحي ← الذي به حياة قلبك وحياة بدنك ..

فهو الذي يحييك وهو الذي يميتك، فإذا كنت تريد الحياة لا مجرد العيش فلذ بالحي، وإن كنت تريد أن تعيش في هذه الدنيا على عيش طيب فلذ بالحي، يُحيي لك قلبك بعد سقمه ومواته،

قال: {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} .. فينبغي أن يُحِبَّ، فحياتك بيده ..

القيوم ← الذي قيام كل شيء بيده سبحانه وتعالى ..

فهو القائم على كل شيء وبه قيام كل شيء، ما تجلس الآن هذه الجلسة إلا باذن القيوم، وأنت ما حققت هذه النجاحات في حياتك إلا باذن القيوم، ولن تستقيم، ولن تستقيم على الدرب إلا باذن القيوم ..

فلذ بالقيوم يقيمك ويمن عليك بالاستقامة، فإذا كان كذاك فهو أحق بأن تتعلق به وتُحبه وتأثره على ما سواه.

الاسم الخامس والسادس: العزيز الحكيم

قال الله جلّ وعلا: {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: 6]

{ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ..} [فاطر: 10]

هل أنت مذلول؟؟

مذلول أمام معصية من المعاصي .. أمام شهوة من الشهوات .. تشعر بذلك أمام أحد الخلق؟!!

أنت لم تعرف **العزیز** .. فلو عرفت العزیز وآثرته لأعزك فما شربت من كأس الذل جرعة .. فكل المكروبين وكل من يشعر بذله في هذه الحياة، يقال له هذه الآية::

{ لا إله إلا هو العزيز الحكيم } [آل عمران: 6]

وسبحان الله في المقابل ..

{وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا*} كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا} [مریم: 81,82]

فيا مه تنعز بغيره ستدل به والله، وستخذل مه قلبه والله.

وهو **الحكيم** .. فهو يضع الشيء في نصابه، أما أنت فالأصل فيك الجهل ..

إن الانسان هكذا جهول، هكذا ظلوم، هكذا كفار لنعمة الله تبارك وتعالى،

فبالتالي هو يحب لأنه العليم الحكيم، لأنه هو الذي يضع الأمر في نصابه، فهو يعلم المصلح من المفسد، وإذا اختار لك فاختياره الأوفق، إذا عليك أن تتعلق به وبحكمته عن من سواه.

الصفة السابعة: صفة الصدق ..

وهي صفة هنا وليست اسم .. صفة الصدق.

قال الله: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} [النساء: 87]

إذا تعاملت مع البشر تجد التلؤن، والخداع ، وكلام من ورائك، وغش وظاهر غير باطن، وحيل وما شابه ..

أما الله فإذا صدقته صدقك، اصدق الله يصدقك، فهو إذا تعاملت معه من هذا الجانب ومن هذا المنطلق وجدت سعادة الدارين، الصدق مع ربنا سبحانه وتعالى ..

أما إذا صدقت الناس فربما يعاملونك في المقابل بعكس ما تريد، وكل من خَبرَ الناس علمَ ذلك ..

إِذَا، تَتَلَقَّ بِهَذَا الْمَخَادِعِ وَتَتَذَكَّرُ مِمَّا جَانِبَهُ وَمِمَّا قَبْلَهُ!!

الصفة والاسم الثامن: الوكيل ..

الصفة الثامنة والعجيب أنها أكثر الصفات ذكراً في القرآن مع اسمه الإله: **الوكيل**.

صفة ومعنى التوكّل، اسمه الوكيل من أكثر ما ذُكر اقتراناً باسمه الإله، انظروا،

{إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء: 171]

{ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [الأنعام: 102]

{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} [التوبة: 129]

{كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِنَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ} [الرعد: 30] .. إليه ارجع في جميع عبادتي وفي جميع حاجاتي

الوكيل .. العلماء يقولون أن: "الوكيل" أثبت ثلاث صفات::

(1) **الحسيب** .. فهو حسبك، يحيط بك ويعني بك،

(2) **الكفيل** .. يكفلك ويرزقك،

(3) **الكافي** .. الذي يكفيك ويشبعك والذي في السعادة يهنيك ومسعدك، والذي يحيطك برحمته ويعلمه والذي يرزقك ويكفلك.

بعد هذا كله تتعلق وتوكل على غيره سبحانه وتعالى!!

فالوكيل هو الحسيب وهو الكافي وهو الكفيل.

قال الله: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} [الزمر: 36]

فهذه الصفة والاسم الثامن: الوكيل.

التاسع والعاشر: اللطيف الخبير ..

{ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } [الأنعام: 103]

لما قال: {ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ، لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ

الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام: 102,103]

فاستتمت في هذه الآية هذا المعنى: **اللطيف وأنه يخبرك**، تكلمنا على اللطيف عندما تكلمنا عن السكينة .. ووقتها

اذكر كم بهذا المعنى الجميل لما قال: اللطيف ينسبك ذنبك عندما يجاسبك، حتى لا تقع في هذا الحرج،

فاللطيف دائماً تتكلم في نعمة خفية .. الأجهزة التي في أجسادنا، التي لا نعرف ما يحدث بداخلنا .. ممكن لو ذهبت الآن حالاً

لطبيب، من الممكن يقول لك أنت كنت معرض لسكتة قلبية ليس من وقت طويل ولكن انتهت بسلام .. ممكن حالاً كان سيحدث لك كذا كذا لولا أن حصل من ربنا لطف.

أنت قبل أن تمشي في هذا الطريق بدقيقتين، كان هناك سيارة وانقلبت .. لو كنت أنت في هذا المكان كانت صدمتك وربما مت أيضاً، كنت تنوي أن تركب القطار الفلاني لكن سبحان الله حالت بينك وبينه، القطار هذا حدث له حادث وحدثت فيه مشكلة

وووو .. **لطف!**

أنت كنت تمشي في المكان الفلاني، لو كان مشيت منه كان فلان تعرض لك وممكن تكون الآن في مكان آخر .. **لطف!**

إذا كان يلطف بك ثم يتبين لك هذه الأمور .. أحد الشباب حكى لي قصة بنفس المعنى،

كان قد قرر وصمم، وسأم من الدنيا ومن الحياة التي يعيشها، ويريد أن يهناً بالعيش، وقرر أن يسافر، رمضان ضاع منه،

المفروض الناس كلها في عبادة وأحوال .. لكنه بالفعل قد حجز لكي يسافر إلى خارج البلاد، ويقضي العيد في مكان ليمارس

الموابقات ومتصل ومتعاقد على البيت الذي سيمضي فيه العطلة والبنات التي ستأتي له والدنيا كلها والخراب كله الذي سيقع فيه،

متى؟ في رمضان!!!، تكلم وأكد الحجز بالهاتف على يوم الخميس والجمعة والعيد سيكون كذا، ثم فجأة ضاق صدره، بعد أن كانت التذكرة في يده وجهاز كل شيء ولا ينقصه شيء، وسبقه معارف له وتم ضبط الأمور كلها، شاء ربنا سبحانه وتعالى ..

يقول: ذهبت لصلاة الجمعة، لا أعلم ما الذي ضايقني .. لقد كنت لا أبالي، مجرد شكليات .. إنتهى الأمر وقلت: له أذهب!

ثم بعدها مباشرة، علم أنه سبقوه حدث لهم حادثة في الملك الذي كان سينهب إليه وماتوا!

الطيف!

هذا الموقف يمر في الحياة هكذا، وللأسف الشديد يرجع ثانية للمألوفات والعادات يتأثر قليلاً، لأنه مازال لم يعرف كيف يتعرف! هذا هو تعرف يا شباب، ها هو يتعرف باللطف، وأنت عندك من هذا المعنى عشرات ولطف بك ولم يفضحك ولا تزال حتى الآن تمشي، على أن كل مصيبة ومصيبة من المعاصي والمصائب التي فعلتها كفيلاً بالقضاء عليك!!

ونخبير،

بالله، عندما يطّلع علي ما بداخلك يجده؟ أم إنه يجد شهوات ويجد رواسب ويجد..!!

خبير..

رغم أنه يخبرك ويعلم ما بداخلك ويعلم باطنك ويعلم .. أنا أتصور أي واقف أمام ربنا سبحانه وتعالى وربنا سبحانه وتعالى الآن يعلم أنا كنت ماذا أفعل، { .. وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا .. } [الكهف: 49] .. لقد كنت أصلي، أي أن هذه الحمد لله في ميزان الحسنات .. وبعد ذلك كشف لما في القلوب، تعال لأجعلك تشاهد قلبك كيف كان وأنت تقف، شريط السهو إلى أين وصل؟ .. بما فكرت وبما كنت مشغول عني وأنا كنت تلقاء وجهك.

حاسب نفسك.. الموضوع بسيط جداً { .. كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } [الإسراء: 14]

اعط نفسك درجة بعد هذا كله .. { إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ } [الحاقة: 20]

فخبير علي هذا كله وصابر علينا، مع هذا كله ويحكم علينا، فهو اللطيف الخبير.

الصفة الحادية عشر: التنزه عن النقائص ..

قلنا الحل كله في أمرين:

(1) تعرف نقائص الغير ... (2) وترى الكمال عنده،

فهو يصف نفسه بهذا ..

فيقول جلّ وعلا : { .. وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } [التوبة: 31]

سبحانه هي الصفة ← التنزه عن النقائص ..

يا أخي، أنت لا ترى النقائص التي في الطرف الآخر ..

أعجبتني كلمة تُؤثر عن سيدنا علي قال: "إنما الدنيا في ست أشياء، مأكول ومشروب وملبوس ومنكوح ومركوب ..

قال: أما المأكول فأفضل الطعام العسل وهو مُذقة ذباب .. فهو يشاركك فيه هذا في النهاية.

وأفضل مشروب الماء وهو للبر والفاجر .. لا تفرق! .. وأفضل ملبوس الحرير وهو من دودة، وأفضل مركوب الفرس .."

قال: "وتتخطم عليه رؤس الرجال، وأفضل منكوح المرأة .." .. قال "وهي مبال في مبال، فهي يُشتهى أقبح ما عندها وهي تزين

أفضل ما فيها" .. تزين وجهها ويُشتهى فرجها.

هذه هي الدنيا، فهذه النقائص .. نقائص الحياة، لو تتأمل هذه المعاني، أنت مشغول بماذا؟ قل لي، سيارة آخر موديل؟ جميل جداً سيارة كما قلنا المرة الماضية، السيارة التي تريد أن تركبها ستجد الذي يركب أحسن منك فيها ولو ركبها ستخاف على نفسك من الحسد .. هذه السيارة وهي تسير على الأرض، مليون جنية تتحرك! .. فكيف ستكون الحياة حينها؟ .. فأنت تكون جالس فيها ويكون عندك وجع قلب .. ربنا يستر ولما تعمل!!

أحد الشباب يقول لي: سيارته ما شاء الله فارحة جداً وسعرها فلكي .. ذهب بما للتوكيل، وأخرجها من التوكيل .. أحدهم جلبها له من التوكيل .. يعني لا يوجد مشكلة .. تعال السيارة تحترق! السيارة تحترق؟ نظر وجد سيارتين مطايفء تقفان والسيارة صارت فحمًا!

ما هذا ؟ ... لا شيء، مجرد أن سنه صغير وأمتلك سيارة فارهة في هذا الوقت! .. وبالطبع واضح جدًا إنه حسد وعين وووو، وضاعت السيارة وانتهت الحكاية في لحظة!

فهو الآن عندما يريد أن يركب، ماذا يفعل؟ .. سيشتري سيارة مثلها، سيكون متوتر ويقول ربنا يستر ستحترق في المرة القادمة!! .. أنت لو تراه من الخارج ستقول: ما شاء الله لا قوة الا بالله اللهم بارك! لا يوجد مشكلة .. لكن هو، أنت ممكن تسمع فلان ما شاء الله زوجته يقولون عنها أشعار وفيها كذا، وأنت لا تعرف كيف يعيش معها!!، ممكن تكون الحياة بينهم مظلمة لأبعد ما تكون، والناس تُحسد على هذا، وقلت لكم المرة الماضية يقولون نحسد على العلاج، لأننا نعالج في أوروبا! هذا هو حال الدنيا ترى؟، هذه هي الدنيا، فنقائص ..

يا أخي والله العظيم والله العظيم ..

تلتقي ساعة ثم بعد ذلك تصدع بعجتها!

هو الواحد أول ما يبعد في أي حاجة، أنا فاكرا أنا قلت لكم هذه القصة من قبل، أول مرة ذهبنا حاجة في المفروشات .. غيرنا الصالون، واشترينته كذا وبسعر جيد وبالنسبة لي أفضل من الفرش السابق بمراحل، لا أريد أن يجلس عليه أحد!

فقط الضيوف فقط .. إنما الأولاد يدخلوا وهذا الكلام لا ينفع!

أتعلمون بكم هذه القطعة بكذا .. فارحموا .. بعد ذلك صار عاديًا، الجميع يجلس عليه ..

الدنيا هكذا .. الدنيا كلها هكذا .. في البداية يكون الأمر ذو بال وبعد ذلك يأول إلى ماذا؟! ..

فالتتره عن النقائص ..

12 و 13 و 14: الخالق .. القريب .. المجيب

نجمع الصفات من الآيات ..

قال تعالى { وَإِلَىٰ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ } [هود: 61]

الخالق

لاحظ هذه عندما يقول: { .. فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ .. } [النجم: 32] ... { .. هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى } [النجم: 32]

ماذا تكون أنت؟ .. أنت تراب، فلماذا ترى نفسك غير ذلك؟

{ .. هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ .. }

فما أنت تعمل عليه وتشغل نفسك به فهو تراب .. فلا تشغل بمخلوق عنه الخالق

وبعد ذلك قال: { .. وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ } [هود: 61]

فلو هو قريب ..

{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ .. } [البقرة: 186]

فهو قريب منك وأنت بعيد عنه!!

وهو **مجيب** .. وأنت ترفع يديك فيتلاقك من بعيد .. تقبل عليه الشبر فيتلاقك هو بضعفها .. فينبغي أن تستجيب أنت لدعاه

..

{ .. اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ } [الأنفال: 24]

الخامسة عشر: واسع العلم .. العليم ..

قال { إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا } [طه: 98]

نفس المعنى .. **علمه محيط**: فهو يعلم ظاهره ويعلم باطنه ..

أتذكرون هذا المعنى أم نسيتموه؟ .. قلت لكم عندما تروا ..

اسم الله البصير ← لاحظ معنى ظاهر يتكلم عنه ..

عندما يتكلم عن ..

الخبير ← تبحث داخل قلبك وفتش عنها ..

عندما يريد المعنيين معا: **عليهم** ... يعلم ظاهرك ويعلم باطنك ..

وهنا واسع، وعلمه واسع .. فبالتالي عندما يتعلق أحدهم بآخر، أنا لو أعرف شخص موسوع الثقافة عندما يجلس الواحد منا أمامه يقدره ويستشعر انه أمام شخص من ميزان آخر أو فئة مختلفة فيوزن بميزان مختلف، فهذا في حق البشر ..

فما بالك بالله الذي وسع كل شيء؟!

الصفة السادسة عشر والسابعة عشر: المجيد .. العظيم

للعلم، نحن لن نقول كل شيء سنتحدث عن عشرين صفة حتى تكملوا أنتم الباقي .. ولاحظ أن فيهم صفات وفيهم أسماء ..

المجيد .. العظيم

لم يرد اسم الله الخبير في القرآن، ولكن ورد المدلول عليه ..

{ أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ } (*) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ..

لاحظ: :: الآلهة لو كان ما يجونه وما يتعلقون به ..

.. فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ { [الأنبياء: 21,22]

هنا الخبير، فوصف نفسه هنا بصفة أنه رب العرش ..

{ .. فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } (*) لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ { [الأنبياء: 22,23]

وهذا من عظمتة وهيئته ومجده سبحانه وتعالى ..

{أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِي وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ}

[الأنبياء: 24]

جو الآيات يتحدث عن هذا: مجده وعظمته سبحانه وتعالى .. من أجل هذا يُطالب .. إذا كنت اتخذت هذا، فأتني بالبرهان ان هذا يستحق ..

فذلك هنا بجلاله، على استحقاقه هو لأن يُؤثر عما سواه سبحانه وتعالى.

الصفة الثامنة عشر والتاسعة عشر: الاسم النصير والصفة الصاحب في السفر

صفة الصحبة، أتعرفون الآية التي لا مثيل لها في القرآن::

{أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا ..

ينصرونهم من دوننا، إذا هو النصير ..

.. لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ ..

هو النصير ..

.. وَلَا هُمْ مِنْهَا يُصْحَبُونَ} [الأنبياء: 43]

هو الذي يصحبنا في سفرنا .. {.. لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا} [الكهف: 62]

العشرون: الكريم ..

وبعد ذلك تنموا أنتم البحث، حتى لا نطيل أكثر من ذلك ..

{فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} [المؤمنون: 116]

هذا على قراءة أبان بن تغلب وابن محيصن وأبو جعفر وإسماعيل عن ابن كثير، قرأها بالرفع هكذا على إنها صفة الرب .. لا إله إلا هو رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ..

إدًا، هذه جملة من الأسماء والصفات المفترضة إنها ترقق قلبك .. المفترضة أنها تداعب قلبك؛ ليكون متعلقًا به متخليًا عنه سواء ..

لك أن تعرف ليكون هذا خير ختام، هذه آيات نريد أن نعيش جوها ونعيش معانيها ما ذكرناها ..

واجب عملي: وأيضًا نتأمل في صفة الإله .. كواجب عملي في كل القرآن وفي وردك، ليكون من خلالها حمرة الخجل والاستحياء ..

تأملوا هذه الآية لقد استوقفتني طويلًا .. الله سبحانه وتعالى وهو يتكلم في سياق قصة بني إسرائيل::

{ قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهَا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ } [الأعراف: 140]

اسأل نفسك هذا السؤال: هو فضلك وأنت لا تفضله؟! .. هو آثرك وأنت لا تؤثره؟! ..

واسمع هذه الآيات التي ترقق القلب القاسي بلهيب الخوف وحمرة الحياء .. لكن أريد أن أسمعها بإحساس مختلف تمامًا .. اسمعها بأذن قلبك ..

{ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (*) وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيَّرَ اللَّهُ تَتَّقُونَ } [النحل: 51,52]

واصبًا: أي دائمًا.

{ .. أَفَغَيَّرَ اللَّهُ تَتَّقُونَ (*) وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (*) ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ } [النحل: 52,54]

ماذا فهمت؟ .. ماذا فهمت وهو يقول لك لا تتعلق بغيري .. لا تؤثر سواي ..

ألا تخشى؟! .. ألا تخاف؟! .. فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ

أو لست أنا الأحق بأن تتقيني وأن تخاف مني؟! .. وأن تراقبني؟! .. أو ليس كل نعمة أنت فيها هي من قبلي أو لست أنا الذي أفرج كربك؟! .. أو لست أنا الذي أكشف الضر عنك؟! ..

وأنت إذا مسك شيء من الضر، صرخت ودعوت واستغثت .. وأنا أحسن إليك فأكشف ما بك من ضر، ولكنك دائماً تتقلب علي .. فإذا بعد كشف الضر تعود لمألوفك والعهد بك، فتشرك بي مرة أخرى ..

يا مه بالله اتصل .. يا مه بالله تعلق .. هنيئاً لك .. وسعداك وبشراك ..

ويا مه عرفت غيره وتلذت وتعلقت بسواه فأصبت، عزاءً .. لك فلست إلى الآن تعرف وجهك ..

{وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوَرُونَ} [النحل: 53]

{.. فَإِلَيْكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} [الحج: 34]

استشعر ضعفك .. استشعر افتقارك له .. واستشعر كم حرمت منه، وتفكر كم عذبت بسواه ..

تنفك عقدة التعلق ويُزال ما بك من آلام الفراق والحرماء.

أسأله الله تبارك وتعالى أن يجعله حبه أحب إلينا من أنفسنا ومن الناس أجمعين ..

وأن يذيق قلوبنا برحمة حبه وعفوه ..

اللهم إنا العاطنين من حبك فلا نروح ..

أنا العاطنان من حبك لا أروح .. أنا الجائع الرطب لم يتبع من حب ربك

نعمر الربيع ونعمر الإله، أحبه وأختناه ..

سبائك اللهم ربنا وبصهدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فضيلة الشيخ / هاني حلمي



كن كاليتيم بالله



فضيلة الشيخ

هاني حليمي



أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا،

من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له،

وأنتهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنتهد أن محمداً عبد الله ورسوله،

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد
مجيد،

اللهم باركْ على محمد وعلى آل محمد كما باركتْ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد
مجيد،

أما بعد ..

فإنني أسأله الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علماً ينفعنا

{ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رِزْقًا وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا } [المؤمنون: 10]

مازلنا في هذه السلسلة المباركة "سلسلة تعرف" ..

ومع خلالها نتعرف هل نجد معه حصلا هذا المقدار المطلوب من المعرفة، التي هي أصل الأصول للوصول إلى ربِّ

العالمية .. وقد ذكرنا على مدى المحاضرات الماضية عدة علامات ندرسنا:

علامة الهيبة والتعظيم .. ثم السكينة .. ثم كانت محو العلائق ..

والكلام عن قضية التعلق بغير الله تبارك وتعالى ..

والتي أخذنا فيها محاضرتيه، وهنا نجد نشرح في العلامة الرابعة..

وهي التي أشار إليها الواسطي في قوله:

"من عرف الله تعالى انقطع، بل خرس وانقمع"

كلمة **انقمع معناها**: أن يتغيب ويدخل وراء ستر ويجلس وحده، ما معنى هذه العبارة؟

يقول "من عرف الله انقطع"، أي: عجز عن الوصول إلى النهاية وأدرك نقصانه وألم بعيب نفسه، وعلم تمام العلم أنه

لا يستطيع أن يقوم لله تعالى بحقه .. كما قال ربنا تبارك وتعالى {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ..} [الأنعام:91] .. ولا

يقدر على القيام بحق العبودية، وهي المشار إليها في كلام الملائكة (ما عبدناك حق عبادتك) .. فحين يصل العبد

هذه الدرجة من اليقين بعجزه، ماذا يحدث ؟

ينقطع .. فيمسك لسانه عن الدعوى فلا يدعي شيئا ولا يعترض، تجده ينقطع فيخرس .. لا يتكلم في ما لا

يُشرع له .. وتراه وقد قام لله بمقام العبودية والانكسار والافتقار .. **فانقمع ..** فلا يرى لنفسه حقا ولا يرى

لنفسه قيمة، بل يقوم منكسرا مفتقرا، فيلزم الصمت وينشغل بإصلاح عيبه عن النظر لعبه غيره، ويتبرا من حوله

وقوته ويُفوض أمره إلى ربِّه الولي سبحانه.

هذه العلامة تحتها معنيان أساسيان::

المعنى الأول: أن العجز عن الإدراك = تمام الإدراك

كما يذكر العلماء ذلك في كتب الاعتقاد، أن الخوض في أفعال الله .. كما يقول الطحاوي في العقيدة يقول "أن

الخوض في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان" — انتبهوا لهذا الكلام —

يقول: أن الذي يخوض فيما ليس له بأهل، والذي يخوض فيما لم يُجعل له، يحدث له أمر من ثلاثة::

(1) يُخْذَلُ .. لأنه لن يصل لشيء، وهذا هو معنى انقطع .. **من عرف الله انقطع ..** سر في هذا الطريق، ثم ماذا؟ .. فكّر في قضية القدر وتكلم في الإرادة الكونية، لن تصل لشيء! .. هو أراد ذلك كونًا وكُتِبَ في اللوح الخفوظ .. حاول أن تصل، قل لي ستصل إلى أين؟ .. لن تصل؛ لأنه ليس بمجالك .. إذًا، آخر بحثه العقلي في هذه المسألة لن يُوصله إلى شيء فيكون ذريعة للخذلان ..

(2) وسلم الحرمان .. لأنه سيبدل جهدًا كبيرًا ووقتًا طويلًا فيما لم يُجعل له، فيُحرم هذا الوقت الذي لو كان شغله بطاعة الرحمن أو بما أمر به لكان أوفق ..

(3) ودرجة الطغيان .. لأنه عادة من يُسرف في هذا المجال، يطغى ويرى لنفسه شأنًا ويرى أن عقله أكثر ذكاءً وأكثر قدرة من غيره، فيُحرم ..

فذريعة الخذلان وسيلة لأن يُخذل العبد، لأن معناه أنك تريد أن تصل إلى معرفة مثلاً: سر القدر، وهذا لا يمكن .. **وسلم الحرمان**، لا يمكن أيضًا أن تدخل في أفعال الله فتُحرم، ولأن هذا سلمه الحرمان فتصل إلى أن تكون محرومًا لا مرحومًا .. وكذلك أنه درجة من درجات الطغيان؛ لأن الإنسان رفع نفسه فوق ما لها .. طغى وتجاوز حده، فحده أن يؤمن ويستسلم { لا يُسألُ عمَّا يفعلُ وهم يُسألون } [الأنبياء: 23]

بهذا قال بعض السلف، وتُنسب هذه المقولة إلى أبي بكر رضي الله عنه:

" العجز عن الإدراك .. إدراك "

نفس الكلام يُقال في الإيمانيات، يقال في مقام الشكر ..

" العجز عن الشك .. تمام الشك "

لأن هذا معناه، ويُذكر عن بعض السلف هذه العبارة أيضًا .. أنه لو وصل العبد إلى أنه يشعر تمامًا ويوقن بأنه عاجز، لا تستطيع قواه ومُدركاته من الإلمام بالأمر .. لن تصل إلى شيء بهذا البحث وبهذا الاعتراض؛ لو وصل إلى ذلك فإن من ألم بهذه الحقيقة يكون ممن تعرّف على ربّه سبحانه وتعالى، تعرّف على ربّه بماذا؟ بعجزه .. قلنا أن هناك

قانون السلف وضعوه وقالوا :

﴿ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ .. عَرَفَ رَبَّهُ ﴾

فمن عرف نفسه بهذه الصفة، وهي: **صفة العجز** التي هي مناسبة لمقام العبودية .. عرف الله عزَّ وجلَّ **بصفة الكمال** .. فمن أيقن بذلك استقر أمره ..

المعنى الثاني: التفويض ..

المعنى الثاني : وهو المحور الأساسي الذي سنتحدث عنه الذي هو (خرس وانقمع) .. هو معنى: التبرؤ من الحول والقوة إلى مقام التفويض .. وهنا الكلام كله،

ما معنى التفويض؟!

إبتداءً، مشكلة هذا الموضوع: أنه قليل من الناس من يفهم هذه القضية حق الفهم ..

المحاسبي في كتاب (آداب النفوس) يقول :

"ولا أعلم في الناس شيئاً أقل من الغضب لله والرضا لله والحب لله والبغض لله" ..

التي هي أوثق عرى الإيمان .. "وأقل من ذلك الرضا عن الله" .. السابقة الرضا لله، يقول: **أغضب لله .. أرضى لله .. أحب لله .. أبغض لله ..** يقول: لا يوجد أحد أقل من ذلك .. يقول:

"وأقل من ذلك الرضا عنه والتسليم لأمره وتفويض الأمور إلى الله"

يقول: أنه لا يرى ذلك إلا نادراً جداً .. والمحاسبي — انظر — هو من القرن الثالث، والآن ماذا يُقال عن شأن الناس في هذا الزمان!!؟

وابن القيم له كلام ذكرناه أكثر من مرة في قضية التسخط، في (زاد المعاد) قال: لو صبرت الناس، ورأيت دقائق ما في بواطنهم وجدت في أعماقهم ذرات التسخط .. فما هناك أحد إلا ويمجد نفسه مبخوس الحق قليل الحظ في شيء ما .. يعني لم يأخذ هذا الشيء ؟ .. على أن هذه كان يقتضي منها كذا، عقل البشر يقول ذلك: لو كنت تزوجت في التوقيت الفلاني، لكنت أغلقت عليَّ أبواب المعاصي هذه ولكنك اجتهدت في الطاعة بالشكل الفلاني! .. لو

كان يُسر لي المال ولم يجوجني هذا المال للعمل لساعات طوال من أجل شيء معين فالوقت ضاع! .. لو كنت عمّرت هذا الوقت بطاعة الله سبحانه وتعالى، لكان هذا الوقت لم يضيع ولم يضيع شبابي كله في اللهث وراء المال .. فكل أحد يرى أنه مبخوس الحق في شيء .. امرأة خلقت وليست جميلة ولم تُوفّق للزواج، فتقول: وما شأنى بذلك فأنا لم أخلق نفسي؟! لو كان ربنا خلقتي جميلة لكنت الآن متزوجة ولم تحدث المشاكل مع أهلي وما كنت خائفة من شبح العنوسة وما شابه !! .. امرأة أخرى أصيبت بمرض معين أعاقها عن القيام ببعض الوظائف، تبدأ تقول: أنا فعلت ذلك بنفسى!؟

فَلَمَّا خَلَقَ يَرَى أَنَّهُ مَبْخُوسُ الْحَقِّ !!

سبحان الله .. سبحان الله .. سبحان الله .. لو أنك رأيت الناس جميعهم وصبرت هذا المعنى فيهم، ستجد أنك تقول من داخلك سبحانك ما أحلمك! — دائماً والله عندما أجلس مع شخص غني أو فقير، ويبدأ بالكلام فهو معترض على بعض الأمور .. فيقول: ماذا أفعل؟ .. شاب يتحدث معي فيقول: ماذا أفعل الأمور متعسرة معي جداً؟! أنا خلاص قاربت من الجنون .. أعوذ بالله أعوذ بالله أنا بذلك سأكفر . لماذا؟! .. الأمور متعسرة، كل شيء موجود ولكن عند طرق الأبواب للزواج تُغلق بوجهي .. فهو متسخط تسخط غير طبيعي !! .. هو يقول هكذا باللفظ " أعطيني، لكي أُسِرِ أمورِي! " .. هو يفهمها هكذا في عقله ويرى أن الموضوع كله سينتهي بهذه الطريقة!!

وكثيراً عندما تجلس مع فقير وبتبدأ يتحدث إليك، في أحد المرات قال لي شخص: لماذا لا تتكلمون في حقوقنا؟ .. أنتم تتكلمون في أشياء!!! .. قل لي وأنا أنتظر المواصلات، أجلس بالساعات ثم أركب وأعاني ولماذا يُفعل بي هذا؟ .. تكلم عن هذه القضايا .. قضايا الفقر، لماذا يحدث لي هذا كله؟ .. ألم يكن كل هذا الوقت بدلاً من أن أتعرض لهذه المشاكل، ويحدث معي مواقف في وسائل المواصلات ووجع قلب وتحرشات ومشاكل .. وأنا إنسان أريد أن أكون ملتزماً! .. حل المشاكل ..

فكل واحد يرى أنه مبخوس الحق وأن الله سبحانه وتعالى قد ظلمه في أحد الجوانب .. وابن القيم يقول "ولا يتجاسر عن ذكر ذلك" .. لا يستطيع أن ينطقها صراحةً، لكن بلسان الحال يقول ذلك ..

من هنا تأتي هذه المشكلة .. من الراضي عنك يا رب؟ ومن الذي سَلَمَ أمره لك يا رب؟ .. قَلَّ في الناس من تجد ذلك .. فكلام المُحاسبي، كلام في غاية الخطورة ..

أنه بحق يَقُول .. بل يثدّر في الناس، منه يرضى عنه الله حق الرضا ويسلم الأمر لله ويفوض الأمر إلى الله،،

من الأمور أيضاً المهمة وعلينا فهمها في قضية التفويض،

C أن التفويض هو شعار العبودية الأعظم

سئل محمد بن خفيف: متى تصح العبودية؟، قال

"إذا طرح كلُّ على مولاه، وصبر معه على بلواه"

إذا طرح كل شيء .. فوض الأمر تماماً على الله عزَّ وجلَّ، وصبر معه على الإبتلاء .. فإذا حقق هذا المعنى من التسليم والرضا والتفويض، يكون قد حقق معنى العبودية الأعظم .. وطالما إنك تتكلم عن مقام عالٍ جداً، فسترى أن المسألة محتاجة أن لا تتعجل .. وأنا سأقول لك أنت مفوض أمرك لرَبِّك أو لا؛ لأنك ستفهم الآن أن معنى التفويض مقام من المقامات العالية جداً التي تحتاج منك عمل كبير وتحتاج قبلها - كما سنذكر - بعض الأمور وأهمها قضية الثقة .. الثقة بالله ابتداءً واليقين به سبحانه تعالى ..

التفويض والتوكل

هناك عدة وجهات نظر عند سلفنا الصالح في تقييم هذه القضية، هو التوكل والتفويض .. هل التفويض هو الأعم الأوسع؟ أي هل هو الأكبر والتوكل جزء منه؟ ما هي العلاقة بينهم هم الاثنين؟ هل مثل ما يقولون بعبارة الأصوليين وغيرهم .. هل العموم هنا عموم وخصوص وجهي أو عموم وخصوص جزئي؟

✍ أبو علي الدقاق رأيه: أن التفويض المقام الأعلى في التوكل .. يقول:

"التوكل ثلاث درجات: يبدأ بتوكل ثم تسليم ثم تفويض .. فالتوكل .."

.. اسمعوا وافهموا؛ لأن كلام السلف يحتاج فهم..

"فالتوكل يسكن إلى وعده .."

أي: إن الله سبحانه وتعالى وعده بالنصرة .. وعده أن يحبه، يحب المتوكلين .. وعده بأن يكون في معيته الخاصة .. فهو يسكن إلى ذلك، ويسكن إلى ما وعده الله عزَّ وجلَّ فيتوكل .. أي إن الله عزَّ وجلَّ قال له { .. وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ .. } [الطلاق: 3] .. هو حسبه: هو كافيه .. هو ناصره .. هو مؤيده .. هو معه، فهو يركن إلى

ذلك .. سيقول لك: لقد تركتها على الله، الله تعالى يدبرها كيف شاء؛ لأني واثقٌ أن الله سبحانه وتعالى لن يُضَيِّعني.

"أما المُسَلِّم فيكتفي بعلمه .."

التسليم .. يقول: تأتي مرحلة أعلى وتكون بمزيد علم .. بمزيد معرفة .. بمزيد فهم عن الله تبارك وتعالى .. فعلمه يقتضيه لأن يُسَلِّم وينقاد لله سبحانه وتعالى ..

متى يحدث هذا؟؟

كلما يزداد رقبياً ويزداد تقرباً إلى الله عزَّ وجلَّ، يستشعر مقامات العبودية هذه ..

فعلمه يجعله يعرف صفات كمال الله وفي نفس الوقت يعرف عيوب النفس عنده، فيتبدأ يُسَلِّم الأمر لصاحب الكمال المطلق؛ لأنه يعرف أنه لن يتمكن من عمل ذلك .. هذه .. {لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ} [النجم: 58] .. {وَوَظُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ..} [التوبة: 118]

فأنا مُسَلِّم .. أتعرف كإنك قد وضعت - والله المثل الأعلى - لكنه من البداية هكذا .. أحدهم وُضِع في حلبة السباق أو في حلبة المصارعة، وأنت أمامك شخص امكانياته متعددة 1، 2، 3، 4، 5 .. فلديه امكانيات ضخمة جداً، وقدراته الجسمانية وقدراته الأخرى أكبر مما تتصور .. لا ينفذ أن تُقارن به .. أنت وزن الذبابة .. أنت هكذا وهو ثقيل الثقيل .. فأنت ماذا ستفعل؟ .. ففي هذه اللحظة ماذا سيفعل؟ .. سيُسَلِّم _ انظروا _ متى سلِّم؟ .. عندما عَلمَ بقدرات الآخر .. هي المسألة تأتي هكذا .. هي نفس الأمر، هو عندما يعرف الله تعالى، ويعرف أن له الكمال ويعرف أنه في نهاية الأمر .. أو صاحبنا الذي فُكَّر بعقله وسار إلى أن حاول أن يصل لشيء ولم يصل لأي شيء، عرف أن هذه قدراته وانتهى إلى هنا .. ولم نستفد من علمنا طوال عمرنا إلا قيل وقال ولم نصل لشيء .. يقف ويُحجم ويستسلم .. هي معنى: **والمُسَلِّم يكتفي بعلمه ..** وماذا عن التفويض؟

"وصاحب التفويض يرضى بحكمه .."

يرضى بحكمه .. نجمعها مع كلام ذي النون عن **مقامات الرضا الثلاثة:** الذي هو أول شيء ..

(1) لا اختيار له قبل القضاء .. (2) ولا مرارة بعد القضاء .. (3) وهيجان الحب في حشو البلاء.

هذه الثلاثة أمور هي التي تحقق الرضا ..

عرفت فأحببت، فحببي له جعلني استعذب العذاب ..

فحين ينزل مُر القضاء، يستعذبه .. على اعتبار أنه من الحبيب .. من الودود سبحانه وتعالى .. هكذا، فيرضى بماذا؟
يرضى ليس عنده مرارة .. هو أصلاً لم يختار، لأنه عمل الأسباب وبعد هذا استعان وترك الأمر ففوض ..

فَوْضُ الْأَمْرِ، فَرْضِيَّ بِالْحَكْمِ ..

سواء هذا الحكم كان فيه خيره فيما يراه أو فيه شره، سواء هذا أو ذاك هو يرضى لأنه يعرف أن الله يدبر له أمره
.. {..وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ..} [البقرة: 220] .. هذه رؤية أبو علي الدقاق، لذا قال في قول آخر:

"التوكل بداية .. والتسليم واسطة .. والتفويض نهاية" ..

وقال: "التوكل: نفي الشكوك والتفويض إلى ملك الملوك"

👉 هذه رؤية أبو علي الدقاق .

👉 المهروي في (منازل الساترين) قال: أنه توجد علاقة بين التوكل وبين التفويض، واعتبرها علاقة عموم وخصوص

..

📌 اعتبر أن التفويض أوسع من معنى التوكل

يقول: لا، هو الدائرة الكبيرة .. وسأقول لكم هو كيف أتى بها؟، وقال: أن التوكل أخص.

قال "التفويض أطف إشارة وأوسع معنى من التوكل"

لماذا إذا؟

قال "لأن التوكل يكون بعد وقوع السبب"

يعني أنا أتخذت الأسباب .. أنا عملت .. أخذت السبب، بعد هذا توكلت .. استعنت .. هو يرى بأن مقام التوكل يأتي بعد اتخاذ الأسباب ..

"أما التفويض فإنه يكون قبل وبعد السبب"

هو فَوْضٌ منذ البداية، يعني الآخر يعمل ويأخذ بالأسباب، أنا يجب أن أقوم بالخطوات: 1 .. 2 .. 3 التي أمرت بها .. أسعى للرزق .. فيجب أن آخذ بالسبب .. وأنا بعد هذا أترك الأمر، وأتوكل على الله سبحانه وتعالى .. الله تعالى سيرزقني في العمل هذا بكذا .. خير لم يحدث، قدّر الله وماشاء فعل .. أنا متوكل ..

أما المفوض هذا منه الأصل وهو أثناء إتخاذ السبب وبعد إتخاذ السبب، هو في الحالتيه مفوض ومُستسلم ومنقاد ..

فيقول على هذا أنه يكون أوسع

C والتفويض عنده هو عين الاستسلام، أما التوكل فهو شعبة منه.

ابن القيم فسر كلامه وقال "يعني بذلك من يفوض أمره إلى الله، يتبرأ من الحَوْل والقوة ويفوض الأمر لصاحب الأمر من غير أن يقيم المفوض إليه مقام نفسه في مصالحه"

انتبهوا لهذه الجزئية .. أنا لا أدبّر لنفسي ..

للثاني في مقام التوكل، أثناء أخذه للأسباب يُدبّر لنفسه .. يعتمد على قدرته، وبعد هذا يستعين ..

المفوض لا يعمل هكذا .. في كلتا الحالتين: اللهم دبّر لي فإني لا أحسن التدبير ويمثل للأمر فقط .. أتفهمون الفرق؟ .. فيقول: لا يقيم المفوض إليه مقام نفسه في مصالحه.

ما معنى كلمة التوكل؟ .. أنه أنت .. أنت الذي ستقوم بهذه المهمة، فوكلت أحد ليقوم بما نيابة عنك .. هذا معنى

التوكل .. فهو يقول أنت وكنته، يعني أنت قمت بالأمر في البداية، ثم أعطيته إياها .. قلت له: دبّر لها لي ..

التوكل لا يأتي هنا .. إنما التفويض والاستسلام، من الممكن أن يكون هكذا .. يصبح أوسع هذا .. ممكن يكون ..

ابن القيم لم تعجبه فكرة أن التوكل كذا، قال: لا واستشهاد ابن القيم أدق .. قال فحوى كلامه، قال: إن القرآن مليء بذكر التوكل، ولم يذكر التفويض إلا في موضع واحد فقط وهو قول الله تبارك وتعالى في سورة غافر {.. وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ..} [غافر: 44] .. أما التوكل فسمى الله نفسه الوكيل وآيات التوكل لا يوجد أكثر من ذلك في القرآن فقال عنده "لو قال قائل .." .. و عبارة ابن القيم فيها من الأدب الجم وهو يعترض على كلامه ..

قال: "لو قال قائل التوكل فوق التفويض وأجلّ منه وأرفع لكان مصيباً، ولهذا كان القرآن الكريم مملوءاً به .. أي:

بالتوكل .. أمراً وإخباراً عن خاصة الله وأوليائه وصفوة المؤمنين، وأمر الله به رسوله في مواضع عديدة من كتابه" .. وقال: أن النبي صلى الله عليه وسلم سُمِّيَ (المتوكل) في التوراة، كما في الحديث الذي عند البخاري في الصحيح من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "قرأت في التوراة صفة النبي صلى الله عليه وسلم: مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ، عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمِيَتْهُ الْمُتَوَكَّلُ، لَيْسَ بَفِظٍ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ .." ..

وأخبر عن رسله بأن حالهم كان التوكل، وبه انتصروا على قومهم .. وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، أنهم أهل مقام التوكل .. {..وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} ..

قال "ولم يجئ التفويض في القرآن إلا فيما حكاه عن مؤمن آل فرعون، من قوله: {..وَأَفْوُضُ أُمْرِي إِلَى اللَّهِ ..} [غافر: 44] .. وقد أمر الله رسوله بأن يتخذه وكياً، فقال: {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا} [الزلزل: 9] .. وهذا من أوائل ما نزل في أول البعثة، وهذا يُبطل قول من قال من الجهلة: إن توكيل الرب فيه جوار على الباري!" ..

أنت هكذا تلقي أمر ثقيل، أو فيه نوع من الجراءة .. يعني إنك تتجرأ على الله عز وجل في أن تلقي عليه أمرك! .. لماذا تلقي عليه أمرك؟ .. يعني المفروض إذا كنت متأدباً، لما فعلت هكذا .. لا تلقي بالحمل على ربك ..

"لأن التوكل يقتضي إقامة الوكيل مقام الموكل، وذلك عين الجسارة" ..

هذه قلة أدب .. بعض الناس تقول هذا: هذه قلة أدب، إنك هكذا تتجرأ على الله وتقول له: يا رب أحمل عني هذا الهمم. فهل هذا أدب؟ .. أنت تفعل كل هذه المصائب وفي النهاية -لو كان هذا في حق البشر- لأن للأسف الشديد تأتي من هنا الاشكالية- أنك تتعامل مع الله عز وجل حتى في مقام الأخلاق وفي كذا، كتعامل البشر وهذا لا يصح بحال .. هذا في حق البشر، إنك تفعل كذا وكذا وكذا وفي النهاية تتجرأ عليّ وتأتي تطلب مسامحتي في أن أحمل عنك هذا الشيء أيضاً .. يعني أنت تضربني في ظهري وفي النهاية تأتيني لأحمل عنك أمرك، يعني المعنى كذلك وطبعاً الله المثل الأعلى وهذا لا يصح فيه القياس أبداً.

قال "ولولا أن الله أباح ذلك ونَدَّبَ إليه، لما جاز للعبد تعاطيه .." ..

بعض الناس قالوا: التوكل من الأصل لم يكن ليفعله أحد، لأن فيه نوع من الجراءة على الله عز وجل ..

قال ابن القيم: "وهذا من أعظم الجهل، فإن اتخذه وكياً هو محض العبودية وخالص التوحيد، فإذا قام به صاحبه حقيقة فقد أصاب هذا المقام العالي من مقامات العبودية. والله در سيد القوم وشيخ الطائفة سهل بن عبد الله التستري إذ يقول:

" العلم كله بابٌ منه التَّعبُدُ، والتَّعبُدُ كله بابٌ منه الورع، والورع كله بابٌ منه الرَّهَدُ، والرَّهَدُ كله بابٌ منه التَّوَكُّلُ "

يقول لك: خلاصة الموضوع كله::

العلم كله بابٌ منه التَّعبُدُ .. العلم عبادة القلب، فهو باب من أبواب التَّعبُد.

يأتي على ذهني دائماً عند ذكر هذا الكلام، على أنه استطراد: كلام الشافعي يقول: **"وَقَلَّ مَنْ رَأَى بَعْدَ مَمَاتِهِ، فَقَالَ: أَنَّهُ نَجَا بَعْلَمِهِ"**، لأنه باب من التَّعبُد؛ فمن اعتمد عليه فإنه يُخْدَل، يقول: قلَّ من رَأَى أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: ماذا صنع الله بك؟ ماذا فعل الله بك؟، فقال غفر لي بعلمي .. قال: قلَّ في الناس من ذلك، يقول لك بماذا؟ بركعات كنا نصليها من الليل، بماذا؟ بعمل صالح قام به لا يعطي له بالاً، بكلمة قالها نُشِرت في الآفاق، بكذا.. بكذا.. بكذا.. بأعمال لا تُعَد عند الناس ذات شأن، إنما العلم الذي هو عند الناس ذو شئون، قلَّ في الناس من ينجو به .. وليس معناه التزهيد في العلم، لكن هذه الكلمة: **بابٌ منه التَّعبُدُ ..** يعني هو جزء من أجزاء، فلا يُعتمد عليه فقط .. مثل: **الدعوة ..** هي كذلك أيضاً .. ومثل: **التسكُّ ..** لأن كلمة التسكُّ أدق من كلمة التَّعبُد .. الأخ أو الأخت الصائم القائم الذاكر، فهو يعتبر إن هذه هي العبادة ..

له وهذا الإشكال فهي بابٌ منه التَّعبُد،،

عبارة التستري دقيقة؛ لذلك ابن القيم فرَّحَ بها وقال: **الله در سيد القوم ..**

العلم كله بابٌ منه التَّعبُد، والتَّعبُدُ كله بابٌ منه الورع

لأن النبي **صلى الله عليه وسلم** في الحديث قال: **"وفضل في علم خيرٍ من فضل في عبادة، وملاك الدين الورع"** [رواه البيهقي وصححه الألباني]

إذا أردت تلخيص الدين في كلمة واحدة:: **الورع ..**

".. دع ما يريبك إلى ما لا يريبك" [رواه أحمد وصححه الألباني] .. اتق الشبهات فإن من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ..

التورع لا يصنعه إلا من حاز أولاً علم ..

لأنه لو لم يتورع بعلم، سيقع في وقعات وسيقع في شطحات .. فأضيق الواسع أو أغلو في ما لا يصح فيه الغلو، نتورع ..

المسألة تحتاج إلى فقه في معاملة النفس،

معرفة ما أعطيه لها وما لا أعطيها -وهنا تحتاج شخص **يعلم علم الفاضل والمفضول ويعلم دقائق وأسرار الأمور**، لأن ما قد يكون مباحاً بالجزء .. هو في جزئه مباح .. قد يكون باعتبار آخر مكروه، أو محرّم باعتبار .. فأشكالية لا يهتدي إليها إلا ذو علم .. فبالتالي يجب أن يكون لديه علم، ويجب أن تكون لديه الأصول استعدادات ورياضات مع نفسه ليصل إلى الورع .. ليست لأي شخص .. ليست المسألة لن أفعل ذلك تورعاً -لا- هي المسألة إنما تحتاج **رياضة مع النفس**، مثل ما قلت يجب أن يعرف فقه التدرج فيعطيهامثلاً العصا ومتى يعطيها الجزرة،

التورع مسألة ليست بالعينة، وتحتاج إلى الكثير من الفقه في معاملة النفس،

يقول: **والورع كله بابٌ من الزهد**،

نحن الآن نتسع بالدوائر .. فالآن دائرة الزهد هي الأعمق وهي أوسع، لماذا؟ مقام الزهد من المقامات التي تقتضي::

أولاً: الانقطاع عن حظوظ النفس ..

وهذه منزلة أخرى من المنازل العالية في التعامل وفي فقه النفس .. ما فات في الورع، يعرف بالعلم ما يعمل وما لا يعمل، ويكون لديه مجاهدة للنفس؛ لكي يروض نفسه على ألا يقع في شيء مشتبته .. إنما هنا لديه حظوظ نفس، والقضية كلها صراع خطير ما بين حق الربّ وما بين حظ النفس .. فلن يزهّد في حظ نفسه، ولكي لا يكون لي هنا قيمة .. هذه تحتاج مجاهدة أشد .. لا يوجد حظ .. أتفهم معنى أنه لا يوجد حظ؟ ... بمعنى أنت تتزوج ولا تجد حظ نفس في الاستمتاع بالزوجة، إنما تتعبد على أنه حق ربّ .. وإذا حدث الاستمتاع، فيأتي كنتيجة وأثر وليس

كهدف .. هل تفهم كيفية تحقيقه؟ .. هذه المتعة .. أنت مستمتع بالامتثال، أنت مستمتع بإرضائه إما إرضاء نفسي فليس موجود، كيف تأتي هذه؟ .. ليست سهلة على الإطلاق .. ليست سهلة تماماً، إنك تفكر إن مرتبة الزهد الذي هو أن تأكل أي طعام وتشرب أي شرب والدنيا تسير كما تسير وأنا هكذا زاهد في الدنيا، لا هناك مطلبات .. لأن قصة الزهد هذه دائماً تُشكّل على كثيرٍ منا؛ لأننا نفهم الزهد في نطاق .. لأن فهمنا للدنيا ضيق، نحن نفهم الدنيا على أنها الأموال الكثيرة .. السيارة الآخر موديل .. الملابس شكله كذا .. البيت مواصفاته كذا .. فأنا إذا لم أفعل ذلك، أنا هكذا زاهد .. لا ..

لو لم تسعى في حفظه من حفظ نفسك، أنت هكذا صرت زاهداً .. فلكي تصل لهذه القمة تحتاج رياضات ومجاهدات شديدة جداً.

فيقول "الورع كله بابٌ من الزهد، والزهد كله بابٌ من التوكل"

ما الباحث على إنه فعل هذا؟ ← هو المقام الأول: الاستسلام والتفويض والانقياد وترك الأمر إلى الله عز وجل

..

فعاد لا يرى لنفسه شيئاً، ولا يرى حظاً لنفسه .. فتعلم الزهد .. تعلمه للزهد جعله .. هو كان في الأصل ورع، وبالتالي سيكون على مقام من مقامات التعبد العليا وبالتالي سيكون هذا الذي تعلم ابتداءً .. كإن المعادلة تقول:: علم يؤدي إلى عبادة، عبادة تؤدي إلى ورع، ورع يؤدي إلى زهد، زهد يؤدي إلى توكل

علم يؤدي إلى عبادة تؤدي إلى ورع يؤدي إلى زهد يؤدي إلى توكل

معادلة طويلة وتحتاج بالفعل أن الإنسان منا على الأقل أن يضعها أمام عينيه؛ لكي يعرف هو في أي منزلة منها. خمسة سلام، السلم الأول تتعلم، والتي نحن فيها .. تتعرف .. ومنها تصل إلى مقام التعبد، ومنها تصل إلى مقام الورع، ومنها تصل إلى مقام الزهد، ومن الزهد تصل إلى مقام التوكل .. لذلك يجب أن تكون هذه المعادلة أمام عينيك، عليها تنفعك طالما أنت في الطريق.

على هذا الاعتبار، اعتبر ابن القيم: **أن التوكل أوسع من التفويض وأعلى وأرفع** .. فعنده أن التوكل أعلى .. كلامهم في هذا الباب يُشعر بأن التفويض مرحلة وأن التوكل أعم .. عندما قال إنها ثلاثة مراتب، وقال سنبدأها بتوكل، وهو يعرف التوكل، عرفه بمثله .. كأنه يقول أنه يوجد توكل ويوجد توكل آخر .. توكل جزئي ..

في البداية يتوكل وبعد ذلك يرتبط بالوعد .. يرتبط بالجنة .. يرتبط بالجزاء .. وبعد ذلك يستسلم للأمر، عن طريق العلم وبعد ذلك تأتي مرحلة التفويض - تمام؟ - نحن في البداية سنأصل الفكرة نظرياً .. وبعد ذلك سنتحدث عن التطبيقات العملية، التطبيقات العملية: كيف تقوم بهذا كله؟ .. فهما؟ .. نحن مازلنا نحاول فهم معنى التفويض ونحاول نوصّل إليكم المعنى إجمالياً ..

التفويض .. أخذنا في فضائله عدة أمور، أول شيء تحدثنا عن خطره ابتداءً، وقلنا أنه شعار العبودية الأعظم وفرقنا ما بين التوكل وما بين التفويض.

من فضائل التفويض ..

ما هي الثمرة التي سنجنحها من هذا الدرس؟،

التفويض راحة، وهو ينشأ عن الثقة به سبحانه .. وهو خير علاجٍ للتسخط ..

هذا ما نريد أن نصل إليه، بتعبير الناس الدارج: أن التفويض هو أن تتركها على الله .. أن تتركها على الله، معنى من معاني التفويض .. **أي:** لا تحمل الهم .. اتركها على الخالق، هو الذي خلقك ولن يتركك .. هذه المعاني التي يدندن حولها عامة الناس، هي جزء من معنى التفويض .. فمن يفوض يكون في راحة، تتركها لله يدبرها له كيف شاء .. نحن له عبيد يفعل بنا ما يريد ..

تمام الاستسلام وتمام الانقياد لله جلّ وعلا.

في عبارة لأبو علي الجزباني .. عبارة أيضاً لطيفة، مثل ما ذكرنا عبارة سهل يقول:

"الرضا دار العبودية .. والصبر بابه .. والتفويض بيته"

الرضا الدار .. لأن الدار أوسع .. والصبر باب، باب الدار .. والتفويض البيت .. كأنه يقول في حياتنا: أن الرضا هو العمارة وأن التفويض البيت (شقتك أو حجرتك) .. ولو أخذناها مع مفهوم آخر شقتك .. حجرة نومك، والصبر هو الباب ..

" فالصوت على الباب .. والقراغة في الدار .. والراحة في البيت "

فهو يقول: أن القراغة .. أن الدار- كما في بيوت الفلاحين، الدار كله وبعد ذلك البيت من داخله - فالدار هو الأوسع ..

فالسعة في الرضا .. فمن ينال مقام الرضا، ينال هذه السعة وهذه البجوحة وهذه الأريحية في الحياة .. لديه سعة في الأمور.

أما الصبر، **فالصبر حبس ..** والصبر لا شك أدنى من مقام الرضا .. الصبر يأتي أولاً .. بما إنه يأتي أولاً، فيجب أن تدخل من جهته .. هو الباب .. ويجب من هنا يُسمع صوتك .. هنا هو يسمع أنينك، ويرى كظمك للبلاء، ويرى حبسك لنفسك .. فلا تتشكك ولا تتسخط، فتكون قائم بمقام الصبر .. مُمسك لنفسك .. فيجب أن تطرق الباب من هنا .. فيجب أن تدخل من الباب .. لن تستطيع أن تدخل من مكان آخر .. عندما تدخل من الصبر، ماذا ستنال؟ .. **الرضا**، تجد الدنيا تُفتح عليك من هذه الناحية ففيها أريحية ... متى ستتنفس الصعداء وتكون قد ارتحت من الأمر؟ .. هذه في **التفويض** .. هذا قول أبو علي الجوزجاني.

ابن عقيل في كتاب (الفنون) .. وكتاب الفنون لم يصلنا، لكن منقول عنه في بعض الكتب ومنها كتاب الآداب الشرعية لابن مفلح .. كتاب الفنون هذا من أكبر الكتب التي ألفت في الإسلام، ثمانمائة مجلد .. هو أوسع ما كُتب، فينقل كثيراً عنه ابن مفلح في كتاب **(الآداب الشرعية)** .. ابن مفلح حنبلي، وطبعاً ابن عقيل كذلك .. فينقل عنه كثيراً.

انظروا لهذا التشبيه .. كأنه يتكلم في علم النفس، يقول:

"والطبع كالصبيان الرُعن .." .. شبيه بالصبية الأشقياء .. "ومن بُليّ بذلك أذهب وقته في أحس المطالب"

عندما يبتليك الله بصبي ويكون شقي تمام الشقاوة على حد تعبير الناس .. فهذه مشكلة، لأنك لن تتمكن من السيطرة عليه بأي شكل .. وستضيع وقتك، كل حين تجلب له شيء لكي يهدأ .. فستضيع وقتك ..

وفاتته الفضائل، فأصبح كمرّب طفل يتصاباه،

يقول ان مَنْ يُتلى بطبع، وهذا الطبع يكون فيه نوع من الانحراف تصير مشكلة كبيرة .. مثل بالضبط المربي الذي يحاول أن يُساكن ويُهادن هذا الطفل الشرس ..

فيتصاى له ويجتهد في تسكين طباعه، تارة بلعبة تُلهيه وتارة بشهوة

كُل هذه يا حبيبي .. أو أفعل هذه .. أو تعال نتره .. أفعل أي شيء ..

وتارة بكلام الأطفال

وأحياناً يفعل كالمهرج دون فائدة .. كل هذه الأمور ..

ومن كان دأبه التصاى، متى يذوق طعم الراحة!!؟

يقول: من حاله هكذا، طوال الوقت يظل يُساكن نفسه .. يحاول أن يعطيها ما تريد، بحيث أنه يؤدبها ويُهدبها .. مرة يفعل لها كذا، ومرة كذا .. فمتى سيكون لديه الوقت لكي يرتاح؟ .. لأنه طوال الوقت في مجاهدات، وطوال الوقت في تعب ونصب في تأديب هذا الطفل.

يقول: ومن كان في طبعه كذا، فمتى يستعمل عقله!!؟

مَنْ يتعامل مع الطبع بهذه الطريقة، مثل ما قلنا مثلاً: شخص من طبعه أنه غضوب أو امرأة طبعها كذلك، زوجته هكذا .. فكلما تتعلل له بأن فيها هذه الإشكالية .. هي عندها هذا الموضوع الفُلاني .. فيُهادفها .. أو هي تقول له: أنا مبتلاة برواسب الجاهلية ولدي مشاكل، فتهدان معي .. أو أنها مُنفتحة على الدنيا بعض الشيء، فماذا سيفعل لها؟! .. فيُهادفها .. حاضر .. حسناً .. لا تقسو عليها بشدة الآن، حتى لا يحدث كذا .. فكل مرة: فلنتترك كذا الآن .. فلنفعل كذا .. فيضيع الوقت تماماً ..

هي المسألة تحتاج لعقل، من البداية تماماً يمنع هذا الشرود من النفس ..

فيقول: فمتى يستعمل عقله!!؟ .. ومحل الشاهد:

قال "والحياة الطيبة .. " .. { .. فَلنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً .. } [النحل: 97] .. قال: الحياة الطيبة .. منتهى راحة البال ومنتهى السكينة ومنتهى الطمأنينة ومنتهى هذا النوع من السمو النفسي ..

"والحياة الطيبة التفويض إلى الله، كالصبي حال التربية يفوض أمره إلى والديه ويثق بهما"

الأم تقول للولد دائماً: أن هناك مرجعية يتم الرجوع إليها، ألا وهي الوالد .. والوالد محل الثقة .. ماذا سيقول أبي في هذه المسألة؟ عندما يعود نسأله .. أبي قال كذا، إذا انتهت نذهب نذهب .. لا نذهب، لا نذهب .. تأخذ، تأخذه .. لا تأخذ، لا تأخذه ..

فيقول "فَيُفَوِّضُ أمره إلى والديه ويثق بهما، مستريحاً من كَدِّ التَّقْيِيدِ .. فلا يختار لنفسه، مع تفويضه إلى من يختار له"

فالمفوض وثيق بالمفوض إليه ..

لذلك قلنا: التفويض منتهى الراحة، وفي نفس الوقت ينتج وينشأ عن الثقة بالله .. أنا واثق أنه يُدبِّر لي الأصلح، وإلا فإن كنت في شك من هذا فأنت على خطر ..

هنا المشكلة .. دائماً اعتراضات العبيد، عن ماذا تنشأ؟

﴿ قلة الثقة به سبحانه ..

هو من دبّر لي .. نحن له عبيد يفعل بنا ما يريد، هو شاء لي هذا .. هو يختار لي الأوفق لا محالة .. { .. يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ .. } [البقرة: 220]

نحوه له عبيد، يفعل بنا ما يريد سبحانه تعالى،،

فتجد نفسك أنت هكذا مرتاح البال .. هو يدبّرنا كيف شاء .. وإن كان في ظاهرها الشر، ففي باطنها الخير لا محالة .. ومنعه عين العطاء .. فلو تعامل العبد بهذا المنطق استرأاح.

بعد ذلك يتناول مسألة أخرى، ونحن في سياق ذكر أهمية وفضل التفويض .. يتكلم عن إنه::

خير علاج للنسخط ..

وهذه قضية القضايا، إذا أردنا أن نتحدث عن أصول الآفات ونركز جداً فيهم .. سنجد أن هذه الأصول ترجع إلى أمرين عادة أو أكثر الناس .. قل من ينجو في هذين البابين: **باب الكبر وباب التسخط..**

﴿ إما يعطيك نعمة، تتلبّ بها .. إما يمنح عنك، فتسخط ..

لأنك ما بين أمرين، إما أنت في حال رخاء أو في حال شدة .. فلو كنت في حال رخاء، عادةً يتكبر .. يُعجَّب بنفسه .. يُعجَّب بالمقدرات والإمكانات والمعطيات التي عنده، ويُعجَّب بتميزه عن الخلق فيتكبر .. إما مُنَع عنه شيء ما، فيتسخط .. وقد يجتمع الأمران، وقلَّ أن يتخلفا ..

فلو وقيت نفسك منه خطر الكبه ومنه خطر التسخط، فقد بوءت بالدرجة العليا في العبودية ..

كَيْفَ أَعَالَجُ التَّسْخَطَ؟

سيقول لك الرضا .. قلنا الآن أن الصبر أولاً، ثم بعد ذلك الرضا، ثم تفويض .. فإذا أردت أن تنتهي من المشكلة نهائياً، فعليك بأن تصل إلى مقام التفويض .. فمن العجيب إن ابن عقيل ذكر في (الفنون) هذا الكلام في معرض الكلام عن إجابة الدعاء ... حيث توجد علاقة .. حيث يُقال إنه مُنَع عنه .. أنا دعوت فلم يُستجب لي، فقال كلام يُرقق القلوب يقول واسمعوا بأذان القلوب:

تستبطء الإجابة من الله لأدعيتك في أغراضك، التي يجوز أن يكون في باطنها المفسد في دينك ودنياك

من أجل هواك ومن أجل مزاجك ومن أجل أهوائك، تكون مستبطء إجابة ربك فيتعكر صفو الإيمان به سبحانه وتعالى من أجل إنك طلبت ولم تُجِب!!!

وتتسخط بإبطاء مرادك مع القطع على أنه سبحانه لا يمنعك شحاً ولا بُخلاً ولا نسياناً، وقد شهد لصحة ذلك: مراعاته لك ..

يا أخي، ألا تتذكر مطلقاً جميله عليك؟ .. يا أخي، ألا تتذكر مطلقاً في مقام البلاء هذا، نعمة أكرمك بها وتميزت بها عن كثير من أقرانك؟؟ .. يا أخي، لماذا هذا النكران للجميل؟؟ هل أنت تتعبد للمصلحة وبمبدأ المنفعة وبفلسفة المنفعة .. من أنتفع منه فهو حبيبي، ومن لا أنتفع منه لا أريده .. حتى مع الله تعالى تتعامل بنفس الأسلوب .. فإن كان هذا في حق البشر، فهو سيء .. فما بالك تتعامل مع رب البشر بهذا المنطق؟؟ ..

تستبطء وتتسخط بإبطاء مُرادك مع القطع على أنه سبحانه لا يمنعك شحاً ولا بُخلاً ولا نسياناً !!! ..

قال "ولا لسان ينطق بدعاء، ولا أركان لعبده ولا قوة تتحرك بها في طاعة من طاعته، فكيف وجهلتك وأبعاضك وقفً على

خدمته؟؟ ولسانك رطبٌ بأذكاره؟؟"

كل هذا لا يتحقق إلا بجوِّه وقوته .. لا لسانك ينطق .. ولا جوارحك تتعبَّد .. ولا ستقوم لك قائمة، ولا سيكون لك حول ولا قوة في أي من مراضيه وطاعته إلا بجوِّه وقوته ..

لكن إنما أُخِرَّ رحمةً لك وحكمةً ومصلحة، فقال سبحانه: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 216]

وأنت العبد المحتاج تتخلف عن أكثر أوامره ..

والله كلامه لو صادف قلباً سليماً لرق، يقول: أنك أنت المسكين وأنت المحتاج إليه وفي النهاية تعصيه وتتخلف عن أكثر أمره ولا تستبسط نفسك في أداء حقوقه .. هو عندما منع عنك وأبطأ الرزق الذي كنت تريده، ثارت ثورتك وتسخطت ..

فلما لا يسخط هو عليك، وأنت تستبسط في القيام بما أمرت به؟؟

{وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيَبْتَغِيَ ..} [النساء: 72] ..

لماذا لا يكون التعامل هكذا؟ .. إذا عاملك بجنس عملك، لكان في مقابل استبطائك استبطاءً للرزق، هل هذا انصاف؟

أه يكون مثلك يُبْطئ عه الحقوق ولا تترك ذلك من نفسك، ثم تستبسط؛ الحكيم الخالق في باب الخطوط التي لا تدري كيف حاله فيها، هل طلبها عطباً وهلاكاً أو غبطةً ومصلاحاً؟

إنما في حظ نفسك ولا تعلم إلى أين ستذهب بك، ومن الممكن أن تأخذ الشيء وتمر بالتجربة العملية في الدنيا .. أنك تكون متحسر لعدم وجود مال معين، وبعد ذلك تجد أن هذا المال كان سبب طغيانك، وتأتي تقول: يا شيخ، لقد فُتنت ومنذ أعطاني الله كذا وكذا وأنا للأسف الشديد ..

إحدى الأخوات اتصلت عليّ منذ أيام، تقول: تزوجت من سبع سنين، وكان مثال الأخ .. مُتَسَّنِن في الظاهر، وحتى في الباطن ترى آثار الإيمان ظاهر في أحواله .. يطلب العلم .. شديد الحرص على السُنَّة، ثم كان فقير .. كان في هذا الوقت .. تقول: لم يكن لدينا ما يكفي احتياجاتنا، الراتب الذي كان يأخذه بالكاد يكفي احتياجاتنا .. فكنا فقراء وشاء المولى تبارك وتعالى أن يدخل في تجارة سيارات وما شابه، الموضوع تَوَسَّع معه جداً صار معه المال .. وبعد قليل، فتح مشروع خاص بالأزياء فبدأ يحصل نوع من التقصير .. التفريط في بعض الأشياء .. فبدأ يقوم بعرض

الملابس الفاضحة في محله وشكلها لا يصح أن يكون كذا، وتحت مبررات .. كان يأخذ بفتوى الشيخ فلان وفلان .. كان أصلاً طلبة العلم هم من حوله، رآه الإخوة بعد فترة تحسّروا على حاله .. ضاع بعد ما كان الأخ فلان، الذي يطلب العلم .. وكان كذا وكذا .. صار إلى أسوأ حال .. وهو في الوقت الذي كان فيه فقيراً، كانت الأمور كلها مستقرة .. الآن لا يستطيع التكيف مع هذه الحياة، فالآن يريد أن يتزوَّج ويريد أن يفعل كذا وكذا ويريد ويريد .. وهي تقول أنها تستحته على الطاعات، التي كان هو من يأمرها بها وهو في الأصل من وضعها على الطريق .. نسي ولا يذكر .. الأجديات التي كان يتحدث عنها والتي كان يحث الناس عليها، نسيها .. وتقول: عندما أسمع القرآن، يقول لي: ثقيل!! .. هي بتعبيرها تقول: أسمعته قرآن وقلت له: تعال فقط نستمع، يقول لها: لا أستطيع، ثقيل .. ثقيل علي!!

هذا الحال الآن .. فُتِحَتْ عليه الدنيا .. هو كان من الممكن أنه في البداية، كان يقول: يا ربّي، لماذا؟ فقط بعض المال من أجل العيش ومن أجل كذا وكذا!!؟ .. فانظر .. جربت حظوظك وأخذتها، ولا تفهم الحكمة وتفتح في حظ آخر .. وتقول: لا .. هو الآن يُفكّر في حظ آخر، بعد ذلك يقول لك: هي المشكلة أن المعاصي تُفْتَحْ عليّ بسبب ذهابي للعمل والاختلاط بالنساء .. وبالتالي يريد أن يتزوَّج الثانية والثالثة، ويبدأ في الدخول في حظ آخر .. يتزوَّج، ثم يبدأ يفكر في الحظ الثالث .. والمشكلة ليست كذلك .. المشكلة في كونه ليس معه مثل أقرانه كذا وكذا مثل فلان وفلان .. وأنت تفكر، تقول: أنا فقط أحصل على بعض المال .. سأقوم ببناء مسجد وأجلس فيه وأعمل كذا وكذا .. وبعدها يقول: أنا الآن في هذه الفترة أحاول المحافظة على المستوى الاجتماعي الذي وصلت له، وبمشيئة الله كل عام سأقوم بالحج وسأقوم بكذا وكذا .. دائماً هكذا، ويبدأ ينتقل من حظ لحظ .. ومن حظ لحظ من حظوظ النفس ..

فيقول: أنت تستبطيء هذا الحظ من الحظوظ، وهو سبحانه وتعالى يعلم حالك، ويعلم هل في طلبك هذا العطب والهلاك أو العبطة والصلاح.

وأتي بهذا المثال العجيب في تدبُّر هذه الآية، التي قد تكون أبعد ما تكون عن تصورنا، أن نخرج منها موضوع التفويض ..

قال: حالة كحال اليتيم، والله سبحانه وتعالى أمرنا بالتحفظ في معاملة اليتيم، فقال: **{وَابْتَلُوا الْيَتَامَى..}** [النساء: 6] .. اسمعوا لهذا الكلام بأذانٍ صاغية، واستشعر هذا المثال .. لأنه والله فعلاً، لو خرجنا بهاتين الكلمتين اليوم فكفانا بها ..

يقول: **والله يُنَبِّهَكَ على الاحتياط لنفسك وسرك ومالك، بالاحتياط لمال غيرك ..**

أي: إذا كنت أنت قد أمرت بإنك لو في يديك أموال يتيم، فإياك أن تأكل مال اليتيم، فلو أكلت مال اليتيم فقد ارتكبت كبيرة من أعظم الكبائر عند الله ومن الموبقات .. فأمور أنك تتحفظ في مال غيرك .. فما بالك بأموالك أنت؟ من باب أولى أن تراعي هذا .. فيأمرك أن تحتاط وتتحرَّس لنفسك وسرك ومالك ..

لقد أوجب عليك ذلك التحرز والتحفظ والارتياح والمبالغة في الانتقاد لكل محل تودعه سراً أو مალأ أو ترجع إليه أو مشورة تقبس بها رأياً ..

إذا، أنت لو متحفظ سيكون مقتضيات هذا .. أن أموال اليتيم هذه ماذا ستفعل بها؟ .. سيقول لك أول شيء ضعها في خزانة أو اتركها في مكان حتى لا يهلك هذا المال .. أو أن تستثمره في تجارة تكون كذا .. وإذا أردت أن تتحفظ تماماً، فلا تترك باباً من الأبواب إلا وتنتفع بها .. أي تستشير أحداً فيما تصنع في هذا الأمر، كل هذا من موجبات التحفظ ..

قال: ونَبِّهَكَ على ما هو أوكد من ذلك، وهو أن تعلم بأنك وإن بلغت الغاية في الفهم والعقل والتجربة يجوز أن يعلم الله الباري سبحانه تقصيرك عن تدبير نفسك .. فإذا بالغت في الدعاء المحبوب لنفسك، جاز له سبحانه أن يعطيك بحسب ما طلب ولا يرخي لذلك العنان بحكم ما له أردت، بل يجس عنك لصالحك ويضيق عليك ما وسَّعه على غيرك نظراً لك .. أي: رعاية لك .. لأنه في حجر الربوبية ما دمت عبداً.

إذا وضعت نفسي محل اليتيم الذي يرعاه وليُّه، فبالتالي هو يعطيه بالمقدار الذي هو أنفع له؛ لكي لو تَوَسَّع في الإنفاق ستكون مشكلة في المال .. يمكن في العاجل ستكون جميلة، لكن في الآجل ستصبح خسارة .. فبالتالي يعطيه بالمقدار الذي ينفعه .. ولا حظوا مال اليتيم هذا الذي هو بالضبط الأرزاق التي تأخذها .. فأنت مقدر لك رزق معين، أنت تتعجَّل جزء منه .. فأنت لو أفنيت ستين سبعين في المائة منه، هذا معناه إنك لم تدبّر أمرك لما هو بعد .. فلو أخذت أخذت أخذت، بعد هذا سيصبح شقاء .. لكن لو أخذت بالإعتدال الذي يعطيه لك، الذي يكفيك بحيث إنه يكفي الفترة العمرية التي تعيشها .. مثل اليتيم بالضبط حتى يبلغ سن الرشد، فهو ينفق عليه بهذا المقدار .. فلا تنفق أكثر الرزق فرحاً .. أي إنه يعطيني يعطيني يعطيني وبعد هذا تملِّك في أبواب أخرى تطلب فيها الرزق، إنما اطلب ما يكفيك وهذا ما يعطيه لك ربُّك ..

أنت تطلب ما يطغيك، لكه الله يعطيك ما يكفيك ..

هنا المسألة .. انظروا لجمال هذه .. فكرة التفويض .. لو أنا مثل اليتيم، هذا اليتيم لن يسأل .. لو هو يُدبر له أمره، فلن يظل يقول له أنت أعطيتني ولم تعطيني كذا .. لن يعترض .. إنما هو يعطيه حاجته الأساسية، فماذا يفعل؟ .. فيعيش بعد هذا ..

يقول: فإذا أخرجك عن ربة التكليف سرحك تسريحاً .. ولا تطلب التخلية حال حبسك، ولا التصرف بحسب مرادك حال حرك، فلست رشيداً في مصالحك ..

يعني لو تعاملت وفق هذا المعنى فأعتبرت نفسك في تقدير أمرك، أنت كالسفيه الذي ينفق فيحجر عليه .. أن ينفق المال بطريقة خاطئة، فهو جاء له بعض المال فصرفه كله بسفه .. فيحجر عليه؛ لأنه أنا الآن جاء لي مليون جنيهه فصرفتهم كلهم مرة واحدة وجلست أعمل شمال ويمين وأهو وأعب وأعيث .. فهذا تصرف السفيه، الذي يطلب الرزق كله الآن .. وماذا بعد؟ .. فهذا يُحجر عليه ..

فيقول: أنك إذا ألقيت الحمل عليه هو سبحانه وتعالى وفوضت الأمر إليه سبحانه وتعالى، تستريح تماماً من معاناة التفكير والتدبير والتخطيط، ومعاناة الهم والغم والحزن ..

أيه الحزن؟؟ .. عندما يكون على ما مضى، والهمُّ يكون على المستقبل، والغمُّ يكون في الحاضر ..

هذه الثلاثة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث، حديث ابن مسعود في صحيح ابن حبان عندما قال ((إذا أصاب عبد هم أو حزن فليقل...)) ففيها في النهاية: " .. أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي " [صححه الألباني، تحريج الطحاوية (110)]

فأفاد ابن القيم إن المعنى الثلاثة، فأنا لن أحمل هم ولا غم .. مستريح البال .. ولهذا قال .. قلنا اكتبوا هذه العبارة، العبارة الذهبية لابن عقيل الحنبلي وهي خلاصة درسنا اليوم

" فكن بالله كاليتيم مع الولي الحميم، تسترح منه كدر التسخط "

واجب عملي: نحن بحق نحتاج أن نأخذها كواجب عملي: إنك تناجي ربك حال صفاء وخلوة بهذا المعنى .. معنى حلو جداً والله .. إن أشعر إني يتيم في يد ولي حميم ..

أنا غلبان يا رب .. أنا مسكين يا رب .. أنا ليس لي غيرك يا رب .. أنا بدون تدبيرك أضيع .. أنا أعلم تمام العلم أن ما تقدره لي، هو أوفق التدبير وهو أحسن التدبير وهو الذي يصلحني ..

فأنا فَوَّضْتُ الأَمْرَ إِلَيْكَ، فَدَبَّرْ لِي وَاخْتَرْ لِي ..

فلا تعاني بعد ذلك آلام ومعاناة من يسبحون بعقولهم ويخطئون من حيث يريدوا أن يصلحوا، حين يدبروا لأنفسهم .. فلا تجد هذه المعاني أبدًا في قلبك، إذا فَوَّضْتَ تسترح من كدر التسخط .. ستتسخط على ماذا؟! طالما هو الذي يدبّر، وأنا مرتاح وأعيش في هذا التسريح .. أنا منطلق في حياتي .. الذي يفعله لي هو الخير ولا أحزن على مفقود وأرضى بالموجود، فأستريح من كدر التسخط .. وأنجو من مآثم الاعتراض والتحير ..

كأن تقول: لماذا يا رب لماذا؟ ألم يكن هذا أفضل؟ .. خير الحمد لله ..

تنجو من مآثم الاعتراض والتحير وليس يمكنك ..

وهذه العبارة الثانية الذهبية؛ لأنه قال كيف يكون التفويض ولخص المشكلة كلها ..

نحن قلنا الطريقة الأولى في العبارة السابقة: **إنه ينشأ عن الثقة ..**

الثانية ..

قال "وليس يمكنك هذا إلا بشدة بحث ونظر في شئين: حبك له"

وهو نفس الكلام الذي قلناه مع كلام ذي النون، عندما قلنا أن ذو النون قال: إن من أعلام الرضا:

﴿ هيجان الحب في حشو البلاء .. ﴾

فلو تحبه، تركن لجه .. حبيب إلى القلب؛ لأنه من الودود ..

على قدر حبك، سيكون تفويضك .. وعلى حسب قدرك وشأنك وحالك عنده .. أئدنا تفويضًا، أئدنا قريًا ..

ومن هنا هؤلاء هم أهل السباق وهؤلاء هم السابقون السابقون .. انظروا كيف إن المعنى قريب ..

{ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ (*) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ } [الواقعة: 89, 88] ..

آية تُشعرك أنك تطير .. تشعر فيها أنك تتنفس الصعداء وتستريح ..

روح : راحة .. وريحان : نسم رائحة جميلة ومُعطرة ..

وشيء يشرح الصدر وجالس تضع قدم على الأخرى، وفي جنة نعيم تتمتع, هذا هو بالضبط حال المفوضين::

{ .. رَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ }

قال: فإذا علمت أنك بالإضافة إلى الحكمة الربانية والتدبير الإلهي دون اليتيم .. أنت أقل .. بالإضافة إلى الوي بكثير، صح لك التفويض والتسليم واسترحت من كدّ الإعتراض ومرارة التسخط والتدبير .. وقد أشار إلى ذلك بقوله::

{ .. وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا } [الإسراء: 65]

قال: وأعلم أنه في أسر الأقدار تُصرّف، فإن أعتزضت صرت في أسر الشيطان ..

يقول: لك طوال ما أنت محبوس على تقدير ولا تخرج عن هذا الباب ولا تعترض، أنت من الداخل في داخل الدائرة ليس عندك أي مشكلة .. ما أن تبدأ تقفز وتبدأ تقول: هذه الدائرة غير مناسبة لي .. لماذا يحدث لي؟! .. لماذا لا آخذ الدائرة الأوسع بعض الشيء؟! .. لماذا لا آخذ هذا الطريق، وتبدأ تعترض .. تقفز من هذا، تذهب إلى أسرٍ آخر .. يعني أنت في كلا الحالتين محبوس، فلا تفهم إنك عندما تخرج من أسر القدر إنك ستخرج إلى بحوحة الحرية .. في هذا العهد الذي يتشدقوا فيه بهذه المعاني، معاني الحرية والليبرالية وهذه المعاني .. إنه في النهاية تمامًا سينطلق إلى فسيح الحياة، لا شيء يحجزه !! .. وهذا مفهوم خاطيء؛ لأنه لو وجد هذا في الحياة فلا يوجد قانون يحكم الدنيا ..

أنا أريد أن أسير بسرعة 200، وسيارتي غالية الثمن، فلماذا لا أقودها بهذه السرعة؟! .. لا، لأنك الآن لو سرت بسرعة 200 ستحدث حوادث ومشاكل .. وأنت لماذا تمنعني؟! حريتي هكذا وأنا قد صرفت عليها مبالغ كبيرة، فلماذا لا أسير على أقصى سرعة؟! ..

فلا تعتقد أنك في أي وقت من الأوقات لن تجد من يحجزك .. فلا بد من أن يكون هناك من يحجزك .. لكن هذه الجهة الأخرى، سيكون هناك أسر آخر ألا وهو **أسر الشيطان** .. فيحجزك الشيطان: لماذا حتى الآن لم تفعل كذا؟! .. عش حياتك وشبابك، اعمل كذا وكذا .. فعندما تقوم بعمل ذلك ثم تريد أن تخالف أمره، تكون بالفعل قد

أدمنتها واستمرتها .. فتعيش مأسوراً لها، فتصير عبداً لهواك .. فإذا أردت المخالفة، تجد نفسك .. وأنت الحر الذي يفعل كل ما يخلو له .. لا تستطيع أن تتوب وأنت الحر المرید كل ما يأتي على بالك تقوم به .. فهيا الآن تريد أن تكون ملتزماً، فإذا أردت ذلك وجدته .. لا تستطيع أن تلتزم! .. لذا فأنت لست حرّاً، فلو كنت حرّاً لكنت مستطيعاً لما تريد ولتحقق لك ما تريد ..

فهل كل ما نريده حققته في كل شيء؟ .. حتى في أهوائك، التي هي بدر لا ساحل له .. هل حققت جميع أغراضك ولم يقف أمامك شيء أبداً؟

لا بد أن تجد شيئاً يجز، إذا فأنت لست حرّاً ولست قوياً .. القوة المطلقة التي تجعلك أنت المُدبّر لأمورك، إنما من أسر إلى أسر ..

فإن تكون في أسر من لا يُتهم عليه، خير من أن تكون في أسرين أحدهما لا يحص لك عنه ..

{بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: 81]

والآخر أنت أوقعت نفسك فيه .. فإذا عليك أن تفهم هذا عن الله، ولا أقبح من عاقل حماه الله وحجر عليه حيمه نظراً له ..

يعنى أنه سبحانه وتعالى يردك ويدبر لك ويكون كافيك وحسبك ويضع كل هذا من أجلك، ثم أنت توقع نفسك في قبائح هذه التصرفات وتدخل على نفسك عدواً يسخطه عليك؛ ليفسد عليك علاقتك مع وليك!!
فموضوع التفويض يُلخص في هذا المعنى ::

❶ في احساسك أنك فقير كاليتيم محتاج إلى ولي يرشده؛ لأنك لست بأول الرشاد ..

النبى صلى الله عليه وسلم يقول معاني جميلة في التفويض، فكما قلنا إن التفويض راحة .. قال لنا صلى الله عليه وسلم أن المرء عندما يأوي إلى مضجعه ليرتاح؛ يحتاج في هذا الوطن راحة لبدنه وراحة لنفسه ولا تتحقق الراحة النفسية إلا بالتفويض .. يقول النبى صلى الله عليه وسلم والحديث في الصحيحين "إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوئك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وأجأت ظهري إليك رغبةً ورهبةً إليك لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك. آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت .. فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به" [متفق عليه]

وجاء في لفظ الترمذي " ألا أعلمك كلمات تقولها إذا أويت إلى فراشك فإن مت من ليلتك مت على الفطرة وإن أصبحت أصبحت وقد أصبت خيراً ثم ذكر هذا الحديث. [رواه الترمذي وصححه الألباني]

وكان **صلى الله عليه وسلم** ربما يدعو، والحديث في المستدرک وصححه الألباني "اللهم أمتعي بسمعي وبصري حتى تجعلهما الوارث مني، وعافني في ديني وفي جسدي وانصري من ظلمي حتى تربني فيه ثأري، اللهم إني أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك وأجأت ظهري إليك وخليت وجهي إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك. آمنت برسولك الذي أرسلت وبكتابك الذي أنزلت" [صحيح الجامع (1269)]

وكان فيها المعنيين .. أي إن الأولى أخذنا منها مُلحة أنها عند الإيواء إلى المضجع للراحة .. والثانية راحة أخرى في: اللهم أمتعي بسمعي وبصري حتى تجعلهما الوارث مني .. والمعافاة في الدين والجسد، في نفس الوقت هذا الأمر الذي يشفي غليل المظلومين حين يثار الله لهم من ظلمهم، وحين يقومون بهذه المعاني من الاستسلام والتفويض لأمر الله تبارك وتعالى.

من الهدى والسنة أيضاً، أن النبي **صلى الله عليه وسلم** أرشدنا إلى معنى التفويض في بعض أذكار الصلاة، فحين يقول العبد سمع الله لمن حمده، يقول " اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الشاء واوجد أحق ما قال العبد .." [رواه مسلم]

يقول أهل العلم "أحق ما قال العبد تقديره .. أحق قول العبد: لا مانع لما أعطيت .. وإنما كان أحق ما قال العبد، لما فيه من التفويض إلى الله والاعتراف بوحديته والتصريح بأنه لا حول ولا قوة إلا به"

أحق ما يقول العبد: لا مانع لما أعطيت ولا مُعطي لما منعت .. فهذا فيه معنى الاستسلام والانقياد لله سبحانه وتعالى، فلا يمنع عطائك شيء ولا يعطي غيرك لأحد ..

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية "أحق ما قال العبد خير مبتدأ محذوف، أي: الحمد أحق ما قال العبد"

توجيه آخر، لا مانع لما أعطيت .. أي: لا مانع لما أردت اعطائه .. ولا ينفع ذا الجد منك الجد .. أي: من كان له في الدنيا رئاسة ومال لم ينج ذلك من عذاب الله، وإنما ينج الإيمان والتقوى والطاعة .

المعنى الأظهر في قضية التفويض والتبرأ من الحول والقوة هو في:

لا حول ولا قوة إلا بالله

فهي كلمة الاستسلام والانقياد والتفويض، فالعبد لا يملك من أمره شيئاً وليس له حيلة ولا قوة في جلب منفعة أو خير أو دفع ضرر أو شر .. فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .. **لا حول ولا قوة إلا بالله** .. جاءت في بعض الأحاديث مضمومة إلى الكلمات الأربع: **سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر** .. وجاء في فضلها كثير من الأحاديث، ولكم أن تراعوا هذه المواضع لتكون بمثابة الواجب العملي في تحقيق معنى التفويض.

قال **صلى الله عليه وسلم** والحديث في البخارى " ألا أدلك على كلمة هي كثر من كنوز الجنة: لا حول ولا قوة إلا بالله" **[متفق عليه]** .. وقال **صلى الله عليه وسلم** " ألا أدلك على باب من أبواب الجنة: لا حول ولا قوة إلا بالله" **[رواه أحمد وصححه الألباني]**

إذا، فهي تدخر ككثر من كنوز الجنة الجنة كما أنها باب من أبواب الجنة، فتوجب دخولها فيكون لك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد ومن الخير ما لا ندركه ولا نعلمه الآن .. وقد ذهب غير واحد من الصحابة والتابعين إلى إنها **من الباقيات الصالحات** ..

ويخطئ من يستخدمها في غير بابها .. قال شيخ الإسلام ابن تيمية " وذلك أن هذه الكلمة، أي: لا حول ولا قوة إلا بالله هي كلمة استعانة لا كلمة استرجاع، فكثير من الناس يستخدمها جزعاً لا صبراً"

فلا بد أن نفهم متى نستخدمها ونتأمل هذه الكلمة، التي تعني الإخلاص لله وحده بالاستعانة .. يقول شيخ الإسلام " تأملت أنفع الدعاء، فإذا هو دعاء العون على مرضاته ثم رأيت في الفاتحة { **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** } **[الفاتحة: 5]**"

تمام الاستعانة بأن تحوّل،،

لا شك أنه وردت هذه الكلمة في بعض المواضع للفت النظر إلى هذه القضية، كما أمرنا عند ترديد الأذان: حيّ على الصلاة .. حيّ على الفلاح .. يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله : **"إن العبد ضعيف، ليست له قدره على التحول من حال إلى حال .."** من حال الضلال إلى حال الهداية، من حال الخمول إلى حال النشاط، من حال الضعف إلى حال القوة .. لا تستطيع فعل ذلك فانت ضعيف { **.. وَخَلِقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا** } **[النساء: 28]** .. قال: **ومن ذلك ذهابه إلى الصلاة لأدائها مع الجماعة، فإنه يستشعر عجزه وضعفه فلا يقدر على إجابة هذا الدعاء إلا بالله وحده فلا حول ولا قوة إلا بالله"**

ويؤمر بهذه الكلمة كذلك من يخاف العيب على شيء.. فيقول ما شاء الله، لا قوة الا بالله .. {وَلَوْ كُنَّا إِذْ دَخَلْنَا جَنَّاتٍ قُلْتُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ} [الكهف: 39] .. كان الإمام مالك يقول: "ينبغي لمن يدخل داره أو بيته، أن يقول هذه الكلمة: ما شاء الله لا قوة إلا بالله"

ويقولها العبد إذا خرج من بيته، فيقول: بسم الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة الا بالله.

ويقولها إذا فرغ من طعامه: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقني، من غير حول مني ولا قوة

فهذه الكلمة العظيمة ينبغي أن تكون شعار المفوضيه؛ لأنها تمثل هذا المعنى الجليل،،

ولو فوّضت الأمر فلن تجد في قاموس مفرداتك، **كلمة لو..** لذا هانا النبي **صلى الله عليه وسلم** عن ذلك، فقال "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير. احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز. وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان" [رواه مسلم]

إذًا، **الواجب العملي**::: فيها أن نتذكر هذه الكلمة كثيرًا ونطبقها في حياتنا ونرمي بحمولنا على الله تبارك وتعالى ونكون كما ذكرنا على حال اليتيم.

أختم بما ذكره ابن القيم في هذه المترلة، بعد أن تكلم عن التوكل .. جعل مترلة من منازل الساترين في المدارج جعلها بهذا العنوان "**منزلة التفويض**" .. قال: هي على ثلاث درجات ..

فإذا سألت كيف أكون من أهل التفويض؟، فهذه إجابتك وكنا قد ذكرنا بعض الأشياء: **تحقيق الثقة بالله سبحانه وتعالى واليقين واستشعار الافتقار ومعاني الذل والانكسار لله تبارك وتعالى..** ثم وضع لنا هذه المعاني الجيدة قال

الدرجة الأولى: أن يعلم أن العبد لا يملك قبل عمله استطاعة .. وهذه هي: لا حول ولا قوة إلا بالله .. فقبل العمل ليس في مقدورك شيء .. فلا يأمن من مكر ولا يئس من معونة، ولا يعول على نية .. كلام رائع ..

إذا، فأول شيء لتحقيق معنى التفويض .. هل تستطيع أن تعمل؟ .. فلا تقل: لا أستطيع، وبداخلك تقول: نعم أقدر، فقبل ذلك عملت فقدرت!! .. فلو كل مرة استشعرنا هذا المعنى في أداء أي شيء، فلا يعول على النية لأنها خير .. **ولا ييأس من المعونة** .. لفشل سابق، فربما تأتي المعونة الآن .. وهذه عادة ما يكون حين تظن أن لا ملجأ من الله إلا إليه .. وفي نفس الوقت، **لا تأمن من مكر** .. فكلما تجد أنها تسير جيداً فتركن إلى عملك، وتفوض الأمر إلى تدبيرك .. فإذا سارت كل مرة هكذا، فلما لم تنفع في هذه المرة؟ ..

إذا، فلا يأمن من مكر ولا ييأس من معونة ولا يعول على نية ..

وهذه هي الدرجة الأولى، فمن حصلها حصل أدنى مراتب التفويض.

الدرجة الثانية: معاينة الاضطرار .. يعني أنا محتاج إليه ومضطر إلى هذا، ليس لي وجهة أخرى {لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ} [النجم: 58] .. {وَلَوْ أَنَّ لَنَا مَلْجَأٌ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ..} [التوبة: 118]

يقول: **فلا يرى عمله منجياً، ولا ذنباً مهلكاً** .. وهذه التي أعترض عليها ابن القيم، ماذا يعني: **ولا ذنباً مهلكاً**؟؟ .. فقال: إن أراد به أن هلكه بالله لا بسبب ذنوبه، فباطل .. فمعاذ الله أن يقوله .. **وإن أراد أن فضل الله وسعته ومغفرته ورحمته ومشاهدة شدة ضرورته وفاقته إليه** .. فقد قال: **الاضطرار .. يوجب له أن لا يرى ذنبه مهلكاً، فإن افتقاره وفاقته تمنعه من الهلاك بذنوبه ..**

يعنى لعله يرى أنه لو وصل في قمة هذه العبودية ففي حكمة الحكيم وفي فضل المنان أنه يعافيه ويغفر له ذنبه، فلا يرى من هذا الوجه أن ذنبه مهلكا .. هذا وجه وإن كنت أرى أن نقف فقط عند قوله: **فلا يرى عمله منجياً ولا سبباً حاملاً ..** كان أوفق، لأن العبارة موهمة ومن الممكن أن تفتح علينا معاني أخرى .. إنما لو قال هكذا، كان جيد .. أنا مضطر، فلا أرى أن عملي هو الذي سنجيني إنما يُنجيني برحمته ..

ولا سبباً حاملاً .. أي: أن الحامل له هو الحق، لا الأسباب التي يقوم بها .. فيفقد احساس أن هذا السبب يُنتج هذا الأثر .. فالسبب لا يحمل على ذلك، وإنما هو محض الفضل والمنة.

الدرجة الثالثة والعليا: قال: **شهود انفراد الحق بملك الحركة والسكون والقبض والبسط ومعرفته بتصريف التفرقة**، يعني في هذا الحال العبد يشهد أن حركات العالم وأن سكونه صادرٌ عن الحق تبارك وتعالى .. **فكل متحرك وكل ساكن هو من قبل الله تبارك وتعالى**، فيشهد تعلقه بأن الله سبحانه وتعالى يبسط ويقبض .. يعني يعطي ويمنع ..

فلو شعر أن كل ما يصنع من حركات .. من سكنات .. عطاء .. منع .. كل هذا في ملكه سبحانه وتعالى ..

يقول "ومعرفته بتصريف التفرقة والجمع، بأن يكون المشاهد عارفاً بمواضع التفرقة نظر الاعتبار" ..

أعرف ما معنى التفرقة والجمع؟ .. أأست متميزاً عن الناس بأشياء ومتفوق معهم في أشياء؟ .. فما

تفردت أنت به، فصار مرعياً عندك .. وما من الله سبحانه وتعالى به عليك من نعم، قد اجتمعت مع الناس فيها ..

فتراعى وتفهم أن ذلك من مراد الله لحكمة .. قد أعطاك مال دون غيرك، فتراعى هذا جيداً أنه ليس لاستحقاقك وإنما لمراد الله بما يتفق مع المعنى الذي خُلقت أنت من أجله .. فخلقت غنياً، لتتفق على شيء معين .. وأنت خلقت فقيراً، لأن هذا ما سيجلب قلبك له .. وأنت من عليك بالذكاء أكثر من غيرك، لأنك ستصرفه في مكان معين ..

فهذه المعاني تجعلك لا ترى لنفسك شيئاً .. وأراد هذه المعاني؛ لأنهما تعطى الافتقار .. فالتفرقة قد تجعلك تتكبر .. وتشعر بالتميز ..

فيقول "ومعرفته بتصريف التفرقة والجمع .." .. فيكون متفهماً وضع هنا لأي شيء، وجمع مع الناس هنا، لأي شيء .. "فلو فهم حكمة ذلك لاستراح" .. فلو فهمتها وشهدت أن الله عز وجل هو المنفرد بتدبير الأمور، وأنه ما أعطاك هذا لتمييزك عنده بشيء وإنما لتصرفه أنت لما يريد .. فتكون على مراده لا مرادك، فاذا كان عندك ذلك فلن تجد لك استشعار لأي قيمة وتميز على الناس .. فلا تشعر بالتميز، لأن هذا الاحساس هو الذي يجلب لك الآفات.

إذاً، دعونا نردد في آخر هذه المحاضرة كلام النبي صلى الله عليه وسلم الذي أمرنا بذكره :

اللهم أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبةً ورهبةً إليك

لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك ، أمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت ..

سبائك اللهم ربنا وبعهدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك و أتوب إليك.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فضيلة الشيخ / هاني حلمي

مناهج

سن عرفه خانه

فضيلة الشيخ

حانبي حامي



اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



الحمْد لله وحده

وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على نبيه المصطفى وآله المستجملين التشرّف ...

ثم أما بعد،،

فأسأله الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علماً ينفعنا

{ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رِزْقًا وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا } [المؤمن: 10]

هذه هي المحاضرة السابعة في هذه السلسلة المباركة "سلسلة تعرف" ..

وستدارس فيها بحول الله تعالى وقوته هذه العلامة ..

التي هي العلامة الخامسة مع علامات معرفة الله تبارك وتعالى:

وهي: علامة الخوف،،

قال أحمد بن عاصم الأنطاكي:

"من كان بالله أعرف، كان له أخوف"

وأهم ما في درس اليوم أن هناك مفاهيم كثيرة جداً، سنكتشف أن تصوراتنا فيها خاطئة .. فقضية الخوف أصلاً .. كلام العلماء فيها: أن ما نطلق عليه خوف وللأسف الشديد في الغالب لا يورث النتائج المطلوبة .. هو أدنى المراتب في هذا الباب .. ولأنه في الغالب نحن لا نُحصّل البذور التي تبذر الخوف الحقيقي؛ لذا لا تكون الثمرة يانعة في الغالب ولا تكون الثمرة على الوجه المطلوب ..

لو درسنا مسألة الخوف بشكل عام، أول شيء نتعرف عليه هو::

صقيقة الخوف ..

ما معنى الخوف؟

نحن نتدارس هذا الكلام من كلام ابن الجوزي في (منهاج القاصدين) و نرى المعنى؛ لكي نؤصل هذه القضية ..

أولاً: ماذا يعني الخوف؟

☞ الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال.

ما معنى ذلك؟ مثال:

أنا أخاف أن أنظر نظرة حرام فيسلبني الله تعالى الرزق، أو أن يُعجل ليَّ الله تعالى العقوبة في أهلي .. أن أكون خائفاً أن ينطبق عليَّ قوله تعالى {مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ ..} [النساء: 123] .. فأكون خائفاً أن يحدث هذا لي في المستقبل، وهو أن أعاقب في محارمي .. فخوف توقع المكروه ...

مثال: أنا خائف من أن أصاب بمرض مثل فلان؛ لأنه كان يقع في واحد اثنين ثلاث من الذنوب وأنا أيضاً أقع فيها .. واحد يدخلن أو يفعل أي شيء من الأمور التي قد تفسد عليه صحته، فهو خائف من توقع هذا المكروه .. فيبدأ الخوف يُقلق عنده الأمور، فيُسمى (خوف مَقْلَق) .. مزعج .. لا يستطيع النوم .. يقال له: مما تخاف؟، يقول: من همَّ الغد.

☞ الخوف :: تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال.

لماذا طلبت منكم الانتباه لهذا الأمر؟! .. لأن هذه الأمور سنقوم بتفصيلها، الموضوع كله في نقطة المكروه وتوقعه ..

ماذا أفعل حتى أخاف الله عزَّ وجلَّ ويكون خشية حقيقية؟

ما الأشياء التي يجب أن أخاف منه حدوثها ويكون عندي علم بأسخ بها؟!

هذه كانت حقيقة الخوف ..

بعد ذلك، اعلم أن الخوف ينتظم من ثلاثة أشياء .. أي لكي نحقق الخوف نحتاج لثلاثة أشياء:

ثلاثة أمور تُحقق الخوف::

(1 علم .. 2 حال .. 3 عمل ..

فمن لديه واحدة فقط دون البقية، فلديه خلل في قضية الخوف ..

أولاً: العلم .. ما هو العلم المطلوب معرفته حتى أخاف الله حق الخوف؟ .. قالوا أول شيء::

(1 معرفته بالله وبصفاته وأسمائه ..

معرفة توجب ذلك، إذن نحن نتكلم عن أي صفات؟ ☞ **صفات الجلال ..**

الذي سيتعلم هذا المعنى على الوجه المطلوب، هذا هو الذي ستكون ثمرة علمه:: الخوف الحقيقي من الله عزَّ وجلَّ ..

تعالوا نطبق تطبيقاً مباشراً من خلال الأسماء والصفات، يعنى بذكر بعض الأسماء التي تدل على الجلال .. يعنى لو أنك شاهدت الله ملكاً ..

الله الملك..

وشهدت معنى قوله تبارك و تعالی ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَرِغُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26]

قال العلماء "سر هذا الاسم أنه ليس لأمره مرد ولا لحكمه رد، فيجب على المسلم الذي يؤمن أن الله ملكاً أن يعتمد عليه ولا يعتمد على غيره، فهو يعطي الملك من يشاء ويقدرته يسلبه ويزعه عن يشاء" ..

فلو أردت أن تُعز ولا تُذل، وتكون لك في الدنيا الحياة الطيبة، فينبغي إذا أن تلوذ بالملك وتخشى من جزاء الملك .. مَنْ يَشْهَدُ رَبَّهُ مَهِيْمًا ..

اسمه المهيمن ..

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: 23]

يقولون "المهيمن من كان على الأسرار قريباً ومن الأرواح قريباً"

أي إن الله سبحانه وتعالى قريب منك، مطلع على خفاياك وأسرارك .. وهو سبحانه وتعالى علمه وتدبيره مُحيط بك من جميع الجوانب ..

فإذا كنت تعرف أن الله مهيمن وله هذه السيطرة التامة عليك والتدبير التام هذا يدعوك إلى مراقبة الله سرّاً وجهراً، ويرشدك إلى أن الله معك أينما كنت .. فلا تفعل إلا ما يرضيه وتحذر الوقوع فيما يغضبه.

من يعرف أن الله عزيز وأنه لا يعز عنده أحد لا يتدلل ويعلم أنه غالب وليس بمغلوب ..

العزيز .. الذي لا مثل له ولا نظير له، وهو سبحانه غالبٌ وليس بمغلوب .. فتخاف من عزته ..

﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 209]

إذا اخطأت، سبُّيك ما معنى العزيم .. عندما لا تتذلل له على القدر المطلوب، سيريك أن مقامك مقام الذل وأن مقامه مقام العز .. فهذا الكلام عندما تفهمه جيداً يجعلك تخاف ...

عندما تشهد الله ..

جباراً .. على معنى الجلال ..

وليس على معنى الجمال، الذي هو جبر المنكسرين .. إنما على معنى الجلال، فتخشى أن يعاملك الله بجبروته ..

عندما تشهد الله ..

متكبراً ..

لا ترفع رأساً على أحد ولا تتعالى في الأرض، وتكون مع الله على معنى التواضع والاستسلام والانقياد ..

عندما تشهد الله ...

قهار قاهر ..

يذل الجبابرة والأكاسرة ويذل من يشاء سبحانه وتعالى .. يجعلك هذا المعنى تقهر أنت نفسك له ..

لقد ذكرت بعض الأسماء كمثال تطبيقي فقط، لكن بالطبع أسماء الجلال أكثر من ذلك ..

عندما تشهد معاني مثل معنى ::

{ .. مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا يُجْزَ بِهِ .. } [النساء: 123] .. { وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } [الزلزلة: 8]

خطأ قد تحسبه هيئاً، وفي ميزان الناس يُستهان به ويُقال لك: إنها مجرد كلمة ومرت، وربُّك غفور رحيم ..

فحينما تشهد: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً، يهوي بها سبعين خريفاً في النار" [رواه الترمذي وصححه الألباني، صحيح

الجامع (1618)]

إذا، المسألة ليست كما تتصور .. { .. وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ } [النور: 15]

"إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات". يعني:

المهلكات . [صحيح البخاري]

"إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه .." [رواه أحمد والطبراني وحسنه الألباني، صحيح الجامع (2687)]

تضاف

آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام كانت زلة .. مجرد خطأ واحد، ذنب واحد طُردَ من أجله من الجنة .. طُردَ بسبب الذنب، فلماذا لا تكون كذلك؟؟

معرفتك هذه بالله تجلب الخوف، فلا تعرف أن تدل ولا يكون عندك هذا الأمان التام ..

بل الخوف هو الذي سيبعثك على الأمان، كما سدرى ...

إذا ..

(1) علمه بأسماء الله تعالى وصفاته ومعرفته به سبحانه.

(2) معرفته بكثرة جنائياه ومعاصيه ..

فعندما تكون على علم بذنوبك وعيوبك جيداً، وحريصاً أن تكون متنبهاً لهذه المعاني، هذا سيبعثك على الخوف ويسوقك إلى الله عز وجل لو نظرت إليها بنظر الاعتبار والتفكير الصحيح .. لهذه الذنوب كلها..

ذهبتُ إلى طبيب الأسنان وكان هناك اصطدام منذ أربع سنوات ومر ذلك الأمر، ثم تبين أن العصب مات .. الطبيب قال لي عبارة أدارت رأسي، قال: لما يحدث لك تصادم وتخرج منه سليماً، فاعلم أن هناك مشكلة كبيرة .. فالغالب أن يكون لديه نزيف داخلي .. أما إذا أصيب له ضلع أو أي عضو، فالأمر على ما يرام ..

إِذَا، عندما تعمل الذنب وتكون بعده سليماً، فخف أن يكون استناباً!!

أما إذا فعلته وبعدها مشاكل في بيتك أو غيره، فقد أخذت جزاءك .. فكل هذه الذنوب التي وقعت فيها، أحسب إنها ستمر بسلام!؟؟ .. ولم تُجدد توبتك بعدها، ولم تندم أو تستغفر أو تبكي من خشية الله !! .. فعندما تجد فجأة عاقبة ذنبك، تندهمش وتقول ماذا حدث ؟ لقد كان حالي جيداً وكنت أمس قائماً وقبله بأسبوع في جنازة وحضرت الدرس أول أمس، ما المشكلة!؟؟

ماذا عه ما مضى؟ .. { .. أَحْصَاءُ اللَّهِ وَتَسْوُهُ .. } [المجادلة: 6]

فثاني الأمور التي تبعثك على الخوف :: ألا تعاقب على الذنب أو لا توفق للتوبة.

إذا لم يحدث ذلك أو ذاك، فخذ منه عقوبة لا تعد لها ولا تحسب لها حساباتها !!

(3) معرفته بأنه لا يُسأل عما يفعل ..

التي هي شهود معنى من معاني قهر الله تبارك وتعالى، طالما أنت عبد وهو لا يُسأل عما يفعل .. وأنت تعلم أنه سبحانه حرم الظلم على نفسه .. ولكن هو سبحانه لا يُسأل عما يفعل، فلو شاء أن يفعل بك شيئاً سيكون .. فتخاف أنه يُعجّل لك بعقوبة أو يبتليك بابتلاء، وأنت تتصور أنه من الصعب جداً عليك أن تعيش مع هذا الابتلاء .. يفقد كذا .. يفقد كذا .. يفقد كذا ..

{ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ } [إبراهيم: 20]

هذا هو الخوف، ومداره على :: معرفته بالله، ومعرفته بنفسه.

معرفته بالله .. أنه سبحانه وتعالى هذه أفعاله وصفاته، وانه لا يُسأل عما يفعل، وهذه أفعاله.

معرفته بنفسه .. بجناياه ومعاصيه وعيوبه، ومعرفته بجلال الله واستغناؤه عن الخلق يبعث على الخوف.

الأمر الأول كان العلم ..

ثانياً: الحال ..

لو لم تجد من نفسك هذه الأحوال، فخاف ::

(1) قلبك لا يهتز ..

(2) جسدك لا تظهر عليه هذه الآثار .. فمن خاف الله نَحَلَ جسده أو أصْفَرَ أو ظهرت عليه علامات من أصابه الهمُّ، الذي يحمل من همِّ الدنيا وأعرض عن كثرة الضحك والتهريج، فلا يقضي وقته كله هكذا .. (ولا يُفهم من ذلك الإعراض عن الضحك) .. فالرسول **صلى الله عليه وسلم** كان جُلُّ ضحكته التبسُّم ..

إدًا، لابد أن يكون هناك توازن، ولكنه لا تقضي كل وقتك في التهريج !!

لأنه لو صار كله تهريج، فإن ذلك علامة على إن الخوف ليس في قلبك .. وكان الصحابة والسلف يضحكون بعضهم البعض، ولكن إذا خلا بالله ظهر خوفه في البكاء طيلة الليل من خشية الله .. خطين أسودين في وجوه الصحابة، في وجه عمر خطين أسودين من كثرة البكاء .. فأين ذلك؟

فإن لم تَرى هذه الأحوال .. لا بقاء مع خشية الله، ولا إحساس في القلب ..

فمعنى ذلك أن الخوف ليس بالقدر الكافي في قلبك !!

ثالثًا: العمل ..

فمن خاف من الله يترتب على خوفه أمور:

(1) الكف عن المعاصي .. فلو قيل لك: أن نوعٌ من الطعام به مواد مسرطنة، لظلت تُفكر وتخشى أن تُخاطر بحياتك .. فتركه ..

فلو علمت أن النظرة سهم مسموم يسُم قلبك، وأن هذه الخلطة التي تراها شيئًا عاديًا .. وتقول: ما المشكلة أن أتحدث مع زميلتي في العمل، طالما إنني إنسان محترم؟! .. ومن الممكن أن تحدث خلوة ولا يوجد ضوابط .. والأمر بالنسبة لك عادي، طالما لا يترتب عليها مشكلة .. وأنت الذي تحكم بهذا!!! .. فإذا كان هذا الكلام ليس واضحًا، فسوف يترتب عليه أن هذا القلب ليس خائفًا فيتجرأ .. إنما الخائف تجده يكف .. ويقول: طالما الأمر فيه شبهة فلنتركه ..

فيلك عن المعاصي ويتقي الشبهات،،

(2) قمع الشهوة .. يقال لك: إن هذا العسل أفضل أنواع العسل في العالم، لكن هناك احتمال أن يكون فيه نقطة سُم .. هل ستشرب منه؟! .. وقد اشتراه لك رجل بآلاف الدولارات، فهدية لا تُحلم بها .. لكن هناك احتمال أن به سُم، هل ستشرب منه؟؟ ..

كذلك الشهوة، **مثلاً:** ستتزوج أفضل امرأة في مصر لكن من الممكن أن تكون سبباً في ضياع دينك .. بعدها قد يتم رؤيتك في أماكن، لم يكن يُظن أن ترتادها ..

مثلاً: صفقة ستعود عليك بأرباح لم تكن تحلم بها، لكن يوجد احتمال أن تتعامل بالربا ومشاكل أخرى ... و "درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم، أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية" [رواه أحمد وصححه الألباني، صحيح الجامع (3375)] .. فتقمع الشهوة ..

فالخائف من الله لا ينظر لجمال الشهوة ولتتها، وإنما ينظر إلى حقيقتها وإلى النتائج التي يملكه أن تترتب عليها ..
يرى فيها السم،،

(3) الإقبال على التخلص من الآفات (خاصة النفسية) .. فذرة كبر من الممكن أن تحرمك الجنة .. وكذلك العُجب،

تفرح بعض الشيء بأعمالك أو أحوالك فتهلك .. " ثلاث مهلكات .. " لماذا تُهلكك وتميط بك إلى الأرض!!؟

بعض الرياء، شرك خفي .. فيصير مشكلة كبرى .. ويكلك الله سبحانه وتعالى إلى من أشركت به .. " تركته وشركه .. " لماذا؟

قُبِرَ فِي عَمَلِهِ الْإِسْتِمْرَابِيَّةَ وَالْحِرْصَ الشَّدِيدَ عَلَى التَّخْلُصِ مِنَ الْآفَاتِ النَّفْسِيَّةِ،،

(4) دوام المراقبة والمحاسبة والمجاهدة .. كمن لديه صديق مُقَرَّبٌ وفي مثل عمرك ثم يموت فجأةً، وتدفنه في قبره ..

ستظل لمدة أسبوع بعدها لا تستطيع النوم، لو كان قلبك حياً .. وستستسأل: هل من الممكن أن يحدث لي ذلك؟؟ .. لقد كان بصحة جيدة ولم يكن لديه مشاكل، وفجأة حدث له ذلك .. ولما لا يحدث لي؟! .. فستبدأ تُفكر بأن تصلي ركعتين في الليل ومنذ فترة لم تصلها، عسى أن يُختم لك بما .. لعلها فرصة قد منحها الله عزَّ وجلَّ لك ..

فتجد نفسك بدأت تُراقب وبدأت تُحيي أعمال؛ لأنك خائف .. لذلك قالوا::

الضَّوْفُ أَكْبَرُ سَائِقٍ إِلَى اللَّهِ،،

فينشغل بالمراقبة وبالاحاسبة وبالجاهدة، ويترب على ذلك حرصه الشديد على وقته فيكون بخيل بزمانه،،

فهنالك أمران أساسان في العلم::

(1) معرفته بالله .. (2) ومعرفته بعيوبه وجناته وو ..

وفي الحال::

أن يرى أثره في قلبه:: تزول عنه القسوة ويرى ذلك في جوارحه، من بكاء وهذا الحزن ..

فيخاف ويحزن على نفسه، وهذا ليس على الدوام؛ لأن الأحوال لا تستمر .. لكن هذا الحزن موجود ..

في العمل، هنالك خمسة أمور ظاهرة::

(1) يكف عن المعاصي .. (2) يجمع الشهوة .. (3) يتخلص من آفاته .. (4) ينشغل بالمراقبة والاحاسبة .. (5) ييخل بزمانه ..

هذه الثلاثة أمور الخاصة بالخوف:: العلم والحال والعمل .. وتفصيلهم.

مراتب الخوف ومظاهره ..

قالوا: أن الخوف مراتب .. وهنا سنظهر على حقيقتنا، وهذا ما كنت أريد تبيّنه لكم .. أولاً: مظاهر الخوف ..

(1) **الخوف** .. فلو منعك الخوف فقط من ارتكاب المعصية، فقد حققت مرتبة الخوف.

(2) **الورع** .. ولو صار الخوف يكفك عن الشبهة، لحققت مرتبة الورع.

(3) **الصدق** .. ولو جرّدك الخوف لخدمة الله والابتعاد عن فضول الدنيا، فهذه هي مرتبة الصدق.

وهنا المشكلة .. أن الإنسان منا أحياناً قد يتوهم أنه قد بلغ هذا المقام، أي صار صادقاً ..

الصدق الحقيقي:: بعدما تمر على مرحلة الخوف، ثم تعلق للورع، تصل إلى الصدق،،

لو كنت صادقاً .. أي: صادق بمعنى الكلمة .. فمن الممكن أن تصدق الله عزَّ وجلَّ في عمل أو في نية .. ولكن لكي تصير عنده من الصادقين، لابد أن تمر على هذا السَّلم ...

الخوف هو الذي يوصلك، فيكفك عن المعاصي .. ويعلو الورع، فيكفك عن المشتبهات .. وبعد ذلك يعلو، فتصل إلى مرتبة التجرد في الخدمة ..

أي: تصير مُنقطع له، مُتبتل له، وغير مُنشغل إلا به ..

فأنت غير مُنشغل بما ترتدي أو تتركب أو كيفية زيادة أموالك .. ليس هذا هو شُغلك الشاغل .. هذا هو الصدق،،

هذه هي مراتب الخوف::

(1 خوف .. 2 ورع .. 3 صدق ..

درجات الخوف

الخوف ثلاث درجات .. وهي في التقسيمة الثلاثية المعروفة::

(1 اعتدال .. 2 غلو .. 3 تفريط..

وهنا المسألة في غاية الأهمية؛ لأن العلماء نظروا هذا الكلام .. وهذا الكلام ذكره ابن الجوزي في (منهاج القاصدين) ..

قال: إن هناك من يخاف خوف مُبالغ فيه، فيُصيبه بالإحباط واليأس والقنوط .. فيقطعه عن الطريق ..

وهناك من أحواله كأحوالنا .. يظن أن هذا هو الخوف .. وابن الجوزي يقول: أن هذا أقل درجات الخوف، وأنه عادة نتيجة لرقعة في القلب ..

فمثلاً: قد يسمع آية وهو رقيق القلب، والآية كانت مؤثرة .. كقوله تعالى { **أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ** (*) **لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ** }

[النجم: 57,58] .. فلو كان رقيق القلب، سيبكي .. فيظن أن هذا دليل على خوفه .. والأمر ليس كذلك ..

☞ فهذا هو المُفَرِّط،

قال: "أما القاصر .. فهو الذي يجري مجرى الرقة من النساء، يخطر بالبال عند سماع آية أو سبب هائل يُثير البكاء .. فإذا غاب ذلك السبب عن الحس والقلب، رجع القلب إلى الغفلة"

أليس هذا ما يحدث لنا؟؟!

إذا سمعنا درس وكان يتحدث عن أحوال الخائفين ومثل هذه المعاني، فيهتز القلب ويبيكي وينفعل ويشعر أنه بدأ يُبلِّغ هذه المترلة .. وبعد أن ينتهي السبب، يزول الخوف.

لذا يقول ابن الجوزي "فهذا خوفٌ قاصر، قليل الجدوى، ضعيف النفع وهو كالقضب الضعيف.."

مثل عود الآراك - السواك- إذا طرقة أحدًا على يده، سيترك ألم خفيف ومن الممكن ألا يشعر به .. فهذا ما يحدث ..

"كالقضب الضعيف الذي تُضرب به دابة قوية، فلا يؤلمها ألما مبرحًا، فلا يسوقها إلى المقصد ولا يصلح لرياضتها .. وهذا خوف الناس كلهم إلا العارفين والعلماء، ولست أعني بالعلماء المترسمين برسوم العلم .."

أي: من شكله يدل على أنه فقيه أو الأستاذ الدكتور أو ما شابه .. لا لا ..

".. فإنهم أبعد الناس عن الخوف، وإنما أعني العلماء، العلماء بالله وآياته وذلك مما عزَّ وجوده .."

فهذا هو المفرط .. الذي يفهم أن الخوف مجرد طرقتين، أن يسمع درس كل حين وأنتهي الأمر .. ويترك أثر للشحنة لمدة يوم أو يومين، وأنتهي الأمر .. في رمضان يتأثر لمدة يومين أو ثلاثة، ثم ينتهي الأمر .. العمرة ثلاثة أو أربع أو خمس أيام أو أسبوع، وينتهي الأمر ..

فهذا خوف القاصرين،

وهناك خوف الغلاة .. الذي من شدة خوفه، قد يموت .. وهذا ليس من علامات الصحة، نحن نحتاج إلى خوف يقود .. وهذا هو حد الاعتدال.

فالاعتدال في الخوف .. خوف يكون فائدته الحذر والورع .. التقوى .. الجاهدة .. الفكر .. الذكر .. التعبُّد .. هذه الأمور .. يسوق إلى الله عزَّ وجلَّ ..

هذا هو الخوف الذي منه حصَّله، يكون هذا منه ثمرة معرفته بالله تبارك وتعالى،

أخذنا: حقيقة الخوف، وأن الخوف: علم وحال وعمل، وأخذنا أن الخوف له مراتب ودرجات.

طبقات الناس في الخوف

ذكرنا أنه يجب أن يكون هناك شيئاً مكروهاً يخاف منه .. وهنا العلماء قالوا أشياء كثيرة، لكنهم قد قسموها ..

في المنهاج، قال: أن الناس طبقتين ..

الطبقة الأولى: تخاف من أمور لا لذاتها إنما لغيرها .. فهو لا يخاف من الذنب، إنما يخاف من عقوبته .. فهو يتجرأ

على الذنب، لكن بعد قليل يقول: هل من الممكن أن أعاقب؟! .. هل من الممكن أن اخسر تجارتي؟! .. يعني من الممكن أن العبد يُحرَم الرزق بذنوب يصيبه؟! .. فيخاف لأثره، لكنه لا يخاف من أصل الأمر بل قد يحبه ..

فخوفه مُتعلِّق بالغير .. فيخاف الموت قبل التوبة، يخاف نقض التوبة .. أي: بعد أن يتوب، يعود للذنوب مرة أخرى ..

يخاف من ضعف القوة عن الوفاء بحق الله .. أنه أخذ العهد والميثاق أنه سيكون مستقيماً، وبعد ذلك يخاف أنه ينقض عهده مع الله

..

يخاف تبدل رقة القلب بالقسوة .. فطالما هو في حالة الإقبال على الله، فيخاف ويقول: هل سأبعد مرة ثانية؟؟؟ .. فيخاف أن

يقسو قلبه .. يخاف من الأثر ..

يخاف من الميل عن الاستقامة .. يخاف من الانتكاس .. يخاف من الاستدراج بالنعم، يخاف ما لا يدرى حدوثه في بقية العمر ..

يخاف من سوء الخاتمة وما سيحدث على الأمد البعيد، يقول: الله أعلم بما سيحدث، فهناك إخوة كانوا ما شاء الله وأخوات كن يعطين دروساً واليوم الله أعلم بحالهم .. فيخاف أن يكون مثلهم ..

يخاف من إطلاع الله على سريره في حال غفلته .. أخشى أن يكون أطلع الله على بعض ذنوبي، فقال: اذهب لا غفرت لك ..

فيخاف أن يطلع الله عليه وهو غافلاً، فيسخط عليه ..

يخاف من خاتمة السوء، وخوف الخاتمة أغلب المخاوف على قلوب المتقين وأعلى من هذا المقام ..

آخر نوع: خوف السابقة .. هل يا ترى كُتبت عند الله شقي أم سعيد؟! .. فهذا ما يشغله .. فيحاول أنه يكون من أهل السعادة وليس من أهل الشقاوة .. فهذه الطبقة الأولى الذين يخافون من تلك الأمور لا لذاتها وإنما لغيرها.

الطبقة الثانية: تخاف من الشيء لذاته .. - أي: من الشيء نفسه- **مثل: هذا يخاف من سكرة الموت ..** عندما يُقال له: سكرة الموت ويستشعر احساس الروح وهي تؤخذ من جسده، كأنها ضرب بالسيوف وقيل أشد من ذلك .. أو يشعر كأنه ضُرب بمرزبة لا يطيقها جبل، ويشعر بهذا المعنى فيشعر بالرعب ..

يستشعر معنى قول الرسول **صلى الله عليه وسلم**: "**.. لا إله إلا الله إن للموت سكرات**" [رواه البخاري] .. فيخاف ..

يقال له: أن القبر هو أول منازل الآخرة .. فإن صَلَحَ صَلَحَ ما بعده، وإن فسد فسد ما بعده .. فيخاف ..

يخاف أن يكون القبر حفرة من حفر النار وليس روضة من رياض الجنة ..

يخاف من سؤاله في قبره .. وهل يا ترى عندما ينتهره الملك، بَمَ سيرد عليه وماذا سيقول؟؟

وهل ياترى كان في قلبه: ربي الله وديني الإسلام ونبي محمد **صلى الله عليه وسلم**؟ أم سيقول: ها ها سمعت الناس يقولون قولا فقلته!!

يخاف من الوقوف بين يدي الله .. كما قال تعالى: **{وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}** [الكهف: 49]

يخاف من الصراط .. يخاف أن السقوط - أي سقطات ذنوبه- الذي كان يسقطه في الدنيا، سيسقطه على الصراط ..

وصراط الحياة .. عمره سيُجسد على صراط الآخرة .. فكل سقوط في الدنيا، سقوط في الآخرة .. وهل غُفرت له فسيمر بسلام؟ أم لا فيسقط على الصراط وقدمه تمس شفير النار؟؟

يخاف من أهوال النار ومما أعده الله عز وجل من العذاب .. يخاف من أن يُحرم الجنة .. يخاف أن يُحجب

عن الله ..

فهذه المعاني هي التي تُقلقه .. هي التي تزعجه، وتجعله يتحرك إلى الله عز وجل ..

فالآن عرفنا مما تكون المخاوف ..

وقد فسر العلماء هذا الكلام ببعض الأمور .. بعضهم ذكر مثل ما ذكر المحاسبي، الذي قال في كتابه (مداواة النفوس):

"خلاصة المعارف: أن العبد بين تسع مخاوف::

1) أن يخاف ويدعو الله ويتضرع إليه ألا يكله إلى حسناته ..

بمعنى أن الله عزَّ وجلَّ يُغرره بحسناته، فيقول: أنا لست سيء للدرجة .. فليس المطلوب جلد الذات، وإنما المطلوب ألا تكون مغروراً

2) يخاف من كفران النعم، التي قد غلبَ عليه البطر بما فأشغله عن الشكر ..

فإن لم يكن معك هذا المال، لما انشغلت بها عن الله .. وهذا المتاع وخُلطة أهل الدنيا، وهذه النعم التي تملكها هي التي تقطعك عن الله .. فإن لم يكن معك مال، لم تكن لتفكر: أين ستصرف هذا المال؟؟ أو أين ستتره أو ماذا ستركب ??? وفي أي شيء ستحقق ذاتك??

فإه لم نشك هذه النعم، فقد تسلب وتُحارب بها وتكون هي سر بلاتك،،

3) خوف الاستدراج بالنعم ..

بمعنى أن يكون حالك مع الله غير جيد، وفي نفس الوقت أمور الدنيا مُيسرة ..

4) خوف الله، أن يبدو له غداً من الله ما لم يكن يحتسب ..

قال تعالى { .. وَبَدَأَ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ } [الزمر: 47]

"إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها" [متفق عليه]

قصة الأصبرم وقزمان - في غزوة أحد - الأصبرم دخل الغزوة، وهو لم يسجد لله سجدة .. دخل الغزوة، فسمع: يا خيل الله اركبي ..

أسلم وذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم، وكانت الغزوة بعد الفجر في وقت الضحى .. فدخل يسأل عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقابلته أحد الصحابة وقال له أهم خارجين للجهاد .. فأكبر هذا وشرح صدره، بالرغم من أنه كان يُدعى إلى الإسلام قبلها ولكن كان قلبه مغلقاً .. لكن سبحان الله في هذا اليوم شرح الله صدره ..

فدخل المعركة فجاهد فيها، حتى قُتِل واستشهد ولم يركع لله ركعة ..

وهذا مثال إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار - فقد كان على كفر- حتى أنه بينها وبينه إلا ذراع فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها.

قزمان كان عكسه: فقد كان قزمان فتى شجاع جداً ويُشار إليه بالبنان .. فقد قتل الصحابة 37 شخصاً من الكفار في غزوة أحد، وقزمان قتل منهم سبعة أو تسعة رجال .. أي أنه قتل تقريباً رُبْع من قُتِل من جيش الكفار .. فقزمان في هذا اليوم عيروه النساء أن يقعد عن الجهاد، فخرج ووقف في الصف الأول في الغزوة .. فقاتل حتى قتل تسعاً أو سبعة من المشركين، فأصيب بجراحات فأقبل إليه قتادة بن النعمان وقال: أبشِر يا أبا الغيداق .. هنيئاً لك الجنة، فقد أبليت بلاءً حسناً ..

قال: علام تبشرون؟! ما قاتلت إلا على أحساب قومي ثم مات.

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم " .. وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر " [رواه البخاري]

قال تعالى { .. وَبَدَأَ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ } [الزمر: 47]

فأنت تعتقد أنه بمجرد حدوث أي مشكلة لك، ستقول: ربِّ الله وتشهد بالشهادتين وستفعل وستفعل ..

الله أعلم هل هذه المعاني مترسخة في قلبك أم قد غطت عليها الدنيا؟؟؟

(5) الذنوب التي عملها واستيقن بها فيما بينه وبين الله ..

خائف من أن هذا الذنب يظهر ويُفصَح به .. وأنه يكون لم يوفق للتوبة منه، فيخشى أن يظهر هذا الذنب في اللحظات الأخيرة .. فهذا يصيبه بالانتكاس، أو يُرديه فيستوجب من العذاب حتى يطهر القلب من أثره ..

(6) يخاف من تبعات الناس ..

هل لم تُخطيء في حق أي أحد؟ هل لم تغتب أحدهم أو لم تذكر أحدهم دون أن تشبهه؟؟ هل لم يحدث أي نوع من التجاوزات والمظالم مع الناس؟؟ هل لم تتعدى على حق أحد؟؟ .. هل هذه التبعات ستجد أنت في المقابل أشياء تزن الأمور أو ستوفق للتخلص منها؟؟ أم ستكون عند القنطرة مصيبة كبيرة فتحتاج منك الآن إلى وقفة؟؟؟

(7) لا يدري ما سيحدث له في بقية عمره ..

يخاف من الخواتيم ..

(8) أن يخاف تعجيل العقوبة في الدنيا والنكال فيها قبل الفوت ..

هل إذا تم تخليصها منك في الدنيا هل ستتحمّل البلاء؟؟ أم من الممكن أن يصيبك البلاء بالتسخط؟؟
مثلاً: شخص سليم صحيح ثم ابتلاه الله بمرض مستعصي .. هل ستتحمّل هذا أم من الممكن أن تتسخط وتموت على التسخط؟؟

(9) يخاف من علم الله فيه وفي أي الدارين أثبت اسمه في أم الكتاب ..

وهذا المعنى مُشار إليه في حديث النبي **صلى الله عليه وسلم** - الذي أخرجه الترمذي والإمام أحمد في مسنده وابن أبي عاصم في السنّة وابن نعيم في الحلية وصححه الشيخ الألباني:

قال **صلى الله عليه وسلم**: "أتدرون ما هذان الكتابان؟"، فقلنا: لا، يا رسول الله إلا أن تخبرنا .. فقال للذي في يده اليمنى (وقد كان **صلى الله عليه وسلم** ممسكاً بكتابين) "هذا كتاب من ربّ العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً"، ثم قال للذي في شماله "هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً"، فقال أصحابه: فقيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه؟، فقال "سددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يحتّم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يحتّم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل"، ثم قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** بيديه فنبذهما ثم قال "فرغ ربكم من العباد فريقين في الجنة وفريقين في السعير" [رواه الترمذي وصححه الألباني، صحيح الجامع (88)]

أيه نذره؟؟؟

فمن يُفكر في هذا الحديث، سيقول: انتهى الأمر أنا كُتبت من أهل كذا .. هل أنت عرفت ما في اللوح المحفوظ؟ .. هذا أمرٌ استأثر الله به نفسه.

لكنه مشغولاً أنت في فريق أهل النعيم أم أنت في فريق أهل الجحيم؟؟؟

معنى الخوف ..

تعالوا لنرى الخوف من كلام العلماء؛ كي نتعلم من سيرهم معنى الخوف ..

الجنيد قال الخوف "توقع العقوبة على مجاري الأنفاس"

وقال الفضيل "من خاف الله، دله الخوف على كل خير"

وقال حاتم الأصم "زينة العبادة؛ الخوف من الله عز وجل"

ولو نظرنا في أحوال الخائفين، وسيد الخائفين محمد **صلى الله عليه وسلم** هو القائل: "شييتني هود وأخواها" [رواه الطبراني وصححه الألباني، صحيح الجامع (3720)]

وهو القائل: "شييتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت" [رواه الترمذي وصححه الألباني]

يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء ..

النبي **صلى الله عليه وسلم** الذي كان يبكي حتى يُبل ثوبه ويُبل الثرى بدموعه، بأبي وأمي هو رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ..

من مر بإخوانه وهم حول قبر يدفنون رجلاً، فبدر من بين أيديهم ثم واجه القبر حتى بلّ الثرى من دموعه، وقال "يا إخواني، لمثل هذا فأعدوا" [رواه ابن ماجه وصححه الألباني]

الخليل الذي بلغ هذه المترلة في المحبة، كان سيد من سادات الخائفين .. كان إذا ذكر النار، كما يقول كعب يقول: **أواه ..**

فقال الله { **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ** } [هود: 75]

وهذا آدم وداوود، قال علقمة بن مشرد: "لو عُذِلَ بكاء أهل الأرض بكاء داوود ما عدله، ولو عُذِلَ بكاء أهل الأرض بكاء آدم حين أهبط إلى الأرض ما عدله"

فمتى كانت آخرمة بليت فيعها مه خشية الله؟! .. ومتى آخرمة بلي قلبك .. على الأقل .. مه خشية الله؟؟؟

بكاء بحق؛ لأنك كنت تشعر بهذه المعاني والمخاوف، وخائف من تلك العواقب .. كانت متي؟؟؟

حتى الملائكة: فهذا جبريل .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "مررت ليلة أسري بي بالملأ الأعلى، وجبريل كاحلس البالي من خشية الله تعالى" [حسنه الألباني، صحيح الجامع (5864)]

ويقول صلى الله عليه وسلم لجبريل "ما لي لا أرى ميكائيل ضاحكاً قط؟"، قال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار" [رواه أحمد وحسنه الألباني]

أبو عبيدة بن الجراح يقول: "وددت أن أكون كبشاً، فيذبحني أهلي فيأكلون لحمي ويجسون مرقى" .. يا ليتنا مثله ..

عبد الله بن مسعود يقول: "لوددت أن الله غفر لي ذنباً من ذنوبي، وأني سُميت بعبد الله بن روثة"

وقال "والذي لا إله غيره، لوددت أني انقلبت روثة وأني دُعيت عبد الله بن روثة وأن الله غفر لي ذنباً واحداً"

وكان عبد الله بن عمرو يقول "لئن أدمع دمعة من خشية الله، أحب إليّ من أن أتصدق بألف دينار"

وهذا الربيع بن خثيم يقول: كنت أقول لأبي: يا أبتاه ألا تنام؟.. فيقول: يا بني، كيف ينام من يخاف البيّات؟

وعن مالك بن دينار قال: قالت ابنة الربيع: يا أبتاه، إني أرى الناس ينامون وأنت لا تنام!، فقال: يا بُنيّة، إن أبـاك يخاف البيّات حتى لا أدري أتكون آخر ليلة لي أم لا؟

وهذا الحسن البصري يقول: قال غزوان الرقاشي: "لله عليّ ألا يراني ضاحكاً، حتى أعلم أي الدارين دارى".

فقال الحسن: "فعزم والله وحقق ما عزم عليه، فما رؤي ضاحكاً حتى لحق بالله عز وجل".

نحن نقول: هذا حال لبعض الناس وليس مُطالب به جميع الناس؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم ما أمرنا بذلك .. لكن هناك أناس غلب عليهم الحال لهذه الدرجة وهنا سؤال ..

هل الخوف أفضل أم الرجاء؟

في (منهاج القاصدين) قال ابن الجوزي: لا يُقاس الأمر على الإطلاق ..

وإنما في حال مَنْ أفضل؟ .. فإن كان في حال يانس فالرجاء أفضل ..

فإن كان شخصاً مكتئباً وعنده أمراض نفسية .. لا تذهب وتظل تقول له: الخوف .. الخوف هو أعظم سائق إلى الله، وهذا الشخص أصلاً لا يحتمل .. فهذا الشخص يحتاج إلى خطاب الرجاء.

وبالعكس: شخص مغرور ولا يبالي ويتغرر ويقع في ذنوب ومعاصي، فلا تقول له: لا تخف أبواب التوبة مفتوحة، والأمر أمامك مفتوحاً حتى الغرغرة .. فأنت هكذا تجعله يزداد جرأة .. وللأسف هذا ما يفعله بعض الناس مع مثل هؤلاء، تحت مسمى نحن لا نريد أن نُنفّر الناس ونُشعرهم بالاختناق .. فيروّج لهم الرجاء، بالرغم من أنهم يحتاجون التخويف فيزدادوا في المعاصي، مثل: المشلين والمغنيين .. فعندما يُقال لهم: لا تخافوا واجعلوا لأنفسكم دور في الحياة، وافعلوا وافعلوا .. فيتغرر بمعاصيه ويتمادى فيما هو فيه .. أليس هذا ما يحدث؟؟

لا يصح أن يكون الخطاب هكذا، وإذا عارضنا الأمر يُقال: أنتم تتكلمون في الخوف فقط وهذا تشدد!

فالأمر ينضبط كما ذكر ابن الجوزي ..

قال: "أن بعض السلف قالوا: لو نُودِيَ أن يدخل الجنة كل الناس إلا رجلاً واحداً، لحشيت أن أكون هذا الرجل .. ولو نُودِيَ

ليدخل النار كل الناس إلا رجلاً واحداً، لرجوت أن أكون أنا هذا"

انظروا الرجاء والخوف، لا بد أن يجمع بينهما معاً ..

قال: فلو وُزِنَ رجاء المؤمن وخوفه، لاعتدل ..

يعرف متى يخاف ومتى يرجو، وكيف يستخدمهما .. هنا هذا مقام رجاء، إذا جاءك شخص لديه مشاكل نفسية، فنحبيه في الله .. أما إذا جاء شخص متجريء على المعاصي ويبدو عليه ذلك، فهذا نخوفه بالله سبحانه وتعالى .. وتعرف أن تزجره عن هذا الأمر ..

إِذَا، فَمَسْأَلَةٌ يَجِبُ أَنْ تَنْضِبَ بِيَهْ هَذَا وَبِيَهْ ذَلِكَ،

انظروا إلى أحوال السلف؛ لكي تكون لنا فيهم الأسوة حتى عندما نمر بهذه الأحوال .. فليس المطلوب منك أن تكون مثلهم، ولكن المطلوب أن يُحرِّك هذا المعنى شيئاً في قلبك ..

الكلمة المشهورة لسفيان الثوري .. كان سفيان الثوري، إذا أُخِذَ في ذكر الآخرة كان سفيان يبول الدم من شدة خوفه من الله.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: كنت أرمق (أي: أرى) سفيان الثوري في الليلة بعد الليلة ينهض مرعوباً ينادي ... وهو بمفرده وعبد الرحمن ينظر إليه ليرى عبادة سفيان .. وكان سفيان ينادي: النار النار، شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات.

كان إذا ذُكر الموت لا يُنتفع به أياماً، فإذا سُئِلَ عن شيء، قال: لا أدري .. لا أدري .. ليس هذا الوقت لتحرير مسألة فقهية أو ما شابه، فشغله حالة.

مات سفيان الثوري - كما يقول عبد الرحمن بن مهدي - عندي، فلما اشتد به فجعل يبكي .. فقال رجل: يا أبا عبد الله، أراك كثير الذنوب! .. فرفع شيئاً من الأرض، فقال: والله للذنوب أهونٌ عندي من ذلك، إني أخاف أن أُسلب الإيمان قبل أن أموت.

بمعنى: أتخسب أي أخاف من الذنوب، أنا لا أخاف من الذنوب .. الذنوب لها ربُّ غفور، إني أخاف أن يُختم لي بالكفر وأنا لا أدري .. أن آخر لحظة يأتيني الشيطان يقول لي: كن يهودياً .. كن نصرانياً .. يُلبس علىّ أمري، فأنطق بكلمة الكفر بدلاً من كلمة الإيمان .. إني أخاف أن أُسلب الإيمان.

وهذا مسعر بن كدام، قال حفص بن عبد الرحمن: أتيت مسعر بن كدام ليحدثني، فكانه رجلٌ أقيم على شفير قبر .. قال في مرة أخرى: كأنه رجلٌ أتى به على شفير جهنم ليلقى به .. بمعنى إنك ما أن تراه، تقول: هذا الرجل ابن موت .. هذا الرجل خرج من القبر .. هذا الرجل ليس مثلنا، ولا يعيش حياتنا من خوفه الله عزَّ وجلَّ.

وهذا مالك بن مغول، قال: جلس سفيان الثوري ومالك فتذاكرا حتى رقا، فقال سفيان: وودت أني لا أقوم من مجلسي حتى أموت ..

مثل ما تجلس في مجلس وتشعر أن قلبك قد رقّ، فتدعو الله أن يكون هذا هو .. تجلس عند الكعبة وتشعر بإنشراح صدرك ودمعتك على خدك، وتقول لو هنا يأتي الموت وينتهي الأمر .. فهذا معنى قول سفيان: **وودت أي لا أقوم من مجلسي حتى أموت**

..
أما مالك فقال: **لكني لا أحب ذلك، معاينة الرسل .. معاينة الرسل ..** ثم قام يبكي يُخطّ الأرض برجليه .. أي يريد أن يعيش هذا المعنى وأثبت فيه الله عزَّ وجلَّ.

وهكذا كانت أحوالهم، هذا عطاء السليمي: كان يبكي حتى خُشيَّ على عينيه، فأُتيَّ بطبيب يداوي عينيه، قال: أداوي .. هل أنا سأعالج؟! .. فقال له الطبيب: يجب أن لا تبكي ثلاثة أيام حتى يتم شفاؤك .. قال: تداوي بشرط ألا تبكي ثلاثة أيام ..

فاستكره ذلك، وقال: **لا حاجة لنا فيك .. إيماناً بلا بكاء من خشية الله، لا ينفع ..**

هذا حاله، إذا لم يبك يوماً لا ينفع ...

فما هو حالنا نحن؟؟؟ منذ متى لم تبك نبكي؟؟؟ من رمضان الماضي؟؟؟

نسأل الله العفو والعافية .. نسأل الله العفو والعافية ..

وبكى هشام الدستواني حتى فسدت عينيه، فكانت مفتوحة وهو لا يكاد يُبصر بها ..

وكان ابن المبارك إذا قرأ كتاب (الرفاق) تغبّر، كأنه ثورٌ منحور أو بقرةٌ منحورة .. مثل البقرة أول ما تُذبح وهي في السكرات، فكأنه هكذا من البكاء .. لا يجتريء أحدٌ منا أن يدنو منه أو يسأله عن شيء إلا دفعه.

قال الفضيل يوماً وذكر عبد الله: **أما إني لأحبه؛ لأنه يخشى الله عزَّ وجلَّ ..** فكتب الله له في قلوب العارفين والصالحين حب هذا الرجل؛ لشدة خوفه من الله عزَّ وجلَّ.

وأحوال الصالحين في ذلك تطول ...

كيفية تصديق الخوف من الله عزَّ وجلَّ ..

الأهم الآن كيف تحققون ذلك عملياً؟؟

ما هي الوصفة العملية التي تحتاجها، لكي تصير مع الله أخوفاً وبالتالي تكون بالله أعرف؟؟

(1) جلسة محاسبة ..

فالمسألة تدور على معرفة الله (العلم) ومعرفة عيوب النفس، وأنت تجاهر نفسك بذلك وتكاشفها وتحاسبها بذلك .. يقول الشيخ عبد العزيز السلطان في كتاب (مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار) .. يشرح كيفية عمل ورد محاسبة:

"فالعاقل اللبيب من يوبخ نفسه ويعاتبها ويوضح لها عيوبها كلها، ويُقر ويقرر عندها جهلها وحمافتها؛ فإنما إذا أراد الله تُعذَّر وترجع لو صدق في هذا الأمر.. "

فبداية الأمر: وقفة محاسبة .. وها هي التجربة العملية:

"فيقول لها: ما أعظم جهلك تدعين الحكمة والفتنة وأنت من أجهل الناس؟!، وأكبر برهان على ذلك إهمالك واستهانتك، أما تعرفين ما بين يديك من الأهوال والعظائم والمزعجات والمخاوف؟؟ .. أما تقرئين وتسمعين قول أصدق القائلين وأوفى الواعدين وأصدق القائلين وأقدر القادرين؟؟

{ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (*) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (*) يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا } [المزمل:

[12,14]

أما تسمعين قول الجليل؟؟

{ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى (*) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي } [الفجر: 23,24]

أما تسمعين؟؟

{ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا } [الفرقان: 13]

{ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (*) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ } [إبراهيم: 16,17]

[إبراهيم: 16,17]

أما تسمعين رب العالمين ينذرنا نذيراً شديداً فيقول:

{فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى} [الليل: 14]

أما تسمعين؟؟

{إِنهَا تُرْمِي بِشَرِّرٍ كَالْقَصْرِ (*) كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ} [المرسلات: 32,33]

وبنحو هذه الآيات المخوِّفة، يقول لنفسه: مالك تفرحين؟ .. مالك تضحكين؟ .. مالك تشتغلين باللهو وأنت مطلوبة لهذا الأمر العظيم والخطب الجسيم؟؟ وبين يديك إحدى منزلتين جنة أو نار؟؟ فكيف تهنين بنوم أو يلذ لك مأكول أو مشروب وأنت لا تدرين في أي الفريقين تكونين ..

فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير،

هذه هي المحاسبة وكل شخص له مفتاح، والماهر هو من يعرفه ..

يعنى هناك آية هي التي تمز قلبه، ومن المهارة والفقہ أنه ينوع ما بين هذه الآيات .. هي الآية لها مفعول، ولكن أنت لا تعرف أن تتداوى بما التداوي المطلوب ..

فمثلاً: كنت ما أن تسمع: {ق .. ق} [ق:1] كان قلبك يُزلزل .. ما أن سمعت قديماً دروس مثل هادم اللذات وغيرها، كانت الآية أول مرة تسمعها بهذا الشكل فيرق لها قلبك ..

بعد ذلك يتم سماع الشريط ثلاث أو أربع مرات، لكن القلب يُطمس عليه بسبب الغفلة فلا تؤثر .. لذلك من يفهم يعرف كيف ينوع بين هذه الآيات ..

لذا فالواجب العملي لهذه الآيات:: الترويض بآيات الخوف والإزعاج.

لذا نحتاج على مدى الأسبوعين القادمين كشكول ونسميه (آيات خوفتني) .. وكل منا يكتب آية ويكتب عليها شعوره: أي آية تستحضر قلبك وتمزه .. فيمكن أحد منا لا يعرف المعنى المزعج في الآية - أي المخوف والزاجر - فيمكن أن تكون دليل لغيرك ..

فليس شرطاً المعاني المشتهرة، فهناك آية مثل **{وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}** [الزلزلة: 8] قد تحرك قلبه .. وهناك آخر، يقول: أنت بهذه الطريقة ستيأسني فلا يجب أن يسمع هذا الكلام .. وهناك آخر دقيق جداً شخصيته هكذا، فهذه المعاني تخوفه ..

وهناك آخر تجدي معه معاني البعاد، فهو شخص متقرب لله عز وجل ومتحجب فعندما يُقال له: **{.. أَلَا بُعْدًا ..}** .. فهذه التي تُشبهه .. عندما يُقال له: اخرج أنت لا تصلح هنا .. إحساس البعاد يكسره، فهذا يهزه جداً قوله تعالى **{كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ}** [المطففين: 15] .. هذه هي التي تشبهه وتشبهه أكثر من النار ..

وهناك آخر لا يأتي إلا بهذه السياط، فعن جد يجب أن نفعل كلنا هذا ونأتي بكشكول ونكتب فيه آيات التخويف والمرة القادمة إن شاء الله يكون معنا وبه ما كتبناه .. ولا يشترط أن تكون جلسة علم .. يمكن أن تكون جلسة مدارسة لمثل هذه المعاني، كما كان يفعل السلف فكانوا يجلسون جلسة - بنا نؤمن ساعة بحق - وكل منا يذكرنا بآية ..

وكان عمر بن عبد العزيز يعقد مجلس وكل من في الجلسة يأتي بمعنى في الآية، فهكذا تأتي الحشية وتخرج الدنيا من القلب والمرء منها يرى هذه هي نهاية الأمر؟؟ وأنا أقطع نفسي من أجل الدنيا وهمومها ومشاكلها والأولاد والزوجة والعمل وووو ..

فنجد بذلك المعاني التي ذكرناها في أول الدرس، فتقطع عنا الشهوات وتقطع عنا الإحساس بمثل هذه الأمور .. ذلك المطلوب في التحقيق العملي في آيات خوفني ..

(2) قائمة ذنوب وعيوب ..

فقد ذكرناها كثيراً، ولكن كل مرة أقول لك جددتها؛ لأن كل مرة تظهر عيوب ممكن ألا نكون لا نلقي لها بالاً ..

فمثلاً: كثير من الشباب يأتي ويقول أنا ملتزم منذ ثلاث سنوات، والحمد لله أول مرة يراودني ذنب من الذنوب السالفة التي كنت أفعالها قبل الالتزام، أنا كنت أعتقد أن مثل هذا انتهى وتخلصت منه منذ زمن ..

وقد كلمني أحدهم قائلاً: بعد ثلاث سنوات جائني الخواطر والصور التي كنت أراها، هل لم يُطهر القلب بعد!!؟

نعم، وأنت لا تدري .. وقد تغرر الأخ باللحية، وتغرت الأخت بالنقاب وتزوجت أخ أيضاً مثل ذلك، وأمام الناس يبدون ملتزمين وفي واقع الحال .. الله يعلم بالحال .. فتخاف ..

فبالتالي قائمة الذنوب يجب أن نجدها؛ لأن عندما تحدث مثلاً مشكلة بينك وبين شخص ما اكتشفت أنك تحب الدنيا وأنت لا

تدرى .. فالدنيا كانت لا تشغلك وكنت كثيرا تتصدق وغيره وتعتقد أن هذه الدنيا تحت الحذاء، ولكن اكتشفت أن الدنيا ما زالت مُترسخة في قلبك بسبب الحياة التي تعيشها والنشأة التي نشأتها .. عيب خفي ..

فعندما تم إلقاء **(سلسلة العجب)** وتكلمنا عن مظاهر العجب، كان هناك مجموعة شباب لم يكونوا يتصورون بحال .. آخر شيء مسألة العجب وأنه ليس عنده عجب بأي حال من الأحوال، لكن عندما قيلت له المظاهر أكد أنه معجب بمعنى الكلمة بنفسه أو بماله أو بأي معنى من هذه المعاني .. فقد كنت قد قمت بعمل مدارس في خطبة الجمعة، في قصة صاحب الجنيتين .. فهي بالضبط تُجسد هذا وترصد كل هذه المعاني ..

فالعيوب عنده في ثلاثة أشياء:

1) عندما قال صاحب الجنيتين: { .. أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا } [الكهف: 34] .. **هذا عجب وأد كبر ..** أعجب بماله وأولاده.

2) {وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا} [الكهف: 35] .. **هذا غرور ..**

فتغرر لدرجة أن يقول في داخل نفسه: لا يمكن يا أخي، ليس معقولاً أنني أنا من وُلدت في هذه البيئة الراقية ادخل النار؟؟ .. ونار وعذاب وعصارة أهل النار وقيح وو ! .. هل يمكن وأنت تأنف في حياتك من مثل هذا، هل ستعرض لهذا بعد مماتك تجلس في عصارة أهل النار؟؟ .. فتعتقد أننا بما أننا أمضينا حياتنا في بيئة راقية فإنه بالمثل سيكون في الآخرة ..

3) فدفعه لأن يقول هكذا {وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا} [الكهف: 36] .. أي: نظن أنه طالما عشنا في أفضل حال، سنموت على ذلك .. وظن أنه لا يمكن أن يفنى بأي حال من الأحوال ..

فصاحب الجنيتين عنده ثلاثة عيوب::

(1 كبر .. 2 عجب، أي غرور .. 3 شك .. {وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ..}

فكانت هذه البداية .. فقصته أهم ورثوا ثلاثة آلاف دينار هو وأخوه، فأحدهم - الصالح - تصدق بيهم .. والثاني تزوج بألف، والألف الثانية أنشأ بها مزرعة حيوانات، والثالثة استثمرها في التجارة .. فزاد ماله حتى طغى ولم ينتبه..

مثل قارون الذي كان ابن عم موسى عليه السلام، كما قال الله {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ..} [القصص: 76]

هل تعرف بدايته؟؟؟ .. بدايته أنه كان رجلاً متعبداً، فدخل عليه الشيطان .. فتعبّد معه حتى أعجب قارون عبادته، فقال: اجتمع معي في الصومعة .. فقال له: لم لا تخرج يوم؟؟؟ فلا يصح أن تجلس هكذا وتنفق الناس علينا! .. وهل كلامه صحيح؟، نعم صحيح .. فقط اعمل يوماً، وستة أيام تنفق على أنفسنا من اليوم الذي عملناه ..

هل هذا خطأ؟؟؟ بالطبع لا، فهذا هو الشرع ..

بعد ذلك قال له: ما رأيك نخرج للعمل يوم آخر، فالذي نحصل عليه نتصدق به .. نصف المال نفقته على أنفسنا، ونصف المال نتصدق به .. وهذا ليس خطأ، بالعكس هو يحضه على طاعات أكثر .. وقارون يقول له: هكذا صحيح .. وفي اليوم الثالث، قال له: نحن لا نريد طوال حياتنا نشقى ونتعب، نريد أن نتفرغ للعبادة .. فقال له قارون: ماذا سنفعل؟؟؟ .. قال له: ادخر قليلاً ..

فلما فتح عليه في باب الادخار تركه،،

فدخل حب الدنيا في قلب قارون، وصار أغنى أغنياء العالم .. فتركه على هذا الحال ..

أأيتهم كيف دخلت إليه الدنيا؟؟؟!!

فهذه هي قائمة العيوب التي لا بد أن تنتبه لها،

فإن الشيطان يفتح لابه آدم سبعينه باباً من أبواب الخير؛ ليعلمه في باب من الشر ..

عملياً تحتاج أن تعيش جو الخوف .. ما أكثر شيء يخوفك مما قلناه؟؟؟ .. مثلاً البعد .. فداوي قلبك من هذه الجهة، من الأمر الذي يستحضر قلبك ويهزه ويؤثر فيه ..

فمثلاً إذا خفت من قوله تعالى { .. مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ .. } [النساء: 123] .. فهنا يجب أن تقرأ عن عقوبات المعاصي التي ترتكبها بتوسع وترى أمثلتها وترى تطبيقاتها في الواقع أمامك وتسجلها ..

ليس الأمر أنني سأكتفي بقراءة (الداء والدواء) و(تحذير الداني والقاصي) .. لن أكتفي بالمعاني المجردة، بل سأقرأ أشياء واقعية .. انظر إلى فلان وكيف تحققت فيه الآية { .. مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ .. } [النساء: 123] وأنا هكذا إذا فعلت ذلك سأكون مثله.

آخر يخاف منه الطرد والإبعاد .. فقرأ الأحاديث والآيات التي تتكلم عن اللعن وطبّقها على نفسك وحالك، وافعل التطبيق الواقعي هذا .. متى بُعدت؟ متى طُردت؟؟؟ .. أنت الآن مطرودًا ومحرومًا، أم إنك لا تدري أم أين أنت؟؟؟ .. وتستوقفك هذه الآيات ..

احساس كفران النعمة .. نفع الأمرين، كما يقول علماء التربية :

1) أن نحضر ورقة ونقسمها نصفين ونكتب مجموعة من نعم ربنا التي نشعر بها جيدًا، اكتب مثلًا اثنين أو ثلاثة: مثلاً **نعمة السنن** إذا استشعرتها واستشعرت كل مظاهرها في حياتك، ستجد نفسك يكفيك هذا جدًا لكي تزيد حب الله في قلبك ..

2) ثم اكتب أقيح أشياء ارتكبتها في حياتك، وانظر على الورقة التي قسمتها نصفين واحكم أنت .. كما قال تعالى { .. كَفَى **بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا** } [الإسراء: 14]

فقط احكم هذه أمام تلك، فهذا المعنى يوّلد فورًا الحال الذي نريده .. هذه أمام تلك .. هذا مطلوب عملي فلننفعها، ونكتب هذا لكي تتحرك القلوب ونشعر أن هناك شيء سيتغير.

بالطبع من مظاهر الخوف الأخرى، مثل: زيارة مستشفى في الحالات الحرجة، أو تذهب إلى قبر وترى الوضع ..

هل تعرفون قصة الأخ **عُمرالذي تُوّفّي به أسبوعيه؟؟** .. الإخوة يذكروا على مدى الأسبوعين الماضيين، أن صديقه يقول:

إنه في ليلة وفاته ذهب إلى قبر ودخل قبر مفتوح، وأسند ظهره بأسفل القبر، وأخذ يقول:

يا ربِّ لا تعذبني .. يا ربِّ أنا له أنحمل عذاب القبر .. يا ربِّ لا تعذبني في القبر ..

وهو يبكي وسبحان الله تُوّفّي بعدها بساعات، انظروا هذه الأمور التي تحدث حولنا .. فقد رأيت هذا الأخ مرتين أو ثلاثة، وسبحان الله انشرح له صدري من أول جلسة ولم يحدث بيني وبينه كلام كثير ..

يقولون أنه كان يكون معه دائماً ورقة صغيرة، وعند جلوسه مع الإخوة وهم يتضحكون وهكذا يقوم هو ويكتب شيء في الورقة ثم يضعها في جيبه .. حتى لاحظ أحدهم أنه يفعل ذلك كثيراً، فسأله قال له: ما هذه الورقة؟؟ .. قال له: **ورقة الكذب**، قال له: ما هي ورقة الكذب؟ .. فنظر في الورقة فوجد مكتوباً بها: السبت 18 كذبة .. الأحد 10 كذبات .. الاثنين ... وهكذا .. الأمر أنه كان يحاسب نفسه على مثلاً: عندما يقول لصاحبه أنا وصلت مثلاً أسفل المنزل، وهو مازال بأول الطريق .. فيحسبها كذبة .. هذه هي مظاهر الكذب التي كان يراها، وعندما ينهي هذا العيب يأخذ عيباً آخر .. مثلاً: عيب العُجب أو عيب كذا ووو ..

هل سمعتم عن أخ بعذه المراقبة؟؟؟؟

لذا نحسب - إن شاء الله - أن يكون بُلغ عند الله المتزلة وحسنت خاتمته .. فقد آخر ساعتين في حياته بالشكل الجميل هذا، وبالمعاني القوية تلك .. نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً ..

ولم لا تلوهُ مثله؟؟؟! .. فقد أقام علينا الحجة .. لم لا نفعل ذلك؟ ..

لم لا نخاف على أنفسنا؟؟ .. ما تفعل؟؟؟؟

زيارة قبر أو مستشفى .. وتجلس بين فقراء .. وتستنشر نعمة الله عليك ..

هذه الأشياء التي يجب أن تكون موجودة؛ لأنها ستستهض في قلبك معاني الإيمان مرة أخرى .. وستخاف أن تُسلب النعم التي منَّ الله عليك بما وأخطرها أن تُسلب الإيمان .. مثل هذا وذاك ..

احضر كتاب **(أخبار المنتكسين)** لصالح العتيبي، وكل قصة فيهم عند قرائتها ادع وقل:

يا ربَّ .. يا مُقَلِّبِ القلوبِ بَيِّتِ قلبي على دينك ..

يا ربَّ إذا أدت بقومِ فتنة، فاقبضني إليك غير مفتون ..

أخاف أن يحدث هذا ..

إذا اجتمعت هذه المعاني في القلب أحيته؛ فلذلك ..

مَنْ عَرَفَهُ خَافَهُ... وَمَنْ عَرَفَ هَذِهِ الْمَعَانِي أَصَابَ اللَّهُ قَلْبَهُ

نَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أُمَّتِهِ عِبَادَهُ لَهُ .. وَمَنْ أَلْفَوْهُ عِبَادَهُ لَهُ ..
وَأَنْ يَبْلُغَنَا وَإِيَابَهُرَ مَا يَرْضِيهِ آمَالِنَا، وَأَنْ يَجْمَعَنَا وَإِيَابَهُرَ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى فِي رِفْقَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلَهُ مَسْجِدَنَا بِالْإِسْلَامِ حَتَّى نَلْقَاهُ عَلَيْهِ

{ فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } [غافر: 44]

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِصَدِّكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيَّ نَبِيِّنَا وَصَهْدِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

فضيلة الشيخ / هاني طهري

فضيلة الشيخ

هـ

هـ

هـ

هـ

هـ

هـ

هـ

فضاقت بما رحبت

فضيلة الشيخ

هاني حلمي



أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



الحمْد لله وحده وصلى الله وسلم وبارك على النبي المصطفى وآله
المستجملين التتمة ..

ثم أما بعد ،،

فأسأله الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن
يزيدنا علماً ينفعنا

ربنا ظلمنا أنفسنا ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاعف لنا مغفرةً من عندك
وارحمنا برحمة تغنيننا بها عن رحمة من سواك.



كنا على مدى المحاضرات السابقة نتكلم في علامات من عَرَفَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ..
وهنا نعدّه نظوف اليوم في علامة جديدة، ذكرها الإمام ابن القيم في باب المعرفة في كتاب المدايح ..

فقال:

"وقال آخر: من عرف الله تعالى ضاقت عليه الدنيا بسعتها،

وقال غيره: من عَرَفَ اللهُ أَسْعَ عَلَيْهِ كَلْ ضَيْقٍ"

المسألة من البداية .. إن العلامة هكذا فيها تناقض .. بمعنى:

كيف للمرء أن يعرف الله عَزَّ وَجَلَّ فتضيق عليه الدنيا وتتسع؟!
فكيف التوفيق بيه هذا التناقض!؟

قال هو "ولا تنافي بين هذين الأمرين، فإنه يضيق عليه كل مكان لا يُسَاعِدُ فِيهِ عَلَى شَأْنِهِ وَمَطْلُوبُهُ"

بمعنى إذا تواجد في مكان وهذا المكان يُعْطِلُهُ عَنْ مَرَادِهِ .. عَنْ مَرَامِهِ .. عَنْ مَقْصُودِهِ .. لَذَا يَضِيقُ صَدْرًا، وَيَضِيقُ ذِرْعًا مِنْ هَذِهِ
الْأَمَاكِنِ ..

فبالتالي لو كانت أماكن يعصي الله عَزَّ وَجَلَّ فيها، فهو يتبرّم ويتضجّر ويشعر أن هذا المكان لا يحقُّ له أن يتواجد فيه بأي حال.

"ويتسع عليه ما ضاق على غيره؛ لأنه ليس فيه ولا هو مُسَاكِنٌ لَهُ بَقْلَبُهُ .. فِقْلَبُهُ غَيْرَ مَحْبُوسٍ فِيهِ"

وفي نفس الوقت قد فهم المعنى الذي سنذكره تفصيليًا .. معنى هذا السجن .. ويستعذب ذلك، إذا كان بالنسبة له خلوة .. وإذا
كان بالنسبة له محل يُسَاعِدُهُ عَلَى مَطْلُوبِهِ، فَيَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَكْثَرَ .. فَيَتَسَّعُ عَلَيْهِ مَا يَضِيقُ عَلَى غَيْرِهِ ..

بمعنى أنه من الممكن أن يسكن في مكانٍ - فقير - وأنت تراه من الخارج فتقول: كيف يعيش هكذا؟! .. بينما هو يعيش في جنة.

وبقاييس البشر من الممكن أن يكون ساكنًا في بيت غرفتين وصالة، ودخله بسيط جدًا .. لكنه في منتهى السعادة؛ لأنه يستشعر
فيه القرب من ربه تبارك وتعالى فيساعده على مطلوبة .. انتبهوا لهذا الكلام ..

يقول ابن القيم:

والأول: في بداية المعرفة.

والثاني: في نهايتها التي يصل إليها العبد.

في البداية لابد أن تشعر يا اختناق وضيق، وتشعر أن هذه الدنيا ليست ملك لك وليست مكانك ..

ثم تأتي لذة حلاوة الإيمان في القلب، فيستشعر الأنس به سبحانه وتعالى .. فيتسع صدره وينشرح.

انظروا هذا المعنى نريد أن نبدأ به، أن الله سبحانه وتعالى عندما ذكر مسألة سعة الصدر هذه .. وهي شرح الصدر .. ماذا قال ؟

{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ*} وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ* {الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ} [الشرح: 1,3]

وهذا المعنى بالضبط في حالنا .. إنك في البداية في أول الطريق، ذنوبك تكون مقيداك .. تقصم ظهرك .. عندما تتحقق بمعاني التوبة ومعاني الالتزام الحقيقية والاستقامة، ينشرح الصدر .. فكأن هذه العلامة بالضبط مراده في سورة الشرح .

متى سيشرح الصدر؟!

البداية : اعلم إنه لابد أن يحدث لك هذا .. لذلك في البداية، يتولى الكثيرين وكثيرون لا يفهموا حقيقة (الإختناق) الذي يحدث

في البداية وهذا الضيق الذي يحدث في البداية .. لا يعرف كيف يتعامل مع الناس .. غير قادر على العمل .. غير قادر .. ماذا

يفعل ؟

فتضيق عليه الدنيا بما رحبت، إلى أن يبسط له ربه تبارك وتعالى البساط ..

قبضك حتى لا تكون مع البسط، وبسطك حتى لا تكون مع القبض ..

ففي بداية الأمر يجب أن يكون في بعض القبض، وبعدها يأتي البسط ..

فلذلك يجب أن نتوقف عند هذه العلامة كثيراً، وسأخذ الجزء الأول منها وهو **(ضاقت عليه الدنيا)** والمحاضرة القادمة

ننظر في نهاية الأمر كيف سيكون البسط ..

في البداية: أريد أن أصحح مفهوماً في مسألة ضاقت عليه الدنيا.

لا يعني ضيقه من الدنيا الجزع ..

نحن نقع في هذه المشكلة دون أن ندري، بمعنى: إنه يقول أيُّ دنيا وأيُّ وجع قلب؟! .. لا يطيق الدنيا ولا شيء.

وهذا هو مظهر **الجزع** .. فهو غير صابر .. هو سأم من الدنيا والابتلاءات شديدة، فيقول أريد أن أموت.

والنبي **صلى الله عليه وسلم** يقول "لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه" **[متفق عليه]**

فانتبهوا لهذه جيداً، حتى لا تتلبس عليك الأمور .. وتقول: نعم والله الحمد لله أنت اليوم هكذا طمأنت قلبي إني أعرف ربنا .. عرفت الله ولذلك هذه الدنيا مسببة لي الضيق .. لا بالعكس، تكون الدنيا في يديه ويكون ضائق بها لا يريد لها .. لا يريد لها لأنه يراها محل فتنة ويراها إنما هلكة من هلكاته .. لينظر إليها بعين غير العين .

إذا انتبهوا معنى أنه ضاقت عليه الدنيا بسعتها:

ليس معناه أنه قد جزع أو تسكط، فضاقت عليه وإنما ضاقت عليه وحشةً وشغفاً .

ضاقت عليه؛ لأنه أنس بالله عزَّ وجلَّ ... لأنه يشتاق إلى الله .. فيقول: أيُّ دنيا هذه؟!، هل سنجري على المال ثانية؟!، هل سنجري وراء الشهوات ثانية؟! .. هل ستظل في هذه الطاحونة؟! .. فتضيق عليه الدنيا بهذا الاعتبار .

إذاً، ليس معنى أنها ضاقت عليه .. أنه قد جزع وتسكط، وإنما يتعامل بقلب الراضي.

ومثال ذلك: يعقوب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، فإنه لما نزل به البلاء قال:

{.. قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } **[يوسف: 18]**

ثم جدد الأمل وتعلَّق أكثر بربِّه ..

فقال {.. فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } **[يوسف: 83]**

كل ذلك من هذا الشيخ الكبير صاحب القلب الوجيع، فإذا به ينطقها ..

{قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } **[يوسف: 86]**

فتعامل مع البلاء باليقين وقوة الرجاء ..

فقال {يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْتَسُّوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَنْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ} [يوسف:

[87]

وهكذا شك المؤمن الواثق، لا يفقد صفاء العقيدة ونور الإيمان .. وإن هو فقد من صافيات الدنيا ما فقد.

أما **الإنسان الجزوع** ⇐ فإنه له من سوء الطبع ما يُنفره ويُضيِّق عليه الدنيا بما رحبت ..

فهذا المظهر ليس هو الذي نتحدث عنه، إنما نتحدث عن مظهر رجل راضي عن الله سبحانه وتعالى .. وفي نفس الوقت يتعلَّق قلبه به سبحانه وتعالى، فيضيِّق بالدنيا التي لا تساوى عند الله شيئاً .. حسناً.

ما هي أسباب ضيقه من الدنيا؟؟

لأن هذه الأسباب لو تحقق منها شيء فينا .. إذا أنت على هُدي، ويكون لك نصيب من هذه العلامة .. من عرفَ الله، ضاقت عليه الدنيا ..

1) تضيق عليه الدنيا لما يري من مساخط الله فيها ..

فعندما ينظر إلى الفتن من حوله، تضيق عليه الدنيا .. فلو أن إنساناً أجلسوه في مكان جميل، أمامه مئات الكيلو مترات من الصحراء الواسعة ويجلس في قمة جبل أمامه الأشجار الخضراء ثم بحر .. لكن هذا المكان الجميل الرائع لا يخلو بقعة فيه من معصية لله تبارك وتعالى، فهذا المكان الجميل الطليق الواسع يضيِّق عليه حتى يحنق من مساخط الله التي تتزل .. فإذا دخل إلى مسجد صغير مُتليء بالمصلين، لكنه بيت الله .. فهذا المكان الضيق يتسع به، فقد يكون بيته صغيراً لكن ليس فيه مظان لسخط الله .. فهنا يتسع عليه هذا المكان الصغير ..

ولذلك كيف كانت حدود بيت النبي صلى الله عليه وسلم؟

كان بيته **صلى الله عليه وسلم** يضيِّق، حتى أن السيدة عائشة رضي الله عنها لترفع قدمها؛ لأن غرفتها كانت صغيرة فلا تكفي لصلاته ونومها ..

أتصورون ما مدى ضيق المكان؟! .. وسقف بيت النبي **صلى الله عليه وسلم** كنت تستطيع أن تطوله، أو تستطيع أن تلمسه بيديك إذا رفعتها .. مكانٌ ضيق .. لكن كان فيه النبي **صلى الله عليه وسلم**، وكان **صلى الله عليه وسلم** يتسع له هذا المكان لأنه ليس فيه سخط الرحمن ..

قال الشاعر:

احب الفلات مع الأمداء خيفة سم الضباط مع الإضهان ميدان

إبرة مع رفقة طيبة يكون شيء طيب جداً، إنما مكان واسع جداً وكله من أعدائك من شياطين الإنس والجن فهذا يضيق بك. **إذاً أول شيء:** تضيق عليك الدنيا لما تري فيها من مساخط الله ..

(2) تضيق عليك الدنيا لمعرفتك بجلال ربك وشدة عذابه للعصاة في الدنيا

فمن عَرَفَ الله وعَرَفَهُ بجلاله وعِظَمَ عذابه وشدة عقوبته، ضاقت عليه الدنيا بما رحبت .. والعكس من عَرَفَهُ بجماله وسعة فضله ورحمته، هـان عليه كل مُصاب.

ولذلك كان الحسن يقول: "والله ما صدق عبدٌ بالنار قط، إلا ضاقت عليه الأرض بما رحبت"

وكان يقول: "إن لله عبداً كمن رأى أهل الجنة في الجنة مُخلّدين وكمن رأى أهل النار في النار معذبين، فكأن رأى عين"

فإذا استشعر أن هذا هو المآل وهذا هو المصير، ضاقت عليه الدنيا بهذا الاعتبار.

(3) تضيق عليه الدنيا؛ لأنه يعلم أنها سجنه ..

من عيوب النفس .. يقول السُّلَمي في كتاب (عيوب النفس) إنه:

"من عيوب النفس: سرورها ومدحها وطلبها الراحة، وتلك من نتائج **الغفلة**"

المرء يفرح قليلاً ويتبسّط بالدنيا، وهو عكس هذه العلامة التي نذكرها .. وهذا من شأن النفوس، أما تغفل بسبب هذه الأمور.

وقال أن مداومتها تتحقق بالتالي ..

(1) التيقُّظ لما بين يديها .. معرفة حقيقة الدنيا ..

(2) وعلمها بتقصيرها فيما أمر به ..

(3) وارتكابها لما نهيت عنه ..

(4) ثمَّ أن تعلم علم اليقين أن هذه الدار له سجن .. لا سرور ولا راحة في السجن ..

فإن النبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث عند مسلم، قال "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" [رواه مسلم]

فقال: يجب أن يكون عيشه فيها عيش المسجونين، لا عيش المستروحين ..

وقد حكى عن داوود الطائي أنه قال : "قطع نياط قلوب العارفين أحد الخلودين"

ما هو؟ .. إما خلود في الجنة أو خلود في النار ..

وقال رجل لبشر الحافي: مالي أراك مهموماً؟ .. قال: لأني مطلوب.

هنا فائدة:

ذكرها ابن القيم في (بدائع الفوائد) في تفسير هذا الحديث: حديث (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)

قال: معنى (الدنيا سجن المؤمن) فيه تفسيران صحيحان.

الأول: أن المؤمن قيده إيمانه عن المحذورات، فصار الأصل أن يكف نفسه ..

فصار الأصل عنده الجاهدة ..

فهذا الكف جعله في سجن، فشهوته مربوطة - مقيدة - فلهذا الاعتبار تكون سجن .

والكافر يطلق لها العنان .

إذاً نظرية بعض الإخوة في أن يفعل المباحات كلها على هواه، وطالما مباح افعله ولا تبالي .. تتنافى تماماً مع هذا الحديث.

إذاً هذا ما يعطينا ؟؟؟ .. يعطينا مصيبة هذا الزمان عند مُدْعَى الالتزام .. أين مصيبتهم ؟

مصيبتهم في عبودية الهوى ..

إذا أطلقت لنفسك العنان فقد وكلت إلى نفسك، ولو وكلت إلى نفسك طرفة عيه فله تذوق طعم الاستقامة،

لذا قال لفاطمة رضي الله عنها أن تقول صباح مساء:

"يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين" [رواه النسائي والبخاري وحسنه الألباني]

ونحن نفهمها خطأ، صار عندنا نظريات للأسف الشديد مسمومة ..

في مجموعة من دعاة هذا الزمان أو مفكري هذا الزمان، يريدون أن يتوصلوا حل .. عندنا متاهات والدنيا تحيط بالناس من كل جانب .. نريد أن نقوم بعمل نموذج وسطي، نموذج يجمع بين كل الأمور؛ لكي لا تنفر الناس ولكي تكون الدعوة واقعية.

فماذا أفعل ؟ .. قام بإدخال هذا على هذا على هذا .. فمن جملة هذه الأشياء، أن أسير في هوى الناس ..

هذا لأني لو ظللت أقول لهم الكلام الذي قد سُمِّموا فيه إعلامياً، هكذا أنا لن أكسبهم .. فماذا أفعل ؟؟

أكسبهم — إما أن لا تتحدث في هذا الموضوع نهائي، أو أنك تكون حنين ولذيد و تُمِيع الأمور وتبسطها .. هذا هو الحل !!

حتى المرجعيات، ويقول لهم: المرجعية للكتاب والسنة وفعل الصحابة وفعل السلف وفعل كذا .. فالمصطلح نفسه يلعب به كما هو يُريد.

مثل السلف، فيقول : أنه كان يوجد أيضاً سلف في القرن الخامس والقرن السادس .. كلهم سلف .. تقول له: شمال، فيقول

لك: وفلان قال كذا ...

ولو ظللت تبحث، ستجد أن كل المسائل التي تحلم بها لها أقوال .. قل فقط أنت تريد ماذا ونحن نأتيك به، انظر أنت ماذا تريد؟؟

وهذا ما أريد الحديث عنه في هذه النقطة

إطلاق العنان .. أنت ماذا تريد؟!

ما الذي يُتعبك ؟ .. هل الاختلاط يُتعبك؟؟ .. لا لا هذه المسألة كلها فقط من أجل سد الذريعة، فأنت طالما مؤدب ومحترم فليس لديك مشكلة.

إذًا، ماذا عن قوله تعالى { .. وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ .. } [الأحزاب: 53]

فالله يتحدث عن القلوب .. فيقول لك: هل ترابي سيئًا؟! .. هكذا أنتم، لديكم مشاكل نفسية ومعقدين وتتصوروا أن أي واحد يتكلم مع أي واحد أنه سيزني معها .. ماذا حدث؟؟ ما الدنيا كلها تفعل ذلك ولا بأس !!

الله تعالى يتكلم عن القلوب ويقول أن قلبك سيفسد ..

فيرد ويقول: لا، هذه كانت في قوالب اجتماعية في أيام معينة أيام عهد النبي صلى الله عليه وسلم .. بالطبع نحن في عهد القوالب الاجتماعية الخاصة بنا نحن، فليس لدينا أظهر من قلوبكم وقلوبهن .. أصبحت قلوبنا فائته .. فيبرر خطاه بأي كلام ..

الغناء والموسيقى أيضًا تتعبك جدًّا؟؟ .. الدنيا كلها أغاني وموسيقى ..

ماذا أفعل لك؟ .. فالدنيا سجن المؤمن .. لا لا المسألة ليست هكذا نهائي .. أعتقد أن المسألة بهذا المعنى؟! .. لا لا أبدًا نهائيًا .. بل بالعكس فالغناء يساعد على الطاعة !! .. وهناك قول لفلان وعلان ويحضر مسوغاتها وتطبيقاتها ويدعوا أن بعض الصحابة كانوا هكذا .. فليس هناك مشكلة ..

ماذا عن ابن مسعود الذي أقسم بالله ثلاث مرات أنها حرام !! .. هكذا أضعتوا قسم الرجل ؟ أقسم قائلًا : والله الذي لا إله إلا هو والله الذي لا إله إلا هو والله الذي لا إله إلا هو إنه الغناء ..

فيرد ويقول: لا بأس وهل نحن قلنا شيء؟! .. فقط هذا عندما يكون الغناء غير مهذب وخبيث ويتكلم في كلام عُهر ودعر، نقول صحيح، لكن عندما يكن الكلام طيب ومهذب فلا بأس .. لماذا؟

لأنني لو قلت إنه حرام، هل كل هذه الناس لن تستمع للغناء؟ .. يكون مزاح .. فلذلك نحن نُطلق التصرف

فالتفسير الأول (للحديث)::: المفترض أنه يُجاهد نفسه .. { .. وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى } [النازعات: 40]

التفسير الثاني: أن ذلك باعتبار العواقب ..

فالمؤمن لو كان أنعم الناس فبالإضافة إلى مآله في الجنة فهو في سجن ..

والكافر لو كان أشد الناس بؤساً، فبالنسبة إلى النار فهو في جنة.

على هذا الاعتبار .. ونحن قد قلنا إنها سجن ..

(4) تضيق عليه الدنيا؛ لأن قلوب العباد معلقة بالسما فففيها أنسه ..

أما رابع شيء: ركزوا هنا لأنكم تجدوا محاوره رائعة بين عبد الواحد بن زيد وأحد الرهبان، وهي مألوفة بالحكم والقواعد في الطريق .. فاستمعوا وركزوا معي في نقطة نقطة من النقاط القادمة .. سنأخذ منها فقط مقطع وهو محل الشاهد، لكن سنذكرها كاملة لأهميتها.

أوردها البغدادي في كتاب (الزهد والرقائق)

ذكر عبد الواحد بن زيد أنه مر براهب، قال:

فَنَادَيْتُهُ: يَا رَاهِبُ، مَنْ تَعْبُدُ؟ .. قَالَ: " الَّذِي خَلَقَنِي وَخَلَقَكَ "

قُلْتُ: " فَعَظِيمٌ هُوَ ؟ " .. قَالَ: " عَظِيمُ الْمَنْزِلَةِ، قَدْ جَاوَزَتْ عَظَمَتَهُ كُلَّ شَيْءٍ "

قُلْتُ: " فَمَتَى يَدُوقُ الْعَبْدُ الْإِنْسَ بِاللَّهِ ؟ " .. قَالَ: " إِذَا صَفَا الْوُدَّ وَخَلَصَتِ الْمُعَامَلَةُ "

متى يأنس المرء؟؟ .. قال له : عندما يكن حبيك لربنا صافياً تماماً وتتعلم درس الإخلاص ..

إِذَا، بِالْإِخْلَاصِ وَالْحُبِّ الصَّافِيِّ يَنَالُ الْعَبْدُ الْأُنْسَ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،،

قُلْتُ: " فَمَتَى يَصْفُو الْوُدَّ ؟ " .. قَالَ: " إِذَا اجْتَمَعَ لَهُمْ فَصَارَ فِي الطَّاعَةِ "

"من جعل الهموم هما واحداً هم المعاد كفاه الله سائر همومه .." [رواه ابن ماجه وحسنه الألباني، صحيح الجامع (6189)]

قال: :: فمتى تخلص المعاملة ؟

قال له في البداية الأنس .. **والأنس يتحقق بأمرين:**

(1) بصفاء الود .. (2) وبالإخلاص ..

فسأله عن تفصيل كل واحدة منهم ..

صفاء الود :: أن يكن الله في حياتك أولاً ويجمع همّ عليه،

قُلْتُ: " فَمَتَى تَخْلُصُ الْمُعَامَلَةَ؟ " ... قَالَ: " إِذَا كَانَ الْهَمُّ هَمًّا وَاحِدًا "

الأول: إذا اجتمع همّ فصار في الطاعة .. جمع همّ على الطاعة.

الثاني: قال إذا كان همّ واحد فقط .. وهو همّ المعاد أو أن يكون الله همّه.

فهو عنده هموم دنيوية وعنده مشاغل في كذا وكذا .. فيقول له:

1) أنه يطرد هذه الهموم كلها ..

2) أنه يصرفها فيجعلها في الطاعة .. فيكسوها بهذا اللباس (لباس الطاعة) ..

ففي البداية : أنا لدي 20 أمر يشغلني .. العشرين أمر هؤلاء .. مشتتين ما بين دنيا وأحياناً يكون يأتيني وساوس شياطين وهموم معاصي ومشاكل .. فعندي أكثر من شيء

فيجعل الجانب المباح من الدنيا أو غيرها هذا كله، يُلبسه بلباس الطاعة ..

فهكذا قد اجتمع عليه .. فأنا مشغول بالوظيفة، فجعلت هذه الوظيفة لله .. مشغول بالزوجة، فالزوجة جعلتها كذلك ..

أنا مشغول بكذا وكذا من أمور الدنيا، فأصرفهم كلهم فاجعلهم في الطاعة ..

فكأنهم كانوا عشرين همّاً، فصفيتهم وضبطتهم فجعلتهم 15 همّاً .. أصبحوا في طاعة الرحمن ..

وال المطلوب :: أنك تتحرى فيهم الإخلاص ..

يعني جعلهم طاعة في حد ذاته شيء جيد وخطوة أولى ..

الخطوة الثانية: تصفيتهم .. فمن الممكن أن تكون قد جعلتهم جميعاً طاعة، لكن مازال بهم شوائب من أكدار الدنيا أو غيرها.

فالمعادلة تسير هكذا ..

(1) أنس ← يتحقق بصفاء الود وإخلاص المعاملة

(2) صفاء الود ← يتحصل: إذا اجتمع المهم فصار في الطاعة

(3) وخلوص المعاملة ← يتحصل: إذا كان المهم هماً واحداً.

قُلْتُ: " كَيْفَ تَخَلَّيْتَ بِالْوَحْدَةِ؟ " .. قَالَ: " لَوْ دُفَّتْ حَلَاوَةُ الْوَحْدَةِ، لَأَسْتَوْحِشْتَ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِكَ "

بالطبع هذه **عبودية التبذل** .. وابن الجوزي رأيه في المسألة هكذا::

كيف يجمعه الهم؟؟؟

قال هذه , قال مسألة الاختلاط .. قال:

لئلا يكون له حظ من العزلة.

فلا بد أن يكون لك جلسة تُصفي فيها حالك مع الله سبحانه وتعالى ...

فقال: له كيف انقطعت لله ؟ .. فقال له: إنك لو دُفَّت حلاوتها فلن تستطع مفارقتها.

قُلْتُ: " مَا أَكْبَرُ مَا يَجِدُ الْعَبْدُ مِنَ الْوَحْدَةِ؟ " ..

ما هي أكبر ثمرة قد حصلتها عندما انقطعت لله سبحانه وتعالى؟ .. وعكف قلبك عليه؟

قَالَ: " الرَّاحَةُ مِنْ مُدَارَاةِ النَّاسِ .. "

إنك تحتاج تتلون مع كل واحد بلونه للأسف الشديد .. فهذا في حد ذاته مُتعب للقلب

ففي وقت العمل يأتيك فلان، فلا بد لك أن تتكلم معه بطريقة معينة .. وآخر تكلمه بطريقة أخرى، ثم تتكلم مع الأهل فتعاملهم

بطريقة ثالثة، تقابل ناس في الطريق فتعامل بطريقة رابعة، تذهب لتشتري شيئاً فتعامل بطريقة خامسة .. و .. و .. و .. و ..

فصرت ذو عشرون وجه !..

قَالَ: " الرَّاحَةُ مِنْ مُدَارَاةِ النَّاسِ، وَالسَّلَامَةُ مِنْ شَرِّهِمْ "

لأن النبي صلى الله عليه وسلم وضع أن خلطة الناس أذى .. "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم" [رواه أحمد وصححه الألباني، صحيح الجامع (6651)]

فخلطة الناس أذى .. { .. وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا } [الفرقان: 20]
فلم يقل الفتنة ماذا ستكون، لكنه قال: أَنْتَصِرُونَ ..

﴿ فجعلا الصبر هو الحل،،﴾

قُلْتُ: " بِمَا يُسْتَعَانُ عَلَى قِلَّةِ الْمَطْعَمِ؟" قَالَ: " بِالتَّحَرِّيِّ فِي الْمَكْسَبِ، وَالنَّظَرِ فِي الْكُسْرَةِ "

قال له هذا يتحقق بأن تكون ورعاً، فتأكل من حلال و تتحرى .. وفي نفس الوقت تكن _ حتى أدنى شيء، يَمُنُّ اللهُ سبحانه وتعالى به عليك _ تعرف ما يسد جوعتك وتكفي به وتكن قنوع.

قُلْتُ: زِدْنِي؟" .. قَالَ: " كُلُّ حَلَالًا وَإِنْ قَلَّ حَيْثُ شِئْتَ "

قُلْتُ: " فَأَيْنَ طَرِيقُ الرَّاحَةِ؟" .. قَالَ: " خِلَافُ الْهَوَى "

متى سأرتاح؟ .. عندما تفعل عكس ما تريد ..

قُلْتُ: " وَمَتَى يَجِدُ الْعَبْدُ الرَّاحَةَ؟" ... قَالَ: " إِذَا وَضَعَ قَدَمَهُ فِي الْجَنَّةِ "

قُلْتُ: " لِمَ تَخَلَّيْتَ مِنَ الدُّنْيَا وَتَعَلَّقْتَ فِي هَذِهِ الصَّوْمَعَةِ؟" قَالَ: " لِأَنَّهُ مَنْ مَشَى عَلَى الْأَرْضِ عَثَرَ وَخَافَ اللَّصُوصَ .. "

هنا محل الشاهد:: مَنْ مَشَى عَلَى الْأَرْضِ يَتَعَثَرُ، وَإِذَا وَقَعْتَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَهْجَمَ عَلَيْكَ أَلْفٌ وَاحِدٌ وَيَقْضِي عَلَيْكَ .. وَيُجْرَجُ لِكَ الْكَثِيرِ مِنْ قَطَاعِ الطَّرِيقِ ..

أتعلم ما هي هذه العثرة؟؟

التي نقول نحن عليها في مصطلحنا: (الانتكاس)

فأنت كنت ملتزم، ثم يوم فقط تتنازل .. فتجد ألف سكيينة وضعت عليك .. ومنها يتجمع عليك هؤلاء اللصوص، فتضيع.

وكثير من الناس حدث لهم هكذا .. ولدينا الكثير من الأمثلة بهذه الطريقة، من إخوة بدأ يتعامل مع أهل الدنيا بطريقتهم .. فهم

يفهمون بعضهم فيقول له : اليوم لا تدخل بلحيتك وتقول لي كذا كذا .. نحن فاهمين بعضنا البعض ..

وهي أيضًا في البيت هكذا، تقول له: لا تعتقد إنك شيخ وتقول كذا وكذا .. نحن فاهمين بعضنا البعض ..

فيجتمع عليك اللصوص _ لصوص الإيمان _ "فالشيطان لص الإيمان" .. هكذا قالوا السلف ..

قَالَ: " لِأَنَّهُ مَن مَشَى عَلَى الْأَرْضِ عَثَرَ وَخَافَ اللُّصُوصَ، فَتَعَلَّقَتْ فِيهَا وَتَحَصَّنَتْ بِمَنْ فِي السَّمَاءِ مِنْ فِتْنَةِ أَهْلِ الْأَرْضِ .."

فعندما وجدت العملية هكذا، شعرت أني لا يصح أن أسير على هذه الأرض .. فما الحل ؟

أن يكن هناك حبل موصل بيني وبين الرب، لأمسك فيه وأتعلق به وهذا هو طوق النجاة ..

فتجده قادم إليك من السماء مثل المنطاد ويتزل لك منه الحبل .. فإما أن تمسك به وتطلع وتُحَلِّقَ، أو إنك تكن على الأرض والأرض هذه نار تحت أقدامك ..

قَالَ: " .. فَتَعَلَّقْتُ فِيهَا وَتَحَصَّنْتُ بِمَنْ فِي السَّمَاءِ مِنْ فِتْنَةِ أَهْلِ الْأَرْضِ، لِأَنَّهُمْ سُرَّاقُ الْعُقُولِ، فَخِيفْتُ أَنْ يَسْرِقُوا عَقْلِي،

وَذَلِكَ أَنَّ الْقَلْبَ إِذَا صَفَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ، وَأَحَبَّ قُرْبَ السَّمَاءِ، وَفَكَّرَ فِي قُرْبِ الْأَجَلِ، فَأَحَبَّ أَنْ يُوَكَّلَ إِلَى رَبِّهِ "

الْقَلْبَ إِذَا صَفَا هَبَّتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ، وَأَحَبَّ قُرْبَ السَّمَاءِ، وَفَكَرَ فِي قُرْبِ الْأَجَلِ، فَأَحَبَّ أَنْ يُوَكَّلَ إِلَى رَبِّهِ

قُلْتُ: " يَا رَاهِبُ، مِنْ أَيْنَ تَأْكُلُ ؟ " ..

قَالَ: " مِنْ زُرْعٍ لَمْ أَبْدُرْهُ، بَدْرَهُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ الَّذِي نَصَبَ الرَّحَا، يَأْتِيهَا بِالطَّحِينِ، وَأَشَارَ إِلَى ضِرْسِهِ

فهو يقصد إنه يرسل لها رزقها على المعنى الشرعي .. فتأخذ بالأسباب ..

قُلْتُ: " كَيْفَ تَرَى حَالَكَ ؟ "

قَالَ: " كَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ أَرَادَ سَفَرًا بِلَا أَهْبَةٍ، وَيَسْكُنُ قُبْرًا بِلَا مُؤَنَسٍ .. هذه هي ضاقت عليه الأرض .. وَيَقِفُ بَيْنَ يَدَيَّ

حَكَمٍ عَدْلٍ " ثُمَّ أَرْسَلَ عَيْنَيْهِ فَبَكَى.

قُلْتُ: " مَا يُنْكِيكَ ؟ "

قَالَ: ذَكَرْتُ أَيَّامًا مَضَتْ مِنْ أَجَلِي لَمْ أَحَقِّقْ فِيهَا عَمَلِي، وَفَكَّرْتُ فِي قَلَّةِ الزَّادِ، وَفِي عَقَبَةِ هُبُوطِ إِيَّايَ جَنَّةٍ أَوْ إِلَى نَارٍ "

قُلْتُ: " يَا رَاهِبُ، بِمَا يُسْتَجَلَبُ الْحُزْنُ؟ "

ماذا أفعل لكي أبكي من خشيتي و بصير القلب خاشعاً ؟

قَالَ: " بِطُولِ الْغُرْبَةِ، وَلَيْسَ الْغَرِيبُ مِنْ مَشَى مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَلَكِنَّ الْغَرِيبَ صَالِحٌ بَيْنَ فُسَاقٍ "

هذا هو كلام النبي صلى الله عليه وسلم، قال "طوبى للغرباء"، قيل: مَنْ الغرباء؟، قال "أناس صالحون قليل في ناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم" [رواه الطبراني وقال الألباني: صحيح لغيره، صحيح الترغيب والترهيب (3188)]

فقال له إن الغربة ليست إننا نغلق على أنفسنا أبواب بيوتنا، ثم لا نهتم بأي شيء .. بل أن الغربة الحقيقية أن تكن مرغوماً على البقاء وسط هؤلاء، رغماً عنك تجلس مع أهل الدنيا يلوثوك .. رغماً عنك تجلس مع الفسقة وتسمع لهم؛ لأن بينكم معاملات ورغماً عنك تري هذه الملوثات للقلوب للأسف الشديد ..

هذه هي الغربة، وعندما يستشعر المرء أنه غريب .. يحزن .. وحزنه هذا هو الذي يضيق عليه الدنيا، فتكن دمعته كأنها مرسال إلى الله عزَّ وجلَّ أن يُخَلِّصَهُ مِنْ هَذَا الْعِنَاءِ.

ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ سُرْعَةَ الْإِسْتِغْفَارِ تَوْبَةُ الْكَذَّابِينَ،

كما أقول لكم: يا شباب ننتبه نريد أن نستغفر ربنا، نريد أن نأخذ الطريق إلي ربنا .. استغفروا ربكم .. فيبادر أحدهم بقول: استغفر الله العظيم .. فقال له أنت هكذا كذاب ..

" إِنَّ سُرْعَةَ الْإِسْتِغْفَارِ تَوْبَةُ الْكَذَّابِينَ، لَوْ عَلِمَ اللِّسَانُ مِمَّا يَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ لَجَفَّ فِي الْحَنَكِ ..

فلا يستطيع أن يخرج كلمة الاستغفار من حلقه .. لو اللسان يفهم قبح هذا الذنب الذي هو يستغفر منه، فاللسان يُغلق تماماً .. فيغلق ويخرس

" .. لَوْ عَلِمَ اللِّسَانُ مِمَّا يَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ لَجَفَّ فِي الْحَنَكِ، إِنَّ الدُّنْيَا مِنْذُ يَوْمٍ سَاكَنَهَا الْمَوْتُ مَا قَرَّتْ لَهَا عَيْنٌ، كُلَّمَا تَزَوَّجَتِ الدُّنْيَا زَوْجًا طَلَّقَهُ الْمَوْتُ .. "

كلما تزوجت الدنيا أحداً .. كلما يألف الدنيا أحداً، يطلقه الموت.

".. وَالدُّنْيَا مِنَ الْمَوْتِ طَالِقٌ لَمْ تَقْضِ عِدَّتَهَا، فَمَثَلُهَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَيِّنٍ مَسُهَا وَالسُّمُّ فِي جَوْفِهَا"

الدنيا حيه ملساء، وجلد ثعابين رائع تصنع منه أفضل المصنوعات الجلدية، لكن السم بداخلها ..

ثُمَّ قَالَ الرَّاهِبُ: " يَا هَذَا، كَمَا لَا يَجُوزُ الزَّائِفَةُ مِنَ الدَّرَاهِمِ، -العملات الزائفة- كَذَلِكَ لَا يَجُوزُ كَلَامُهُمْ إِلَّا بِنُورِ الْإِخْلَاصِ، إِنَّ
الْفِضَّةَ السُّودَاءَ لَتُرْخَرَفُ بِالْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ،

ثُمَّ قَالَ: " عِنْدَ تَصْحِيحِ الضَّمَائِرِ يَغْفِرُ اللَّهُ الْكَبَائِرَ .."

عند تصحيح الضمائر يغفر الله الكبائر،

".. فَإِذَا عَزَمَ الْعَبْدُ عَلَى تَرْكِ الْأَثَامِ أَتَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ الْفُتُوحُ، وَالِدُعَاءُ الْمُسْتَجَابُ الَّذِي تُحَرِّكُهُ الْأَخْرَانُ "

أنا قلت الكلام كله يحتاج لتمعن النظر فيه؛ لأن كل كلمة .. الرجل أعطي خلاصة فقه المعاملة مع الله عز وجل في هذه الكلمات.

قُلْتُ: أَكُونُ مَعَكَ يَا رَاهِبٌ وَأَقِيمُ عَلَيْكَ.

قَالَ: " مَا أَصْنَعُ بِكَ؟ وَمُعْطِي الْأَرْزَاقِ، وَقَابِضُ الْأَرْوَاحِ يَسُوقُ إِلَيَّ الرِّزْقَ، فِي وَقْتٍ لَمْ يُكَلِّفْنِي جَمْعَهُ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ
غَيْرُهُ .."

أنت لا تستطيع أن تفعل لي شيء .. هو وحده كفيلي .. {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ..} [الزمر: 36]

.. وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ "

فمحل الشاهد في الكلمات كلها أنها تدور حول جوهر موضوعنا اليوم::

أنه مه عرف الله ضاقت عليه الدنيا بما رحبت؛ لأن قلوب العباد معلقة بالسماء فبيها أنسه.

فلا شك أن من تعلق بالله تعالى تضيق عليه الدنيا وشهواتها، ويجب له في العزلة والتبتل، ويُزهد في حطامها الفاني.

الخامسة وهي جميلة:

(5) تضيق عليه الدنيا؛ شوقاً لله ..

ففي نهاية الأمر علام تصنع المقارنات؟ .. دنيا !! .. وتقطع نفسك علي الزوجة والشقة والسيارة والمركز الاجتماعي والمشغل التي أنشغل بها الناس.

تعالوا لتروا كلام المشتاقين؛ لأن هذا هو الذي يلبس القلوب ويجعلنا علي الأقل أكثر تخففاً من ثقلها علي أكتافنا ..

علمنا النبي **صلى الله عليه وسلم** أن نسأل ربنا الشوق إلي لقاءه .. والحديث رواه الإمام أحمد والنسائي بسنده عن عمار بن ياسر، كان يدعو بهذا الدعاء وفيه: " .. وأسألك لذة النظر إلي وجهك والشوق إلي لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين" [رواه النسائي وصححه الألباني] .. قولوا آميــــن ..

ابن رجب شرح هذا الحديث شرحاً مستوعباً، في كتاب (استنشاق نسيم الأنس) ..

ابن رجب يعلق لماذا قال " .. وأسألك لذة النظر إلي وجهك والشوق إلي لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة "

قال: لأن محبة لقاء الله هي محبة الموت، وغالبًا تصدر إما عن:

1) ضراء .. هي ضراء الدنيا .. وقد هي عن تمّي الموت حينئذٍ

2) فتنة مضلة، وهي خشية الفتنة في الدين .. وهو غير منهى عنه في هذا الحال

في غير ضرر يصيبه، ولا فتنة تضلّه.

نحن كنا نقول الذي يعرف الله تضيق عليه الدنيا؛ لأن قلبه يكون مُشتعلًا .. قالوا كذلك:

الشوق : اهتياج القلوب إلي لقاء الله ..

قلب متقطع مُحترق؛ لأن بلسمه الوحيد هو النظر إلي وجه الله الكريم .. فيكون فيه هذا الإحساس ..

قلوب المشتاقين هاربة عن الدنيا، فتضيق الدنيا بهم.

لذلك قال ابن القيم: "إن الله سكن قلوب المشتاقين، فقال:

{مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [العنكبوت: 5]

وهذه الآية في مفتاح العنكبوت، عندما تكلم عن الفتنة .. {أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢٠٠﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: 2,3]

ثم قال {وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [العنكبوت: 6]

هذه هي الدنيا كلها، الدنيا فتن محتاج أنك تتسلح فيها بسلاح الجاهدة .. فما هي الطاقة الداخلية، التي ستجعلني أخرج هذا في صورة عمل؟

قال الطاقة الداخلية: هي **الشوق** ..

فقال: {مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [العنكبوت: 5]

قال ابن القيم: "وفيه تعزية للمشتاقين وتسلية لهم، أي انا أعلم أن من كان يرجو لقائي فهو مشتاق إلي فقد أجلت له أجلا يكون عن قريب فإنه آت لا محالة وكل آت قريب ..

وفيه لطيفة أخرى وهي تعليل المشتاقين برجاء اللقاء ..

لولا التعلل بالرجاء لَقُطِعَتْ ... نفس احب صباة وتشوقا "

لولا ذلك الحريق الداخلي في قلوب المشتاقين .. لولا أن عندهم رجاء، أن المسألة تنتهي وتؤدي الوظيفة .. وأن الله سبحانه وتعالى يرحم شوقهم ضعفهم .. لولا ذلك لقطعت هذه النفوس ..

حتى إذا روح الرجاء أصابه ..

عندما يملأ الرجاء قلبه، حسن الظن بالله عز وجل ..

سكن الحريق إذا تعلل باللقا

إنما هي أيام تقضي ..

فالمشتاق إلى الله .. الذي هو في الأساس كاره الدنيا بهذه المعاني .. يتلبس دائماً بالأسباب الجالبة لخبية الله .. لكي لا ندعي الشوق ونحن لسنا له بأهل.

كيف يكون حال المشتاق إلى الله؟؟

يتلبس بكل ما يتحجب به إلى الله .. قراءه القرآن بالتدبر، التقرب إليه بالتواضع بعد أداء الفرائض، دوام الذكر علي كل حال، إيثار محبته علي محاب نفسه، مطالعه القلب لأسمائه وصفاته، تقبله في رياض المعرفة، مشاهدة برة وإحسانه، انكسار القلب بين يديه، الخلو به وقت التزول، مجالسه اخيين الصادقين، والتقاط كلامهم الطيب عنه سبحانه وتعالى، ومباعدة كل سبب يحول بين العبد وبين الله عز وجل وبين القلب وبين الله فهو دائم الشكر والعرفان،

وتراه **هذه علامته** يستحضر دائماً هذا المشهد، لا يفارقه في يومه ولا ليله: **رؤية الله في الآخرة**.

و لذلك ربط النبي **صلى الله عليه وسلم** بينهما، فقال "وأسألك لذة النظر إلي وجهك والشوق إلي لقائك في غير ضراء مضره ولا فتنه مضلة) .. علي أن الترتيب لا يأتي كذلك.

فالمفترض أن الشوق إلي لقائك يأتي أولاً ثم لذة النظر، ولكن كأنها هي السبب .. أهم شيء يشغل نفسه به لذة النظر إلي وجه الله الكريم .. فهو دائم استحضار هذا ،

وكذلك استحضار ما ثبت **عنه صلى الله عليه وسلم**، من مشاهد يوم القيامة عن رب العزة .. "يتجلى ربنا عز وجل يوم القيامة ضاحكاً" [صححه الألباني، السلسلة الصحيحة (755)] .. الحديث رواه الطبراني و صححه الألباني ..

هل سمعتموه قبل ذلك؟ .. "يتجلى ربنا عز وجل يوم القيامة ضاحكاً" [صححه الألباني، السلسلة الصحيحة (755)] .. الحديث رواه الطبراني و صححه الألباني .. ولن نعدم من ربّ يضحك خيراً ..

التجلي .. انظروا أيضاً، لحظة اللقاء هذه التي أنت في الأساس تتقطع من أجلها يا مشتاق .. ستكون بالجمال والهنا والسعادة وقل كما تريد .. يتجلى لنا ضاحكاً .. أو يضحك ربنا؟ قال: لن نعدم من ربّ يضحك خيراً .. الله أكبر ..

وفي حديث المرور علي الصراط، والحديث رواه الطبراني أيضاً و صححه الألباني "حتى يمر الذي يعطى نوره على ظهر قدميه يجبو على وجهه ويديه ورجليه ..

انتبهوا إلى هذا المشهد، هذا هو إمام قدمه سيضيء .. إمام قدميه .. كالمصباح الصغير جداً ..

كيف يسير ؟؟؟ .. يجبو علي وجهه ويديه وقدميه وهنا يكون الحوار الجليل العظيم بين الربّ وهذا العبد، بعد أن ينجه الله عز وجل من النار .. وفيه "ألم ترض أن أعطيك مثل الدنيا منذ خلقتنا إلى يوم أفنيها وعشرة أضعافه؟، فيقول: أقرأ بي وأنت ربّ

العزّة؟، فيضحك الربُّ عزَّ وجلَّ من قوله .. فيقول الربُّ جل ذكره: لا ولكني على ذلك قادر" [رواه الطبراني وصححه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب (3591)]

سبحان الله .. هذا الشوق هو الذي ضَيَّقَ علي العِبَادَ دنيَاهم ..

كان أبو الدرداء يقول "أحب الموت لا لشيء، إلا اشتياقا إلي ربي".

وكانت عجوز غاب قريباً لها، فعندما قَدِمَ من سفره فَرِحَ به أهله وأقاربه، وقعدت هي تبكي .. فقالوا لها: ما يبكيك؟! .. ذكرني قدوم هذا الفتى يوم القدوم علي الله عزَّ وجلَّ.

وكان عنبته الخولاني يقول "كان من قبلكم لقاء الله أحب إليه من الشهد"

وكان البعض يُسكِّنُ شوقه، فيقول:

"طال شوقي إليك، فعجّل قدومي عليك"

ومن اللطائف التي ذكرها ابن القيم في (مدارج السالكين) من سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية، قال: كان في بداية أمره .. اسمعوا يا شباب؛ لأننا دائما بنقرأ النتائج ولا نعلم المقدمات، نحن نقرأ أن شيخ الإسلام ابن تيمية رجل كل هذه العصور الذي .. والذي .. وكيف كان ابتدائه؟ كيف تربي؟ ماذا فعل في البداية؟

ابن القيم يقول المدارج "وكان في بداية أمره يخرج أحياناً إلي الصحراء يخلو عن الناس لقوة ما يرد عليه .."

يوجد وقت في البداية القلب يكون يحتاج إلي لحظات خلوة؛ لأنه من يأتيه لا يستطع الانقطاع عنه .. عارف أنت يكون لك حال معين مع الله .. واحد وفقه الله للقيام في ليلة، وتجذ كل الذي اشتغلت به في الليل يفسد في أول مجلس جلسته مع واحد من أهل الدنيا في النهار .. يحدث كثيراً ذلك.

فالمرء يحتاج لأخذ هذه الشحنة بشكل صحيح؛ لذلك عندما يذهب أحدنا إلي العمرة عشرة أيام ويعود .. يكون عندما أقترّب من ضبط أحواله قبل شهر رمضان بقليل ويبدأ يفيق .. يجد أن سيل الفتن قد دخل عليه ويحدث له مشكلة ..

فيأتي الوقت الذي يحتاج فيه العبد إلي شيء من العزلة، شيئاً ما في البداية حتى يتم له أمره ..

فكان يخلو في الصحراء لقوة ما يرد عليه، ويتمثل بقول الشاعر:

وأخبره من بين البيوت لعنني ... أحوث عنك النفس بالسر خالياً

أتفهمون؟ .. لأن أحياناً تحتاج لوقت لتتكلم معه ولا تريد أحد إن يقطع هذا تماماً ..

وأخبره من بين البيوت لعنني ... أحوث عنك النفس بالسر خالياً

قال ابن القيم "وصاحب الحال .. وابن القيم صاحب أحوال، فيفهم ما يُقال جيداً .. أتعلمون عندما كنا نقول مدار الأمر في قصة الإخلاص وغيرها علي تكوين الحال .. أن يكون لك حال مع ربنا سبحانه وتعالى ..

فيقول "وصاحب هذه الحال إن لم يرده الله سبحانه إلى الخلق بتثبيت وقوة، وإلا فإنه لا صبر له على مخالطتهم"

لو لم يشكك الله وقوأك أنك تتعامل مع الناس دون أن يتأثر قلبك، ففي هذه الحالة لا تقدر علي مخالطتهم .. فلذلك تضيق عليك الدنيا بما رحبت ولا تستطيع .. تأتي في وقت من الأوقات وتقول: لا أستطيع .. أنا ما صدقت أن استشعرت .. هل تشعرون بهذه المعاني هذه يا شباب؟؟

هنا سؤال مكاشفة::

هل أنت تحب وتشناق في غير ذنبا مضرّة ولا فتنة مضرّة؟

اسأل نفسك ..

أبو بكر حين وصى عمر رضي الله عنه، قال له "إن حفظت وصيتي لم يكن غائباً أحب إليك من الموت ولا بد لك منه، وإن ضيعتها لم يكن غائباً أكره إليك من الموت ولن تعجزه" ..

كما يقول أبو حازم "فكل عمل تكره الموت من أجله فاتركه، ثم لا يضرك متى مت"

المسألة بسيطة ..

أبي نبي، تخشي أن تلقى الله عزّ وجلّ به، أتركه بهذا المعيار: : اعرضه علي الموت ..

هل تموت وأنت مقصر في ... وفي وفي ؟؟.. لو هذا ليس عندك، فلم تحقق الإخلاص المطلوب ولم تحقق الشوق وستجد الدنيا أسعد شيء أنت بها وليست ضاقت عليك الأرض ..

وقد أحسن القائل "أمستوحشٌ أنت مما جنيت؟! .. فاحسن إذا شئت واستأنس"

(6) تضيق الدنيا بعباد؛ ليعلمهم الله التوكل واليقين ..

هو تضيق عليه الدنيا باعتبار آخر، فهو في فتن وابتلاءات ومشاكل .. فما هي الحكمة من هذا كله؟!.

لِئَلَّا لِيَتَعْلَمَ دَرَسَ التَّوَكُّلِ وَالْيَقِينِ.

{ .. وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ .. } [الطلاق: 2,3]

ابن القيم له كلام جميل في (الفوائد)، يقول: "إن التوكل علي نوعين:

(1) نوع توكل علي الله في جلب المصالح ..

هذا جيد تمام، أنا أتوكل علي الله عزَّ وجلَّ ليدفع عني هذه المكروهات والمصائب ويعطيني ما يكون عونًا لي علي طاعته .. هذا جيد .. موازين البشر .. أما الآخر ..

(2) والتوكل عليه في حصول ما يجب هو وقد لا يكون محبوبًا لك

بمعنى أنك لا تفهم هذا، لكن هو يجب هكذا .. ولا تستطيع أن تصل إلي هذه الدرجة من الإيمان واليقين.

{ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ .. } [البقرة: 216] .. أنت تكره هذا، لكنه محبوب إلي الله عز وجل .. فاستعين به، لكي أنفذ ذلك .. جهاد النفس .. مكروه إلي النفس، لكن فيه محبته ..

قال ابن القيم "فأعظم التوكل عليه التوكل في الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول وجهاد أهل الباطل، فهذا توكل الرسل وخاصة أتباعهم"

وبعد ذلك يقول "والتوكل يكون .."

نحن الآن فهمنا التوكل يكون في أمرين::

(1) تتوكل عليه في قضاء مصالحك وحاجتك ودفع المضار عنك

(2) تتوكل عليه لتحقيق ما يحب هو ويرضاه.

قالوا التوكل نوعين::

(1) توكل اضطراري .. (2) توكل اختياري.

التوكل الاضطراري: وهنا يكون الدرس ..

"بحيث لا يجد العبد ملجأ ولا وزرا إلا التوكل، كما إذا ضاقت عليه الأسباب وضاقت عليه نفسه وظن ألا ملجأ من الله إلا إليه"

فُضِّيقُهَا عَلَيْهِ جَدًّا؛ لَكِي يَسْتَخْرِجُ مِنْ قَلْبِهِ مَقَامَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ .. الَّذِي هُوَ مِنْ أَعْظَمِ مَقَامَاتِ الْعِبَادَةِ ..

فقد تضيق عليه الدنيا بما رحبت؛ ليتعلم هذا الدرس .. من الممكن ألا تتعلمه نظرياً، إذا تكلمنا فيه كثيراً وقلنا: التوكل والعلماء ذكروا اسم الله الوكيل وأن مداره علي هذه المعاني .. أن الله هو الكفيل وأن الله هو الكافي وأن الله هو حسبك وأنه .. وأنه .. والتوكل عليه أنك تنقطع كل حبالك الموصلة بالأسباب وتكون معلقه بمسبها سبحانه وتعالى .. مهما أشرح لك .. فالنظريات في التوكل شيء، وأن تتعلمه عملياً بتربية الرب سبحانه وتعالى شيء آخر.

فيغلقها تماماً أمامك .. يغلق الأبواب أمامك .. فلا تجد ملجأ إلا إليه سبحانه وتعالى ..

هنا ظه بمعني اليقين .. توقعه أنه له بنجيك إلا الله،،

أنا عادة الناس في الأسئلة توقعك في هذا الجزء، هو يريد يستخرج منك فتوى تُسير له أمر من الأمور التي لا يستطيع حلها .. فيريدك أن تجربه إنه أمر جائز .. ضرورة .. الضرورات تبيح المحظورات هنا .. فيكون دائماً الحل أنه يغلقها لي تماماً، فيريدك أن تُجيزها له .. فلكي لا تجري وراء أهوائهم، عليك أن تذكرهم بأمر واحد، تقول:

وَلِمَ يَصْنَعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِكُمْ ذَلِكَ ؟؟

أخت اتصلت علي من أمريكا، وقالت: أنا في فتنة شديدة وأنا منتقبة من أربع سنين ونحن هنا في أمريكا، كل المنتقبات في الولاية التي أنا فيها قليلات جداً .. وأنا خائفة أن أخلع النقاب فتكون فتنة، لكن في نفس الوقت كل الوظائف التي أتقدم لها .. وهي تريد أن تأخذ دراسات معينة .. تقول: أهلي صرفوا علي آلاف الجنيهات .. فأنا الآن في غربة ولا أستطيع أن أعود ولو عُدت حضرتك تعلم الوضع في البلاد كيف يكون .. وو...وو...وو .. ماذا أفعل ؟ .. اغلقتها لي من كل جانب .. إذا، ما هو الحل؟

الحل: هو معاني الإيمان هذه .. فتكلمت معها في معاني للأسف في ازدحام الدنيا صارت مُبعدة، عندما تحدثت معها في معاني اليقين

..

قلت لها: أنا أثق في الله عزَّ وجلَّ؛ لأني لا أتعامل مع الناس أنا أتعامل مع ربِّ الناس .. وأنا مؤمن بأن الله هو القاهر فوق عباده، يقهر عباده علي ما يجب ويرضي .. فإذا أراد الله بك خيراً، سيدبره لك .. ثم الله عزَّ وجلَّ يبتليك هذا الابتلاء ليسمع أبنك .

فهل استوعبتِ هذا الدرس؟

الله يبتليك ليسمع تضرعك؛ لأن قلبك ربما قسي من الفتن .. فالله يقول: { فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ
.. } [الأنعام: 43]

لعلاج قسوة القلب في التضرع ..

إذا استخرج من قلبك هذه المقامات في العبودية، فقط تم الأمر.

فعندما يأتي يغلقها لك تماماً، ويريد يخرج منك ضرورة تقول له: هل استوعبت الدرس؟؟ .. فهتمت معني درس اليقين؟؟ .. هل فهتمت التوكل؟؟ .. هل فهتمت حسن الظن عندك ثقة في الله؟

أنا أوّل ما تحدثت معها قلت لها: هل عندك ثقة فيما سأقول؟ .. قالت: ما تقول؟

قلت لها: هل عندك ثقة في أن الله هو القائل: { .. وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * } وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ .. } [الطلاق: 2,3] .. أنا علي ثقة من ذلك، فهل أنت علي هذه الثقة؟؟ .. قالت: ونعم بالله .

قلت: إذا تفتك فيهِ تستوجب أن الأمر واحد اثنين ثلاثة ..

الإيمان هو الذي يُنجيك من المشاكل ..

هذا هو الذي يحدث، لم ضاقت عليها الدنيا فتنة ومشاكل و... وو؟ .. لماذا تفهمها بمنظور الناس!؟

لنا ربُّ هو ربُّ الناس، نتوكل عليه ونحسبه الظه فيه ونوقه به سبحانه وتعالى.

إذا، من عرف الله عزَّ وجلَّ ضاقت عليه الدنيا بهذه الاعتبارات الست التي ذكرناها.

يستوجب البحث أن نحتّم بحاتمّه في عجاله عن شرح الصدر ونحن افتتحنا بها الدرس ..

قلنا العلاقة بين قوله تعالى {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ *} وَوَضَعْنَا عَنكَ وَرِزْقًا { [الشرح: 1,2] وموضوع درسنا ..

فإذا الذي أصبح عنده ضيق صدر .. والضيق نوعان.

(1) الضيق السلبي .. (2) الضيق الإيجابي ..

الضيق السلبي .. هذا الذي عنده ضيق صدر بسبب الدنيا واهتمامه بها

إنما الضيق الآخر الذي هو ضيق المشتاقين والمعاني التي تحدثنا عنها، هذا هو **الضيق الإيجابي ..**

فمن يعاني من الضيق السلبي .. كيف يستدفعه؟؟

كيف ينشرح الصدر؟؟؟

ذكر العلماء أسباب كثيرة جداً، مآلها على جميع النقاط التي تكلمنا تقريباً عنها .. التي هي تحقيق معاني المعرفة:

السبب الأول في شرح الصدر: قوة التوحيد ..

ابن القيم يقول " فمحبّة الله ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه، وإفراجه بالحب وإفراجه بالخوف، والرجاء والتوكل والمعاملة .. كل هذه المعاني .. بحيث يكون هو وحده المستولى على هموم العبد وعزمته وإرادته، هو جنة الدنيا والنعيم الذي لا يشبهه نعيم"

قوة التوحيد، وقوه التعلق به سبحانه وتعالى .. قوة المعرفة، تشرح الصدر ..

يدخل نور التوحيد في ظلمات الشركيات، التي تلتخ القلب وتصيبه بالأدران .. شركيات الخبة وشركيات التوكل وشركيات الخوف، وكل هذه المعاني .. فيدخل نور التوحيد فيمزق هذه الحبال الموصولة بغيره سبحانه وتعالى .. إذاً هذه أول الأسباب.

ثاني الأسباب : حسن الظن به سبحانه وتعالى ..

بأن تستشعر أن الله وحده هو فارج همك وكاشف لتلك الغيوم عنك، فإن أحسنت ظنك به فتح عليك من بركاته من حيث لا

تحتسب " أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن خيراً فله وإن ظن شراً فله" [رواه أحمد وصححه الألباني، صحيح الجامع (4315)]

فأحسن الظن ولا تكن ممن قال الله فيهم {وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ ذَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [الفتح: 6]

ثالث الأسباب: كثرة الدعاء ..

لأن كثرة الإلحاح على الله عزَّ وجلَّ توسع كل ضيق ..

فيا مه ضاق صدره وتكدَّر أمره، أرفح كف الضاححة إلى مولاه .. وبث إليه شكواك .. وأذرف الدمع بيه يديه
وأعلم إنه أرحم بك مه أمك وأبيك وصحبك وبنيك ..

هذا كثرة الدعاء والإلحاح عليه، تشرح الصدر.

السبب الرابع: المبادرة إلى ترك المعصية ..

فإنه معلوم سبب قصم الظهر كما قلنا .. قصم الظهر يكون بسبب الذنب، وهذا الذي لا يشرح الصدر .

قال تعالى {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ *} وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (*الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ} [الشرح: 3,1]

إذا، العكس المبادرة إلى الطاعة وتجديد التوبة تشرح صدرك ..

ولما استسقى العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، قال في دعائه " اللهم إنه لم تنزل عقوبة إلا بذنب، ولا تنكشف إلا بتوبة "

إذا .. ابن القيم يقول في هذا المعنى "وما يجازى به المسيء من ضيق الصدر وقسوة القلب وتشنته وظلمته وحزازته وهمه وغمه وحزنه وخوفه، وهذا أمر لا يكاد من له أدنى حس وحياء يرتاب فيه .. فكل الهموم والغموم والأحزان والضيق، عقوبات عاجلة ونار دنيوية وجهنم حاضرة .. والإقبال عليه والإنابة إليه والرضا به وامتلاء القلب بحبته واللهج بذكره والفرح والسرور بمعرفته، ثوابٌ عاجل وجنة وعيش لا نسه لعيش الملوك إليه البتة" .. هذا الكلام في الوابل الصيب.

إذا، السرعة والمبادرة للطاعة وتجديد التوبة.

السبب خامس: أداء الفرائض والمداومة عليها ...

من أهم أسباب شرح الصدر؛ لأن الله عز وجل قال " .. وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه .. " [صحيح الجامع (1782)]

فهذا من أهم أسباب شرح صدر الإنسان، أن يدخل القلب الحجة بهذا الأمر وهو المحافظة والتدقيق والتحقيق في أمر الفرائض.

السبب السادس: مجالسة الصالحين تشرح الصدر ..

فالاتتماع بهم والاستئناس بسماع كلامهم مذهبة لتلك المساخط مرضاة للرحمن ومسخطة للشيطان.

فاحرص على ألا تجلس وحدك، حتى لا يكون الشيطان عليك مسيطراً ومستحوذاً ..

وجاهد نفسك وغالبها على الاجتماع بأهل الخير والصلاح، وزيارة أهل العلم وطلبة العلم، وهؤلاء الذين يزداد الواحد بالانظر إليهم إيماناً.

السبب السابع: قراءة القرآن تدبراً وتأملًا ..

فلا شك أن القلوب تطمان بذكر الرحمن، ولا أعظم من القرآن ذكراً .. {وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} [الإسراء: 82]

السبب الثامن والأخير: الذكر ..

ولاسيما المحافظة على الأذكار المؤظفة، لاسيما أذكار الصباح والمساء وأذكار النوم .. فإنها من أعظم الأسباب التي تزيل الكرب وتزيل الهم وضيق الصدر.

كما ذكرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم : كان إذا نزل به همٌّ أو غمٌّ قال "يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث" [رواه أحمد وحسنه الألباني، صحيح الجامع (4791)] .. وكان يقول "دعوات الكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت" [رواه أحمد وحسنه الألباني، صحيح الجامع (3388)]

فهذا ما تيسر حول هذه العلامة التي ذكرها الإمام ابن القيم في كتاب المدارج ..

مه عرف الله تعالى مذاقت عليه الدنيا بسعتها

وستكون المحاضرة القادمة بإذن الله تعالى في المعنى الثاني، ألا وهو:

من عرف الله تعالى آسج عليه كل ذيق

وتكون المحاضرة بإذن الله بهذا العنوان "فرحان بالله" .. عن منزلة السرور بالله جلّ وعلا.



فنسأله الله تبارك وتعالى أن يعجزون فيما قلناه وما سمعتموه العجّة لنا لا علينا ..
ونسأله سبحانه وتعالى أن يتقبلنا منا ومنهم، وأن يأخذ بأيدينا وأيديهم إليه أخذ الجرام عليه
إنه وليّ ذلهم والقادر عليه

{ فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } [غافر: 44]

سبحانك اللهم ربنا وبصحتك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وصلّى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

فضيلة الشيخ / هاني حلمي

السُّرُورُ بِاللَّهِ

فضيلة الشيخ
هاني ماضي



أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

من يهده الله تعالى فلا مضى له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ كما صليت على إبراهيمٍ وعلى آلِ إبراهيمٍ إنِّي حميدٌ مجيدٌ.

اللهم بارِكْ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ كما باركت على إبراهيمٍ وعلى آلِ إبراهيمٍ إنِّي حميدٌ
مجيدٌ.

وبعد،،

فإنِّي أسألك الله تبارك وتعالى أن يجعل جمعنا هذا جمعاً من جوامع،

وأن يجعل التفرق من بعده تفرقاً معصوماً، وأن لا يجعل منا ولا بيننا ولا حولنا شقياً ولا محروماً.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ينفعنا.

اللهم اجعل ما نقول وما نسمع لاجلنا لا علينا.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك على علمك بعد علمك.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك على عفوك بعد قدرتك.

ما زال حديثنا موصولاً في علامات من عَرَفَ الله تبارك وتعالى،

وكما يَبْدَأُ منذ بداية هذه السلسلة أو الغرض من ياد تلك العلامات: أن نضع أنفسنا أمام مآة الواقع ..

هل نعرف ربنا حقاً؟!!

وكيف أستطيع أن أقيس هذا الأمر؟!!

ما الذي يقبل القياس عندي في هذه المسألة؛ لكي أعرف حقاً هذه المنزلة، إلى أي درجة تَوَصَّلْتُ إلى شيء منها،

أو ما هي الدرجة التي وصلتُ لها في معرفة الله تبارك وتعالى؟

فئات المسألة لكي يكون لدي أمور محسوسة معلومة أبداً أتفق من خلالها هذا الأمر وأقيس من خلالها هذه

المسألة، كانت العلامات ..

فتذكرنا عدة علامات:

كتعظيم الله تبارك وتعالى .. السكينة .. تعلق القلب به سبحانه وتعالى ..

تفويض الأمر له .. الخوف منه سبحانه وتعالى،

وكتا في اللقاء الماضي نقول: أن من عرف الله عز وجل ذاق عليه الدنيا بما رحبت،

وتكلمنا على معنى الحديث عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" [صحيح مسلم (2956)]

اليوم العلامة العكس تماماً، بمعنى إذا كانت ستضيق عليه؛ لأن الشوق يجعل هذا الإنسان الذي يفرض حباً للرحمن

.. يجعله في ضيق شديد أنه ليس قريب من ربه تبارك وتعالى .. شوقه للقاء الله تبارك وتعالى يُضَيِّقُ عليه الدنيا ..

اليوم الأمر على النقيض::

معرفة بربه تقتضي سروره به،

فالسرور به؟ .. به، بفضل .. برحمته سبحانه وتعالى .. سرور بأن ذاق القلب شيئاً من معرفته .. ذاق القلب شيئاً

من شهود معاني أسمائه وصفاته .. فعندما بدأ القلب يشعر بمعنى الرحمن الرحيم، بمعنى الودود، بمعنى القريب،

بمعنى الحليم، بمعنى الحميد، بمعنى الشكور، بمعنى القدوس ..

بمعنى من هذه المعاني، وبدأ يتشربها القلب وبدأ يستشعر لذتها في قلبه،

الإنسان منا وقتها يُعَدُّ قلبه وبطرب قلبه وبطير قلبه فرحاً بالله تبارك وتعالى وسروراً به.

لكن القرآن عندما تكلم عن هذه المنزلة .. منزلة السورور بالله، منزلة الفرح بالله، ذكر أمرين::

الأمر الأول صورة سلبية: صورة لفرح مذموم .. وساقها القرآن في قصة قارون، عندما .. {... قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} [القصص:76] ..

وساق هذا المشهد من السورور بالله تبارك وتعالى .. وهي آية **الفرح الحقيقي** في القرآن كله في سورة **يونس**، لما قال الرحمن تبارك وتعالى:

{هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (*) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ
{... قَالَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلِطْفَرْحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس: 56,58]

وَدَرَسْنَا عَنْ هَذِينَ الْمَوْضِعِينَ فِي الْقُرْآنِ، تَحْلِيلَ ذَلِكَ، وَالنَّظَرَ فِي مَا ذَكَرَهُ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ فِي كِتَابِ الْمَدَارِجِ فِي مَنْزِلَةِ السُّرُورِ، وَعِنْدَمَا تَبَدَّأُوا بَعْدَ الدَّرْسِ فِي مَرَاجَعَةِ الْمَادَةِ الْعِلْمِيَّةِ الْخَاصَّةِ بِهَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَكُونُ وَضَحْتُ لَكُمْ الْأَمْرَ تَمَامًا.

اقْرَأُوا تَفْسِيرَ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ حَوْلَ مَعَانِي الْفَرْحِ، فِي مِطَانِهَا مِنْ كِتَابِ التَّفْسِيرِ الَّتِي تَتَكَلَّمُ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الْمَعْنَى: رَاجِعُوا كِتَابَ تَفْسِيرِ الْأَلُوسِيِّ مِثْلًا، أَوْ تَفْسِيرِ مِثْلِ تَفْسِيرِ الْمَوْرِدِيِّ وَيَذَكُرُ فِيهِ أَقْوَالَ السَّلَفِ فِي الْمَعْنَى، رَاجِعُوا مِثْلًا بَعْضَ الْإِضَاحَاتِ الْمَوْجُودَةِ أَوْ الْمَبْتُوثَةِ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ فِي أَضْوَاءِ الْبَيَانِ أَوْ غَيْرِهَا، فَتَقْرَأُوا فِي ذَلِكَ لِنَفْهِمِ الْمَوْضُوعِ تَمَامًا.

تبيين لكم الشكل العام الذي سنسير من خلاله في هذه المحاضرة ..

الفرح المذموم

تعالوا نبدأ بالصورة السلبية قبل ما نتكلم عن الصورة الإيجابية، الصورة السلبية التي وردت في سورة **القصص**، سياق الآيات، قال الرحمن تبارك وتعالى:

{إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} [القصص:76]

عددوا معي ما سيلي هذه الآية من وقفات ..

(1) {وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ...} [القصص:77]

(2) {...وَلَا تَسْ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا...} [القصص:77]

(3) {...وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ...} [القصص:77]

(4) {...وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [القصص:77]

علماء التفسير عندما تكلموا في قصة قارون ألمحوا إلى معاني خطيرة جدًا يحتاج الواحد منا التأمل فيها ليفهم هذه الآية جيدًا، {...لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} [القصص:76] .. ذكروا أن قارون كان ابن عم سيدنا موسى، {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى...} [القصص:76]

ولاحظوا هذا المعنى، قارون ابن عمه .. وكان على هدى وكان مستقيمًا وكان عابدًا من عبادة بني إسرائيل، فأراد الشيطان أن يغويه، فدخل عليه من باب الإدخار .. قالوا: دخل عليه وبدأ في اليوم الأول يلاحظ عبادة إبليس، ففرح به جدًا، قال له: نعبد ربنا سويًا، بدأوا يتبعوا واستمروا لفترة.

وهذا عمل الشيطان يفتن علي ابنه آدم 70 بابًا من الخير ليهلكه في باب من الشر،

ثم بدأ يقول له: لا يستقيم أن يُنْفِق علينا الناس، يجب أن يكون لنا مصدر للرزق فهذه عبودية لله، - كلام طيب جدًا- ، وخرج به يومًا ليعملوا، فأصبحوا يعملوا يومًا ويتبعوا ستة أيام .. هذا المنهج لو طبقه المسلمون لاختلقت حياتهم، يعملون جزء ويتبعون بالباقي .. ثم بعد ذلك قال له: لا يصلح الأمر هكذا، يجب أن نتوسع في أبواب أخرى من العبادات، لن نمكث طوال الوقت نصلي ونظل عاكفين على بعض أنواع من الطاعة فقط، نريد أن نستزيد في باب الصدقة، فقال له: ماذا نفعل إذا؟، نعمل يوم آخر ويكون المكسب منه للصدقات .. واستمروا عليه لفترة فعلا ولا مشكلة ..

فجميع مقدمات الأمور ليس بها بأس .. وهذا يجعلنا نفهم لماذا نكرر عليكم::

(انضبط الهوى بالعلم)

لأنك لو تركت نفسك، ستجد الشيطان لن يقول لك أن تسرق وتزني وتفعل كذا، لا الشيطان أذكى من ذلك، لا سيفتح لك باب تدخل من هذا الباب .. لو قال لك الكلام مباشرة، لا، ستفهم أنها وسواس وأنت لن تأتي من هنا، وإنما لا، سيفتح لك باب خير حتى يغررك ويهلكك في أبواب أخطر ومهلكات أشد من عُجب، من كبر، من من... .

أمر خفية.

ماذا فعل الشيطان؟، جاءه بعد فترة وقال له: نريد أن نخرج يوم ثالث، لماذا اليوم الثالث؟ يوم ندخر، لن نظل

طوال العمر نعمل بهذا الشكل، ثم تكبر في السن وتعب فندخر مال ينفعنا للزمن!

فلما فتح عليه باب الإذخار فته قاروه، فته قاروه فتركه إبليس ..

أدى الوظيفة تمامًا ليس مطلوب بعد ذلك أن يكون حتى بجانبه، ستهلكه فتنة المال،

وهذا ما يحدث في أمة النبي محمد **صلى الله عليه وسلم**: "إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال" [رواه الترمذي

وصححه الألباني]

فلما فتح عليه باب الإذخار، صار يجمع في المال: {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا} [الفجر: 20] .. {وَأِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ

لَشَدِيدٌ} [العاديات: 8] .. لهذا فتح عليه أبواب الدنيا فما استطاع أن يُغلقها، فصار أغنى أغنياء الدنيا، أغنى أغنياء

الدنيا .. قارون، وصور القرآن الشكل الكبير لثرواته {...وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ...} [القصص: 76] .. هذا

مفتاح الكنز، فكيف الكنز نفسه؟ يحمله رجال من الشدة والقوة .. {...لَتُنُوَّءَ بِالْأَصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ...} [القصص: 76]

[.. لا يقدر على حمل المفتاح، فيم نتحدث إذًا؟ كم حجم الثروات التي نتحدث عنها؟؟

فلما وصل لهذه المنزلة، جاء نفر من قومه فوعظه، فقالوا له: {...لَا تَفْرَحْ...} [القصص: 76] ..

الفرح لا يكون بالدنيا، الفرح ليس بمالك، الفرح ليس بإمكاناتك وقدراتك، الفرح لا يصلح أن يكون بذويك وبأولادك

وبممتلكاتك وعقاراتك وبمنصبك وبجاهك،

الفرح لا يصح أن يكون بذلك، فقالوا: {...لَا تَفْرَحْ...} [القصص: 76] .. هذا الفرح يفسد عليك حالك مع الله،

يقطعك عن الله، فرحك هذا مذموم لأنه فرح بما لا يحبه الله.

هل يحب الله تبارك وتعالى الدنيا؟ سيدنا ابن مسعود قال: "إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب"، - ولو كان

ذاك ما سقى كافر منها شربة ماء - "وإنما يعطي الإيمان من يحب".

ولاحظوا كلمة (آتَيْنَاهُ) في القرآن وتبعوها، تتبعوا كلمة (آتَيْنَاهُ) .. لمن يعطي؟ ولمن يمتن؟ على من وماذا؟ .. يقول في شأن سيدنا موسى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا...} [الفصل:14] .. لم يقل أعطيناه مالا، ويقول نفس المعنى {...وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [يوسف:22] .. في حق سيدنا يوسف .. {وَلَوْطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا...} [الأنبياء:74] .. النبوة والعلم، الحكم هنا بمعنى النبوة .. فلما يعطي، من يعطي وماذا؟ .. يعطي إيمان .. يعطي علم ..

النبى صلى الله عليه وسلم هل ورث دينارًا أو درهمًا؟، أي أن قصة المال ليست هي .. النبى صلى الله عليه وسلم ما ورث دينار ولا درهمما وقال: " .. إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر" [رواه ابن ماجه وصححه الألباني]

إذاً نحن نحتاج لبرمجة جديدة لطريقة التفكير في الحياة، نحن مبرمجين خطأ، مهما قلت لك كلام للصباح، أنت في مجتمع يقول هذه المعاني، فتسلسل إليك الفلسفة المادية التي تحكم هذا العالم، الشخصية الأمريكية والأوروبية التي تمشي بهذا النسق، يتسلسل إلى نفسك، ومهما قلت لك في معاني من الممكن أن تأخذ جزء من تفكيرك، غداً ستطبق عكسها ، لماذا؟ لأن هذه الطريقة في التفكير وهذه الطريقة هي التي تحكم الدنيا كلها، فكل ما حولك يُفكر بهذا الأسلوب .. فلا تضحك علي وفي آخر الأمر تقول لي أنا زاهد، ما الدنيا وما المال! والله ما لها قيمة عندي، وتنزل في اليوم التالي تريد أن تلبس أحسن لباس بالمبلغ الفلاني وتركب السيارة آخر صيحة، التي فيها خصائص أكثر من العلاني، وتريد أن تسكن في المكان الفلاني، وتريد وتريد نفس النظرية، وترى أن هذا إكرام، قال الله هذا في وصف الإنسان إذاً يتكلم في غريزة، {فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ...} [الفجر:15] .. يتلبه يختبره، يختبره بمال كثير .. يختبره بجاه أكثر .. يختبره بإمداد .. يختبره بالعطاء، وليس بالمنع،

{...فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ} [الفجر:15] .. يظن أن هذه هي علامة الإكرام .. الحمد لله هكذا تمام، هكذا الحمد لله رزقي وأعطاني .. اللهم لك الحمد كله وإليك يرجع الأمر كله .. وهو حق الله سبحانه وتعالى للأسف الشديد أصبح حق كلمتين يقولهما اللسان هكذا حقه، الحمد لله، و فقط، ثم بعد هذا يفعل كل شيء يتمناه!

نحن من كثرة الخلل الذي لدينا في المفاهيم أصبح ما هو مفهوم الشكر لدينا؟ .. يقول لك مفهوم الشكر: التحدث بها ظاهراً والاعتراف بها باطناً وتصريفها في نعمة الله، يظل يسمع الدرس من أوله لآخره، أي تعني قول الحمد لله؟، الشاء بها ظاهراً الحمد لله، ومن داخلك نعم أعرف أن الله سبحانه وتعالى أهل الشاء والعطاء وكل شيء، وتصريفها أن أتصدق مثلاً، كم تريد أن تخرج؟ 1% مما معي، حسناً هذا حق الله، انتهينا، انتهينا من قصة الشكر.

فأنا أقوله بشكل تهكمي لكن هذا واقع، أنت فاهم خطأ، المفاهيم تحتاج لتصحيح في هذه المعاني.

{.. فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (*) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ { [الفجر:15,16] .. }... فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ...} أي ضيق عليه ولم يكن لديه مال كثير

فقال الله: كلا .. الاثنان خطأ، لا هنا كرمك ولا هنا أهانك، هذا المعيار معيار خاطئ، لا يصح أصلاً أن تقيس الأمور بما عندك من مال .. ليس كذلك، لذلك قالوا له: {... لَا تَفْرَحْ...} [القصص:76] .. المال ليس هو المقياس، الجاه ليس هو المعيار، أنت لا تريد أن تبرمج بطريقة صحيحة لماذا؟ ..

ثم أعطوا له أسس أربع بها يعرف كيف يوجه البوصلة بطريقة صحيحة .. كيف يتوجه توجه سليم في قضية الفرح هذه، ماذا قالوا له؟ هل أعطاك الله نعمة؟ ..

المطلوب الأول: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ...} [القصص:77]

حوّلها بطريقة صحيحة، فالموضوع ينتهي في كلمة واحدة، هو أعطاك .. هل يدك على الشيء يد تملك أم يد استخلاف وأمانة؟

يدك يد استخلافٍ وأمانة .. {...وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلْنَا لَكُمْ مِنْهُ حُلُومًا لِيُحِبُّوا...} [الحديد:7]

أنت خليفة .. أنت وكيل .. فالوكيل لا يصح أصلاً أن يتصرف بغير إذن موكله ... فنحن متفقين .. الشرط الذي بيننا في الإتفاق، خذ هذا عندك أمانة لا تتصرف فيهم إلا في ما سأقول لك عليه، ضعهم هنا، كُل واشرب بهم، وارتي بهم، واشتري لك سكن، وأنفق على زوجتك وعلى أهلك، وأنفق هنا على أراميل وأيتام، وأنفق هنا على فقراء وافعل كذا

هذه هي يد الأمانة، هذا هي يد الاستخلاف،،

إنما اليد الأخرى التي تعتبرها يد التملك، وأنت لست كذلك .. لذا سمي الله عز وجل نفسه بأسماء تؤول إلى هذا المعنى، فسمى نفسه ثلاثة أسماء تدور حول هذا المعنى: فسمى نفسه **الملك المالك**، **المالك**.. كانت تكفي واحدة، تكفي واحدة لتقوم بالمعنى .. ليؤكد على هذا المعنى، أنت لست مالك على الحقيقة، قارون أنت لست مالك، على ماذا تفرح؟ هذا ليس ملكك، هذا ليس ملكك، أفهتتم هذا المعنى؟

وسمى نفسه **الوارث** لذلك لأنه هو في آخر الأمر افعل... وافعل... وافعل وفي آخر الأمر سيرتها هو، لهذا لما تكلم في قضايا الإنفاق عمومًا قال: {...وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...} [الحديد:10]، ستجدها في سورة الحديد، يتكلم عن الإنفاق فيقول: {...وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...} [الحديد:10] .. أي أن في نهاية الأمر... أنفق لأنه في نهاية الأمر هو من سيرت.

وسمى نفسه **الآخر**، كل هذه الأسماء تدور حول هذا المعنى .. **أه النهاية عنده** .. أن أنت ستفق مالك يُمنه ويسرى وستفرح بالنعمة لفترة، لكن في آخر الأمر سيؤول الأمر إلى من له المرجع والمصير، و{...إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} [الشورى:53] .. {إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى} [العلق:8] .. من أول ما نزل في القرآن، النهاية عنده، فهو الآخر، هل فهمتم أول شيء؟

فقالوا له ماذا؟ المبدأ الأول، نحتاج أن نفرح، افرح لكن وجّه البوصلة بطريقة صحيحة، وجّه الاتجاه التمام امشي وفق الأمر المفروض منك، ما هو؟ أن تبغى {...فِيَمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ...} [القصص:77]

☺ أه تخطط للآخرة،

أن هذا المال ينفق كما قال النبي **صلى الله عليه وسلم**: " .. إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله .. " [متفق عليه] .. إن حق المال أن ينفق هكذا وهكذا وهكذا، وأشار يمينه ويساره ومن أمامه ومن خلفه ..

أمال ينفق في مصارفه الشرعية التي أمرنا الله عزَّ وجلَّ بالإنفاق فيها .. أنفقْ أنفقْ عليك .. فتنبغى به الدار الآخرة،

لهذا قسّم النبي **صلى الله عليه وسلم** المال ثلاث أقسام، قال: "يقول ابن آدم: مالي مالي". قال "وهل لك يا ابن آدم إلا ما أكلت فأفنيته؟، أو لبست فأبليت؟، أو تصدقت فأمضيت ؟؟" [رواه مسلم]

أنت الآن ستأكل وتشرب وكل هذه المصاريف التي ستصرفها، حسنًا كُل واشرب وارتدي وأساسيات الحياة أقمها، ولا تنسى حق الله عليك! .. والذي تصدقت به هو الذي سيبقى لك،

قال النبي **صلى الله عليه وسلم**: "أبيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟"، قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه. قال "فإن ماله ما قدّم ومال وارثه ما أخر" [صحيح البخاري]

قال الحافظ بن حجر تعليقاً على الحديث والحديث في البخاري، قال "في ذلك الحث على الإنفاق في سبيل الله في مظان القربى"، يقول لك الآن ما ستدفعه، ما يضمن لك أن المال الذي ستورثه لأبنائك سيصرفونه في حق أم في باطل؟ ما يضمن لك ذلك؟، سيصبح ملكهم، لهم حرية التصرف فيه، فأنت مالك الآن ستصرف فيه بطريقة صحيحة سينالك، ستدخره لتؤسس للأولاد الحياة والكذا والكذا والكذا هذا لن ينفعلك إلا إذا كنت قد علمت أولادك ابتداءً كيف ينفقون المال في مظانه.

إذاً المطلوب الأول، أو الأساس الأول الذي يؤسس عليه هذه القضية، أن تبغى {...فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ...} [القصص: 77]

أن الآخرة تكون مذكاة على بال.

الأساس الثاني: قالوا له التوازن .. إذاً الأساس الأول هو إرادة الدار الآخرة .. "من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة .." [رواه الترمذي وصححه الألباني، صحيح الجامع (6510)]
إذاً جعل الهموم همًا واحدًا، هم المعاد.

الأساس الثاني: التوازن، لأن العلماء لما فسروا {...وَلَا تَنسَ نَفْسِكَ مِنَ الدُّنْيَا...} [القصص: 77]

بعضهم فسرها بالعمل الصالح، وهذا قول جمهور المفسرين، {...وَلَا تَنسَ نَفْسِكَ مِنَ الدُّنْيَا...} [القصص: 77] .. قالوا "نصيب المؤمن من الدنيا هو العمل الصالح"، وقال مجموعة من المفسرين: "نصيبه من الدنيا ما يلزم لإقامة الحياة"، مثل: إن لبدنك عليك حقا إن لزوجك عليك حقا إن لنفسك عليك حقا، إن لجارك عليك حقا .. كل هؤلاء لهم حقوق .. أعط كل ذي حق حقه ..

مبدأ {... وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ..} [العصر: 3] .. مبدأ: {... وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ..} [العصر: 3] لن يستقيم أن نُقَرِّمه في مبدأ الدعوة فقط، لا التواصي بالحق، التواصي بالحقوق، هي ستؤول إلى الدعوة، فلما نتواصى سيكون في دعوة ما بيننا ، ولكن بماذا سنتواصى؟ سنتواصى بهذه، سنتواصى بمبدأ سلمان مع أبي الدرداء، أنا أرى أنك ليس عندك اتزان في هذه الجزئية، عندك خلل، أنت بتقيم العلم وتارك العبادة، عندك علم وعبادة وليس عندك دعوة، أنت في معاملاتك الشخصية مع أهلك حسن ومع الآخرين سيء أو العكس أن تتعامل مع الأخوة جيداً والأخت تتعامل مع الأخوات جيداً لكن معاملاتكم داخل البيت سيئة، إذاً هذا ليس حق، فأعط كل ذي حق حقه ..

هذا هو المبدأ الثاني؛ حتى لا يتسلل إلى نفسك الفرح المذموم .. فرح البطر .. فرح الكبر .. إذاً لو عندي توازن لن أرى هذه المعاني تماماً ..

لأن الإنسان عندما لا يكون عنده توازن، يكون لديه جانب أعلى منه جانب فيتميز به عن الناس .. فينتكبر!!

هل تفهمون هذه؟، أي مثلاً أنا عندي العلم زائد .. على أنك لو قيمتني في بقية الأمور في الدعوة أو في العبادة أو في غيرها ستجدني سيء! .. لكن الناس ترى مني العلم، وبالتالي معجبين بي .. هي نفس قصة قارون، يرون أن لديه مال ولا أحد في الدنيا مثله .. لديه ولديه .. فينظرون إليه من جانب واحد، فلا بد أن يفرح ويشعر بهذا الإعجاب ، لكن لو أنك قيمته بمقياس التوازن ستجد خلل، ولو قيم نفسه بميزان التوازن سيجد خلل، فهذا يجعله يرى عيب نفسه فيكون هذا سبب في تخلصه من الكبر .. وفرح الكبر .. وفرح البطر،

إذاً القضية الثانية: { ...وَلَا تَسْ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا... } [القصص:77]

قضية التوازن .. أعط كل ذي حق حقه

القضية الثالثة: { ...وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ... } [القصص:77]

ولاحظوا لم يقل: واشكر .. القضية أعلى من هذا، قضية الإحسان، **والإحسان** له مدلولان في الشرع : (مدلول لغوي ومدلول شرعي)

المدلول اللغوي معروف: وهو الإتيان ..

والمدلول الشرعي: يصل إلى منزلة المراقبة .. أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .. إما أن ترى ومتحسس بقربه، وإما أن تكون مستشعر نظره لك .. إما من ناحيتك وإما من جهته سبحانه وتعالى .. إما هذا وإما ذاك .. إما أن ترى أن الله مطلع عليك تكون متحسس بعين البصيرة قربه منك، حينها لن يصل الشيطان إلى قلبك فيغمسك في نار الكبر .. لن يستطيع فعل ذلك، لأنك طوال الوقت مُستشعر أنك مقصر في حقه وهو: ما عبدناك حق عبادتك، و هو يااااااااااا .. وهذا هو المعنى الذي تفرح به، تفرح بفضله وبرحمته .. سنقولها الآن ..

ستفرح بإحسانه .. ستفرح بإكرامه .. ستفرح بإنعامه .. ستفرح بتفضله .. ستفرح برحمته عليك ..

ستفرح بهذه المعاني العظيمة التي أمتن الله سبحانه وتعالى عليك بها، وستكون هذه الآية دائماً أبداً تحرك القلوب القاسية، يا أخي .. {...وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ...} [القصص:77]

يا أخي، لن ينفذ أن ذنوبك تكون له صاعدة وإحسانه عليك نازل .. يا أخي {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الرحمن:60] .. يا أخي، استحي من الله استحيائك الرجل من أهلك،

انظر إلى أين تنزل؟ .. يقول لك: على الأقل استحي مني كما تستحي من أبوك مثلاً، أو كما تخجل من الرجل الكبير الذي تُكِنُّ له هيبة في حياتك .. يا أخي استحي .. تكون خجلان وأنت تفعل هذا الذنب أمام زوجتك استحي .. استحي من الله استحيائك الرجل من أهلك.

فالمعنى هنا يحتاج إلى إحساس إلى شعور .. أنك في هذه اللحظة مطلوب منك أن تستجمع الذكريات الجميلة مع الله عزَّ وجلَّ .. كثيراً ما فعل لي وتعودت منه على الخير وامتنت عليّ بكذا .. و.. و.. ثم تنظر إلى نفسك من الجانب الآخر وتذريها وتحترقها في جنب الله، فينتج عن هذين: **مطالعة الجناية ومشاهدة المنة، ينتج عنه: العبودية ..**

{...وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ...} [القصص:77]

اكتبها هكذا وسجلها على جوالك، أو ضعها أمامك بشكل مُرَكِّز بحيث أن معناها يصل إلى قلبك ويكون دائم التذكر لها،

{...وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ...} [القصص:77]

بالله لو أردت أن تُطَبِّق، فالآن يقول لك: **أَحْسِن**، ما القرار الذي ستأخذه الآن ولا تفعله؟

القرار العملي الذي حركته هذه الآية الآن في قلبك، هل هناك شيء أم أنك بنفس الطريقة التقليدية وهو أول شيء ستهجم على ذهنك الشيء المُقَصَّر فيه منذ فترة، وعلى سطر وتترك سطر، إن شاء الله هذه الليلة سنقيم الليل! هل هذا حقه عليك؟، ما هو القرار العملي؟ ما القرار الإيجابي الذي يجب أن تُفكر فيه الآن؟ وهذه الآية تؤزك وتحرك فيك كل ساكن،

{...وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ...} [القصص:77]

لو الكلمة وصلت، أول وأهم قرار: : أكون لك عبداً،

كيف؟ .. إذا كنت عبداً، لن أتصرف مع الناس بهذه الطريقة .. لن أتصرف معه قبل كل هذا بهذه الطريقة .. لو كنت عبداً، سيكون تقصيري وجنابتي هذه على الأقل استدلني بين يديه .. ستتج في الخلوة دمة على خدك من خشيتك حقاً .. ستتج في القلب حياء يحيي القلب .. "الحياء حياة" ،

سيحي قلبك بهذا المعنى ، ستتج آثار في الأخلاق والسلوك مختلفة؛ لأنك ستكون طوال الوقت تريد أن تكون أحسن، يقولون: **المطلوب أن تكون أنت لك أحسن،**

قال الله عز وجل في مفتاح سورة الملك: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (*) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ..} [الملك:1,2]

القضية أن تكون الأفضل معه، المشكلة أنك تريد أن تكون الأفضل على أقرانك؛ لتستشعر هذا النوع من العلو في الأرض .. {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا...} [القصص:83] .. حتى لا تغضب مني، فأنا مثلك .. أنا إنسان الأصل في العيب والنقصان؛ بسبب مركب النقص الذي لدينا .. فأريد أن أستكبر على فلان وفلان؛ لأن هذا يعطيني إحساس معين يغذيني جداً .. لكن الإحساس يعود مرة أخرى لنوجه الدفة بطريقة صحيحة، أن تكون أحسن عنده ،

أفضل عنده، حينها له ترى نفسك، وله تعلق على الناس، وله تغمط الناس وله تبطر على الحق، له يحدن!

{...وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ...} [القصص:77]

ينفي عنك فرح الكبر والبطر ..

الأساس الثالث: : الإحسان مع الرحمه،

الأساس الرابع: {...وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [القصص:77]

لاحظوا هذا المعنى الأخير هو الذي ذيل به الآية؛ لأنه يحركك أيضاً وجدانياً .. ماذا يقول لك ؟ لا تبغي الفساد في الأرض، إياك أن تكون سبب في عكس ما أردت له الحياة، أردت الحياة واستعمركم فيها، طلب منك عمرانها،

وبماذا يكون عمرانها؟ **بالتوحيد**، عمرانها ابتداءً بإقامة لا إله إلا الله في الأرض .. إنما الحضارة المادية قالت: عمرانها أن نبي ناطحات سحاب وأن نُيسر على الناس حياتهم !

هذا معنى ليس معنى غير مراد شرعاً، لا بل مراد تيسير الأمر على الناس وما جعل عليكم في الدين من حرج، مبدأ اليسر موجود لكن ليس هو الأساس، فقد تعلمنا بشكل خاطيء .. تعلمنا في المناهج الدراسية قديماً، أن الهدف المدنية والحضارة والترف .. يقول لك: الرفاهية والحضارة، الرفاهية والحضارة!! .. هذه هي أهداف الأمم، أهداف الحضارات في كل زمان: الرفاهية .. أن نكون مترفين ..

ليس عندنا هذا المبدأ في شرعنا .. المبدأ: عمارة الأرض بالشكل الصحيح ..

عمارتهما: حين يكون الناس على مقصود واحد .. على هدف واحد .. يعبدون إلهاً واحداً، لا يُشتتون قلوبهم مع الشركاء، {...وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ...} [القصص: 77]، فاستشارك وجدانياً في ختام الآية فدخل عليك **يُحِبُّ** بعد **أَحْسِنَ**، حركك المعنى في ما سبق الإحسان مع الرحمن .. حسناً فهو يُحب أن تكون سائر في عمارة الأرض غير مُفسد، غيرهم يبعون في الأرض الفساد ويعيثون في الأرض الفساد ..

مفهوم الفساد : {...وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ...} [القصص: 77] .. ارتبط الفساد بالكبر .. ما هو مفهوم الفساد في ذهنك؟ هل هو الظلم؟ هل ظلم الناس مثلاً؟ .. مفهوم الفساد مفهوم التجير والقهر والاستبداد وممارسة الأقوياء سلطاتهم على الضعفاء والأغنياء على الفقراء ، هل هذا هو الفساد في الأرض؟ ما هو مفهوم الفساد في الأرض في ذهنك؟ أنه يكون قدوة سيئة، فيكون سبب لفساد في الأرض لأن الناس ستقتدي ويلاحظون أن قارون اليوم أتتبه؟ فهو بمثابة "بيل جيتس" في عصرنا .. أو كإنه أكبر واحد تعرفه في حيِّك أو منطقتك أو في بلدك من الأغنياء الغني الفاحش وتصرفاتهم .. الناس عادة (عادات السادات) مثلما يقولون:

عادات السادات ... سادات العادات

أقولها مرة أخرى : عادات السادات .. أي: عادات سادة الناس، عادةً تكون سادة العادات ..

فهذا الرجل يأكل بهذه الطريقة ويتصرف بهذه الطريقة، فالناس كلها تُشاهده وتُقلده .. وركب كذا .. فعل كذا .. قص شعره كذا .. تزوج كذا .. كيف تسير حياته ؟ .. الناس كلها تُقلده والكاميرا تكون مُسلطة عليه ..

عادات السادات ... سادات العادات

فهذا فساد في الأرض مالمح فيه قارون وفي كل مُتكبر في الأرض .. فيكون قدوة سيئة ..

إذا أخذنا معنيين :: **الأول: القدوة السيئة .**

والمعنى الثاني : إفساد المعايير .

المعيار لدى الناس .. قلنا من قليل أن السورة تقول هكذا والآيات تقول هكذا تقول : { ... لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ } [القصص:76] .. هذا لا ينفع .. أنت تفهمها بشكل خاطيء، المعيار الذي تقيس به خاطيء ، معيار الدنيا خاطيء ، معيار المال خاطيء

{ ...وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ... } [القصص:77] .. من خلال أن يختل الميزان والمقياس عند الناس ..

إفساد الحياة أي: إفساد الوقت .. المعنى جيد، فقضية الوقت هي القضية التي من الممكن أن تكون بالفعل المعيار الأوفق للإلتزام ..

كلمة الإلتزام في الأساس إذا أردت أن تقيسها بمقياس محسوس، تقيسها بمقياس الوقت ..

فأنا ملتزم في مواعيدي وملتزم بصلواتي، أعرف أضبط حياتي .. فإذا كان كذلك .. كونه أنه أفسد على الناس حياتهم وشغلهم عن الله سبحانه وتعالى بهذا .. الناس مشغولة كيف يحملون المفتاح ؟ .. سنأتي بكم فرد يحملون هذا المفتاح ؟ .. هذا هو الشغل الشاغل عند الناس فأفسد عليهم حياتهم بذلك

وكذا أخذنا أربعة معاني:

(1) **وَمِ الْأَخْرَةَ ..**

(2) **التوازن ..**

(3) **الإحسان مع الرحمن ..**

(4) **عدم الفساد في الأرض .. بالمعاني التي تذاكرناها.**

لو حققنا ذلك، أمنا لله شر وخلق فرح البطر،

الفرح الحقيقي: السورور بالله تعالى ..

فماذا عن السورور به؟ .. جاءت آيات يونس لتضع لنا أسس أربعة أخرى ..

قال الرحمن : {هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [يونس: 56] .. والآية لا بد أن تبدأ من هنا .. أي لا بد ونحن نقرأ سياق الآيات أن نبدأ من هنا:

{أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [يونس: 55]

حسناً، بداية التمهيد للمعنى المراد وهو السورور بالله سبحانه وتعالى والفرح به يبدأ من أين ؟

{هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [يونس: 56]

لأنه يُحيي أبدان ويُميت أبدان، ويُحيي قلوب ويُميت قلوب .. والمآل والمرجع والمرد إليه،

متى له فرح فرح حقيقي؟ ← عندما يكون قلبك ميت ،

فأنت لا تعرف كيف تتعجب .. فتسمع هذا الكلام والقلب عليه غلاف، فتقول : والله كلام طيب {...وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ...} [القصص: 77] .. بالفعل الكلام طيب، ثم ماذا؟ لكني لا أشعر لا أتذوق .. عندي مشكلة،
ملاذ؟!

لأن القلب الذي هو جهاز الاستقبال فاسد؛ لذلك عندما يتكلم عن القرآن بعد ذلك الذي هو سيكون الترياق والدواء والتمهيد أنك تشعر بحق بالسورور الحقيقي والفرحة ولذة الإيمان وحلاوة الإيمان وطعم الإيمان لن تشعر طالما جهاز الاستقبال فاسد .. فابتدأ فقال : {هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [يونس: 56]

فأول مبدأ وضعه كتأنيث للمعاني التالية: أن جهاز الاستقبال لا بد أن يكون قابل لاستقبال تلك الأنوار وتلك الرحمات وهذه المنن؛ حتى تصل الرسالة إلى قلبك .. فقال : {هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [يونس: 56]

حسناً .. يا رب بماذا أحيي قلبي؟ بماذا أخرج عه هذا الأمر الذي لا أستطيع أن أحله ؟

قال : { .. وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [يونس: 56] .. هذه تذكرة الدار .. { إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ } [ص:46] .. ذكرى الدار هذه، هي التي تُلِّين القلوب لو نشعر ونفهم، ألم نقل أن أعظم شيء يُصلح القلب هو هذا ؟ .. قف أمام قبر واستشعر ليلين قلبك، اذهب لأحد عنده حالة مُستعصية مرض من الأمراض الخطيرة وفي سكرات الموت استشعر { .. وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [يونس: 56] .. إذا سبب الإحياء سيكون كذا، انظر كيف القرآن يضع لك اللبنة شيء بجوار شيء ..

☉ فأول شيء : : جهاز الاستقبال يصلح بذكرى الدار،

ثم عد معي أربعة أشياء :

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ } (*) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ...}

[يونس:58]

1) { ...مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ... }

2) { ...وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ... }

3) { ...وَهُدًى ... }

4) { ...وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ... }

قل بالفضل وقل بالنعمة عليه أن يفرح بمثل ذلك .. ما هذه الأربعة أسس؟

☉ هذه الأربعة أسس : : طريقك إلى الرحمة ومدرجيه بالضبط،،

أتعرف كلام ابن القيم في أول المدارج ومنازل الساترين بالضبط لكن افهم :

مَوْعِظَةٌ: ماذا ستفعل بك هذه الموعظة ؟ يقظة .. لكن أول شيء في الطريق يقظة، إذا المطلوب أن يُشرب القلب .. هذه من الطرق لإحيائه وطرق البعث الحقيقي لهذا الإنسان من مواته، ماذا أفعل؟

﴿ أنزل على قلبك مواعد القآه حتى تستفيق،، ﴾

توقظك ، ما الذي فعلناه الآن ؟ جهاز الاستقبال وصلناه بالكهرباء، فأنا كان غير مضاء هذه هي اليقظة ..

ماذا ستفعل؟ ستؤدي لهذا الإحساس، سيفتح عينيه .. كما في سماعك لآيات الوعيد .. اسمع الآن سورة ق .. اسمع هكذا الحواميم ... اسمع هكذا الآيات التي تهزك بداخلك .. فبدأت تهتز .. فبدأت تفتح عينيك ثم بعد ذلك موعظة، حسناً أريد أن أسير، فأنت لن تسير ورجليك مازلت مشدودة ومربوطة ومازلت عندك مشاكل من الداخل .. **فأنت سقيم ..** نحن الآن انتقلنا من موات القلب إلى سقم القلب.

أليست القلوب ثلاثة أنواع؟ .. فقد كان قلبك قاسياً وميتاً، نزلت عليه الموعظة أفاقته قليلاً .. أصبح سقيم .. مازال لديه مرض .. فقال: **{...وَشَفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ...}** .. يُصلح كل هذا في جهاز الاستقبال أيضاً؛ لأن هذا هو ما يُفرح وهو ما سيتلذذ وهو ما سيشعر بهذه المعاني كلها .. فلا بد أن نضبط هذا المعنى ابتداءً، إذاً ماذا سنفعل؟

الخطوة الأولى: يقظة ..

الخطوة الثانية: يجب أن تكون استشفاء ..

فانتقلنا من مرحلة الموات إلى مرحلة المرض .. فأستشفي بالقرآن ، فأظل أقرأ قرآن .. في الخطوة السابقة ساستمع للآية الخاصة بالنار .. الآية الخاصة بالعذاب .. الآية الخاصة العزة، والتي تُرج قلبى هذه أنزلها في قلبى حتى تزيل القسوة

المرحلة الثانية : انظر إلى نفسي **{...كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ [عافر:35]}**

يا ويلنا! هل هذا أنا؟ هل مرضى الكبر؟ أظل أنظر على نفسي هنا هل هذا أنا؟ فأداوي نفسي ، كيف أداوي نفسي؟ أجد نفسي اهتزت أثناء قراءة : **{...إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ [النحل:23]}** .. هل يكرهني؟ هل من الممكن أن يكون الله غضبان عليّ ومُتسخّط عليّ بذرة كبر في قلبى فأستشفي ب **{...إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ [النحل:23]}** .. هل فهمت؟

انظر هنا **{وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ...}** **[الذاريات:51]** .. هل قلبى مُتعلق بغيره؟ .. استشفي بهذه، أنه لا ينفذ لقلبي أن يتعلق بسواه .. وهكذا فاستشفي بالقرآن .. فأشغل قلبى وأحيي قلبى الحياة الحقيقية .. هكذا الجهاز يعمل .. هكذا القلب الذي عليه ملاك الأمر .. إذا صلح صلح سائر الجسد وإذا فسد فسد سائر الجسد،

هكذا القلب انتقل من موات .. إلى السقم .. إلى السلامة ..

حسناً وما المطلوب ؟ .. المطلوب الهدايتان .. أنا الآن لدي رغبة ولدي قوة وأريد أن أسير، لو مشيت على خطى العشوائيين وأخطب في الأرض خبط عشواء .. فأنا أريد ولكن ليس على هدى .. ليس على نور .. ليس على بصيرة فبعد البقطة وبعد الاستشفاء تحتاج إلى خارطة .. تحتاج منهج ،

👉 هدى أي: منهج حياة يُؤسس على ما أسس الله عزَّ وجلَّ عليه حياة الناس ..

ما المطلوب منك ؟ ما هي الوظائف الأساسية ؟ .. تأتي المُعادلة الثلاثية :

العلم والعمل والدعوة

هنا يتأسس هذا الأمر .. هدىً هذه سترتبط بسورة العصر، أحد إخواننا أعطى لنا معاني جميلة جداً عليها .. إثنى عشر أساس ، اكتبوهم ... لأن كلمة الهدى هذه ستحلل بهذا التحليل سيكون هذا هو منهج الحياة ..

منهج الحياة اكتب معي:

{وَالْعَصْرِ} (*) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (*) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر: 1,3]

هل هؤلاء بهم اثني عشر شيئاً؟ .. نعم والله اثني عشر أساس للتغيير أو بمعنى أصح هذه هي معادلة النجاح، عد معي ..

1) الوقت: {وَالْعَصْرِ} [العصر: 1] وهذا معنى هدى .. {وَالْعَصْرِ} [العصر: 1] .. الوقت مبدأ الوقت

2) الفطرة .. {إِنَّ الْإِنْسَانَ...} الفطرة {...لَفِي خُسْرٍ} من لم يُحقق الاثنى عشر شيئاً سيكون في خُسران

3) العلم .. {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا...} الإيمان لن يتحقق إلا بعلم، إذاً رقم ثلاثة العلم ..

4) إيمان .. ومعنى الإيمان نفسه الذي يأتي به التصديق والمعنى المعروف الشرعي لمعنى الإيمان .. أربعة الإيمان ..

5) العمل الصالح .. {...وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...} هذا هو العمل الصالح، رقم خامسة العمل الصالح.

6) الدعوة .. {...وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ} عندك هنا أول شيء التواصي بالحق سنطلق عليها الدعوة أو

نقل الخير إلى الغير هؤلاء ست أشياء وسنأخذ معها أيضاً ..

(7) الصبر .. {...وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} إذا سبعة الصبر، مفهوم الصبر يتحقق ، فقد انتهينا أين الخمس أشياء المتبقين؟ أول شيء هم ..

(8) العمل في جماعة .. {... وَتَوَاصَوْا...} إذا سنضع هنا رقم ثمانية، ألا وهو العمل في فريق إذا لابد أن يكون العمل في جماعة أو في فريق حسناً وبعد ذلك **{...وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ...}** ثاني شيء لاحظوا ان القرآن يتكلم على عمل في مجموعة فسكتب::

(9) الانتصارات الجماعية ..

حسناً رقم عشرة وإحدى عشر هم :

(10) فقه الأولويات .. رقم عشرة هذا المفهوم هو إيمان، عمل صالح ، دعوة ، وصبر في كل هذا سنكتب رقم عشرة فقه الأولويات.

(11) منظومة الحقوق .. المطلوب هما في هذا المعنى أولاً قال **{...وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ...}** سنكتب إحدى عشر: منظومة الحقوق التي قلناها الآن : **أعط كل ذي حق حقه.**

(12) الرجوع إلى القرآن .. رقم اثني عشر : هذا المبدأ كله يقول : الرجوع إلى القرآن

هذه اثني عشر معلم لهدى ، الاثني عشر معنى :

(1) الوقت .. (2) الفطرة (تتعامل مع فطرتك، أي تتعامل مع الإنسان) .. **(3) العلم .. (4) الإيمان .. (5) العمل الصالح .. (6) الدعوة** (نقل الخير إلى الغير) .. **(7) الصبر .. (8) العمل في فريق .. (9) الانتصارات الجماعية .. (10) فقه الأولويات .. (11) منظومة الحقوق .. (12) الرجوع إلى القرآن ..**

من يُحقّق هذه الأثني عشر مفهوم، يك على هدى .. ومنه لا يكون كذلك فهو في خسرة،

وبالتالي سنجد خلل في واحدة من هؤلاء لا شك ..

فأنت ليس لديك إدارة وقت، تُفضيها كما تريد .. لا تعرف كيف تتعامل مع فطرتك .. ألا تعرف أن الإنسان هذا جسد وروح وعقل وعاطفة، فلا بد كل هذا تعرف أن تليبه وهذا ما يؤديه الشرع

أنت العلم عندك أكاديمي ومفهومه عندك ليس بالمفهوم المطلوب، من العلم بالمعرفة عن الله تبارك وتعالى ..

الإيمان تُحقق جزء منه ولا تُحقق المعنى المطلوب في الإيمان، سواء من قول القلب وقول اللسان وعمل القلب وعمل الجوارح ..

العمل الصالح فإنك تُقزّمه في بعض المفاهيم: من قرآن من ذكر من عبادات معينة، ومفهوم العمل الصالح أوسع من ذلك لأنه يتماشى مع مفهوم العبودية ..

قضية الدعوة أصلاً ليست على بالك بالشكل المطلوب، أن تكون { ... مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ... } [مريم:31]

أنت جزوع .. { إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (*) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (*) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً } [المعارج:19,21]

فقضية الصبر قضية ليست مُتحققة بالشكل المطلوب ..

نحن اليوم نعيش عهد الأثرة، فلا نعمل في فريق؛ لأن كل واحد منّا عنده هذا الكبر وكل واحد يعلو على الآخر .. فلا نستطيع أن نضع أيدينا مع بعضها البعض .. ولا نستطيع أن نُحقق أخلاق الإسلام على الواقع بالشكل المطلوب فلا نعمل هذا العمل .. وفي نفس الوقت عندما أحد منّا قد أدى نجاح معين ينسبه إلى نفسه، ولا ينسبه إلى المنظومة .. ولا ينسبه إلى مجموع العمل كله .. مجموعة العمل المفترض أن تكون أوصلت هذا، أي أحد داعية مثلاً طلع على المنبر وتكلم وأثر في الناس .. الرجل الذي تسبب في أن هذا الميكروفون يعمل هو له فيه أجر .. (منظومة الانتصار الجماعي)

وبعد ذلك رقم عشرة هل لدينا فقه أولويات ؟ .. تجد الأخ يعمل قليلاً في طلب العلم، يشرّد فيه ولا تجد له حال مع الله .. يسير قليلاً في هذا الطريق يقول أتعبد وكذا وكذا، وتجد العلم يختل منه .. وإذا لم تجد هذا ولا ذاك، تجد الدعوة لدينا فيها مشكلة .. أين فقه الأولويات؟ .. يبدأ بالدعوة ولا على علم أو على كذا، أين فقه الأولويات؟

رقم إحدى عشر : الحقوق .. هل أنت بالله عليك تُراعي حق زوجتك؟ هل أنت بالله عليك تعطي والديك حقهما على الوجه المطلوب؟ هل أنت بار بأهلك بالشكل المطلوب ؟ هل تُعطي أصلاً نفسك حقها ؟ .. فعندما اليوم تُفسد عليك حالك بالأمر التي تسعى فيها في الأرض، فأنت بذلك تُفسد عليك نفسك .. هذا هو مفهوم ظلم النفس وأيّنا لم يظلم نفسه ؟ .. وبالله عليك القرآن الذي نستخرج منه هذه الآلي وهذه الدرر، هل تتأمل فيه وتتدبر فيه على الوجه المطلوب ؟

القصة بأكملها لو فعلنا الاثنى عشر شيئاً أصبح هدئ

إذاً هذا هو المنهج المنهج الذي قد تأسس على الدعائم الثلاثة التي يندرج تحتها الاثنى عشر شيئاً هذا هو هدئ

فقد عرفت الخارطة وعرفت كيف أسير، المنهج واضح أمامي .. أصبح لدي هدف .. هدف واضح .. هدف مُحدد

المطلوب أن أسعى له .. جاء جزء الحركة .. **العمل** ..

قلنا من قبل أن **معادلة التخيير:: رغبة وفكرة** .. والمفترض أنك إلى هدئ تكون قد وصلت إلى مرحلة

الرغبة .. وكيف تُولدت ؟ تُولدت عندك عندما أصلحت جهاز الاستقبال ..

والفكرة ؟ .. المفترض أن تكون ب هدئ .. فقد عرفت الطريق، ووضح أمامك ..

جاءت المرحلة الثالثة العمل : فأنا أريد أن أعمل، ولن تستطيع أن تعمل إلا برحمة فلا بد أن تكون هناك

موجبات الرحمة ..

لذلك عندما ربَّط في حديث شداد ابن أوس قال : "إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة، فاكنز هؤلاء

الكلمات .." [السلسلة الصحيحة (3228)] .. ما هي الكلمات؟

الثبات في الأمر: نريد أن نثبت

والعزيمة على الرشد: نعم ربط العزيمة على الرشد

وما بعدها : موجبات رحمتك ..

إذاً، ليكون لدي عزيمة على الرشد .. ليكون لدي هذه الطاقة حتى أصل، ماذا أحتاج؟ **أحتاج أن أسعى في موجبات**

الرحمة ..

موجبات الرحمة : {...لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [النمل:46] .. إذاً استغفار يُولد رحمة .. ارحم تُرحم

.. رحم الله امرء صلى قبل العصر أربعة .. من عاد مريضاً خاض في رحمة الله .. أسباب موجبات الرحمة عدة

وكثيرة، اسع في أي سبب من هذه الأسباب ليكون هذا هو الوقود الذي سيُحركك.

هكذا تكون سائر وهكذا يكون قلبك تهيب وهكذا من المفترض أن الرسالة تصل

حينها قال : {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا...} [يونس:58] .. حينها عندما أقول لك أي معنى وقد تهيأت هذا التهيؤ الرباعي بهذه الخطوات .. حينها يصل إلى القلب السرور به سبحانه وتعالى ..

هنا كلمني عن الله وحبيني فيه ، هنا نريد {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا...} [يونس:58]

الإمام ابن القيم عندما ذكر هذا ..

قال: باب السرور .. قال : {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس:58]

قال: "تصدير الباب بهذه الآية في غاية الحُسن، فإن الله تعالى أمر عباده بالفرح بفضله ورحمته وذلك تبع للفرح والسرور بصاحب الفضل والرحمة"

أي أنه يقول {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ...} [يونس:58] .. فأنت أصلاً أعظم مفروح به هو الله سبحانه وتعالى

إذا كنت فرح بالفضل، فلست فرح بالفضل بسبب فرحي بالنعمة .. أنا لست فرح أنني تزوجت .. أو فرح أنني أصبح لدي مال أو لست فرح بكذا .. هذا ليس الفرحة، إنما الفرحة أنه تفضل عليّ وأنتي أصبحت أهل لأن يتنزل عليّ باليمن والفضل..

"بصاحب الفضل والرحمة، فإن من فرح بما يصل إليه من جوادٍ كريمٍ محسنٍ برٍّ، يكون فرحه بما أوصل ذلك إليه أولى وأحرى"

أي عندما تجد أحد الناس الذي لديهم معزة عالية جداً لديك، قد بعث لك بهدية .. تجد نفسك لا تشغل بالهدية .. أنت فرح بها فقط .. فتقول: هل هذه من فلان؟ فأنت طوال الوقت لا تُصدق أن فلان تذكرك وبعث لك أنك أصبحت جزء من اهتمام فلان .. فيكون فرحك ليس بما بعث، فما بالك لو بعث شيء عظيم وقيّم تكون فرح ... هذا هو المعنى ..

قال ابن عباس وقتادة ومجاهد والحسن وغيرهم : "فضل الله الإسلام، ورحمته القرآن" .. فجعلوا رحمته أخص من فضله، فإن فضله الخاص عام على أهل الإسلام ورحمته بتعليم كتابه بعضهم دون بعض، فجعلهم مسلمين بفضله وأنزل إليهم كتابه برحمته .. قال تعالى : {وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ...} [القصص: 86]

إذاً، العلماء أو غالب السلف لما ذكروا تفسير الآية قالوا : الفضل الإسلام وقالوا الرحمة القرآن .. وهذا أي نوع من أنواع التفسير؟ هذا اليوم ذكر شيء من مثال هذا يُسمى **(تفسير بالمثال)** .. ليس معنى ذلك أن الفضل هو الإسلام فقط أو أن الرحمة هي القرآن فقط.

لأن القرآن لم يقل قل بالإسلام وبالقرآن فليفرحوا، هي أوسع .. لكن ذكروا لك أمثلة لتعرف أن الفضل مثل ماذا والرحمة مثل ماذا؟

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه "فضل الله القرآن .."

فقد عكس قال: أن الفضل هو القرآن ..

ورحمته أن جعلنا من أهل القرآن ..

فأتى بمعنى آخر

وبعد ذلك قال : قلت يريد بذلك أن ها هنا أمرين أحدهما الفضل في نفسه والثاني استعداد

انظر لأن هذا يتماشى مع الكلام الذي قلته طوال الوقت وتهيئة القلب وكذا، انظر الكلمة الثانية هذه ..

1) الفضل في نفسه .. 2) وتهيئة استعداد المحل لقبوله

أنه بفضل الله أحيا القلب .. جعل هذه الأسباب سبب في إحياء القلب موعظة وشفاء وكذا وكذا

إذاً الفرح هنا أنه ضبط لك جهاز الاستقبال الخاص بك .. فجعله مستعد للقبول ..

كالغيث يقع على الأرض القابلة للنبات فتفتح الثمرة

أرأيت لماذا لا تستطيع أن تفهم القصة ؟ .. هذا هو موضوع لذة الإيمان وحلاوة الإيمان والسعادة بالله تبارك وتعالى.

هل أنت فرح بالله ؟

اسأل نفسك هذا السؤال مرة أخرى، هل سمعتني جيداً ؟ هل أنت فرح بالله ؟ حسناً كيف ؟ أم أنك تغضب من الله وأنت لا تدري ؟ لأن بلسم القلب هو هذا المعنى ..

هل أنت فرح بالله؟ هل أنت تكون فرح بدرجة أنك لا تعرف ماذا تفعل لله، ماذا أفعل يا رب؟ هل أصلي الآن؟ لن يكفيني هذا، هل أصوم وتكون فريفة؟ هل أذكر؟ قل لي ماذا أفعل؟ أنا لا أستطيع تلبية أو أنني أسدي شيء في مقابل فضلك وممتك ورحمتك عليّ ..

ففرحك هذا يجعلك تتقطع فرحاً، ولست مُتحمساً وتقول إن الله لا يريدني في هذا الطريق، إن الله لا يريدنا .. فالله سبحانه وتعالى يعرف الأحوال، لذلك تواجدنا في هذا الزمان الذي لا يعلمه إلا الله .. وتظل في هذا النكد ويُسخطك الشيطان عن ربك بهذا الشكل .. هل أنت فرح بالله؟ .. والله بحق فأنا أسأل نفسي نفس السؤال، لا أعطيكم أسئلة للتعجيز .. لأننا لا نُفكر في هذا المعنى .. دائماً نفكر في الشكر هذا عندما تكون أحوالنا تمام .. فأنت غالباً تفكر في أداء الواجب .. علينا صلاة فنصليها أو كذا ..

إنما هل فكرت من هذا المدخل؟ أنك تكون فرح بالله {... وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت: 35]

تحتاج لذب وتحتاج لربنا وتحتاج لمعرفة؛ لذلك تعرف .. لأنك لو تعرفه فسئلوه فرح به جداً،

ولو أصبحت فرح به، سيظهر ذلك في تصرفاتك .. والله العظيم سُصبح صلاتك، والله العظيم صلاة الفجر القادمة ستكون بمذاق آخر .. والله، لأنني إذا كنت واقف بين يديه ومستشعر لذة الخشوع

أليست لذة الخشوع هذه أفضل منه لذة السرحان؟! .. هل هذا صحيح؟

☞ لأنه النفس لا تترك محبوب إلا لمحبوب أعظم،

هذه هي النفس .. فأنا الآن جالس شاراد الذهن ومهموم، ولم أتخلص من المشكلة والتفكير لم يحل لي المشكلة .. بل بالعكس الأخرى جنة .. {فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ} [الواقعة: 89]

حسناً، لماذا أنا غير فرح أن الله قد أوقفني أمامه؟ لماذا غير فرح أن الله سبحانه وتعالى الآن نصب وجهه تلقائي؟ لماذا لا أفرح بهذا المقام العالي؟ لماذا لست فرح بالله؟

تحتاج إلى وقفة، تحتاج إلى سؤال يُحرك القلوب القاسية .. اجلس معي وخطط، وخذ معي وأنت جالس الآن قرارات ..

أيه ستفرح بالله؟ وكيف ستحسه إليه كما أحسه إليك؟

اجعل هذه الكلمة التي حركنا بها القلوب مفتاح فرحان بالله .. اجعلها مفتاح السرور الحقيقي بالله .. خذ قرار الآن .. كيف ستُصلح الصلاة؟ أنت تحتاج كتاب في الأسماء والصفات واسمع هناك سلاسل موجودة على شبكة الإنترنت كثيرة، واسمع كم اسم من الأسماء التي تُرقق قلبك

حسناً اسمع:: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [مريم:96]

وعش معي معنى قربه ومحبته لك وتحببك له وتودده، وافرح أنه يُحبك فاصطفاك بالإسلام ..

عش معي مشهد حلمه، وهو يراك وأنت تعصيه وهذا يُسخطه فيتركك وما تُحب .. لعلك ترجع .. ويحلم عليك فلا يُعجل لك العقوبة {...مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (*) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ} [الإنفطار:6,7]

فأنت تحتاج أن تعيش وتشعر هذه المعاني بداخلك، فكلما اصطدم معنى بداخلك تفرح به أكثر وتظهر لذتها في عبادتك وتقرباتك إليه بشكل أوضح .. نريد أن نعيش على مدى أسبوع من هنا إلى اللقاء القادم هذه التجربة العملية، هذا التدريب العملي ولنبدأ بالصلاة ..

أريدكم على مدى خمسة وثلاثين صلاة من هنا إلى اللقاء القادم الاسبوع القادم إن شاء الله، خمسة وثلاثين صلاة قل لي عندما دخلت الصلاة وأنت داخل فرحان بالله ماذا تغيّر فيها .. وأظن هذه التجربة العملية ستحتاج مجاهدة وستحتاج تعرّف وستحتاج أن تبذل لها لتنال، وأنا اليوم بصّرتك .. لو الذي يحيل بينك وبين الله كبر فقد قلت لك أربع أشياء ومفهومهم سورة القصص لتتخلص ..

إذا كنت لا تعرف كيف تسير فقد قلت لك الأربع أسس الذي ذكرها قبل آية: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ...} [يونس:58]

إذا كنت تريد أن تعرف منهج فقد ذكرت لك الثلاث أسس والاثنى عشر مبدأ فالأمور واضحة ..

وأنت وحدك مع يده القرار بحول الله وقوته، فأنت ومآة نفسك

نريد أن نعيش (فرحان بالله) وننظر في آثار رحمة الله علينا بعدها،

أسأله الله تبارك وتعالى أن يفرّج قلوبنا به ..

اللهم ارزقنا حبّك وحبّ من يُحبّك وحبّ عملك صالح يقربنا إليك حبّك

اللهم اجعل لبيح أحب إلينا من أنفسنا وأهلينا ومن الناس أجمعين

اللهم اجعل لبيح بسماً لإفادت قلوبنا

اللهم ارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم

اللهم ارزقنا الشوق إلى لقاءك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً

اللهم أقسم لنا من جناتك ما تلوأ به بيتنا وبين مصيبتك

ومن طاعتك ما ثألنا به جناتك ومن اليقين ما تهوون به علينا مصائب الدنيا

ومتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما ألبيتنا وأجعل الوارث منا وأجعل ثأرنا على من ظلمنا وأنصرنا

على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا إلى النار

مصيرنا

فستذبحون ما قلت لمحمد

{.. وَأَفْوْضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} [عافر: 44]

سبحانك اللهم ربنا وبعدهوك أشهد أن لا إله إلا أنت أسئفرك وأثوب إليك.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،،

فضيلة الشيخ / هاني حلمي

منهاج

الله

D E D A S H I U I



فضيلة الشيخ
هاني حلمي

استحيوا

Bè Bashful

www.manhaj.net

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى

وصل الله وسلّم وبارك على النبي المصطفى،

وآله المسنكولين الشرفه

ثم أما بعد؛

فاسأل الله نبارك ونعالى أن يعلمنا ما ينفعنا

وأن ينفعنا بما علمنا

وأن يزيدنا علماً ينفعنا

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهى لنا من أمرنا رشداً



تأملوا معى هذه التجربة الفريدة في بناء هذا المعنى الذي نريد أن نتدارسه

في هذه المحاضرة

وسأترك لهذا الشخص المقام ليحدثنا عن نفسه.



قال: أنا ذلك الشاب الذي هتك ستار عفته بيديه سعيًا وراء لذة تستمر بضع لحظات، ثم ما تلبث أن تزول فأسعى وراءها من جديد، تملكني وتشغل عليّ كياني وفكري، إنه دائمًا ما تجول بخاطري تلك التساؤلات،

أيمكن لمن هتك ستار عفته أن يستعيده من جديد؟

هل يعقل أن يتحول من ولع في أشكال المعصية وألوانها، وأضحى خبيراً فيها. وعمر فيها زماناً.

أن يتحول إلى عفيف طاهر شديد الحياء؟

دائمًا عقلي يؤكد استحالة ذلك، فما تم كسره لا يمكن إصلاحه، ومن فتح عينه ليس كمن أغمضها، ويقول لي عقلي هذا قدرتي ولا بد لي من التسليم بذلك.

لكن على المقابل كنت أرى صور التائبين من أمامي ترفض التسليم لعقلي بذلك، وتأملت في حال البشر، فرأيت لكل أماني وأحلام، ورأيت كذلك عزماً وهمة، فمن البشر من تكون همته عظيمة، ومنهم من تكون إرادته ضعيفة، فيظل هذا يحلم ويظل ذاك يحلم، فمنهم من حلمه ضئيل أو دنيى وهو يسعى حثيثاً لتحصيله، وهمة المرأ هي الحكم الفصل في تفصيل المراد، ثم عدت فتأملت في خطاب عقلي وهو يعني من المحاولة ويفقدني الأمل في ممارسة هذه التجربة، فإذا به يبحث عن مصلحته ويسعى لتحصيل راحته العاجلة لعدم رغبته في بذل الجهد والمحاولة، ثم أعدت التامل فرأيت الحياة لا قيمة لها بدون المحاولة والتجربة، ثم تأملت ثالثة ورأيت المحاولات وإن كثرت، والفشل وإن تكرر إلا أنه يثبت قيمة الإنسان، فلا بد أن أسعى، ومن هنا رتب الله الأجر في القرآن على المحاولة

{ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ } [النساء: ١٠٠]

ثم تأملتُ أخيراً فإذا معامل القوة والضعف الحقيقي بداخلي أنا ليست من الخارج، والمسألة تتعلق بالإجابة الصادقة على سؤال: هل أريد؟ وأريد حقاً!!

ولما حسمتُ الإجابة على هذا التساؤل الأول الذي انبعث في عقلي، ابعتُ السؤال الثاني: كيف؟

كيف يمكن لمن ولج في المعاصي وهتك ستار العفة أن يستعيد ما تم كسره ويعيد إصلاحه؟ ، فتذكرتُ أنه ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله، وعرفت أن الله سبحانه وتعالى وضع معادلة النجاح والفوز بالجنة في قوله: **{ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ } [النازعات: ٤٠ ، ٤١]**، فالمسألة الخوف من مقام الله ومخالفة الهوى، وتأملتُ حال شاب شديد الخوف، واقف في الصلاة

يبكي خلف الإمام بعد أن ارتكب معصية هي تقريباً نفس معصيتي، ثم يظل يبكي ويبكي بشدة، ثم تتعجب إذ به هو بعد لحظات ويمكن دقائق قليلة يرتكب مرة أخرى نفس المعصية من جديد.

ثم لا يفهم هذا الشاب أين المشكلة، فيدخل الشيطان متطوعاً بإعطاء التفسير، فيقول له أنت منافق، ثم بعد ذلك تترسخ تلك المفاهيم، ويستمر في الوقوع في المعصية لعدم القدرة على التخلص منها، ثم بعد ذلك يدخل في الحلقة المفرغة من ارتكاب الذنب، فبكاء، فتوبة، فندم، ثم سكون، فشهوة فارتكاب للذنب، وهلم جرة، وهكذا يتبين أنه لا يمكن أن أكون صالحاً فعلى الأقل لن أكون منافقاً، لا يصح أن أكون بوجهين، فلاأكن بوجه واحد، وهذا الوجه واضح!، فيأتيه الشيطان: **{وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ}** [الأعراف: ٢٤] يا بني عش حياتك، لا يستقيم أن تعيش هكذا، اختار لك احدى الطريقتين، طريق الله عز وجل أثبت فيه فشلك، لكن هذا البكاء ماذا كان؟ وهذه الصلاة؟ وهذه الحرقة في القلب ما كان هذا كله!!، هو لو أحسن النظر والتأمل سيفهم أنه ليس منافقاً، بل هو حقق الشرط الأول ولم يحقق الشرط الثاني، **خاف مقام ربه لكن لم ينه النفس عن الهوى، وقضية هي النفس عن الهوى، هي مفتاح درسا، فإن مخالفة الهوى تكون عن طريق زارعة موانع ومعوقات وبناء حواجز وبناء سدود داخل النفس ترفع مستوى تحكم وسيطرة الإنسان على نفسه فيستطيع قيادتها، هذا المانع وهذا الحاجز، لا بد أن يكون من داخلك، من داخل نفسك، وهذا هو معنى البناء الأخلاقي المطلوب وأعظم هذه الموانع وأعظم هذه الحواجز أن نبي هذا المعنى ونكونه في قلوبنا والذي هو علامة على تحقق المعرفة بالله تبارك وتعالى ألا**

وهو الحياء.

قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيما رواه ابن ماجه وحسنه الألباني: " إن لكل دين خلق ودين الإسلام الحياء"، فجعل أعظم الأخلاق التي دعى إليها الإسلام، والنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: " إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق"

الراوي - :المحدث :الزرقاني - المصدر :مختصر المقاصد - الصفحة أو الرقم:184 :

خلاصة حكم المحدث :صحيح

، هذه المنظومة، أعظم هذه الأخلاق بلا شك هو خلق

الحياء.

نحن في تعرف بتكلم دائماً على علامة، لو وجدت فينا فهذا دليل على أننا حصلنا معنى من معاني المعرفة بالله سبحانه وتعالى.

عندما تكلم العلماء في قضية الحياء وعلاقتها بالمعرفة، ذكرنا كلام ابن عطاء أنه قال: المعرفة على ثلاثة أركان،

المعرفة

الهيبة

الأنس

الحياء

- تتدارسنا ركنين **الهيبة والأنس**، الأنس الذي أخذناه عندما تكلمنا على ضاقت بما رحبت، الهيبة التي هي علامة التعظيم، والثلاثة **الحياء** - .

في **الحلية** ذكر إبراهيم الخواص: أن علامة حقيقة المعرفة بالقلب،

- قال أربع أشياء، ما هي؟ -

قال: ١- التبرأ من الحول والقوة.

خلع الحول والقوة، الذي هو تحقيق معنى لا حول ولا قوة إلا بالله، فأنا أسير بعون ربي.

٢- ترك التملك مع الله في شيء.

قلت لكم عندما يكون المال في جيبيك وتركب سيارتك وتدخل بيتك، وممتلكاتك التي هي رصيدك من الدنيا، قل فيها كلمة واحدة: هذه لله بيدي، هذه لله: هل هي ملكي؟ لا ليست ملكي، إنما هي ملك من؟ ملك من؟ ملك المالك، الملك المالك المليك، هذه لله، ولكن؟ بيدي، أنا مستخلف ومستأمن.

٣- دوام - وهي محل الشاهد- حضور القلب بالحياء.

يقول أن هذا مقام، وليس حال، والفرق واضح، أن هذا ليس معنى عارض، فأستحي لبعض الوقت من ربي وأبكي عندما أسمع معنى من المعاني التي تحرك القلوب في هذه المعاني، لا، استحضار هذا المعنى لا بد أن يكون متجدد في القلب، لأنه ينبع عن أمور حنتدارسها، مما يبتولد الحياء وأهمها المراقبة، والمراقبة تنتج عن معرفة بالله.

أسهل من غير هذا الكلام، عندما تعلم أن ربنا سميعٌ بصيرٌ وعليمٌ وشهيدٌ ورقيب، عندما تصبح هذه المعاني في القلب تنتج هذا المعنى، ولو هذه المعاني استحكمت في قلبك تستحي، أفهتكم؟

قالوا العلامة الرابعة: شدة انكسار القلب من هيبة الله.

الذي هو تحقق معنى الله أكبر في القلب، الكبير المتعال العليّ سبحانه وتعالى.

الكلابذي يقول: قال بعضهم صدق الإيمان - تريد أن تعرف هذا الإيمان صادق أم لا؟ يتضح أين - في التعظيم لله - بتعظيم أوامره ونواهيه، بتعظيم الصلوات؟ بتعظيم أمر النبي **صلى الله عليه وسلم** بتعظيم سنته، لا تقول لي الإيمان عندي مترسخ وأن الإيمان هو ما أحفظه من كتب العقيدة، الإيمان الحقيقي يتضح صدقه من كذبه أين؟ في التعظيم.

قال: وثمرة ذلك - نحن نحتاج أن نسمع درس الهيبة مرة ثانية - هنا ماذا؟ ثمرته الحياء، لو أنا عظمتُ ربنا سأستحي منه، أفهتكم هذا المعنى؟

وطبعاً طالما هذا في الحور الأول الربط بين الحياء والمعرفة، لا أستطيع أن أتغافل في البداية أن الله سبحانه وتعالى سمي نفسه الحيي، فالله سبحانه وتعالى وصف نفسه بهذه الصفة صفة الحياء، وفي الحديث " إن الله حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه ان يردهما صفراً خائبين"

الراوي: سلمان المحدث: المنذري - المصدر: الترغيب والترهيب - الصفحة أو الرقم: 2/390 :

خلاصة حكم المحدث: [إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما]

، وفي الحديث " أن الله يستحي أن يعذب شبيهة شاب في الإسلام"، فالله هو الحيي، وأنا في البداية أريد أن أسكب المعنى في القلب ودائمًا هذا يُحرك جدًا، الأثر الذي ذكره ابن القيم وكان ربنا هو القائل لأنه من جملة الإسرائيليات وأنتم تعرفون قانونها، ولكن تصوروا أن الله يقول لنا هذا: ما أنصفتي عبدي، لا يستحي أن يعصيني وأنا أستحي أن أرد يديه، ما أنصفتي عبدي لا يستحي أن يعصيني وأنا أستحي أن أرد يديه، والمعنى عميق جدًا على الحديث، لأن الحديث أنه حياء ربنا سبحانه وتعالى جعله في ذلك، يستحي أن يرد يدي العبد، كذلك يحي بن معاذ كان يقول: سبحان من يذنب عبده ويستحي هو، سبحان من يذنب عبده ويستحي هو.

من الذي يستحي؟، هو من الذي تعتري حمرة الخجل وجهه، هو من الذي المفترض يكون يبتلع من داخله، أليس أنا! أنا المذنب المسرف على نفسي أنا الأعمى بحالي، فعجيب هذا المعنى في البداية في معرفة الله الحيي، سبحانه من يذنب عبده ويستحي منه.

ما معنى الحياء؟

الذي نريد أن نصل له، قالوا الحياء صفة وخلق يكون في النفس يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير.

بمعنى الذي بني الفولاذ بأفواه الأخوة مذنب ومقصر، المفترض أن هذا الخلق وهذا المعنى لو ترسخ في قلوب كل أخ وأخت وكل مسلم ومسلمة أنه يقفل هذا الباب، يقفل هذه المشكلة، يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق صاحب الحق سبحانه، فهذا معناه الذي نص عليه العلماء.

أريد في البداية أن أوضع بعض الإيضاعات على مفاهيم حول الحياء، الحياء يرتبط بالتوبة، والعلماء عندما قالوا أن التوبة على نوعين،

توبة إنابة و توبة استجابة.

قالوا توبة الإنابة تنبع من الخوف، أنا خائف من عقوبات المعاصي أنا خائف من القبر أنا خائف من سوء الخاتمة أنا خائف من أهوال القيامة، أنا خائف، فهذا الخوف يأتي بي، لا أريد أن يحدث لي مثل ما حدث لكذا، وفي نوع ثانٍ وهذا هو الرابط، اسمه توبة الاستجابة، توبة الاستجابة قالوا باعثها الحياء، (عندما اختشي على دمي) وأشعر بعظم فضل ربي عليّ ومدى فداحة جرمي في حقه، هذا المفترض يأتي بقلبي له، ابن القيم في **الداء والدواء** لما ذكر عقوبات المعاصي قال من أخطرها ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب وهو أصل كل خير فذهابه ذهاب الخير، لذلك قال النبي **صلى الله عليه وسلم** " الحياء خير كله "

الراوي: عمران بن حصين المحدث: الألبان - المصدر: صحيح الجامع - الصفحة أو الرقم: 3196 :

خلاصة حكم المحدث: صحيح

والمفهوم المخالف، أن في عدم الحياء أصل الأصول في الشر، شر كله، وقال ما زالت الذنوب تضعف الحياء من العبد، حتى ربما ينسلخ منه بالكلية، حتى إنه ربما لا يتأثر بعلم الناس لسوء حاله، يبدأ يكون عنده جرأة، يبدأ يكون عنده تعدي، ولا يهتم بإطلاعهم عليه، بل كثير منهم يجبر عن حاله ويُبح ما يفعل، والحامل على ذلك أنه قد انسلخ منه الحياء، فإذا وصل العبد إلي هذه الحالة لم يبق في صلاحه مطمع، ثم قال: ومن استحي من الله عند معصيته، استحي الله من عقوبته يوم يلقاه، بمعنى أن أخطر من الذنب نفسه قلت حياءك من ربك، أنه لو بعث لك هذه الرسالة بعد الذنب فأحيت معاني الإيمان في القلب فهذه علامة صحة، لكن لو بعث لك العلامة فقلت (ما خلاص ما هي معكوكة) ولم يتحرك القلب فهذه علامة موت القلب والعياذ بالله، والمعنى هنا ضعوه كمعنى ثانٍ، ونحن نجمع المعاني الإيمانية بالدرس بها،

النول : ما أنصفني عبدي،

والثاني هذا: من استحي من الله عند معصيته استحي الله من عقوبته يوم يلقاه، ومن لم يستحي من معصيته لم يستحي الله من عقوبته،

فعلى الأقل أنا مجرم ومذنب لكن ليس لدرجة أني جريء مازال عندي في القلب حياة مصدرها حياتي منه سبحانه وتعالى، العلماء عندما تكلموا عن التوبة النصوح، ذكروا ٢٣ قول في معنى التوبة النصوح، وأنا فصلتها في شرح اسم الله التواب، منها ما ذكره ابن السماك قال: **التوبة النصوح أن تنصب الذنب - انتبهوا - الذي أقللت فيه الحياء من الله أمام عينيك وتستعد لمنتظرك.**

ماذا قال؟ في أحد منكم بلا ذنب قبيح، لا يوجد أحد مننا بلا ذنب ولا يوجد مننا أحد بلا ذنب قبيح، وكل الذنوب قبيحة، ولا تنظر لصغر الذنب وانظر لعظم من أذنبت في حقه، لكن يوجد دائماً ذنوب تكون يا رب ما أجدها في كتابي وأدخل الجنة بغير حساب ولا سابقة عذاب، موقف الفضيل: وسواتاه وإن عفوت، فهو يقول أنت تريد أن تكون تائب توبة نصوح، هذا الذنب يكون أمام عينك، أي ذنب؟ الذي كنت جريء فيه، الذي كنت لا تدري كيف فعلته، لأن كل الناس تُذنب، ولكن يوجد ذنوب وذنوب، الذنب الذي لا تحب أحد يطلع عليه أبداً، بمعنى أن نحن الآن ولو أن فيها الكبائر، لو أنت اغتبت أحد هذه كبيرة ومصيبة لكن كل الناس يفعله، فليس هذا الذنب الذي يؤمك للدرجة، لأنه مشترك وأصلاً يكون في العلن، أنت تتحدث عن الناس أمام الناس، إنما في ذنب أنت تعرفه لو أحد عرفه أنت لا تروق لك الحياة، ويمكن تريد أن تترك البلد كلها، لو أن أحد اطلع على هذا الذنب، فهنا يقول هذا الذنب **عش به سيكسرك من عجب، سيورثك مقام الانكسار، واستعد لمنتظرك**، هذا الذنب كأنه أمامك لا يُغفر طول العمر، **لكن إلا أن يورثك القنوط**، أنا أقول هذا الذنب هكذا، لأنك عندما تسير في الطريق بعض الوقت تعرف ستكسر نفسك بماذا، وهذا باعته الحياء، هذا أول مفهوم.

المفهوم الثاني: الحياء من الله يفرغ القلب لله، صريّ قال: لا يسكن في القلب مع هذه الخمس غيرها، لو موجودة تمسح كل شيء، خمس أشياء لو أدخلتها قلبك واحد منهم حتى، دخلت قلبك تعمل فورمات للقلب، تكون هي فقط، الخوف منه وحده، وحده، اتين: الرجاء من الله وحده، إذن الخوف والرجاء، ثلاثة: الحب لله وحده، خوف ورجاء ومحبة هذا هو الطائر وزد عليهم أيضاً، والحياء منه وحده، والأنس به وحده، إذن الخوف والرجاء والحب والحياء والأنس، حقيقتهم أو حققت واحدة منهم حقيقة تفرغ قلبك لله، ويتالي الحياء من ثمراته، الحياء منه سبحانه وتعالى، أنه تفرغ قلبه له.

المفهوم الثالث: سجد ارتباط وثيق ما بين الحياء والمراقبة، ونحن ذكرنا قبل هذا أن الحارث الخاسبي يقول: على قدر عقل العاقلين ومعرفتهم برب العالمين بربهم، يفترون في ثلاث: الخوف والحياء والحب، فأما الخائف، فمراقب بشدة حذر، الخائف هذا شأنه، فعنده حذر شديد حتى يصل إلى فرع، يكون مراقب بشدة حذر وغلبة فرع، وهو هذا الذي يحرّكه لربنا سبحانه وتعالى، أما المستحي فمراقب أيضاً ولكن بشدة انكسار وغلبة إحيات لله سبحانه وتعالى، انتبهوا تروا المراقبة مع كل واحد ماذا تفعل، ولاحظوا أن الشخصيات مختلفة فواحد لا ينفعه غير الخوف وواحد لا ينفعه غير الحياء وواحد لا ينفعه غير الحب، والثلاثة تنتج في قلبه مقام المراقبة هذا، فمراقب بحذر إذن خائف، فمراقب بانكسار وطول الوقت منكسر لله وأشياء كثيرة هي التي تجعله في مقام الحياء بهذه الطريقة، وأما الحب فمراقب بشدة سرور وغلبة نشاط وسخاء نفس، يجب فتجد الموضوع عنده له طعم آخر تماماً، وإحساس آخر تماماً، ومراقبته لله سبحانه وتعالى أنا لك يا سيدي ويا قرة عيني، إليك جنت، أحبه إليك أحبه إليّ، لا مشكلة لديّ، فكل واحد منهم يراقب لكن بطريقة، إذن يوجد ارتباط وثيق بين الحياء وبين المراقبة.

✓ ما هي مظاهر الحياء؟

ابن القيم ذكر في **المدارج** عشر أقسام، وعشر أقسام للحياء، وكل واحدة منهم مدخل وكل واحدة منهم سبب لتحقيق الحياء في قلبك، فمنكم من يدخل من مثلاً حياء الجنائية، مثل ما تحدثنا منذ قليل، الآن أشهر بذنبي وضعته أمامي يكسرن، يورث في القلب مقام الحياء، واحد في التقصير، واحد بشيء آخر، ما هي الأقسام العشر.

أول واحد: حياء الجنائية. وهو ما ذكرناه منذ قليل، قال منه حياء آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، لما فر هارباً في الجنة، فقال الله: يا آدم أفراراً مني، قال: لا يا رب بل حياءً منك، إحساسك بجنايتك يورثك هذا الحياء منه سبحانه وتعالى وهذا يكون سبب.

اثنين: التقصير، ومنه حياء الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون فإذا كان يوم القيامة قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، وهذا أعلى لأنه مراقب على النقيض والقطمير على الصغير والكثير والكبير، إذن التقصير.

ثلاثة: حياء الإجلال، وهذا هو الذي مفترض أنه لب درسنا وهو حياء المعرفة، فعلى حسب معرفة العبد بربه، يكون حياؤه منه، فلهذا هناك ارتباط وثيق جداً بين أسماء ومقام الحياء، ذكرنا اسم الله الحبي الذي هو أصل في المعنى، لكن المفترض أن أسماء الجمال تورثك مقام الحياء بإطلاق، أسماء الجمال، بمعنى بالله عليك عفو يعفو عن كثير، وأنت لا تستحي! بالله عليك يرحمك هذه الرحمة ارحم بيك من أمك وأبيك ارحم عليك من نفسك رحمة وسعت كل شيء ورحمته تسبق غضبه وأنت لا تستحي، بالله عليك محسن جواد كريم فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان وأنت لا تستحي، بالله عليك حليم يرى في قلبك ما يغضبه والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليمًا حليمًا وأنت لا تستحي، لا يجعل لك بالعقوبة وأنت لا تستحي، شكور يشكرك على أصلاً قيامك بأقل الحق فيشكرك وينمي عملك ويزيده وأنت لا تستحي.

فلما تقرر أسماء الجمال تورثك حياء المعرفة بهذا الاعتبار، ولو رأيت أسماء الجلال ستورثك المراقبة والخوف والهيبة التي قلنا أن بينها وبين الحياء ارتباط، فأسمائه كلها بهذا الاعتبار المفترض أن تنقش في القلب الحياء، أفهمتم؟

لهذا هذا واجب عملي أيضاً.

وأنت تدرس الاسم، أسماء الله وصفاته، اربط بينها وبين مقام الحياء من هذا المدخل

ونحن الآن سنقوم بتطبيق من خلال قراءة الآيات التي ممكن لو تدارسنا معانيها، كيف تورثنا هذا.

إذن أخذنا، الجنائية والتقصير والإجلال، الحياء الرابع: **حياء الكرم،** وهذا في معاملة الناس أكثر من معاملة الله عز وجل، كحياء النبي **صلى الله عليه وسلم** من القوم الذي دعاهم إلى وليمة زينب وأطالوا الجلوس فقام واستحي أن يقول لهم انصرفوا، فهذا حياء.

وهناك **حياء الحشمة،** كحياء علي من النبي **صلى الله عليه وسلم** أن يسأله عن حكم المذي لمكان ابنته منه، فهذا اسمه حياء الحشمة.

النوع السادس: حياء الاستحغار واستصغار النفس، وهذه في حق الله، كحياء العبد من ربه حين يسأله حوائجه احتقاراً لشأن نفسه، وقد يكون لهذا النوع سببان، إما أن أنا باستحقر، أن يستحقر السائل نفسه باستعظام ذنوبه وخطاياها، وإما باستعظام المستول، "أنا حودي وشي من ربنا فين؟" هذا هو المعنى، أنا أهل الخطايا والذنوب والمعاصي سأرفع يدي أقول له ماذا؟ فأرفعها امتثالاً، ويغضب إذ لم أرفع، إذاً ما العمل؟ لا أدعي احتياجاً، طبعاً محتاج، ولكن الباعث امتثال قبل الاحتياج، وطبعاً كلنا يفعل العكس، نرفع احتياج وليس امتثال، أنت تدعو لأن ربنا أمرك بالدعاء، فأنت لو لم تدع

سيغضب عليك، فلهذا أدعو فقط، إنما ماذا؟ مفتقر ووو، هذا هو الفرق، قصة الاحتياج وقصة الامتثال، فلو استحققت نفسك واستعظمت ربك يورث هذا النوع السادس حياء الاستحقاق واستصغار النفس.

النوع السابع: حياء المحبة، حياء المحب من محبوبه، حتى إذا خطر على قلبه في غيبته هاج الحياء من قلبه وأحس به في وجهه ولا يدري ما سببه.

عندما تكون المرأة مثلاً في العقد، ثم أهلها يضحكوا معها ويقولوا لها أكلمتيه وهكذا فوجهها يحمر وتحتجج، لأنها ذكرت المحبوب.

نعود للمعنى العالي ..

وقعوا هذا الكلام في حق الله سبحانه وتعالى، فلو ذكر الله أمام المحبوب يحصل له نفس هذا الحال وجهه يحمر ويحتجج وو، يدخل في هذا المعنى، معنى وجل القلب عند ذكر محبوبهم سبحانه وتعالى، حياء المحبة، فإذا فاجأ المحبوب محبه ورآه بغتة أحس القلب بهجوم سلطانه عليه فاعتراه روعة وخوف...

نسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقاءك

الثامن: حياء العبودية، وهو حياء ممتزج من محبة وخوف، حب تام وذل تام، ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده، ما صلاتي وما الصدقة التي تصدقت بها، وما العلم الذي تعلمته، نحن غلابة! يا رب ، فقط يكرمنا تفضلاً ومنةً منه وإكراماً ويُعيل عثرتنا ويقبلها على ما فيها من عورات، وإن قدره سبحانه وتعالى أعلى، وهذه نضع بجانبها آية: **{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}**، حياء العبودية

التاسع: حياء الشرف والعزة، فحياء النفس العظيمة الكبيرة إذا صدر منها ما هو دون قدرها من بذل أو عطاء أو إحسان، هي إني أستحي أن أتصرف هكذا، ربنا يقول: **{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ}** [الإسراء: ٧٠]، وربنا يجعل حرمتي أنا كمؤمن أعظم من حرمة الكعبة، وبعد هذا أنا أفعل هذا؟ عيب! أستحي أنه يكرمني، مثل ما يقول الأخوة عيب عليك بعد ما ربنا من عليك بالهيئة الطيبة هذه والسمت الحسن هذا يطلع منك هذا الكلام، فاسمه حياء الشرف والعزة.

آخر هذه الأنواع: حياء المرء من نفسه، وهو حياء النفوس الشريفة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقصان، لما نُعطى الدنية في ديننا، لماذا تكون دني؟ أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين، فستحني أن تكون دون وهو عززك، وطبعاً التاسع والعاشر فيهم ارتباط قريب، أنه يستحي أن يكون راضياً بالدنية يستحي من نفسه أن أنا في الآخر خلاص تجلس هكذا، هذا من أهم العوامل التي تورث علو الهمة، عيب عليك أن أنت تكون كذا بعد ما ربنا سبحانه وتعالى، عيب عليك تبقى هكذا نائم، **{رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ}** [التوبة: ٨٧] .

هزه مظاهر الحياء وأقسامه... تعالوا نكروها الحلال، لب الررس.

نكون الحال، أنا سأقول لكم آيات وسنقف معها ونري هل سنستحي ونعيش المعنى، وأنتم عليكم في المقابل أنكم تجمعوا كل آية مرت عليك في وردك أشعرتك بهذا الإحساس، بعد ما ذكرنا أنواعه ومظاهره وو.

مفاج الحياء (انفغنا؟)

تعالوا نرى كيف نكون مقام الحياء، كيف نُكون هذا المعنى بالقلب، اسمعوا بأذان القلوب:

{ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً (١٠٨) } النساء

هل خجلت؟ أتذكر الذنب الذي فعلته في الخلوة؟؟ لو أتت زوجتك تكون مصيبة، لو رآه أهلك تكون مصيبة، واستخفيت من الناس ولم تراقب عين الله وكان الله أهون الناظرين {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا} (النساء: ١٠٨) وهو محيطٌ بعلمه وبسمعه وبصره وشاهدك وهو الشهيد، وراقبك وهو الرقيب، وأنت لا تستحي منه.

انظروا.. بشكل عام.. آيات العلم في القرآن، اسم الله العليم والآيات التي تتحدث عن إحاطة الله عزوجل، دائماً فقوا معها لأنها تحقق وتثمر في قلوب العباد الإستحياء من اطلاع الرب عليهم فيراهم على ما يكرهون ويرى ما يغضبه ويحلم عليهم، فإذا كان ذلك في القلب تبقى الحوار

والألسنة والجوارح محفوظة عن المعاصي مثل.. {وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} (الملك: ١٣) المفترض أنه يتحدث في كلام، المفترض أن تزيل بسميع (وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ) أناس تتحدث إما بالهمس أو بالصوت المرتفع ولا يهمها أحد، فلما تختم الآية بقول إنه سميع عليم.. لكن ماذا قال؟ قال إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، القصة كلام القلب، قول القلب، قولوا كما تريدون، ممكن لا يكون هناك مطابقة بين الكلام الخارج من اللسان وبين الكلام الموجود في القلب، فلو خادعتم هو عليم، لو كان في قلوبكم ما لا يرضيه.. هو عليم، فالآية تقول حسس على قلبك واستحي أن يطلع الله على ما في قلبك فيجد ما يغضبه إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، تلك في الأقوال، في الأعمال قال {اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (فصلت: ٤٠) ذكرنا أنه عندما تجد اسم الله البصير إذن يتحدث عن شيء من الخارج، اسم الله الخبير يتحدث على شيء من داخلك من باطنك، اسم الله العليم إذن يتحدث عن المعينين، فهنا يقول اعملوا ما شئتم هو مطلع عليكم، فيتحدث عن أعمال الظاهر، فهو عليم بظاهرك وباطنك، فخراب الظاهر والباطن موجب نظره لظاهرك وباطنك للحياء منه، يقول {أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى} (العلق: ١٤) ألا تعرف أنه يراك؟؟ لماذا لا تشعر بهذا المعنى؟ {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (المجادلة: ٧) تلك الآية استفدت منها ما كنت أبحث عنه كثيراً، الله لم يسمي نفسه الصاحب كإسم، وإنما وصف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك وقيده بالسفر فقال (اللهم أنت الصاحب في السفر) أي اسم من أسمائه يعطي هذا المدلول؟ ففتح على في اسم الله الواحد الأحد، لأن الواحد الأحد، تلك الآية تقول هو الواحد ثم عندما تحسب هو موجود في كل تلك الحسابات، ثلاثة إلا هو رابعهم، فثلاثة وهو الواحد إذن أربعة، ولا خمسة إلا هو سادسهم، فتأخذ منها معنيين، معنى الصحة {وَلَا هُمْ مِمَّنْ يُضْحِكُونَ} (الأنبياء: ٤٣) اللهم أنت الصاحب في السفر فكن صاحبنا ربنا في سفر الآخرة، واللهم أنت الصاحب في بسم الله الرحمن الرحيم، الباء للمصاحبة، معنى من المعاني التي ذكرها العلماء، فأنا أصحب اسم ربي في كل شيء، لأنه الواحد، فمن الممكن أن يكون صاحبك وهو أيضاً رقيبك، فلو رقيبك تقتضي أيضاً الحياء، والصحة تقتضي التودد والتقرب، ففيها المعنيين، الآيات التي تتحدث عن المعية والإحاطة والعلم كلها المفترض أنها تُورث القلب كمال الحياء من الله.

وأنا أريد أن أقف عند آيات المراقبة لأني وجدت في كتاب التسهيل لابن جزر كلام رائع جداً على مفتاح سورة النساء {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} (النساء: ١)، أخت تحكي معنى دقيق جداً فتقول أنها عندما جلست لقراءة معاني المراقبة و.. و.. وتجربة حقيقية أتت بكاميرا مراقبة وقالت أنها ستفعل شيئاً جديداً فستضع الكاميرا في الأماكن المفترض أنها تتحرك فيها وستسجل ٢٤ ساعة لترى كيف تقضي يومها، وعلى أنها اتفقت مع صاحبها أنها ستريهم هذا الكلام، ستروني وأنا أفعل كذا وكذا، قالت ساعتين وأغلقت الكاميرات، لا أستطيع المشي ولا الحركة، كل شيء بحساب، لا يمكنني الكلام، أتحدث في التليفون بالقطارة، لا يمكنني الضحك والمزاح لأن هذا الكلام سيُرى، فبدأت أتصرف تصرفات عادية، وقتي كنت أضيعه بشكل معين فلو الناس رأته ذلك.. قالت فأورثني فهم اسم الله الرقيب.. كاميرات المراقبة، هنا يقول في التسهيل إذا تحقق العبد بهذه الآية {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} (النساء: ١) استفاد مقام المراقبة وهو مقام شريف أصله علم وحال، ما هما؟ أما العلم فمعرفة العبد أن الله مطلع عليه ناظرٌ إليه في جميع أعماله يسمع جميع أقواله يعلم كل ما يحظر بالكل، الحال لو هذا العلم موجود؟؟ قال هو ملازمة هذا العلم بالقلب، عندما

يكون موجوداً يتجدد هذا المعنى ، والأحوال عارضة ، فيكون من الحين والآخر يأتي هذا الإحساس وهذا الخاطر الله ناظر إلى الله مُطلع عليّ ، بحيث يغلب عليه ولا يغفل عنه ، ولا ينفع العلم دون هذا الحال ، فستعطوني محاضرات في معاني الأسماء والصفات التي ذكرناها الآن ، لكن أين الحال ؟ أين التطبيق ؟ قال فإذا حصل العلم والحال كان ثمرهما .. وقفوا هنا .. عند أصحاب اليمين الحياء من الله ، ثمرته أو علامته ترك المعاصي والجد في الطاعة ، وكان ثمره العلم والحال عند المقربين .. قسمها أصحاب يمين ومقربين ، ثمرهما المشاهدة التي توجب التعظيم والإجلال وهذا ملخص أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، الإثنين ، الأولى حياء والثانية تعظيم وإجلال ، فقوله أن تعبد الله كأنك تراه هي الموجبة للتعظيم كمن يشاهد ملكاً عظيماً فإنه يعظمه إذ ذاك بالضرورة ، وقوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك هذه إشارة إلى معنى المشاهدة التي هي مقام المقربين فاعلم أنه يراك ،

فكن من أهل الحياء الذي هو مقام أصحاب اليمين على أقل الدرجات ، فهنتر ؟؟

أخذنا آيات العلم والإحاطة والمراقبة ، آيات القرب ، الآيات التي تتحدث عن القرب المفترض أن تورثك الحياء فهو قريب منك ، تحسس أنك منه قريب أو العكس أنه منك قريب ، فقول الله جل وعلا { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي } (البقرة : ١٨٦) لما سأل الصحابة النبي ﷺ : أقرب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟؟ قال العلماء القرب على نوعين ، قربه من داعيه بالإجابة - القرب ساعة الدعاء - والقرب من عابده بالإثابة .. كلام من ذهب ، قربه من داعيه بالإجابة { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ } وقربه من عابده بالإثابة (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) ، أعطيتكم بعض الملامح ، مطلوب تطبيقات عملية من خلال القرآن تستخرج .. تلك الآية حقاً أورثتني هذا المعنى ، وأنا سأتعاش على مدى الأيام القادمة معنى الحياء من الله عزوجل وأريد أن أعيشه وأكتب متى تستحي أنت من الله ، لأنه منا ممكن أن يكون مدخلك غير مدخلي ، وتلك الآية تُحرك في قلبك ما لا تحركه في قلبي ، نحن نحتاج أن نتذاكر ونتدارس هذه المعاني التطبيقية من خلال القرآن الكريم ، لكن كي نستكمل موضوعنا وننتهي من قصة كيفية تكوين مقام الحياء مع الله عزوجل تنتقل للأحاديث الواردة في هذا الباب ونستخرج منها بعض المعاني في نقاط ياذن الله تعالى .

انظر لهذا المشهد ، صحابي يُعاتب أخاه على شدة حيائه وكأنما يقول له قد أضر بك الحياء . " أن رسول الله مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء ، فقال رسول الله ﷺ : دعه فإن الحياء من الإيمان " (صحيح البخاري: ٢٤) ، الهروي لما فسر هذا الحديث قال معناه أن المستحي ينقطع بحيائه عن المعاصي ، فصار كالإيمان القاطع بينه وبين المعاصي ، كأنه منه ، النبي ﷺ قال " الحياء شعبة من الإيمان " (ابن عبد البر في التمهيد ١٤٣/٢١) ، عند جمع هذا الحديث مع الحديث الوارد في سنن ابن ماجه بسند صحيح " الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار " (صحيح بن ماجه : ٣٣٩٢ صححه الألبان) ستربط بين الحياء والإيمان وهنا علامة له حيث قال أن الحياء عكس البذاء البذاء الذي هو الفحش في الكلام وفي الأعمال ، فأول الوقفات التي ينبغي أن تتوقف عندها أن تفهم قصة الحياء من الإيمان ..

شعبة من الإيمان

.. هذا الإيمان يزيد وينقص أم لا ؟؟ إذن الحياء يزيد وينقص تأخذ منها قاعدة ،

الحياء يزيد وينقص

يزيده بما يصون ستره وينقصه بما يهتك هذا الستر ، يعني استر نفسك ، ولم أعني استر نفسك ، لا توقع نفسك في الأشياء التي تزيل عنك صيانة لستر ، لا تكن جريئاً ، فهمتم هذا المعنى ؟؟ هكذا ربطنا بين هذين الحديثين ، إذن أول معنى ذكرنا أن الحياء يزيد وينقص ، يزيد بما يصون الستر وينقص بما يهتك هذا الستر ، ما الذي يهتك الستر ؟ أتعرف حديث المرأة التي تخلع ثيابها في غير بيتها قال فقد هتكت الستر الذي بينها وبين الله

عزوجل ، هتكت الستر ، أنت مستور فعندما تأتي لعمل ذنب من ذنوب الخلوات إذن هتكت الستر ، فخذ بالك لا تهتك هذا الستر ولا تجاهر بمعصية لأن هذا يضعف الحياء حتى لو لم يكن أحد مطلع عليك من الناس ، فوجود هذا المعنى أصلاً سيضعف حيائك من الله سبحانه وتعالى وسيضعف إيمانك .. إذن أول معنى لا تُعرض نفسك لما يهتك الستر الذى بينك وبين الله .. طبعاً المعاصي كلها كذلك لكن هناك لا شك معاصي شديدة فى هتك الستر تكون قوة إزالتها لهذا الستر قوة شديدة..

المعنى الثاني المستفاد من السنة .. حديث فى صحيح البخارى فى كتاب الأدب عن بشر بن كعب قال "الحياء لا يأتي إلا بخير فقال بشر بن كعب: مكتوب فى الحكمة: إن من الحياء وقاراً، إن من الحياء سكينه" (صحيح الأدب المفرد: ٩٨٥) الإمام القرطبي يعلق على هذا الأثر فقال (أى أن من الحياء ما يحمل صاحبه على الوقار بأن يوقر غيره ويتوقر هو فى نفسه ومنه ما يحمله أن يسكن عن كثير مما يتحرك الناس فيه من الأمور) إذن تريد أن تكون حياء مع الله كن أولاً معظماً .. موقراً غيرك ، توقير الآخريهم ، ثم توقير نفسك حينما ذكرناها فى أنواع الحياء ، فلو شعرت أن الله سبحانه وتعالى امتن عليّ بهذه المنن فلا أنزل لهذا المستوى من المعاصي ومن التقصير ، فالوقار أن الله امتن عليك بهذه المنن ، والسكون أن يكون هناك سكينه يكون أثرها ألا تقع فى الأفعال التي تُعاب عليك إذا فعلتها ، المفترض فى وجود مجتمع جيد لو فعلت تلك الأشياء أمام الناس لا يجد فيها مشكلة ، لكن المفترض أنك تتحدث عن مجتمع المترمين ، أنه لا ينبغى أن تفعل كذا فيسكن عن ذلك ، إذن الوقار ، إن من الحياء وقاراً وإن من الحياء سكينه ، المستحي لديه صفتان .. أن يكون أكثر وقاراً لا ينفع أن يتكلم بكلام تافه ولا يصلح أن يصدر عنك ، وأن تكون هناك سكينه موجودة وقد تفصلنا فى هذا المعنى.

المعنى الثالث .. روى الترمذى وحسنه أن النبى **صلى الله عليه وسلم** سئل عن الاغتسال عرياناً فى الخلوة فأجاب بقوله الله أحق أن يستحيا منه من الناس "احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك . قال : قلت : يا رسول الله ! إذا كان القوم بعضهم فى بعض ؟ قال : إن استطعت أن لا يرينها أحد فلا يرينها . قال : قلت : يا رسول الله ! إذا كان أحدنا خالياً ، قال : الله أحق أن يستحيا منه من الناس" (صحيح أبى داود: ٤٠١٦)، فالذى يستحى من ربه إن كشف عورته فى خلوته وهو أمر مباح ، حرى بأن يمنعه الحياء عن الإقدام على معصية ، لذلك قال النبى الحديث رواه الطبرانى وهو حديث صحيح "أوصيك أن تستحى من الله تعالى كما تستحى من الرجل الصالح من قومك" (الألبانى صحيح الجامع: ٢٥٤١) إذن الباعث هنا هذا المعنى أن تستحى من الله عزوجل أكثر مما تستحى من الناس ، وقد ورد فى بعض الآثار (يا ابن آدم إنك ما استحييت منى أنسيت الناس عيوبك وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك ومحوت من أم الكتاب زلاتك وإلا ناقشتك الحساب يوم القيامة) إذن هنا معنى ألا يتعرض الإنسان للسخط الوارد (كل أمتى معافى إلا المجاهرين ..) (صحيح البخارى) والتوجيه النبوي المباشر بالحياء من الله كما يستحى المرء من صالح قومه على الأقل تحقق هذه الموازنة ، فتحقق هذا النوع من المقابلة بين عين الله وعين الناس فيورثك ذلك لو كنت عارفاً بالله - يورثك ذلك أن تستحى من الله.

٤- النبى **صلى الله عليه وسلم** فى الحديث الذى رواه الحاكم فى المستدرک قال "الحياء والإيمان قرنا جميعاً فإذا رفع أحدهما رفع الآخر" (الألبانى صحيح الجامع: ٣٢٠٠) فمن وسائل بناء الحياء فى النفوس شىء آخر ، العلامة التى ذكرناها فى الأول .. زد إيماناً أى زد فى رصيد الإيمان بصيام وصلاة وصدقة وقرآن و .. و .. إذا زاد هذا المعنى فى قلبك وإذا نقص سينقص هذا فى الحال ، إذن من العوامل زيادة رصيد الإيمان ، ذكر العلماء معاني كثيرة فى معنى الحياء منها كلام الجنيد قال - معنى آخر -

الحياء رؤية اللئلاء .

وكانت حاضرة معي و صليتُ بها فى العشاء .. تدبرتُ أهاكم التكاثر كنتُ أحدثُ أن هذه سورة اليقين فلأن معنى الحياء كان مستغرق على قلبي فأخر الآية { ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ } (التكاثر: ٨) فوقع فى قلبي أن كلا سوف تعلمون تورث الحياء ، لأن كلا هنا إما للردع والزجر وإما أن تأخذها

على معنى الآخر ، اشعر بما بهذا المعنى .. **كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ** .. أنت لا تعرفني لذا فاليقين ليس في قلبك ولا تشكرني على النعم فإذا كنت تريد الامتثال افتتاحها ن هنا .. كلا سوف تعلمون .. أشعرتم ؟ وصلت ؟؟ أين المفتاح قال **{ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}** (التكاثر: ٨) يا أخي رؤية الآلاء ، شاهد آخر و أوضح في عيس قال **{كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤)}** (التكاثر: ٨) يعني يا أخي أنت لا تريد الامتثال ولا الفهم ولا الشعور ولا التوبة .. إذن انظر في طعامك **{وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}** (إبراهيم: ٣٤) كل ما تمنينه أعطاك إياه ، **{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}** (إبراهيم : ٣٤)

فهنا كلام الجنيّد كلام دقيق ، يقول : الحياء رؤية الآلاء ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء ، فمن يريد الدخول من رؤية النعم .. من يريد الدخول من رؤية الجناية والتقصير .. ماشى ، لما احتضر الأسود بن يزيد النخعي بكى فقبل ما هذا الجزع ؟ قال : مالي لا أجزع ومن أحق بذلك مني ؟ والله لو أنبتت بالمغفرة من الله لأهابن الحياء منه مما صنعت ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مستحياً منه ، تحطىء خطأ تجد نفسك لا تستطيع أن ترفع عينك .. خطأ . إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مستحياً منه ، من بعض المعاني الدقيقة أيضاً الواردة في هذا وربما تكون تأصيلها مهم أن النبي **صلى الله عليه وسلم** عندما تكلم عن قضية الحياء لا ينفع أن يذكر الحياء ولا يذكر هذا الحديث " - لما قيل استحيوا من الله حق الحياء ، قال الصحابة يا رسول الله إنا نستحي والحمد لله ، قال استحيوا من الله تعالى حق الحياء ، من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى ، وليحفظ البطن وما حوى ، وليذكر الموت والبلا ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء " (الألباني صحيح الجامع: ٩٣٥) فوضع أربع أسس .. من أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا وآثر الآخرة على الأولى فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء ، انظروا سريعاً لو تأملنا الحديث نجد فيه هذه الوقفات ..

أول شيء .. قول النبي **صلى الله عليه وسلم** (استحيوا من الله حق الحياء) بصيغة الأمر تقتضي الوجوب ، إذن الحياء واجب وتركه ذنب ، لكن كي تخفف الأمر المطلوب أصل الحياء وإلا فنحن ضائعين صباحاً ومساءً ، فأصل الحياء وجود الحياء من الله عز وجل ابتداءً ، قول الصحابة يا رسول الله إنا نستحي والحمد لله ، فقال ليس ذلك فيه معنى تصحيح التصورات والأفهام ، وعدم إحسان الظن بالنفس ، قالوا له نحن نستحي ، قال لهم لا فهمتم خطأ ويكون من شأن الداعية إلى الله عز وجل وشأن المربي دائماً تصحيح المفاهيم للمربي ، استحيوا بالألف والسين والتاء التي في اللغة للطلب أى اسعوا وابدلوا واطلبوا .. أى يكون ذلك من الواجبات الأساسية تخرجوا ونسبوا الدرس استحيوا ، أن اطلب ببذل وجهد واستفراغ للوسع هذه الهبة من الله عز وجل ، ثم الأربع أسس .. قال أن تحفظ الرأس وما وعى .. فأولى وسائل بناء الحياء إلى أن الحياء خلق قلبي لا بد أن يبدو أثره على الجوارح فيبدو ذلك في أن تحفظ هذه الرأس وما وعى ، العلماء ذكروا أن المقصود أن يحفظ عقله والعقل أحد المقاصد الخمس حفظها ، إذن أول شيء يحفظه سواء كان منا ملوثات - من الشبهات - السكر المعنوي من الغفة وطبعاً السكر الحسي و .. و .. ، **إذن الرأس وما وعى**

٢ - **والبطن وما حوى** .. وهذا تنبيه إلى الارتباط ما بين الحياء وطيب المطعم وطهارة اليد ، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك واغننا بفضلك عنم سواك .

٣ - **ذكر الموت والبلى** فيه ارتباط بأن الآخرة إذا كانت حاضرة عيان ليست غيباً بعداً فهذا من أهم وسائل تحقيق الحياء ، أنك إذا تذكرت علاقتك بالملائكة ، تذكر الملائكة الذين يكتبون أعمالك ، تذكر ملك الموت تذكر هؤلاء ، هذا من العوامل المساعدة ، وبالطبع المسائل المشهورة من زيارة القبر وغيرها من الوسائل المساعدة في ذكر الموت ، ومن أراد الآخرة ..

الأصل الرابع .. الزهد .. ترك زينة الحياة الدنيا وآثر الآخرة على الأولى فهي سلسلة متصلة لا تنفصل عن بعضها البعض ، فالحي مستحضر لله في كل حياته ، مستصحب لآلآته ونعمائه في كل حين ، فإن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء

أختر بلطائف من أحوال السلف في الحياء تذكر هكذا دون تعقيب لأن التعقيب معروف ابتسامته تعني الكثير..

ذكر الألويسي معنى عجيب ومن المعاني الطائف التي وقفت عليها يتحدث على الوضوء فقال : (غسل الوجه فرض وأما فرض الوضوء في الوجه في الباطن فالمراقبة من الله والحياء مطلقاً) وربط بينها ربط جميل فقال بعد ما تحدث عن المعنى الفقهي في غسل الوجه تحدث عن المعنى الباطني فقال (والفرض في الباطن الحياء من الله أن يراك حيث نمأك أو يفقدك حيث أمرك فلا يرى هذا الوجه في هذا المقام ويفتقد هذا الوجه في هذا المقام فإن كان فالحياء من الله ينبغي ان يكون كذلك) والسنة؟؟ غسل الوجه كاملاً تعرفون الكلام الفقهي .. لكن السنة في ذلك - مثل سنن الوضوء وواجبات الوضوء - السنة في الوضوء ماذا من واجباتها من مسألة حفظ العورة؟؟ فقال (والحياء من الله أما في السنة فالحياء أن تنظر إلى عورتك أو عورة امرأتك وإن كان مباحاً) قال مستحب كي لا يترعج أحد ، مستحب أن يتزهر عن مثل ذلك ، عقد الإمام البخاري باب التعري عند الإغتسال والاستتار أفضل وأورد أن ابن عباس كان يغتسل وهو يرتدي ثوباً خفيفاً يقول حياءً من الله وكان أبو بكر يقول والله إني لأضع ثوبي على وجهي في الخلاء حياءً من الله ، وكان عثمان لا يقيم صلبه عند الاغتسال - كان يغتسل وهو جالس لا واقف - يقول حياءً من الله وطبعاً عثمان آية الحياء ، هو رجل تستحي منه الملائكة ، وجاء رجل إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما فقال له أنا رجل عاصٍ ولا أصبر عن المعصية فعظني ، فقال الحسين افعل خمسة وافعل ما شئت ، قال الرجل : هاته ، قال الحسين : لا تأكل من رزق الله وأذنب ما شئت ، قال الرجل كيف ومن أين آكل و كل ما في الكون من رزقه ؟ قال الثانية اخرج من الأرض أرض الله وأذنب ما شئت ، قال الرجل كيف وهو لا تخفى عليه خافية ؟ قال الحسين : اطلب موضعاً لا يراك الله فيه وأذنب ما شئت ، قال كيف وهذه أعظم من تلك فأين أسكن ؟ قال الحسين : إذا جاءك ملك الموت فادفعه عن نفسك وأذنب ما شئت ، قال الرجل هذا محال ، قال الحسين : إذا دخلت النار فلا تدخل فيها وأذنب ما شئت ، قال الرجل : حسبك لن يرائي الله بعد اليوم في معصية أبداً ، وبلغ الإيمان في قلوب الصحابة أنهم كانوا يستحيون من الله في التقصير في النوافل فكان الواحد منهم يستحي من الله عز وجل إذا قصر في نافلة إذا دخل وجنَّ عليه الليل أن يراه الله نائماً ، قال الفضيل : أدركت أقواماً يستحيون من الله سواد الليل من طيلة الهجيرة ، حياءهم من الله أن الله نزل في الثلث الأخير وأنت نائم ، ومن وصايا السلف في الحياء قال عبيد بن عمير : آثروا الحياء من الله على الحياء من الناس ، وقال إبراهيم ابن ادهم : اشغلوا هذه القلوب بالخوف من الله وتلك الأبدان بالدأب في طاعة الله ووجوهكم - وجمع بين - ووجوهكم من الحياء من الله فلترى حمرة الخجل عليكم من الآن إن كنتم تستحيون من الله ، قال الفضيل : لو خيرت بين أن أبعث فأدخل الجنة وبين ألا أبعث لاخترت ألا أبعث فقيل : كيف ذاك ؟ فقال بعضهم هذا من الحياء وهذا يفصل من طريق الحياء . معنى واسوأته .. وإن عفوت

نسأل الله تبارك وتعالى أن يسكب في قلوبنا الذن الذن الحياء منه

وأن يجعل هذا المقام مقاماً ثابتاً راسخاً في قلوبنا من الذن إلى يوم أن نلقاه

نسأل الله عز وجل أن يعلونا الحياء منه وأن يعيننا على الحياء منه و أن يأخذ بأيدينا و نواصينا إليه أخذ الكرام عليه إنه ولي ذلك والقادر عليه

فستذكرون ما قلت لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد

سبحانك اللهم ربنا وجهك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فضيلة الشيخ / هاني حلمي

مكتبة



فضيلة الشيخ / هاني حلمي

آيات الحياء

The Verses of Bashfulness

THE VERSES OF BASHFULNESS

فضيلة الشيخ

هاني حلمي

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



الحمد لله وكفى.

وصلى الله وهلم وبارك على النبي المصطفى، وآله المهتمكلمين الشرف

ثم أما بعد:

فنسأل الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا
علمنا ينفعنا

ربنا آتنا من لدنك رحمة، وهئ لنا من أمرنا رشدا

اللهم كن لنا ولا تكن علينا

اللهم انصرنا ولا تنصر علينا

اللهم امكر لنا ولا تمكر علينا

اللهم انصرنا على من بغى علينا

ربنا اجعلنا لك ذكّارين لك شكّارين إليك أواهين منيبين

تقبل يارب توبتنا، واغسل حوبتنا، وأجب دعوتنا، وثبت حجتنا، واهلل سخائم
صدورنا

هذه المحاضرة استكمال لما ذكرناه في المحاضرة السابقة من هذا المعنى الشريف ألا وهو

معنى الحياء من الله تبارك وتعالى

وكان أهم ما ذكرناه في المحاضرة السابقة هو مسألة كيفية تكوين هذا الخلق العظيم وهذا الحال وهذا المقام مع رب العالمين

مقام الحياء منه سبحانه وتعالى.

وأنا أريد في البداية أن أصحح بعض المفاهيم في قضية الحياء، ثم نشرع فيما وصلني من آيات تلقيناها منكم حول معنى الحياء وكيفية تكوينه ليستفيد الجميع من هذه المعاني الجليلة.

← الأول تصحيح المفاهيم

أولاً: الحياء في موضع عدم الحياء عجز

قال الله: {وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ} [الأحزاب: ٥٣]

{وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ} [الأحزاب: ٥٣]

أي أن الله سبحانه وتعالى يقول: أنه لا يأمر بالحياء في الحق، ولا يُشرع ذلك، فلا يصح أننا نستحي ونقول أن هذا حياء، فهذا ليس من أي نوع من أنواع الحياء التي ذكرناها، لا فهذا يسمى **عجز**.

فواحد يستحي أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر.... ويقول غلبي الحياء !!

فكل هذا ليس اسمه حياء ولكن اسمه عجز.

فالحياء في موضع عدم الحياء عجز {وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ} [الأحزاب: ٥٣] سبحانه وتعالى.

المعنى الثاني: أنه في بعض المواطن الحياء تركه أولى:

ترك الحياء أولى، كما قال الله جل وعلا في شأن النبي ﷺ في قصة زواجه من زينب

{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ} [الأحزاب: ٣٧]

ذكر المفسرون أن تأويل الخوف هنا أو الخشية هنا بالحياء يخرجنا من قيل وقال حول هذا المعنى.

كيف يخاف النبي ﷺ؟، هل النبي ﷺ يخاف من الناس؟ هل يوجد أي اعتبار لهذا؟

قالوا تفسير الخوف هنا والخشية هنا على الحياء، **فغلبه حياؤه ﷺ**، فقال الله له: أتستحي أن يقولوا نكح امرأة ابنه؟، فكان النبي ﷺ كما تعرفون أشد الناس حياءً، أشد حياءً من العذراء في خدرها فقال الله { **وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ** }، فنبه على أن الحياء في بعض المواضع تركه أولى.

فعلى هذا يكون المعنى ترقية للنبي، وتربية لوقت آخر في حقنا نحن، **ترقية له**: قال ينبغي أن تكون أعلى من ذلك، ما يصنعه النبي ﷺ لا يكون أبداً مفضولاً، ففعله **ﷺ** دائماً فاضل، وإنما المعنى دائماً يوجهه الله عز وجل إلى الترقى في المدارج وفي الدرجات.

قال وتخشى أن يفتتن الناس بذلك والله أرحم بهم من غيرك، هل تظن أنت أني سأبعث لك هذا الأمر وسأحدث هذا ويكون من وراءه فتنة، أنا أرحم بالعباد منك وأرحم من أي أحد سبحانه وتعالى، فالله أحق أن تخشى.

وهذه مشكلة كبيرة نقع فيها، فنقول لا نفعل كذا حتى لا يقول الناس كذا، فلماذا نهتم بهذه القصة؟

إذن علينا أن نستمد توجهنا وأن تكون أعيننا تلقاء وجه الله تبارك وتعالى.

فهذان معنيان:

١- الحياء في موضع الحياء عجز.

٢- الحياء في بعض المواطن تركه أولى.

← **تكوين الدياء**

وتعالوا لتكوين الحياء من خلال بعض المفاتيح، وبعض الآيات، وما ذكره المفسرون حولها، كيف نستخرج منها معنى الحياء.

المفاتيح

يمكن أن تجدوا بعض المفاتيح مثل أن تجدوا في القرآن:

{ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ }

الله عز وجل يقول: {ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: ٥٢]

ماذا تستشعر منها؟

بعد كل ذلك، ولم يتحرك قلبك، بعد كل ذلك وتعرض؟ وبعد كل هذا الخير؟

ألم أزوجك؟ ألم أذرك ترأس وترتع؟ ألم أصح بدنك؟ ألم؟ ألم؟ ألم؟!!!

وبمناسبة ألم، تستوجب ألم مفتاح من المفاتيح في الحياء

{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى، وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى} [الضحى: ٦، ٧، ٨]

فهذه مفتاح من مفاتيح الحياء في القرآن، مفتاح { مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ }، ومفتاح {أَلَمْ}

لأن الله يعدد فيها النعم وتعدد النعم المفترض أن يرقق القلب.

من المفاتيح كذلك {عَسَى} في القرآن.

{عَسَى} في القرآن، لأن {عَسَى} في القرآن تقتضي وجوب الرجاء، أو تيقن حدوث ذلك،

فعسى معناها الرجاء، ففي حق الله عز وجل، فكأن الله عز وجل يفتح لك أبواب الرجاء، وفي أشد مواطن اسوداد الحال، فيفتح بعسى {وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ} [التوبة: ١٠٢] وإن كانوا يستحقون أشد العذاب، لكن عسى،

يفتح لك في كدر اليأس يفتح لك أنوار الرجاء فعسى تقتضي هكذا الحال.

✓ وطبعاً من المفاتيح كذلك {أفلا}

{أفلا يرون}

لأن أفلا أيضاً فيها معنى تعصاك النعم فهي أيضاً تستوجب مثل ذلك

✓ وأيضا {أولم} وكذا {أفلم}

وهي أيضاً من المفاتيح تجدوا هذه الآيات يذكر بعدها عادة معاني في نعم الله تستوجب منك مقام الحياء.

الآيات

✓ والآيات الصريحة آيات المن

{وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ} [إبراهيم: ٣٤]

✓ وآيات الإصطفاء

أن ينص الله عز وجل على منة امتن بها علينا {وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ} [القصص: ٨٦]

✓ فهذه الآيات التي يعدد الله عز وجل فيها نعمه على عباده

تفتح أبواب هذا {لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا} [القصص: ٨٢]

✓ كذلك الآيات التي فيها معاني يستشعرها كل واحد منا مثل الآيات التي تُظهر شكره سبحانه وتعالى لعباده

اسمه **الشكور** من الأسماء التي تدغدغ المشاعر، شكور، الله يشكرني أنا! يشكرني على ماذا!

فهي تستوجب الحياء، تصوروا نفس هذا المعنى أنك فعلت جريمة في حق أحد، وتتكلم في سيرته، ثم صدر منك أي تصرف جيد، فوجدته يتصل بك، ويقول لك جزاك الله خيراً، أنا لا أعرف ماذا أفعل لك، وأنت تتسائل بينك وبين نفسك وتقول لو وصل له الكلام الذي أقوله في حقك؟

أن تستقبل إحسان من تسئ إليه. هذا يتسوجب الحياء

✓ وآيات مثل {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ} [الحديد: ١٦] ألم يأن الآوان بعد؟.....
تستوجب الحياء.

✓ ومن الآيات التي تحتاج إلى تأمل ونظر قول الله تبارك وتعالى {وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا} [هود: ٩١]، معنى صعب يستوجب الحياء، إنه يجاهد ويعانده ويكابر، لفظ **اتخذتموه** يدل على كل هذه المعاني، فهو يجاهد كي يكون الله في ظهره، ويجاهد كي لا يكون تلقاء وجه الله تبارك وتعالى، وليس مجرد أنه يتغافل، وليس مجرد أنه لا ينتبه.

ولكن {وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا} الآية لا تتكلم عن الكفار والمنافقين والفجار، ولكن تتكلم على الأحوال التي نعيشها ونتخذ الله وراءنا ظهرنا،

عندما تكون مشغول عنه وهو يناديك حتى وهو بيناديك هل من سائل هل؟ وأنت متخذة ورائك ظهريا.

✓ ومن الآيات التي تستوجب كذلك هذا المعنى قول الله تبارك وتعالى في سورة الأنفال {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال: ٢٤]

قال أهل العلم الإستجابة لله بالحياء، فتورث الحياة والإستجابة للنبي ﷺ بالإتباع فتورث الحياة.

✓ بعض الآيات أيضاً التي تكلم عنها بعض المفسرين وقال أنهم تستوجب هذا المعنى قول الله تبارك وتعالى:
{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} انظروا الحياء هنا {لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ} انظروا وقت العقوبة لم يقل يذيقهم الذي عملوا، هو أجرم، فقال {لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا} فالمقام مقام وعيد، والمقام مقام عقوبة، قال لعلهم يرجعون، فظهر الفساد في العالم بسبب ذلك بسبب ما اقترفته أيدي الناس من الظلم، وانتهاك الحرمات، والتنكر للدين، ونسيان يوم الحساب، فانطلقت النفوس من عقابها، وعاثت في الأرض الفساد، بلا وازع ولا رقيب ولا حياء، فأذاقهم الله جزاء بعض ما عملوا {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: ٤٠] إلى الحق ويكفون عن الضلال والغواية فيتذكروا المصير يوم الحساب.

✓ ومن الآيات التي تستوجب الحياء، المشاهد التي تكون يوم القيامة وفيها تجسيد لهذا المعنى، ووصفها القرآن وصفاً دقيقاً {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ} أى مطرقوها خزيًا وندماً وحياءاً {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ}، فوقفوا بين يدي الله وهم في أكمل الحياء والخجل لما سلف منهم من معاصي في الدنيا، فقالوا ربنا أبصرنا الحشر، وسمعنا قول الرسول، وصدقنا به، فارجعنا إلى الدنيا، فقال الله جل وعلا في شأنهم {فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ، وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [السجدة: ١٣، ١٢]

✓ ومن تلك الآيات كذلك قول الله تبارك وتعالى { يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ } أتشعر؟

أليس الله أحق، فعندما يأتي هذا الإحساس عندما يأتي العقوق من ابنك أو تلميذك أو ممن لك عليه شيء من الفضل، فتراه يتنكر، فتقول له أليس أنا أحق بك { وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ، أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ } [التوبة: ٦٣، ٦٢]

فمن أرضى الناس بسخط الله، أسخطهم عليه وسخط عليه، ومن أسخط الناس في رضى الله، أرضاهم عليه، ورضي عنه، فمن أقر منكرا حياء أو خوفا من الناس، المنكر أمامه ويخاف أن يتكدر عنه، فقد أسخط مولا له ومن أنكر منكرا ولم يراقب أحدا إلا الله فقد أرضى مولا ه.

{ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ }

✓ ومن الآيات التي تحتاج إلى وقفة، وفيها معنى عميق، الآيات التي ذكرت قصة موسى عليه السلام لما وكز الرجل فقتله، فزيت الآيات، فقال الله: { فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } [القصص: ٢١]

فبعض أهل العلم قالوا: أن في هذه الآية دليل على أن الخوف عند الدواهي الكبار لا ينافي الخصوصية، فهذا الخوف ليس خوف يلام عليه، فهو داهية كبيرة ومصيبة شديدة، فهذا أمر جبلي لكنه يخف ويهون أمره، وفيه دليل - انتبهوا لأننا سنصل إلى اللطيفة في النهاية - على جواز الفرار من مواطن الهلاك، يفر من الله إلى الله، ولا ينافي التوكل.

فالخوف جبلي، ولا يوجد معنى فاسد هنا يتعارض مع التوكل، فقد اختفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الكفار في غار ثور، واختفى الحسن البصري من الحجاج عند تلميذه حبيب العجلي، وفيها أيضا دليل على أن المعصية قد تكون سببا - هذا هو المفتاح - المعصية سببا في نيل الخصوصية:

كأكل آدم من الشجرة فكانت سببا في نيل الخلافة وعمرة الأرض وما نشأ من صلبه من أنبياء وأولياء وجهابذة العلماء .

وكتل موسى نفسه لم يؤمر بقتلها فكان سببا لخروجه للتربية عند شعيب، وهيأته للنبوة والرسالة والإصطفاء.

قاعدة مهمة ... تكبروها

فكل ما يوجب التواضع والإنكسار يورث التقريب عند الملك الغفار، كل ما يوجب التواضع والإنكسار يورث التقريب عند الملك الغفار.

ولكن أين الحياء؟ قالوا:

فإن مسامحة الله لأوليائه تكون في ثلاث مقامات:

المقام الأول أن يكون حبيب صديق.

ودليها من القرآن {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ} [المائدة: ١٨]

فاستدلوا منها على أن الحبيب لا يعذب حبيبه، فإذا أقامه مقام حبيب لم يعذبه، فلا تنقصه الذنوب لأنه حبيب.

⊗ فهذا المعنى يجهله بعض من يريدون الخروج عن التشريع، فهموه خطأ، فقالوا أنك تكون محبوب ثم تفعل بعد ذلك ما تريد وهذا ليس المعنى.

✓ **المعنى:** فلو أقامه مقام الحب حقاً، فإذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث، فلا يظهر في خصم هذا الرصيد الكبير، فلا تظهر هذه السيئات فيغفرها لأنه محبوب، وليس معناه أن سيتجرأ، ولكن معناها أنه عندما يقع في الهفوة ستزال لأنه عنده رصيد من العلو بمكانة.

إذن الأول: أن يقيمه مقام حبيب فيغفر.

الثاني - وهو محل الشاهد - أن يقيمه مقام الحياء.

فقصة **آدم** لما صنع ذلك، وقلناها في أول نوع من أنواع الحياء، قلنا حياء الجناية.

قال: أفراراً مني؟، قال: بل حياء يارب.

فهذا المقام من أعظم المقامات عند الله، فأراد الله أن يتعبد آدم بأعظم المقامات، فكان منه ما كان، فيقيمه مقام الحياء بإجلال وتعظيم.

ووقع من **موسى** ما وقع، ليكون كذلك، ولا يمكن كشف هذا المقام وفهمه إلا لمن يفهم ويعرف عن الله سننه في معاملته لعباده.

المقام الثالث الذي يغفر به الله عز وجل هفوات أوليائه، قالوا مقام الحزن والإنكسار والإعتراف بالذنب والإنكسار.

فإذا نظر إلى حزنه وهمه ورأى اعترافه وغمه غفر له.

ثلاثة مقامات، وكل مقام منهم أعظم عند الله عز وجل من أي مقام آخر، أعظم أن يصل إلى مقام الحب، أو مقام الحياء، أو مقام الجزل والإنكسار والتواضع لله تبارك وتعالى والإخبات.

فهذه الآية بعيد جدًا أن نفكر فيها أن فيها معنى الحياء بل هو أصل فيها، كيف وقع من موسى ما وقع؟ من أجل كل هذه المعاني فلما تنظر إلى تدبير الله لعباده وأوليائه تستحي.

المعنى الآخر والآية الأخرى وهي آية ستفتح معنا قضية كبرى تربط بين ما ذكرناه بما هو آت إن شاء الله.

قلنا أن المعرفة تورث الحياء والحياء يترتب عليه هذه المنزلة ألا وهي منزلة الإنابة.

انظروا لقول الله تبارك وتعالى {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ} [الزمر: ٥٣، ٥٤]

فقالوا الإنابة إلى الله تبارك وتعالى، بعد أن ذكر أرجى الآيات في القرآن، ذكر بعدها بعد مقام المغفرة والرحمة، قال وأنبيوا أى ارجعوا إلى الله بالتوبة والإخلاص.

ما الفرق بين الإنابة والتوبة؟

فقال بعض أهل العلم الفرق بين الإنابة والتوبة:

أن التائب يرجع خوفًا من العقوبة، والمنيب يرجع حياء منه تعالى.

فكأنهم فسروا الإنابة بأنها التوبة بحياء، أو التوبة التي باعثها الحياء، فلو تأملنا آيات القرآن في وفق هذا المعنى، معنى الإنابة لاستخرجنا مواطن أخرى لتحقيق معنى الحياء من الله تبارك وتعالى.

وفي البداية ما معنى الإنابة؟

الإنابة : توبة باعثها الحياء.

بعض أهل العلم تكلم في معاني الإنابة بمعاني نحتاج أن نتوقف عندها:

فقالوا الإنابة إخراج القلب من ظلمات الشبهات.

كأن الإنابة تغسل قلبك من الشبهة.

وقالوا الإنابة الرجوع من الكل إلى من له الكل.

كأن الإنابة تقطع حبال القلب المعلقة بغير الله.

وقالوا الإنابة الرجوع من الغفلة إلى الذكر، ومن الوحشة إلى الأنس.

كأن الإنابة هي موقظ لهذه القلوب من رقادها، ومؤنس لهذه القلوب من وحشة الدنيا وتعلقاتها.

وقالوا وهذا كلام ابن القيم، وارجعوا إلى منزلة الإنابة في **المدارج**، وهذا واجب عملي في هذه المحاضرة لتفهموا هذا المعنى بشكل أعمق.

فيقول ابن القيم "الإنابة هي الإسراع إلى مرضاة الله مع الرجوع إليه في كل وقت وإخلاص العمل له".

أنواع الإنابة

ولكي يتضح أكثر هذا المعنى، قال إن الإنابة نوعين **إنابة للربوبية**، فهذه يجتمع فيها الكل، مؤمن وكافر وبر فاجر.

والدليل عليها من القرآن في سورة الروم {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ} [الروم: ٣٣]

فهل كل الناس منيبين؟ هل كل الناس تستحي من الله؟

لا لا ليست هذه الإنابة، فهذه **إنابة للربوبية**، فالكل يرجع إلى الله لما يتزل به الضر.

وهذا **مقام الربوبية** لأنه هو الذي يدبر أمرهم، وهو الذي خلقهم، وهو الذي سبحانه وتعالى تكفل برزقهم، فهو الذي يكشف الضر.

لكن الإنابة التي نتكلم عنها هي الإنابة الثانية، التي هي إنابة أوليائه، وهي **إنابة للألوهية**، **إنابة العبودية**، **وإنابة المحبة**.

وقال تتضمن أربع أمور:

يفترض أن يكون رجوعك متحلي، **بحب**، **وخضوع**، **وإقبال**، **وإعراض**.

إقبال له وإعراض عما سواه، إذن هم أربع أمور، فهذا عبد منيب يأتي الله بقلب منيب، قلب محب، قلب مقبل، قلب معرض عما سواه، فلا يستحق اسم **المنيب إلا من اجتمعت فيه هذه الأربع**.

أقول مرة أخرى الإنابة باعثها الحياء والمفترض أن تكون الإنابة كأركان.

ما هي أركان الإنابة؟

أربعة :

١- حب

٢- وخضوع

٣- وإقبال

٤- وإعراض عما سواه.

فقد روى الإمام أحمد وحسنه الشيخ الأرنؤوط والشيخ الألباني ضعفها ولكن الشيخ الأرنؤوط قال هذا إسناد محتمل للتحسين وأشار إلى ان الحديث من جملة الاحاديث الحسنة لغيرها أن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال "لا تمنوا الموت فإن هول المطلع شديد وإن من السعادة أن يطول عمر العبد وأن يرزقه الله الإنابة"

"وإن من السعادة أن يطول عمر العبد وأن يرزقه الله الإنابة"

لذا قال ابن القيم: فمن نزل في منزلة التوبة، وقام في مقامها، نزل في جميع منازل الإسلام، فإذا استقرت قدمه في منزلة التوبة، نزل بعدها في منزلة الإنابة.

أى دخل في البداية خائفاً يترقب، وخائفاً من هول المطلع، ومن ومن ومن عقوبات المعاصي فتاب، إذا صدق في التوبة بلغ الإنابة، وبلغ الحياء.

ونحن قلنا القاعدة التي وضعها النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الإيمان والحياء قرنا جميعا، فيزيد الإيمان فيزيد رصيده الحياء، يضعفه الإيمان فيضعفه رصيده الحياء، وإذا لم تستح فاصنع ما شئت.

آيات الإنابة

تعالوا لنظر في الآيات التي وردت فيها صفة الإنابة.

وصف الله عز وجل خليله ومصطفاه إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فقال { **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ** }

[هود: ٧٥]

فجمع بين تلك الثلاث:

حليم على أذى الناس،

على أن في الآية الأخرى قال **{لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ}** [التوبة: ١١٤]، فراعى في كل مقام المعنى الذي ينبغي الإعتناء به، بمعنى فهو **حليم على أذى الناس، أو اه لي**، فأثمر ذلك منزلة الإنابة، فجمع بين مقام الإستغاثة والشكوى، وبين الإنابة التي فيها استشعار لحياته من ربه، وكأنها إشارة إلى علو هذه المنزلة، لذا زيل بها.

فأولها ماذا في تعامل الناس؟... **يحلم**

ثم مع الله عز وجل... **يشتكى ويبيكي ويتضرع وينكسر قلبه له**

فأورثه ذلك، أن صار عنده منيبا رجّاعا إليه، بلغ رصيد الحياء منه المبلغ الذي لم يبلغه كثير من عباد الله **{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ**

لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ} [هود: ٧٥]

لكن في المقام الثاني راعى معنى آخر **{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ}** [التوبة: ١١٤] فراعى معنى التواصل به سبحانه وتعالى وكأنه هو المعنى، أو المعين الذي منه يشرب إبراهيم، ليحلم على أذى الناس، فلما كان في الخلوات أوهاها لي تحلم على أذى الناس، أفهتتم هذا المعنى؟

إذن أعظم ما يأتي بقلبك لله الشكوى والإنابة ... هذا معنى أول.

□ □ ولاحظوا أن **إبراهيم الخليل** ورد عنه أيضاً موضع الإنابة في موضع آخر **{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}** [المتحنة: ٤] فجمع بين التوكل وبين الإنابة.

□ □ وهذا ملاحظ في القرآن فهذا شعيب يقول **{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ}** [هود: ٨٨]

□ □ وتجد ذلك في القرآن **{وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ}** [الشورى:

[١٠]

ما الجمع بينهم؟

في التوكل والإنابة الرجوع.

فالركون في التوكل على الله، فالرجوع إليه، واستسلام الأمر له، وتفويض الأمر له.

وكذا في الإنابة، الرجوع يكون إلى الله عز وجل بالصفات التي قلناها، بالإقبال والإعراض والحب والإنكسار له سبحانه وتعالى.

والعلاقة بينهم علاقة كأنها علاقة سبب ونتيجة.

فكأن من ارتقى إلى مقام التوكل، فهذا يُبلغه تلك المتزلة {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} فعلى الله اعتمادى وهو عضدى سبحانه وتعالى كما كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: " اللهم أنت عضدى وأنت نصيرى بك أحول وبك أجول وبك أقاتل "

" اللهم أنت عضدى و نصيرى بك أحول وبك أصول وبك أقاتل "

[الراوي: أنس بن مالك المحدث: ابن حجر العسقلاني - المصدر: الفتوحات الربانية - الصفحة أو الرقم: 5/60 :

خلاصة حكم المحدث: صحيح]

فعليه توكلت، ففوضت الأمر له، ولم ألتفت إلى غيره، وهو المعنى الذي في الإنابة، الإعراض عن ما سواه.

وعليه توكلت، فأقبلت عليه سبحانه وتعالى، ولم أقبل على غيره.

وكأن التوكل هنا مشترك مع الإنابة في هذين المعين

ولكن يزيد في الإنابة معنى الإنكسار الأوقع والأكثر، ومعنى الحب له سبحانه وتعالى

أفهمتم؟

فلذلك يجمع القرآن بين التوكل وبين الإنابة لهذا الغرض، فعلياً أن نتوجه إلى الله منيبن أى مستحيين، فأيات الإنابة في القرآن التي توجه لك هذه الرسالة،

افهم منها أن الله عز وجل يقول لك استح !!

□ □ وانظروا لهذه الآية الله يقول: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ

الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، مُنِيبِينَ إِلَيْهِ} [الروم: ٣١، ٣٠]

ومنيبين هنا تعود على فأقم، أى فأقيموا أيها الناس وجوهكم إلى هذا الدين حال كونكم منيبيين متضرعين متذللين مستحيين.

وهو المعنى الذي ذكرناه لما تكون في الصلاة تلقاء وجه الله، ولما تكون في الحياء، ولما تقول أنا أسعى ابتغاء وجه الله، فوجه ربك أمامك، فبالله عليك لو أنت واقف والله أمامك فأين سيكون وجهك؟

{فَأَقِمْ وَجْهَكَ}

أى لا تنظر يمين أو شمال، فلا يكون وجهك زائغ، يكفي زوغان القلب {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} [الصف: ٥] فلا يكن وجهك زائغ!!

{فَأَقِمْ وَجْهَكَ} وحدد هدفك، فالله الصمد أى المقصود، فيكون قصدك هو، فإذا توجهت، حددنا الهدف، وعرفنا إلى أين نقصد، ولن نلقت، وأنت تسير أين سيكون وجهك إلى أعلى أم لأسفل؟

{مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ حِزْبٍ لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [الروم: ٣٢، ٣١]

□ □ من الأشياء التي تورث الحياء، فتورث الإنابة:

استشعار الخلل فتضع يدك على عيبك، ففهمت موطن من مواطن العيب عندك

انظروا في ذكر الأنبياء في ذكر سيدنا داود، قال الله: {وَوَظَنَ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ، فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ} [ص: ٢٥، ٢٤]

لما كانت الحادثة وقال للرجل: {قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجْتِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ} [ص: ٢٤] ثم تبين لسيدنا داود أن هذا كان خطأ ما كان ينبغي عليه أن يقع فيه، فاستشعر الخلل.

فاستشعار الخلل أورثه الإنابة، فاستحيا، فلما استحيا أناب، لذا خر راکعاً، جسد المعنى.

□ □ وهذا سليمان، يقول الله: {وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ} [ص: ٣٤]

لاحظ ثم في القرآن تعطى زمن، أى بعد أن زال عنه عدم ملاحظته لوجه الفتنة، فلما زالت الحُجب واستفاق وتيقظ وأدرك موطن الفتنة التي وقع فيها، حينئذ أناب فرجع مستحيياً لربه {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ}

وهذا من علو همة سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام

المقام لا يقتضي ذلك، المقام أنت تدخل كي تتعلم درس نبوي رائع، فأنا لا أدخل كي أقول رب اغفر لي فقط وانتبهينا.. لا، قال له {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [ص: ٣٥]

ولما علل، علل بمعنى معرفته بالله تبارك وتعالى **الوهاب**، هو الذي يعطي لا لعوض ولا لغرض، فأنا من حقي أن أطلب فهو الوهاب، وأنا لا أستحق ولكن أنت الوهاب، فـ {هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [ص: ٣٥]

إذن استشعار الخلل يورث الإنابة.

أعظم الأسباب المورثة للإنابة

□ □ ومن أعظم الأسباب أيضًا التي تورث الحياء فتورث الإنابة **التفكير**

هو هنا التفكير في العيب، استشعار الخلل، ولكن **التفكير في الخلق** يعطينا معنى التزويه، ولذلك عندما يتكلم ربنا عز وجل عادة عن آية من الآيات كثيرًا ما يذكر التسبيح، آية من الآيات الكبرى فيذكر فيها معنى التسبيح، أي تزويه الله عز وجل..

لأن التفكير فيها يقتضي أن تثبت له الكمال وتثبت لنفسك النقص، وحين تستشعر النقص حينئذ تعرف أنه ينبغي أن تطأ رأسك مستحيا فتنيب

يقول الله {أَفَلَمْ يَرَوْا} وكما ذكرنا أفلم من المعاني التي تورث الحياء

{أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَشْأَ نَخَسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ} [سبأ: ٩]

فالمعنى أن هذا التفكير، التفكير في الإمهال، التفكير في الحلم {إِنَّ نَشْأَ نَخَسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ} لكن حلم وحلمه يقتضي منك حياء، فلم يعجل لك العقوبة، وأنت مستحق لها، فهذه آية، لكن لا يفهمها كما قال الله: {وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ} [غافر: ١٣] لا يفهمها إلا حيي عنده حياة في القلب، وقال الله {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا} [غافر: ١٣] يا أخي أين حمرة الخجل..؟ ألا تستطيع أن تستدعيها بالتأمل في النعم العامة، أوفي النعم الخاصة، فأنت تفعل الذي يغضبه، وهو أعطاك مال، وأعطاك زوجة، وأعطاك أولاد، وأعطاك وأعطاك وأعطاك {وَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ} [إبراهيم: ٣٤] {وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا}.

لا يتفكر أحد، ولا يعتبر أحد، ولا يتعظ أحد، لأنه لن يتعظ إلا منيب.

لطفة تربوية دعوية

فهذا الكلام في رسالتنا الدعوية مع الناس، وفي تربيتنا لأولادنا.

تربويًا: نحتاج أن نزرع فيهم الحياء، فالحياء سيورث كل هذه المعاني، وسيجعل الولد بعد ذلك يفهم ويعتبر ويتعظ، لو أفهمته وغرست في قلبه الحياء.

دعويًا: وأنت أيضًا في دعوتك تحتاج أن تلمس القلوب بهذا المعنى وتستجمع، فنحن نجتمع في الآيات والمفاتيح وكذا، وجمع واذكر في الدعوة للناس هذه المعاني، وعليك بأن تزرها على هذه القلوب لتشرها لتحيي هذه القلوب بعد مواتها، لكن هذا لا يعنى أن كل القلوب ستفتح بالحياء، لأن من القلوب ما لا يفتح إلا بسياط الخوف والزجر.

□ □ قال الله: {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ} [ق:٨،٧] فالتفكر باب للإنبابة.

ثمرات الإنابة

هذه الإنابة تثمر أمران ذكرهما القرآن:

الأول: الإستقامة والهداية

والثاني: البشارة من الله بعلو المكانة

أما **الهداية** فقال الله: {اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} البسط هنا في مقابل المنع، الذي هو القدر {وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ} [الأنبياء: ٨٧] أى لن نصيق عليه فيبسط ويضيق {اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ} ، ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب} [الرعد: ٢٧، ٢٦]

✿ استوقفني في مكة {إليه}، لأن في موضعين، الموضع الثاني وهو يتكلم أيضًا على نفس المعنى وهو ثمرة الإنابة، قال: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا

تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبْرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي {الإصطفاء العالی هذا ولم يقل "الله يجتبي من يشاء" ولو تم الجملة بذلك لثم "يجتبي من يشاء" لكن قال : { يَجْتَبِي إِلَيْهِ } ويهدي من ينيب .. لا، { وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ } [الشورى: ١٣]

فما سر {إليه} ؟

سر {إليه} التقريب، و"إلي" تعني الإنتهاء، ومعنى ذلك أن هؤلاء كانوا أصحاب نوايا صالحة فيهدي إليه : نهاية الأمر عنده، فهو الآخر سبحانه وتعالى، فقربهم إليه وهداهم إليه.

فبالتالي ثمرة الإنابة العظمى أن تكون إليه .

والأمر الثاني **البيارة بالعزلة العظمى** قال الله جل وعلا: {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ} [الروم: ١٧] ولما تكلم عن أنواع القلوب، ذكر منها هذا القلب المستحي الرجاع إلي الله، قال: {وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ، هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ} [ق: ٣٢، ٣١] ولو قال أواب وسكت، لكفى في معنى الرجوع، لكن ذكر المفاتيح، فهذا كثير الرجوع إلى عز وجل، هذا متحفظ لأمر الله عز وجل، احفظ الله يحفظك، هذا يخشي الله في الخلوات {مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ} [ق: ٣٣] فجاء الله فلم يقل "وجاء بقلب سليم" ولكن قال جاء بقلب منكسر محب مقبل معرض عما سواه، فسماه بقلب منيب.

فهذه ثمرة الإنابة، وعليك لكي تتعلم هذا الخلق، ذكرنا أن المعادلة واقعة، معرفة الحياء، حياء يورث الإنابة وعليك أن:

← واجبـات عمليـة

١- تتلمس أهل الإنابة فتكون منهم

قال الله: {وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} فأهل الحياء ينبغي أن نبحث عنهم في الدنيا، لأن هؤلاء على سبيل الهداية، لأنهم سيورثهم الحياء الإنابة {وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [لقمان: ١٥]

٢- لذلك الوصية ان نكثر من الدعاء

كما كان النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** والحديث في **الصحيحين** إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل يقول "اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وأخرت وأسرت وأعلنت انت إلهي لا إله إلا أنت"

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ، إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل : " اللهم لك الحمد . أنت نور السماوات والأرض . ولك الحمد . أنت قيام السماوات والأرض . ولك الحمد . أنت رب السماوات والأرض . ومن فيهن . أنت الحق . ووعدك الحق . وقولك الحق . ولقاؤك حق . والجنة حق . والنار حق . والساعة حق . اللهم لك أسلمت . وبك آمنت . وعليك توكلت . وإليك أنبت . وبك خاصمت . وإليك حاكمت . فاغفر لي . ما قدمت وأخرت . وأسرت وأعلنت . أنت إلهي لا إله إلا أنت " .

[وفي رواية : مكان قيام ، قيم . وقال : وما أسرت]

[الراوي : عبدالله بن عباس المحدث : مسلم - المصدر : صحيح مسلم - الصفحة أو الرقم 769 :

خلاصة حكم المحدث : صحيح]

ونهاية الدعاء بذكر الألوهية فيها معنى التحجب، أنت إلهي، فلم يقل أنت ربي، كما هو معتاد، كأن هذه درجات تُعليك حتى تصل إلى تلك المترلة العظمى من التودد والتحجب إلى الله عز وجل.

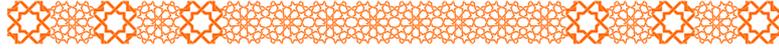
٣- نريد أن نجي صلواتنا، الحديث ربما نسمعه، ولكن قلما نذكره، لأنه من الأحاديث المعتادة في استفتاح الصلاة المحفوظة القصيرة، التي تذكّر وعادة يصبح الأمر روتيني، فما الشأن أن نحفظ هذا خلال هذا الأسبوع ونطبقه إن شاء الله في صلاة الليل؟

"اللهم لك الحمد أنت نور السماوات - الأولى نور وثانية قيوم، وبعد ذلك رب - اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض- وفي لفظة أظن ومن فيهن في كل واحدة - أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنت قيام السماوات والأرض، والثالثة رب - ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن - ثم عد - أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق - سابعة، تحاول تحفظ ثم - اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت - ست - فاغفر لي ما قدمت، وأخرت، وأسرت، وأعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت".

وروى ابن ماجه وأبو داود بإسناد صحيح عن ابن عباس أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول في دعائه - الذي افتتحنا به الحاضرة - "رب أعني ولا تُعن عليّ وانصرني ولا تنصر عليّ وامكر لي ولا تمكر عليّ واهدني ويسر الهدى لي وانصرني على من بغى عليّ رب اجعلني لك شكاراً لك ذكّاراً لك رهاباً لك مطيعاً إليك محبباً - أي متواضعاً - إليك أوهاً - أي متضرعاً - منيباً، رب تقبل توبتي واغسل حوبتي - خطيئتي - وأجب دعوتي، واهد قلبي، وسدد لساني، وثبت حجتي، واسلل سخيمة قلبي" [الراوي : عبدالله بن عباس المحدث : الألباني - المصدر : صحيح ابن ماجه - الصفحة أو الرقم :

3103 خلاصة حكم المحدث : صحيح]

فهذا الدعاء مع معنى الإنابة الذي ذكرنا شيئاً منه فقط لتعلقه بمعنى الحياء، وتكوين الحياء، نحتاج أن نتواصى بمثل ذلك ليفتح لنا من آفاق الحياء منه سبحانه وتعالى.



هذه المحاضرة كانت محاضرة تطبيقية أكثر منها محاضرة تعليمية

فقط أردت من خلالها أن نتلمس معنى مهجور، يحتاج منا إلى وقفات، ولو شئت لجعلت هذه السلسلة تدور حول هذا المعنى، نتعاشق معه سنين، لأنه عليه قُطب الرحي، عليه الأمر كله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ ۖ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

نسأل الله تبارك وتعالى أن يأخذ بأيدينا ونواصينا إليه أخذ الكرام عليه

إنه ولي ذلك والقادر عليه

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فضيلة الشيخ / هاني حلمي

مكتبة
الشيخ
المنجد



The lights of Attributes

أنوار الصفات

فضيلة الشيخ / هاني حلمي

فضيلة الشيخ

هاني حلمي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ..

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا،

من يهده الله تعالى، فلا هُزِلَ له .. ومن يُضَلِّ، فلا هادي له ..

وأشهد أن إله إلا الله وحده لا شريك له ..

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ..

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد ..

اللهم بارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد ..

أما بعد،،

فإني أسأل الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علماً
ينفعنا ..

{ .. رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا } [الكهف/١٠]

مع علامة من علامات العارفين بالله تبارك وتعالى، من خلال هذه السلسلة المباركة: سلسلة

“ (تعرف) ”

نعيش في هذا المعنى، وهو:

أن من عرف الله تعالى تتبدى عليه أنوار الصفات ..

فيصير بحق عبدًا ربانيًا، فإذا كان الواحد منا يريد أن يعرف هل هو بلغ المتزلة عند الله، هل أخذ الخطوة؟

فلا بد أن يتفكر في الصفات التي تحلى بها منه سبحانه وتعالى ..

فعندما يصيب الإنسان أنوار القرب منه تبارك وتعالى، تتبدى هذه الأنوار في أخلاق من يسلك الطريق إلى الله تبارك وتعالى ..

ذكرنا أن القاعدة التي وضعها النبي ﷺ، بقوله "المرء على دين خليله .." [حسنه الألباني في كتاب الإيمان لابن تيمية]

تصوروا أن الواحد منا نال شرف الصُحبة مع الله تبارك وتعالى، وكان مكتوبًا عند الله تبارك وتعالى بهذه المكانة العُظمى .. ونال أن يكون خليلاً للرحمن .. أن يكون بحق من يصحبهم الرحمن ..

"..اللهم أنت الصاحب في السفر .." [رواه مسلم]

ولقد لقينا في سفرنا - سفر الآخرة - هذا نصبا ..

{ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْتَعُهُمْ مِّنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِّنَّا يُصْحَبُونَ } [الأنبياء/٤٣]

فعندما يتعايش أحدنا في ظلال هذا المعنى الراقى، العالي .. فيأخذ من ربه تبارك وتعالى حظه من أسماء ربه .. فيعلو ويبلغ المتزلة، ويكون بحق

عبدًا ربانيًا .. مصداقًا لقوله تبارك وتعالى { ..كُونُوا رَبَّانِيِّينَ .. } [آل عمران/٧٩]

هذا القانون يحتاج منا إلى وقفة مهمة: كيف تتبدى على الواحد منا أنوار الصفات؟؟

لكي يحدث ذلك، لابد أن يكون الواحد منا مُلمًا بأسمائه تبارك وتعالى وصفاته .. ويتفقه فيها، فهي رأس العلم وهي أساسه ..

قال أهل العلم "العلم علمان: علمٌ بالله، وعلمٌ بأمره وشرعه"

أمور كثيرة جداً ستفهمها في الطريق، يوم أن تفهم أسرار الأسماء والصفات .. ووقتها ستبدي عليك الأنوار .. لو تفهم ولو تعرف أسرار تلك الأسماء ..

يقول: من أسرار تلك الأسماء: أن العبد منا لا بد أن يقع في جنائيات، ويقع في معاصي .. ولا بد أن يقع في مثل هذه الهفوات .. والله يجب منه أن يستدرك أمره ويتوب مما جنته يداه .. فإذا فهم هذا، وعرف سر اسمه الغفار واسمه التواب واسمه العفو .. حينئذ يقبل على ربه ويتحجب إلى ربه ويفهم عن ربه: لماذا وقع في مثل هذه الهفوات والجنات؟ ..

يقول "لا بد من جنابة تغفر وتوبة تقبل وجرائم يعفى عنها"

"وكان تقدير ما يغفره ويعفو عن فاعله ويحلم عنه ويتوب عليه ويسامحه، من موجب أسمائه وصفاته وحصول ما يحبه ويرضاه من ذلك .. وما يحمده به نفسه ويحمده به أهل سمواته وأهل أرضه، ما هو من موجبات كماله ومقتضى حمده"

"فمن تأمل سريان آثار الأسماء والصفات في العالم وفي الأمر، تبين له أن مصدر قضاء هذه الجنائيات من العبيد وتقديرها هو من كمال الأسماء

والصفات والأفعال"

لو نفهم ولا نتوقف عند هذا المعنى بالشكل السيء الذي يحدث عادة، لو نفهم أن الله سبحانه وتعالى يجب من عبده أن يتعرف عليه .. ويجب من عبده أن يفهم أن الله سبحانه وتعالى دائماً أبداً يعامله بصفات جماله قبل صفات جلاله .. لو نفهم هذه المعاني، تزوول من النفس أمراض كثيرة وآفات عليـلة تقطع بيننا وبين الله .. ولهذا لا تبدي علينا أنوار تلك الأسماء والصفات .. من يُمعن النظر في أسرار هذا العلم يقف على ريباض من العلم بديعة، وحقائق من الحكيم جسيمة .. ويحصل له من الآثار الحميدة .. ما لا يُحاط بالوصف ولا يُدرك إلا لمن يُرزق الذوق ويرزق هذا الشعور ..

لو القلب تبنت عليه أنوار الصفات، سلكه هذا القلب كله لله .. فسيمتلاً حباً لله .. وسيؤثر الله على سائر الأمور التي قد

تشغله عن الله تبارك وتعالى ..

عندما يعرف الواحد منا ربنا، وتجتمع المعاني كلها .. هذه الأسماء والصفات .. تجتمع في القلب، تُثمر هذه الثمرات الجليلة .. فيتغير الحال، ويتغير الخلق ويتغير السلوك ..

وتجد الواحد منا يصير أكثر أدباً مع الله تبارك وتعالى، ويصير أكثر امتثالاً لأمره، وأكثر إتباعاً لشرعه ..

القلب مُتعلق بالله .. قلبي كله لله ..

تنبض المحبة، فتصير واضحة في الحركات والسكنات ..

اللساه بلعج بالذكر .. البد دائماً معطائه .. تجد الجوارح مُسارحة في مهنات الله ..

الواحد منا لا يكاد يمل أبداً، وكيف يمل وهو يتحجب لرَبِّه القريب .. وهو يتودد لرَبِّه الودود ..

فلم يبقى في قلب الواحد منا شيئاً يُشارك ربَّنَا تبارك وتعالى، فلا يبقى في القلب غير الله ..

قد صبغ قلبي على مقدار حبهم ... فما لحد سواهم فيه مُتسع

لقد أُغلق قلبي .. لا يوجد في قلبي شيءٍ آخر؛ لأن قلبي صار لرَبِّي فقط ..

لأن أسماء رَّبِّي وصفات رَّبِّي، ملأت قلبي ..

ومن أحب الله، لم يكن عنده شيءٍ آثر من الله .. والمُحب لا يجد مع الله للدينيا لذة ..

أي دينياً؟! وأي أهل؟! وأي مال؟! وأي ولد؟!!

فلا يُتنيه عن ذلك حُب أهلٍ أو مالٍ أو ولد ..

لأن هذه الحجة لو صارت في القلب .. لأن هذه الحجة لو أُشْرِهها القلب .. لأن هذه الأنوار لو تبادت على الواحد منا، يصير خلقاً آخر وشيئاً آخر ..

لذلك دائماً عندما عن هذه المعاني دون أن تعاشها، ودون أن تحسسها بالوجه المطلوب .. يصاب الواحد منا -أحياناً - بشعور مُضاد ..

بعض الناس تُحبط، عندما نتكلم في هذه المعاني .. وتقول: إنكم تتحدثون عن معاني عالية جداً، أنا لا أستطيع أن أشعر بهذه المعاني!!

فالقلب ليس فارغاً لله .. القلب مليء بالمشاكل، وأنا أريد هذه الظلمات التي على القلب .. هذا الران الذي على القلب .. هذا السواد الذي من أثر المعاصي والتعلقات بغير الله .. أنا أريد المعرفة به سبحانه وتعالى، أن تكون سيكناً يقطع أي تعلق بغير .. تصير نور يفيض على القلب، فيبديد ظلمات المعاصي التي على القلب ..

والله، لو عَرَفنا الله حق المعرفة لعشنا عيشة يغبطنا .. بل يحسدنا عليها الملوك وأصحاب الشراء ..

لذلك دائماً عندما عن هذه المعاني دون أن تعاشها، ودون أن تحسسها بالوجه المطلوب .. يصاب الواحد منا -أحياناً - بشعور مُضاد ..

بعض الناس تُحبط، عندما نتكلم في هذه المعاني .. وتقول: إنكم تتحدثون عن معاني عالية جداً، أنا لا أستطيع أن أشعر بهذه المعاني!!

فالقلب ليس فارغاً لله .. القلب مليء بالمشاكل، وأنا أريد هذه الظلمات التي على القلب .. هذا الران الذي على القلب .. هذا السواد الذي من أثر المعاصي والتعلقات بغير الله .. أنا أريد المعرفة به سبحانه وتعالى، أن تكون سيكناً يقطع أي تعلُّق بغير .. تصير نور يفيض على القلب، فيُبدد ظلمات المعاصي التي على القلب ..

والله، لو عَرَفنا الله حق المعرفة لعشنا عيشة يغبطنا .. بل يحسدنا عليها الملوك وأصحاب الثراء!!!

لأنه حال آخر ولذة أخرى وإحساس آخر

لو هذه المعرفة بالله تبارك وتعالى صارت في القلب يصير العبد عل وفقها بالمتزله عند الله عزو جل

فمنزله العبد عند الله سبحانه وتعالى على قدر معرفه العبد بإسمائه وصفاته

لماذا آية الكرسي أعظم أي القرآن ؟

لأن فيها أعظم صفات الرحمان

لماذا سورة الإخلاص ثلث القرآن؟؟

لأن فيها صفة الله الأحد الصمد الذي يقصد لذاته والذي تصعد الحوائج إليه الذي ليس له نظير ولا مثيل الذي فكل أسمائه حسني وكل صفاته علا.

لماذا المعني أصبح هكذا ولماذا الثواب أصبح بهذه المنزله ؟

لأن من يفهم المعاني الموجوده في هذه الآيات سيورثه من أنوار الصفات الذي يجعله أكثر إقبالا علي الله ويصير رصيد معرفه الله في قلبه أعلي فيكون عند الله بالمتزله العليا..

لذلك عندما حب الرجل سورة الإخلاص قال له النبي ﷺ كما في الصحيحين ::: (أخبروه بأن الله يحبه)

حب ربنا لأنه حس بمعني مختلف ، ربنا لا ينبغي بحال أن يشترك معه غيره في قلب ، ربنا ليس له نظير ولا مثيل أي معني يترك الإنسان أو يخطر علي بال الإنسان..!!

الله بخلاف بذلك

أعلي والله أعلي والله كل ما نتصوره ربنا أعلي من ذلك بكثير لو تخيلت هذه الرحمة لها مقدار في ذهنك قد تصل إليه ويكون

عالي جدا والله أعلى لو تصورت هذه المغفرة إنه يغفر ذنوب بهذا الحجم لا صعب جداً والله أعلى ليغفر ولو كانت هذه الذنوب مثل السموات والأرض ولو كانت مثل تراب الأرض.

أعلى في جماله وأعلى في جلاله سبحانه وتعالى قال ابن القيم في طريق المهجرتين (... وصفاته كان أحب الخلق إليه من تبدت عليه أنوار الصفات من إتصف بالصفات التي يحبها، وأبغضهم إليه من إتصف بالصفات التي يكرهها) لذلك أخذنا هذه الكلمات القاعدة

صفات الجمال صفات ربنا وإسمائه الدالة على جماله من (عفو، وحلم، ومغفرة، وتوبه) هذه

الصفات العبد لا بد أن يفعل في المقابل شيئا لتبدي عليه أنوار الصفات

إذا كان ربه حلِيمًا فليحلم هو علي أذي الناس **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ التوبة: ١١٤**

إذا كان ربه رحيم رحمان فرحم من في الأرض يرحمك من في السماء

إذا كان ربنا يعفوا عن كثير فعفوا يُعفى عنك

إذا كان ربنا شكور فكن أنت عبد الله الشاكر **وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ سبأ: 13**

إذا كان ربنا سبحانه وتعالى السلام فليسلم منك الناس (فالمسلم من سلم منه المسلمون من لسانه ويديه).

إذا كان ربنا سبحانه وتعالى ستر فستر فإن الله ستر يحب الستر ولا تتبع عورت أخيك (أستر ألا سترتها بنوب؟)

إذا كان ربنا سبحانه وتعالى جميل فكن أنت كذلك في أخلاقك وتصرفاتك وسلوكياتك.

إذا كان ربنا سبحانه وتعالى هو الحيي فلنكن فينا حُمرة الخجل ولنستحي حق الحياء من الله ولنستحي حق الحياء من رسول الله ﷺ (من استحي من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوا ولينظر الموت والبلا)

دخلت القلب يكون في المقابل التأثير ستظهر أنوار هذه الصفات في السلوكيات والأخلاق، وربنا يحب هذا العبد .

فصفات الجمال نتحلي بما نستطيع نحن البشر منها وصفات الجلال نعمل في ضدها مع الله

إذا كان الله هو العزيز .. فنحن أذلاء ، وإذا كان الله هو الكبير المتكبر المتعالي فنحن نتواضع مع الله تبارك وتعالى ونتواضع لعباده الصالحين . وهكذا....

يقول ابن القيم (فمن اتصف بالصفات التي يكرهها فإنما أبغض من اتصف بالكبر والعظمة والجبروت لأن اتصاف العبد بها ظلم) إذ لا يليق ولا يصح له بحال أن يتصف بمثل ذلك إذ لا تليق به هذه الصفات ولا تحسن منه لأنها تنافي صفات العبودية صفات العبيد.

إنما من يتصف بصفات العلم والعدل والرحمة والإحسان والصبر والشكر فهذه لا تُتافي العبودية بل إتصاف العبد بها من كمال العبودية.

ومن آثار هذه المعرفة بإسماء الله تعالى وصفاته أنه كلما أدام ذكرها بقلبه،

نريد والله الأسماء والصفات تكون منهج حياة في حياتنا.

فدائما نتذاكرها ودائما يكون



الواجب العملي.



في حياتنا ولو كل أسبوع نتدارس إسم ونعيش في رياض الأسم من خلال تأمل الآيات القرآنية التي ورد فيها هذا الأسم ، ومن خلال تطبيقات عمليه .

• **كيف نتحلي بهذه الصفات لكي نصلح أقرب إلى الله وتبدي علينا أنوار الصفات؟؟**

فيقول كلما أدام ذكرها بقلبه ولسانه أوجب له دوام المراقبة وشاهد ربه بعين البصيرة فيستحي منه وينكسر له فيصير يعبد الله علي الحضور والمراقبة ..

يكونه بلغ أعلي المراتب منازل الإيمان .. يُشرك بمقام الإحسان

يصل إلى أعلي مقامات الدين ، وإذا بلغ العبد في مقام المعرفة إلى حد كأنه يكاد يطالع ما اتصف به الرب.

والله وأنا أسير يسيرتي وأجد من حولي حادث وأتفكر في الحال اللهم أنت السلام ومنك السلام أصبحت أعلم معني السلام في حياتي ..

والله وأنا خائف من أي شيء .. خائف علي أولادي خائف علي مالي خائف ، أتذكر أن الله المؤمن آمان كل خائف يصبح المعني فعلا يترسخ في قلبي ، عندما أقول وأنا أوتر سبحان الملك القدوس وأتذكر الملائكة الذين يستحوا من الله من التقصير فيقولون ما عبدانك حق عبادتك أتذكر القدوس المتزه عن العيوب وأري العيوب في نفسي .

أصبحت تتبدد علينا أنوار الصفات

تعالوا أقول لكم علي طريقه عمليه لكي نستشفي بيلسم الأسماء

أليس الله هو الشافي؟؟

عندما تبدي علينا أنوار الصفات كيف سنشفى كيف سنداوى من هذه الآفات؟

عندما يكون لدى الواحد غلظة و شدة و لا يعلم ما يفعله في نفسه و دائماً الناس تعيبُ عليه ذلك الخلق ، فلو تداوى باسم الله الرحيم لكان خيراً له و لكان بلسماً شافياً.

عندما يكون الواحد مريض بالعجب و رؤية النفس و يعرف أن حله أن يرى آفاته فيتعبد باسم الله القدوس و باسم الله السبوح الذى يدل على تزه الله عن العيوب و طالما الله ليس به عيوب إذا العيب في ، فإذا لم أرى عيبى سأعجب بنفسى ، فإذا تداويت باسم الله القدوس و السبوح لكان دواءً شافياً .

عندما يكون الإنسان لديه ضعف و ذل و هو ذليل للدنيا و لا حول له و لا قوة و كلما يأخذ قرار لا يستطيع تنفيذه من ضعفه و دائماً يرى نفسه لا يصلح فيتداوى باسم الله النصير باسم الله العزيز و باسم الله الولي و باسم الله المولى و باسم الله القوي لكان خيراً له و لأمدّة الله بالحول و القوة فصار مستقوياً بالله فيتبدد مرضه و يُشفى من ضعفه .

عندما يكون الواحد لديه كبر و يريد أن يتداوى فيعالج نفسه باسم الله الكبير و باسم الله المتكبر ، فإذا كنت تتكبر فالله أكبر ، و يتداوى باسم الله المتعالي .

إذا استطاع أن يتداوى بهذه الأسماء و الله تذهب آفاته و آثار الكبر في حياته .

عندما يكون الإنسان منّا عبثي و تجده دائماً متبع هواه و تجده دائماً ليس له منهج في حياته .. من تضع له منهج أين البداية ؟ أين القصد ؟ أين الهدف ؟ لكان خيراً له .

عندما يكون الواحد لديه آفات اللسان و لا يعلم كيف يقيم قلبه كي يستطيع أن يقيم إيمانه.

لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يسقيم لسانه..

الراوي : أنس بن مالك المحدث : الألباني - المصدر : صحيح الترغيب - الصفحة أو الرقم : 2554 :

خلاصة حكم المحدث : حسن

و دائماً يقول أنا لا أعلم ماذا أفعل في لساني بضيق وقت كثير في الكلام و الثثرة و اللغو و لا يخلو الكلام من غيبة أحياناً و نميمة و كذب و من و من .. ماذا أفعل ؟

فلو تعبد بإسم الله **السميع** و استشفى بذلك و علم أن كل كلمة تُحصى عليه و أنه سيفق بين يدي رب يحاسبه على الصغير و الكبير و الكلمة تكون من رضوان الله فتبلغ الآفاق فتكون بمناقيل الجبال يوم القيامة و الكلمة من سخط الرحمن يهوى بها العبد في النار سبعين خريفاً
فلو تعبد بإسم الله **السميع** و تتبع هذا الإسم في القرآن و علم أنه ينبغي أن يحفظ سمعه لكان خيراً له ، عندما الواحد يكون أهم شئ في حياته أن تراه الناس بطريقة معينة فيقع في **الرياء** فيتعبد بإسم الله **البصير** و يتعبد بمدلول هذا الإسم فلا يكون الله أهون الناظرين إليه و يعلم أن نظر الله إليه أسبق و أن قلب من يرآئيه بيد من يعصيه القلوب بيد ربنا سبحانه و تعالى يقلبها .

القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء

الراوي : أنس بن مالك المحدث : الترمذي - المصدر : سنن الترمذي - الصفحة أو الرقم : 2140 :

خلاصة حكم المحدث : حسن

فلو تداوى من **الرياء** بمدلول اسم الله **البصير** لكان أنفع ، لو واحد لديه مشكلة في الجرعة فتداوى بإسم الله الحي و بمدلول هذا الإسم فيتعلم الحياء بحق كان ذلك مبدداً لآفته لا محالة لما يكون حد عندنا دائماً يشتكى من الإنتكاس و موت القلب و يعلم كيف يتداوى بإسم الله الحي القيوم الذى يحيى القلوب و يقيمها على الصراط المستقيم فلا تلتفت و لا تنتكس.

إذا استطاع أن يتداوى بشكل صحيح بإسم الله **الحي القيوم** و الله كان فيه شفاء لموت القلب و للإنتكاس و الزيف .

واحد عنده **يأس** ماذا يفعل ؟ يتداوى بإسم الله **الفتاح** لأن ربنا الذى يفتح له مغالفة الأمور ، يتداوى بإسم الله الحبيب... **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ النمل ٦٢** ، يتداوى بإسم الله **الغفور** **إِنَّهُ هُوَ يُبَدِّلُ وَيُبَدِّلُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ١٣-١٤ البروج**

يتداوى بإسم الله **الغفار** **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى طه: ٨٢**

يتداوى بإسم الله **التواب** ، ربنا سبحانه و تعالى يفتح أبواب التوبة ما لم يغرر الإنسان حتى تقوم الشمس من مغربها ، الباب مفتوح لم تياس **إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ يوسف 87** الذين لا يعلمون من هو الله الذين لا تتبدى عليهم أنوار الصفات.

واحد **غضوب** لا يعلم ما يفعله في نفسه لو يتعلم اسم الله **الحليم** و يعلم أنه لو حلم في موطن الغضب سيكون جائزته عند الله عظيمة فيحلم

و من منا لا يقع في الحيانة ، لو مشكلتك في **ذنوب الخلوات** فتداوى بإسم الله **القريب** ، فتأتي تهجم على المعصية تذكر إنه قريب منك فتداوى بإسم الله **القريب** ، و كاميرات المراقبة موجودة في كل مكان فلا بد أن تأخذ بالك، و تداوى بإسم الله **الشهيد** شاهد على كل تصرفاتك .

وتداوى باسم الله **العليم** يعلمُ سرّك و باطنك فيأيك أن يرى منك حال الخلوة أن يرى منك أسوأ ما عندك ، لو واحد لديه وحشة وضيق صدر و نفسه في مؤنس يتذكر أن ربنا الواحد مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةِ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ **مَعَهُمْ .. المجادلة 7** ، ربنا معنا فإحاطته سبحانه و تعالى معنا كما يليق به جل و علا فهو الذي يصحبنا في سفرنا هذا واحد عنده دنو همة يتعالج باسم الله العلي الأعلى المتعالي العظيم و علم مدلول هذه الأسماء.

واحد لديه قلق **خائف** من غداً خائف من المستقبل خائف على العيال خائف خائف خائف .. قلقان .. **فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.**
يوسف ٦٤ فيبدأ باسم الله الحفيظ ، إنسان دائماً يقول أنا مشكلتي أني للأسف لم أتربي التربية الإيمانية ، أنا طلعت في مكان في و في ... لو تعرف أن الله هو الرب الذي يربينا و يُهذبنا حتى إنه يتلينا ليهدبنا لا ليعذبنا لو يعرف ما معنى ربي، لا يقول هذا الكلام أبداً سوف لا يفتقد هذه التربية لأن ربنا لن يضيعنا وربنا سبحانه و تعالى لن يتركه سدى.

أريتم إلي أي مدى لو استعملنا الأسماء والصفات .. استعملناها كلسم شافي لقلوبنا .. إلي أي مدى ستغير أحوالنا فهتبدى علينا الأنوار ،
أريدكم أن تفقوا مع الأسماء والصفات بهذا الطريق بمدة الطريقة العملية ، نريد أن نستشفي نريد أن نركز في حظ العبد من الأسماء ومن الصفات فتعبد ربنا سبحانه وتعالى بذلك ، لأن الواحد منا لو قام في قلبه حقائق هذه الأسماء و تراءت معانيها للقلوب حقق حينذ معني التوحيد الخالص ، فأكمل الناس عبودية لرب العالمين الذي فهم هذا المعني الدقيق وتعبد الله عز وجل بإحساء أسمائه وصفاته فعرفها ودعا بها وعمل بمعانيها ومدلولاتها فأدرك موجبها وأدرك آثارها ومقتضياتها ومتعلقاتها و لوازمها وأحكامها، تتغير الحياة والله يجد نفسه مع رب شأنه عظيم جليل فدائماً يجد لا تناقض بين الباسط والقابض لأنه يعطي بقدر ويمنع بقدر ويقبض حتى لا يكاد يظن العبد من بسط ويسط حتى لا يظن العبد أن ثمة قبض و يربي العبد بين هذا وذاك ، متي يعطيك؟ و متي يمنع عنك؟ رب قدير سبحانه وتعالى ، تجد نفسك بين معاني حلمه ورحمته بين عطفه ولطفه ، تجد نفسك بين بره وإحسانه فتجد نفسك وقد امتلأت بمدة المعاني تجد نفسك مستأنس بالله وهذه من أعظم الآثار لمن يتعبد الله الجبار القهار ، من يتعبد الله بمدة المعاني يأنس و يجتمع شمله وهمه..

وهذه كما يقول ابن القيم في مدارج السالكين :

آثر تجلي الأسماء والصفات الحسني على قلب العبد فترتفع حجب الغفلة والشك والإعراض ويصير هذا العبد مجتمع شمله على الله مستأنس بالله وتجد من آثارها أن يصير العبد معظماً حق التعظيم لله ولأوامره

لا تجد الكسل لا تجد العجز لا تجد التهاون لا تجد التقاعس ، تجده مقبلاً معظماً لشأن ربه تبارك وتعالى ، **ابن القيم في كتاب طريق المهجرتين**
يقول : من يرى هذه الصفات ويرى متعلقاتها و يرى كلام الله الذي ... ويرى أقلام يكتب بها كلام الرب فنفي البحار وتنفذ الأقلام ولا تبلغ كلمات الله ، من يرى هذا العالم ويرى علم وقدرة هائلة هيحول القلب في معاني هذه العظمة فيزاد معرفةً وتعظيماً لله تبارك وتعالى .

من يعيش وتبدي عليه أنوار الصفات سيعيش الطمأنينة والسكينة الحقيقية ، طمأنينة الإيمان طمأنينة السداد ، يا من تشتكون في هذه الأيام من تزلزل الأقدام والله لو تبدت علينا الصفات لسكن القلب واطمأن ورسخت الأقدام وثبتت في الطريق إلى الله تبارك وتعالى ، لو تبدت علينا

أنوار الصفات سندرك أسرار الشريعة وسنعرف حقيقة الأحكام الشرعية وسنجد من ورائها رباً حرم الظلم على نفسه رب يعلم المصلح من المفسد رباً حكيماً مته عن العبث والسفة والجور والفساد . وحينئذ ستكون الأمور شئ آخر والوضع سيكون شئ آخر واليقين سيكون راسخ ، نريد أن نعيش هذه المعاني ، ونريد أن نتعبد بمعاني الأسماء بالطريقة العملية التي قلت لكم عليها ولو ندخل من باب الإستشفاء مثلما قلت لكم في هذه المحاضرة **كيف نستخدم الإسم كبلسم في معالجة أدوائه وآفاته**

أريدكم كتطبيق عملي تداوسوا بعض هذه الأسماء وأنا سأسمي لكم بعضها ونطبق عملي بأمره :

الأمر الأول : تفاعل جديد مع القرآن تفاعل عملي ، نريد توحيد عملي نريد دراسة عملية تطبيقية ليست دراسة أكاديمية عقلية نتوقف عندها نريد أن نشعر ، ولهذا سنجعل

الواجب العملي واسم الله العزيز واسم الله الودود واسم الله السلام واسم الجبار ، لما الواحد يعيش اسمه السميع بقلبه تسمع ديب القلب هل يهتف باسم الرب؟ ، لما العبد يستشعر.... يسمع صوته فهل يسمع هذا الصوت بما يجب من ذكر ؟ **وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ الْمَلِكِ ١٣**

ربنا يعلم السر وأخفى يسمعُ ديبَ النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء لا يشغله سمع صوت عن صوت... إذا عرف أن الله يسمعه فلن يقول إلا خيراً ، **وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ الْإِسْرَاءِ ٥٣** ، سيكون منهج حياة ، سيستحي أن الله يسمعه و يقول كلام لا يرضيه ، سيكون عنوان حياته من هذه اللحظة التي دخل قلبه فيها اسم الله السميع عن اللغو معرضون .

نريد أن ننتبه لمعني ، ابن القيم يقول : وهو السميع يرى ويسمع كل ما في الكون من سر ومن إعلان ولكل صوت منه صوت سمع حاضر فالسر والإعلان مستويان والسمع منه واسع الأصوات لا يخفى عليه بعيدها والداي .. سبحانهك يارب . أريدكم أن تعيشوا هذا المعني وخذوا عليها لطيفة الله تبارك وتعالى في مفتتح سورة الإسراء قال **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ، ربنا السميع البصير وبعد ما قال لنريه من آياتنا ، الآيات ستري.. إذا يليق معها اسم الله البصير ، إذا المناسب أن يقول العليم ، ما الذي جاء بالسميع هنا ؟

قالوا لأن رحلة الإسراء والمعراج كانت رحلة يقين النبي ﷺ لم يطلب كما طلب الخليل إبراهيم ليظمنن قلبي لكن أراد الله أن يعليه ويظمنن قلبه ويزيده يقيناً ولذلك قال لنريه من آياتنا ، أنا جعلته يقوم بمدة الرحلة لكي يزداد يقينه ، يارب نحن أيضاً نحتاج أن نرى الآيات ماذا نفعل؟ قال : هو السميع البصير واعرفوا أن أساس العلم عن طريق إدراك الحواس إن هذه الحواس تعمل بصورة صحيحة ، فإنتهوا هو سميع فإن كان لكم حظ من هذا الاسم فاسمعوا بصورة صحيحة **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ٢٢ - ٢٣ الأنفال**

اسمع صح ! وانظر صح ! والسمع والبصر لو سمعت وأبصرت بصورة صحيحة سيوجبوا العلم اليقين في القلب ، حينئذ سيكون لك حظ من لثريه من آياتنا وحينئذ يترسخ اليقين ، هل فهتمم كيف تتعاملوا مع الأسماء وتبدي عليكم أنوار اسمه السميع؟؟

لو آمنت بالله العزيز وترى مشاهد العزة في تقدير الله سبحانه وتعالى وتعرف أنه سبحانه وتعالى بتقديره علي العبد أحياناً المعاصي والذنوب يكون الهدف أن يشاهد العبد عزة الله بأن الله عز وجل هو مقلب القلوب وأنه هو الذي يصرف الإرادة على ما يشاء **وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** الأنفال ٢٤

فيحول بين العبد وقلبه فهو المدبر والعبد مقهور ناصيته بيد الله تبارك وتعالى فيعرف أنه لا توفيق له إلا بمعونته يعرف أنه ذليل حقير في قبضة عزيز حكيم ، خذوا على ذلك هذة اللطيفة أيضاً من مفتتح سورة إبراهيم لما تكلم الرحمن جل وعلا في أول السورة فقال ، وهي تتماشى تماماً مع تبدي أنوار الصفات فقال : **الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**

لما جمع بين هذين الأسمين وهو يتكلم عن الهداية وأن القرآن نور يخرج الناس من الظلمات إلى النور وبعدها يقول صراط العزيز الحميد الله ، لم لم يقل صراط الله العزيز الحميد؟ ، العزيز الحميد دائماً عندما ترى اسم الله العزيز تعلم أن صفة من صفات الجلال كأن ربنا سبحانه وتعالى يطلب منك في هذا الموضع الذل فالعباد الذين لن تبدي عليهم الأنوار المتكبرون أما هذا الصراط فيسير عليه الأذلة لله الحامدون لله الذل لله تبارك وتعالى يهيم لك الطريق والحمد والشكر أساس المزيد فكأنه جمع بين العاملين للهداية ذلك و شكرك ، ذلك له تمام الذل لأنه عزيز وحمدك له فالحمد لله رب العالمين ، لله الحمد كله وإليه يرجع الأمر كله العزيز ، تقتضي منك استشعار جنائتك والحمد ستستوجب منك مشاهدة منته فهو احمود لذاته والاثنين يحققوا العبودية فتكون على هدي وعلى صراط مستقيم ، هل فهتمم ؟

لو تأملت اسمه الودود وعرفت أن الله يحب عباده الصالحين لو شاهد العبد بقلبه رب غني كريم جواد عزيز قادر كل واحد منا محتاج إليه وهو غني عنا ومع ذلك يتودد إليك بالإحسان والفضل ويودك إذا كنت ممن حقق الإيمان والعمل الصالح **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا مريم 96**، ولو تأملتم في اسمه الودود في القرآن لوجدتم العجب العجاب ، ربنا في سورة هود يقول **وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ هود ٩٠**

البداية طلب المغفرة وطرق الباب يالحاح ولذلك قال ثم .. استغفر كثيراً وخذ في هذا وقت ستفتح لك أبواب التوبة فتدخل على الرب التواب فيتوب عليك فتتوب ثم تاب عليهم ليتوبوا وعمر ما هذا يحدث إلا إذا كان هناك أمران يستوجبهما هذا التذليل الرحيم فعليك أن تستمد من موجبات رحمته لأنه هو الطاقة الإيمانية مم تولد؟ **من الرحمة** ، عليك أن تعلم ان الشاحن لذلك توددك للودود سبحانه وتعالى ، تريد أن تقف على الباب وتطرق ، اعلم أنه يجبك هكذا وتودد له بجبك له تسترل الرحمات وتفتح أبواب التوبة وتفهم حينئذ من هو الرحيم الودود سبحانه وتعالى .

لو عشتم في معاني اسمه السلام الذي يعني البراءة والخلاص والنجاة من الشر والعيوب عشتم هذا المعنى وحيثم أنكم تعيشوا في سلام وأن قلوبكم تكون سالمة من الشرك ومن البدعة ومن المعاصي وآثارها تحببوا إليه بأن تكونوا أنتم سلام لأن المسلم من سلم المسلمون كما قلنا من لسانه ويده فليسلم منك السلام لتتعبد ربك بالسلام فيجعل لك الأمان والسلام ، والأمان والحنان عند الرحيم الرحمن .

لو آمنتم باسم الله الجبار الذي يجبر ضعف الضعيف ستكون في حاجة الناس وستجبر كسر القلوب المنكسرة والله عند المنكسرة قلوبهم ، لو آمنتم باسم الله الجبار الذي يعني القهار يجبر عباده على ما يريد فنحن لك عبيد يارب فافعل بنا ما تريد ، وعمرك ما تخاف .

لو آمنتم باسم الله الجبار الذي يعني أنه العلي بذاته فوق جميع مخلوقاته ستعلو همتهك وستقبل على ربك وستفهم في ضوء هذه المعاني الآيات التي يرد فيها هذه الأسماء سواء من اسمه تبارك وتعالى السلام او اسمه تبارك وتعالى الجبار .

وهذه هي الواجبات العملية ، أرجو أن ندعي في دعائنا بذلك ، بعض إخوانا الصالحين علمنى هذا المعنى و به أختتمُ قال لي : وأنت راعع وأنت تقول سبحان ربي العظيم مرر علي قلبك يارب اسمك العظيم يكون في قلبي وأنت ساجد بتقول سبحان ربي الأعلي يارب اغرس معاني

كلما يمر عليك اسم ، كلما يمر عليك صفة من صفاته اجعل دائماً هذا المعنى على البال ادعوا ربنا يغرس هذه المعاني في القلب حتى تتبدى علينا أنوار صفات الرب فستذكرون ما قلت لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد

سبحانك اللهم ربنا و محمد ﷺ أشهد أنك لا إله إلا أنت أستغفر ﷻ وأتوب إليك

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

فضيلة النبي

هاني حملي

طائر بقلبي



فضيلة الشيخ
هاني حلمي



أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ..

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا،

من يهده الله تعالى، فلا مضى له .. ومن يضل، فلا هادي له ..

وأنتهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنتهد أن محمداً عبد الله ورسوله ..

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد

..

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد

مجيد ..

أما بعد،،

فإنني أسألك الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علماً ينفعنا ..

اللهم عرّفنا ببعث ..

اللهم أدِّ قلبه معاني أسمائك وصفاتك في قلوبنا ..

ونسألك من غير ما تعلم ونعوذ بك من شر ما تعلم ..

ونستغفر بك ما تعلم، إنك سبحانك علو الغيوب ..

أحبتني في الله،

ما زال الحديث موصولاً في هذه السلسلة المباركة: : سلسلة (تعرف) ..

عنه علامات منه عرف الله عز وجل حق المعرفة ..

وهنا نذكر نظوف في محاضرتنا هذه حول معنى عظيم .. يُنتج في حياتنا أمراً بالغا ..

لو أننا أحسننا الاستماع والإنصات والعبث حماستنا بهذه الكلمات؛ لأن علامة اليوم علامة تطبيقية ..

علامة نحتاجها أمس الحاجة في واقعنا المعاصر .. نحتاجها ونحده ندهي أننا نعرف الله ..

{ .. قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [البقرة/111]

كان أبو يزيد يقول "العارف طيار .."

أي: يطير بقلبه إلى الله عز وجل .. **أي:** يُيَادر للطاعات ويُسارع إلى كل ما يستطيع من قربات ..

الله جلّ وعلا وصف صحابة النبي ﷺ بهذه الصفة: عرفوا الله حق المعرفة، فسابقوا وكانوا أوائل الصفوف ..

{ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة/100]

في كل زمان سابقون .. شَمروا عن ساق الجِد والاجتهاد .. رفضوا كل ما يقطعهم عن محبوبهم من العشائر والأولاد ..

تركوا العوائد، فأبدلوا العز بالذل .. والجاه بالخمول .. والغنى بالفقر .. والرفعة بالتواضع .. والرغبة بالزهد ..

وشغلوا أنفسهم، فكانوا مُتفرغين لطاعته .. فرغوا قلوبهم له .. سافروا بها إلى محبوبهم ..

صحبوا أولياء الرحمه، وخدموا إخوانهم في الطريق، وأرتفعت عنهم الحُجب والأستار، فتمتعوا بمشاهدة

الكريم الغفار بعيون بصائرهم ..

{ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءِ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [السجدة/17]

وسبحان الله، هذه الآية قسّمت الناس ثلاثة أقسام .. وبعدها مباشرة، قال الله سبحانه وتعالى ::

{وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُتَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ *} وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}

[التوبة/101,102]

الناس إما سابق، وهذا هو العارف الطيّار .. هذا هو المبادر للطاعات .. المسارع في القربات ..
سابق بالخيرات ..

إما سابق .. وإما مُخَلِّط .. وإما مُنْهَمِك ..

فالسابق :: فاتر ..

والمُخَلِّط :: على رجاء ..

والمُنْهَمِك :: هالك والعياذ بالله .. إلا من تاب وعَمِلَ صالحًا ..

⊖ **هذا السابق الطيّار،** الذي يغلب إحسانه على إسنائه .. ويغلب صفاته على كدره ..

تجدّه عندما يقع، يعود سريعًا .. يعود ويتوب من قريب .. أوَّاب، مُنيب ..

فقد يمر عليه أعوام ولا يكتب عليه ملك الشمال شيئًا .. مُتَيَقِّظ؛ لأن الله سبحانه وتعالى يصطفيه ويُقربه ويملاً قلبه بحبه والشوق إليه ..

⊖ **والمُخَلِّط ::** يكثر سقوطه، وكذلك يكثر رجوعه .. فعسى الله أن يتوب عليه ..

⊖ **والمُنْهَمِك ::** المُصر على الفواحش .. فلو سبقت له العناية رجوع، وإلا تعرّض لنقمة الله وعذابه ..

انظروا عندما تكلم القرآن عن العارف الطيّار، المبادر بالطاعات، المسارع في القربات ..

قال الرحمن { إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (57) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (58) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (59) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (61) } [المؤمنون]

قالوا {..هُم لَهَا سَابِقُونَ} : يسبقون الناس إلى كل طاعة، فينالون أجرهم وينالون الرفعة عنده ..
وقال ابن عباس {..هُم لَهَا سَابِقُونَ}: أي: سبقت لهم من الله السعادة؛ فلذلك سارعوا في الخيرات ..
لكن لو دققتم، ستجدوا أن الآية وصفت هؤلاء وجعلت الطريق إلى الوصول إلى هذه المترلة العالية:

السابقين في الخيرات ..

جعلتها في أربعة أوصاف::

- (1) **خائفين .. مشفقين ..** خائفين من أن يُطردوا .. خائفين من أن يُبعدوا ..
- (2) **إيمانهم لا شك معه ولا وهم ..** فتجده إيمان راسخ .. إيمان ثابت .. فهم يؤمنون بما تضمنته الآيات من الوعد والإيعاد ..
- (3) **توحيدهم لا يبقى معه شرك جلي ولا خفي ..** فتجدهم مُحققين لمعنى التوحيد الخالص، لا يقعون في شرك محبة أو شرك توكل ولا يقعون في شرك خوف ولا يقعون في رياء ...
لا يوجد في حياتهم إلا مقصود واحد، اسمه: **الله الصمد ..**
- (4) **السفاء والكرم، مع رؤية التقصير ..** أي إنهم يعملون ويجتهدون، وبعد ذلك يقولون: **ما عبدناك حقَّ عبادتك ..** وتجدهم خائفين ألا يتقبل الله بضاعتهم، يرونها دائماً بضاعة مُرجاة ..
من يُحقق الأربعة معاني هو العارف الطيار .. هو الذي فَعِم .. وكل معنى منعهم معنى يتماشى مع اسم من أسمائه وصفة من صفاته ..

عندما عرفوه **بصفات الجلال**، كانوا خائفين منه .. كانوا على وجل وعلى خشية .. كانوا لله خاشعين .. كانوا خائفين .. مُشفقين ..

عندما عرفوا الله سبحانه وتعالى من خلال آياته، استقر في قلوبهم معاني هذه الأسماء والصفات .. فأورثهم الإيمان الثابت الراسخ ..

عندما تعرفوا على ربهم وعرفوه بأسمائه وصفاته، لم ينازع ربهم شيء من ما يتعلق به غيرهم .. فكل مقصودهم هو ربهم .. عندما عرفوا هذه المعاني، كانوا على وجل دائم .. ولذلك كان التطبيق العملي؛ أنهم سارعوا إلى الخيرات ..

قالوا "لا يُسارع الإنسان إلى الخيرات، إلا بقطع الشرور .. وأعظم الشرور حُب الدنيا؛ لأنها مزرعة الشيطان .. بل هي شرٌ من الشيطان .. وشر من الشيطان، من يُعين الشيطان على عمارة داره"

مَنْ يقطع بينك وبين الله من أهل الدنيا .. يُحيط بالمرء؛ لذلك لا يستطيع أن يتحرك ويُسارع .. لو فهمنا المعنى وحققنا الشروط الأربعة .. حينها نكون ممن يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ..

العارف لله سبحانه وتعالى دائماً خائف .. دائماً مُشفق .. دائماً يخشى ويدل ..

خوفه من الإبعاد بعد التقريب .. خوفه من الافتراق بعد الجمع .. هذا هو الذي عرف الله بحق .. هذا هو المتزم بحق ..

دعكم من الإنشائيات والكلمات الفارغة التي لا محتوى لها، التي نقولها في زماننا هذا ..

مَنْ يعرف الله بحق، ستجده دائماً مُشفق .. وجل .. ستجده خائف أن يرجع بعدما أخذ الخطوة ...

ستجده خائف أن يعود مرة أخرى للشتات، بعدما أحس بجمع الشمل .. لذلك يزهّد في كل هذه الأمور القاطعة .. من قواطع الدنيا، التي تقطعه عن الله ..

المسارع للخيرات .. وصف الله سبحانه وتعالى به أنبيائه، كما وصف به نبيه زكريا::

{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}

[الأنبياء/90]

الله سبحانه وتعالى وصف به أصفياه وأوليائه::

{لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَانِمَةٌ تَلُؤْنَ آيَاتِ اللَّهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ} [آل عمران/113] ..

قَوَامٌ لَّيْلِ .. تَالِينَ لِّلْقُرْآنِ ..

{يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (115)} [آل عمران]

هؤلاء يسارعون للخيرات، وكل شخص له هدف وله مقصود يعيش من أجله من المفترض أنه يسارع إليه ..

هناك أناس يسارعون في الآثام .. هناك أناس يسارعون في العدوان .. هناك أناس يسارعون في الكفران::

{وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المائدة/62]

{وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}

[آل عمران/176]

يا ترى هل نده من السباقية .. من المسارعية ؟

يا ترى حالنا مثل حال الصحابة والسلف الصالح الذين عندما سمعوا قول الله تعالى {..فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ..} [البقرة/148] ..

سابقوا إلى مغفرة من ربهم {.. وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ..} [الحديد/21]

عرفوا أن المراد أن كل واحد لابد أن يجتهد، ولا بد أن يسابق غيره في هذه الكرامات .. يسارع إلى بلوغ تلك الدرجات ..

كان أحدهم إذا رأى من يعمل عملاً يعجز عنه، خشي أن يكون صاحب ذلك العمل هو السابق فيحزن لفوات ذلك ..

فكانوا يتنافسون في درجات الآخرة ويمثلون لقول ربهم:: {..وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} [المطففين/26]

وبعد ذلك جاء أناس، صاروا يتنافسون في الدنيا الدنية وحظوظها الفانية ..

كان السلف يقولون "إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة"

لا تتقطع على دنيا دانية فانية، لا تساوي عند الله شيئاً ..

وهيب بن الورد كان يقول "إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل" ..

كان السلف يقولون لو أحدهم سمع أن هناك أحدًا أطوعَ لله منه، لا بد أن يحزن أن هناك أحدٌ أقرب لله منه وهو ساكت نائم ..

لو أن رجل سمع برجل أطوعَ لله منه، فانصدع قلبه فمات لم يكن ذلك بعجب !

مالك بن دينار أتاه شخص، قال: رأيت في المنام منادياً ينادي: أيها الناس الرحيل الرحيل ..

الجميع الآن عليه أن يرحل إلى الله، هلموا إلى ربكم .. قال الرجل له: فما رأيت أحدًا يرتحل إلا محمد بن واسع .. فأغشي على

مالك بن دينار في الحال ..

أولئك المقربون في جنات النعيم،

السابق هو ذلك الذي لا يرضى بالدنيّة أبدًا، دائماً يريد أن يكون الأفضل والأحسن .. لا يهم أن يكون الأحسن في الدنيا وفي عيون الناس ..

👉 **المهم أنه يكون أقرب إلى ربّه القريب، أنه يكون بهذه المنزلة عند ربّ الناس ..**

النبى ﷺ حثنا على أن نسارع في الخيرات، وقال انتبهوا لأن هناك قواطع كثيرة بانتظاركم، هناك أشياء كثيرة وفتن أنتم غير منتبهين لها، تقترب منكم .. قال: لا بد أن تكون مسارع في أمر الطاعة؛ لأنها هي علامة النجاة في القبر ..

يدخل العمل الصالح يقول: إنك كنت سريعاً في طاعة الله بطيئاً عن معصية الله، فجزاك الله خيراً ..

النبى ﷺ فيما روى أبو داود وصححه الشيخ الألباني قال " التؤدة في كل شيء - أي شيء من أمور الدنيا فكر فيها وتمهّل - إلا في عمل الآخرة " ..

تستطيع الآن أن تُسبِّح، هيا سارع بتسبيحة، بصدقة تنجيك يوم القيامة .. تقدر الآن أن تمسك المصحف .. هيا سارع الآن سريعاً؛ كي تنجو بنفسك ..

تقدري الآن أن تصلي ركعتين، هيا .. لا يوجد وقت والله .. الوقت ينسحب من تحت أقدامنا ونحن لا ندري ..

النبى ﷺ فيما روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال "بادروا بالأعمال، فتنًا كقطع الليل المظلم .." [رواه مسلم]

بادروا - هيا اجرؤا - بالأعمال الصالحة .. فستكون فتنًا كقطع الليل المظلم ،

ألم تسمعيه عه منكسات؟! .. ألم تريه أناس حولك ضاعوا وتاهوا في الدنيا؟! ..

ألم ترى أناس يخنم لهم - للأسف - بعلامات سوء الخاتمة وكانوا في يوم مه الأيام يقولون أنهم يريدون الطريق؟! ..

ستكون .. " .. فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من

الدنيا" [رواه مسلم]

ألم تسمعا عه المفتونيه والممنكسيه!؟؟

ابن بطال فيما يذكر ابن حجر في (الفتح)، كان يقول "الخير ينبغي أن يبادر به، فإن الآفات تعرض والموانع تمنع والموت لا يؤمن

والتسوية غير محمود { .. وَلَا تُطْعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } [الكهف/28]"

أمر كله تسوية .. كفى تسوية ، يكفي علينا جدًا هكذا .. ضاعت أيام وشهور ، وأصبح للواحد منا أيام وسنين يقول: أنه

ملتزم ولم يحصل الدرجة التي من المفروض أن يكون عليها اليوم بعد هذه السنين في الطريق إلى الله سبحانه وتعالى ..

قال الزبير بن عدي **والأثر في صحيح البخاري**، قال "أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج، فقال: اصبروا، فإنه

لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم ، سمعته من نبيكم ﷺ"

إياك أن تكون مامل لغد، الله أعلم غداً ماذا سيكون حاله .. إياك أن تكوني مؤملة لرمضان القادم، أو للحج القادم، أو للسنة

القادمة عندما تنتهين من كذا أو كذا وما وما .. الله أعلم ستصلي للعام القادم وأنت في عافية من الفتن أم مفتونة والله أعلم

بك !!

النبي - ﷺ - فيما روى الترمذي وحسنه قال "بادروا بالأعمال سبعا؛ هل تنتظرون إلا فقرا منسيا، أو غنى مطغيا، أو مرضا

مفسدا، أو هرما مفندا، أو موتا مجهزا، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى" [ضعفه الألباني، ضعيف الترمذي

(2306)]

بادروا بالأعمال سبعا ، هل تنتظرون إلا فقرا منسيا - يُنسى الطاعة والذكر وتجسد الواحد يقول: والله عقلي لم يعد معي ،

أو غنى مطغيا - النعم تزداد على الواحد ويشغل بها .. ألم ترى واحد تزوج وفتن؟ ألم ترى واحدة أمتن الله عليها بالزواج والأولاد وأصبحت الآن لا تعرف ماذا تفعل ومحتارة وتقول: والله أريد، لكن ماذا أفعل الدنيا أصبحت فوق رأسي ، حقوق كثيرة .. غنى بالنعم يطغي الإنسان ..

أو مرضاً مفسداً .. يفسد الأبدان أو هراً مفندا - لا تجد الإنسان قادر على فعل أشياء كثيرة لا يتمكن معه من الحركة - أو موتاً مجهزاً - يقضي على العبد ويهلكه - أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة ، فالساعة أدهى وأمر.

النبي - ﷺ - جعل من علامات الإيمان والصدق .. من العلامات للعبد الرباني صاحب الأجر العظيم عند رب العالمين:

☞ أنه يكون مسارع إلى الطاعة في الوقت الذي قد يدخل الكثيرون فيه بالطاعات ،

في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي - ﷺ - فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال "أن تصدق وأنت صحيح شحيح" .. الدنيا مقيدك، وجالس تحسبها وتفكر للغد .. تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل - أي: لا تترك الصدقة - حتى إذا بلغت الحلقوم، قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان" [متفق عليه]

يا جماعة اخرجوا الأموال وأعطوا للناس حقوقهم .. يا جماعة إني أخاف من الحساب العسير ..

الصدقة التي يسارع بها الإنسان، يكفر بها عن خطاياها، ويستوجب بها رحمت ربه .. "والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفىء الماء النار" [رواه الترمذي وصححه الألباني] .. "وصدقة السر تطفيء غضب الرب" [صحيح الجامع (3766)]

{ لَنْ تَأْلُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ .. } [آل عمران/92]

هذه الصدقة التي يسارع بها الإنسان ولا يفكر ولا يحسب ☜ هذه علامة صدق الإيمان ..

وانظروا إلى النبي العدنان صلوات ربي وسلامه عليه، وهو سيد المبادرين للخيرات .. روى البخاري عن أبي سُرُوعة عقبة بن

الحارث رضي الله عنه قال: صليت وراء النبي - ﷺ - بالمدينة العصر فسلم ثم قام مسرعاً .. النبي - ﷺ - أول ما انتهى من الصلاة قام مبادر ومسارع .. فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نساءه ففرغ الناس من سرعته .. ماذا حدث؟ .. فخرج عليهم فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته ، فقال لهم "ذكرت شيئاً من تبر عندنا فكرهت أن يجسني فأمرت بقسمته" [رواه البخاري]

تذكرت أنني قد تركت بعض الأموال في البيت، كان لابد أن أتصدق بها ..

وفي رواية قال "كنت خلفت في البيت تبراً من الصدقة فكرهت أن أبيتته" .. صلى الله وسلم وبارك على النبي محمد - ﷺ -

عندما ترون أحوالنا ونقيسها على سيد البشر - ﷺ - وترى هذا المعنى، تجد الواحد منا يقول سبحان الله أين نحن من النبي -

ﷺ - ؟

يا جماعة أنتم تقولون كلام من الصعب جداً تحقيقه الآن ! .. أتعرفون لماذا نقول هذا المعنى؟ .. وقد خطر في بالك هذا الكلام الآن ومصمت الشفاه التي أصبحت الآن موجودة أول ما تسمع هذه الأخبار .. تقول : سبحان الله ، عجبا ..

لأننا مقيدون، ولابد أن نفك قيودنا ..

ولابد أن نحطم الحواجز والقواطع التي تقطع بيننا وبين الله حتى نسارع للخيرات ..

انظروا للصحابة يعطونا المثل المحتذى، في الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه، قال: قال رجل للنبي - ﷺ - يوم أحد: أريت إن قتلت فأين أنا؟، قال "في الجنة ، فألقى تمرات كن في يده ثم قاتل حتى قتل " .. هل لازلت سأنتظر؟

عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ "مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟"، فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا أَنَا. قَالَ "فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟"، قَالَ: فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ، فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا أَخْذُهُ بِحَقِّهِ، قَالَ: فَأَخْذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ. [صحيح مسلم] .. قطع في رؤسهم .

روى مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال يَوْمَ خَيْبَرَ "لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّأْيَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ"، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ قَالَ فَتَسَاوَرَتْ لَهَا رَجَاءً أَنْ أَدْعَى لَهَا .. [صحيح مسلم] .. أي: ظللت ارفع رأسي هكذا و أشرب بعنقي؛ لكي يراني النبي فقد يعطيني الراية .. لأنه يجب الله ورسوله، فقد أخذ المتزلة ووصل للدرجة التي يعيش من أجلها .. هذا هو التطبيق العملي للمسارعين في الخيرات ..

انظروا إلى سلفنا الصالح في (الحلية) قال سفيان: عمرو ابن قيس الملاثي هو الذي أدبني ..

لنتعلم انظروا إلي أحوال المربين في السلف كيف كانوا .. انظروا إلي القدوات والأسوات؛ لكي نتأسي ونقتضي ..

سفيان يحكي عن شيخه ومعلمه الذي يُدعى عمرو بن قيس الملائمي .. يقول أن هذا الرجل: "هو الذي أدبني وعلمني قراءة القرآن وعلمي الفرائض .." .. علم المواريث .. فيحكي عن حاله، يقول "فكنت اطلبه في سوقه، فإن لم أجده في سوقه وجدته في بيته إما يصلي وإما يقرأ في المصحف، كأنه يبادر أموراً تفوته" .. تجده كأنه يستدرك أشياء .. يجرى يسارع في الطاعات والقربات .. قال "فإن لم أجده في بيته وجدته في بعض مساجد الكوفة في زاوية من بعض زوايا المسجد كأنه سارق قاعداً يبكي، فإن لم أجده وجدته في المقبرة قاعداً ينوح على نفسه".

ناس خائفة وتعمل ألف حساب لمصير صعب .. ليوم، يوم عصيب .. فتعمل له ألف حساب ..

لازلك لم تتحرك بعد !! .. لازال قلبك خافلاً!! .. ومازلت لا تريد أن تفك قيودك !!؟؟ ..

تحدى واقعك .. هيا يا جماعة بالله، نساخ كلنا في الخيرات و نجعل منه درسنا هذا بداية تصحيح

للحياة.

كان خالد بن معدان يقول "إذا فتح لأحدكم باب خير فليسرع إليه، فإنه لا يدري متى يُغلق عنه".

نحن لا نعلم متى ستغلق هذه الفتوحات .. اليوم أمامنا أشياء كثيرة لا نستغلها .. أنا دائماً أتذكر عندما أدخل على شبكة الإنترنت وأجد ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله آلاف المحاضرات، أتذكر منذ عشرين سنة عندما كان أحدهم يحفو لكي يصل إلي شريط من هؤلاء ويجول البلد من أولها لأخرها ويرسل للبلاد لكي يأتوه بكتيب أو بشريط .. الآن الأمور ميسرة ومع ذلك لم نخرج طلبة علم، ومع ذلك مازالت الناس لا تشعر بقدر النعمة. فُتِحَت الفضاءات الإسلامية ومازال الناس للأسف الشديد لم ينتهزوا هذه الفرصة وحققوا المرغوب والمطلوب .. يوجد خير بالطبع يحدث، لكن المطلوب أعلى من هذا بكثير ..

إذا فتحت لأحدكم باب خير فليسرع إليه، فإنه لا يدري متى يُغلق عنه،،

كان ذو النون يقول "الكيس من بادر بعمله .." .. هذا هو الذي فهم .. هذا هو الذكي .. هذا هو الفطن ..
 "وسوف بأمله واستعد لأجله" .. وعندما تهجم عليه الأمانى والأحلام، يسوفها ويبعدها .. المهم الآن ماذا أفعل
 .. لا تشغل بالك بغير الآن و هنا، الآن ماذا؟ أين أنا وما المطلوب مني .. ولا بد أن أسارع واستعد للأجل ..

" الكيس من بادر بعمله وسوف بأمله واستعد لأجله"

وقال بعضهم "إن الله عبادًا جعلوا ما كُتِبَ عليهم من الموت مثلاً بين أعينهم"

دائماً يضع الموت أمامه؛ لكي يُبادر قبل أن يُبادر به ..

فقطعوا الأسباب المتصلة بقلوبهم من علائق الدنيا بسكين ذبح الطمع .. بسكين الزهد .. بسكين الآخرة ..
 علائق الدنيا .. ولذلك تجدد الدمع على خدودهم، أفرشوا جباههم في محاريبهم يناجون ذا الكبرياء والعظمة في
 فكاك رقابهم ..

ذات مرة إبراهيم بن أدهم كان يمر على رجل فوجده يتحدث ويشتر و يتحدث فيما لا يعنيه، فوقف عند الرجل
 وقال له: **كلامك هذا ترجو به الثواب؟**، قال: لا، قال: **تأمن عليه العقاب؟**، قال: لا، قال: **فما تصنع بكلام لا
 ترجو عليه ثواباً وتخاف منه عقاباً؟!!** .. انظروا إلي الناس كيف كانت تحسبها واحسبوها مثلما كانوا يحسبونها؛
 لأن هؤلاء هم أئمتنا في المسارعة والمبادرة للخيرات ..

كان بعضهم يقول "لو بعت لحظة من إقبالك على الله بمقدار عمر نوح في ملك قارون، لكنت مغبوناً في العقد"

لو تضيع لحظة إقبال مع ربنا بكنوز الدنيا .. لو ضيعتها بأن يكون لك عمر نوح، والله تكون خسران والله
 تكون مغبون؛ لأنك ضيعت الصفقة الراجعة مع الله.

الخطوات العملية للمسارعة في الخيرات

دعونا نعرف الخطوات العملية ونحن وضعنا لها أساس عندما ذكرنا آية:

{إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ} [المؤمنون: 57] ..

وضعنا أساس المبادرة للخيرات والمسابقة كيف تتحقق .. لكن لو نريد الزيادة ونريد أن نعرف من أين تكون البداية .. دعوني أقول لكم على خمسة أشياء هي بحق المعينات على المسارعة إلى الخيرات ..

1) الاستعانة بالله تبارك وتعالى

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: 5]

تنكسر وتنكسري بين يدي مولى .. الواحد يكون واقف في الصلاة يقول:

لك يا مولاي نسكي وخضوعي، وحدك لا شريك لك .. أنا عبدك الضعيف .. أنا عبدك المحتاج .. أنا عبدك الفقير .. وأنت إلهي عضدي ونصيري وحدك دون سواك، فجد علي بعونك وتسديك يا رب العالمين ..

لا يكون لدي حيلة دون ربِّي .. قلبي متعلق به سبحانه .. محتاج له في كل وقت .. محتاج حوله وقوته .. محتاج يشبني .. محتاج يشب قلبي ..

ولذلك ابن القيم يقول: "التوكل نصف الدين والنصف الثاني الإناة. فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة والإناة هي العبادة" ..

كلنا محتاجين أن نحقق هذا المعنى الشريف العالي، فنستعين بالله حق الاستعانة ونتوكل عليه حق التوكل ..

{..وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ..} [الطلاق: 3]

أول شيء: نستمد العون منه، نطلب منه الحول والقوة والله لا يُضَيِّعُ الصَّادِقَ الْمُقْبِلَ عَلَيْهِ بِإِخْلَاصٍ ..

يا مه تريد التوفيق لعمل الآخرة .. يا مه تطليه تليل الصعاب التي تحول بينك وبينه ربك سبحانه .. يا مه
ترغب في نزع الشعور بالعجز مه داخلك ..

كلنا محتاجيه أه ننظرح بيه يدي ربّ عظيم .. بيه يدي ربّ رحيم .. نسأله المعونة والتسديد .. يا حي يا
قيوم برحمتك نستغيث أصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ..

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى ... أثنى الرزايا من وجوه الفوائد
وكان أول ما يجني عليه أجنانه

أول شيء نستعين .. نطلب العون والحول والقوة .. فلا حول ولا قوة الا بالله، لكي يمدنا ربنا سبحانه و تعالى
بهدية الطاقه الإيمانية.

(2) المبارزة والمجاهدة للنفس

المعين الثاني: المبارزة والمجاهدة للنفس .. ابن الجوزي في (ذمّ الهوى) يصف حالنا، حال النفس فيقول:

"أن النفس مجبولة على حب الهوى .. فلذلك افتقرت إلى المجاهدة والمخالفة، ومتى لم تزجر نفسك عن الهوى
هجم عليها الفكر في طلب ما شغفت به"

كل واحد يتعلّق بشهوة ويتعلّق بدنيا، يجد تفكيره كله فيها .. فدائماً عابد لهواه وهو لا يدري ..

لذلك وخطورة هذا الأمر خاف علينا النبي ﷺ من إتباع الهوى .. روى الإمام أحمد في المسند وصححه الشيخ

الألباني من حديث أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ "إنما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم

وفروجكم ومضلات الهوى" [صحيح الترغيب والترهيب (2143)]

خائف علينا ﷺ من شرك الهوى .. من عبودية الهوى .. من عبودية المزاج والشهوة التي صارت معلّم من معالم واقعنا للأسف الشديد .. نريد -يا جماعة - أن نتحدى هذا الواقع .. نجاهد في الله حق جهاد .. كما قال النبي

ﷺ فيما روى الإمام أحمد وابن حبان وصححه الأرئوط: " المجاهد من جاهد نفسه لله عز وجل " [صحيح

الترغيب والترهيب (1218)]

الغزالي كان يقول: اتفق العلماء والحكماء على أنه لا طريقة إلى سعادة الآخرة إلا بنهي النفس عن الهوى ..

{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (41)} [النازعات] ..

ولذلك العلماء تتابعوا .. ابن عبد البر يقول في (الاستذكار) وابن بطال كما ينقل عنه ابن حجر في (الفتح) يتواتر عنهم أن يقولوا::

جهاد الهوى نفسه هو: الجهاد الأكبر

مجاهدة النفس في صرفها عن هواها، هذا هو الجهاد العظيم و هذا هو أعلى منازل الجهاد .. السلف كانوا يداوون أنفسهم بمخالفة ما تمفوا له أنفسهم ..

سفيان الثوري كما في (الحلية) يقول: "ما عاجت شيئاً أشد عليّ من نفسي، مرة لي ومرة عليّ".

يونس بن عبيد يقول: "ما عاجت شيئاً أشد علي من الورع" .. أبو يزيد البسطاني كان يقول "عاجت كل شيء

فما عاجت أصعب من معالجة نفسي، عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئاً أشد علي من العلم

ومتابعته"

أتعلم الشيء وأشدد على نفسي وأخالفها؛ لأنها لا تريد أن تنصاع للعلم .. لا تريد أن تتبع العلم .. كم سمعنا

من دروس .. لماذا نحن شاردون؟؟ - يا جماعة - أليس هذا يحدث ؟

قولوا لي بالله: ما هي قناعتكم وأنتم تسمعون كلامي هذا؟ هل تشعرون أنه صعب؟ هل تشعرون أنه بعيد؟

تشعرون إنكم بمنأى عن هذا المعنى والشيطان ركب فيكم الاحساس بالضعف والعجز .. يا شيخ، عما تتحدث؟!!

فحالتنا لا يعلم به إلا الله، نحن مصابون بانتكاس معنوي، نحن في غفلة .. نحن تائهون .. هذا هو الذي تتلقون به العلم؛ ولذلك لا يحصل الإتياع ولذلك لا يحصل العمل ولذلك نسمع وكأننا لا نسمع!!

{إِنْ شَرَّ الدَّوَابَّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (22) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (23)} [الأَنْفَال]

يا ناس .. يا كل مه بسمعي .. يا أمة النبي محمد ﷺ، كفتا صغارا وكفتا ذل أمام أنفسنا .. يلقي أن الأمة تذبذب ونحنا نحافون .. إلي متى سنظل شاديه ؟ .. يا كل مه بسمعي، خذ الخطوة .. ضح يدك في يدي، اعرف ربك وطير بقلبك لرئك .. خذ الخطوة .. الطريق ممهد قبل أن يُغلق .. الأبواب مفتحة .. هلم إلى ربك ..

{..اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ..} [الأَنْفَال: 24]

أنت لا تدري حالك قد ينقلب ..

{..وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الأَنْفَال: 24]

يا ناس، نريد هذه المعاني تُفعل .. يكفي على أنفسنا هذا جداً .. يا ناس، بالله أحسنوا السماع لهذه المعاني واجعلوها منهج حياة من اللحظة التي تسمعون فيها هذه الكلمات والجائزة عظيمة، لكن مَنْ يُقَدِّرُ؟؟!

ابن القيم يقول عن بعض العُباد: عاجت قيام الليل سنة وتعمت به عشرين سنة.

هي لحظة تحدي .. لحظة إصرار، هممة تعلو وإرادة صلبة ..

والجائزة :: : أنس ولذة وسعادة .. سعادة العمر .. سعادة الحياة ..

كل هذا مكتوب لك لو أخذت نفسك بلجام المجاهدة،،

ذكر الغزالي في (الإحياء) عن ثابت البناني قال: كابدت القرآن عشرين سنة ثم تعمت به عشرين سنة.

هل تريدون أن تجاهدوا أنفسكم ؟ قل لنفسك وقولي لنفسك :: : ما آخرها ؟ ما هي عاقبة الإنغماس في هذه

الشهوات؟؟

ذُكِرَ عن قتادة أنه كان يقول: إن الرجل إذا كان كلما هوى شيئاً ركبهُ .. إذا أشتهيت أشتريت .. كلما إشتهى شيئاً آتاه، لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى .. فهذا الذي اتخذ إلهه هواه ..

يجي بن معاذ كان يُروى عنه أنه يقول: من أَرْضَى الجوارح في اللذات، فقد غرس لنفسه شجر الندامات.

﴿ فالخطوة الثانية المعينة على الطاعة بعد الاستعانة: : مجاهدتك لنفسك،،

يا جماعة نريد أن نقول لأنفسنا: لا .. نريد أن نقول لأنفسنا التي تريد الراحة: لا ..

الراحة عند أول قدم نضعها في الجنة ..

نريد لأنفسنا التي تحول بيننا وبين العلم النافع والعمل الصالح والدعوة ونقل الخير إلى الغير .. نريد أن نقول لها:

لا، نحن لسنا عبّاد للدين، نحن لسنا عمّال دنيا ، نحن عبّاد وعمّال للآخرة ..

يا مجتهداً في تحصيل نعيم اهلولى اجعل أعمال الآخرة في حياتك هي الأولى،،

3) الاحتساب

المعين الثالث : أن نستحضر ثواب القُرْبَات، المعين الثالث: الاحتساب .. "إن لك ما احتسبت" ، الله رغبنا بثواب الطاعات وثواب الإقبال عليه .. تجد في غير ما آية البشارات : { وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [البقرة: 25]

يُرغبنا بالنعيم المقيم، بالنعيم الدائم الذي لا يزول، يُرغبنا النبي ﷺ في غير ما حديث، أحاديث فضائل الأعمال وبها من كثرة .. بعمل صغير تنال الأجر الكبير ..

تقول كلمة خير تدعو إلى هدى، يكون لك من الأجر مثل أجور من تَبِعَكَ لا ينقص ذلك من أجرك شيء كما قال - ﷺ - في الحديث في صحيح مسلم .. لما مجرد مثلاً أن تسمع النداء فتقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، تحل عليك شفاعة النبي - ﷺ - كم قد رَغَبْنَا رَبَّنَا وَرَغَبْنَا نَبِيَّنَا - ﷺ - في جنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .. ضعوا هذه المعاني أمام أعينكم، واستشعروا مقدار نعيم الجنة لكي يتولد الشوق .. الشوق لرؤية ومرافقة النبي - ﷺ - في الجنة .. الشوق لرؤية الله سبحانه وتعالى في الجنة، ونختار الجار قبل الدار ..

{ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ .. } [التحريم: 11]

إذا أحسست هذه المعاني وتدارستموها، يتولد الإحساس وتتولد الطاقة .. وتجذ نفسك مسارع في الخيرات وسابق لها.

4) قِصْرُ الْأَمَلِ ..

المعين الرابع: قصر الأمل .. طالما أنت متقرب الموت، طالما أنت متصورة أهوال الآخرة، طالما أنت عارف بعلم وبيصر قرب الرحيم ، طالما أنت تعلمين سرعة انقضاء الحياة .. طالما هذه المعاني على بالنا تكون قلوبنا سليمة ، ستجد الدنيا لا قيمة لها، ستجد عملك تقوم به بجد واجتهاد، ستغتني الوقت، ستستهزئ الفرص .. لأن عندك يقين بأن كل نفس ستدوق الموت ، لأن عندك يقين : { قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [الجمعة: 8]

ستجد نفسك تريد أن تُذَكِّرَهَا بهذا المعنى، معنى { .. لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ } [الشورى: 17]، فستجد على لسانك ذكر هادم اللذات، "فإنه ما ذكره أحد في ضيق إلا وسعه ولا ذكره في سعة إلا ضيقها عليه" [رواه ابن حبان وحسنه الألباني] .. يكون عندك اعتدال .. ستجد نفسك مثلما ذكرنا في أحوال السلف تزور القبور؛ لأنهما تذكر الآخرة .. لأن القبر منزل بين الدنيا والآخرة، فمن نزله بزاد ارتحل به إلى الآخرة إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

قال مالك ابن مِغْوَل : "من قَصَرَ أمله، هـان عليه عيشه"

الذي يقوم بهذه المعاني الأمور ستكون هينة جداً ،

قال النضر ابن المنذر: "زوروا الآخرة بقلوبكم وشاهدوا الموقف بتوهمكم"

تحيلوا لو واقفين أمام ربِّ كريم، ماذا سيكون حالنا؟

"وتوسدوا القبور بقلوبكم واعلموا أن ذلك كائن لا محالة، فاختاروا لأنفسكم"

أي مكان ستختار لنفسك؟! .. يا عبد الله، يا أمة الله .. إياكم أن تلهيكم الدنيا ..

{ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِيهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [الحجر: 3]

إياكم أن تفهموا أن الأمل سيقف في زمن أو في عمر .. "لا يزال قلب الكبير شابا في اثنين، في حب الدنيا

وطول الأمل" [متفق عليه] ..

إياكم أن تفهموا أن الأحلام التي يُعَيْشُنا فيها الشيطان وهذه الأمان، أنها لن تقطع بيننا وبين الله .. فركوب بحر الأمان من أعظم مفسدات القلب ..

وكان الحسن يقول: "ما أطال عبدُ الأمل إلا أساء العمل"، وقال الفضيل : "إن من شقاء ابن آدم طول الأمل

وإن من النعيم قِصْرُ الأمل".

نريد أن نفكر بطريقة صحيحة ونُفَعِّلَ هذه المعاني، كثيراً ما سمعنا عن طول الأمل وقصر الأمل والأحاديث والآيات ، لكن لماذا ليس عندنا يقين ؟ .. هل من الممكن لأننا نسمع بطريقة خاطئة؟ .. نسمع وكأننا لا نسمع:

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} [الأنفال: 21] ..

هل من الممكن أننا نتلقى العلم بطريقة خاطئة، أم أن المشكلة بالقلب واللبان الذي عليه؟ .. أم أن المشكلة في

التسوية؟

يا جماعة، كونوا كما حدثنا سلفنا: **إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ..** ألم تمر عليك في حياتك آيات تقول لك هذا المعنى؟ .. ألا توجد وقائع وأحداث في حياتنا، قالت لنا هذا المعنى؟ .. لماذا هذه المعاني لا تترسخ في قلوبنا؟ .. نريد أن نسمع بطريقة صحيحة وننفذ بطريقة صحيحة ..

{وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك: 10]

إذا ترسخ هذا المعنى، وأنا أمركم غير موجب عليكم ولكن أمر مشفق .. أمر محب .. يشغلني والله حالكم، لأنكم في رقبتي، وأخاف عليكم مما أخاف على نفسي ..

← اسمعوا محاضرة (لعل الساعة قريب)

الذي سَمِعَهَا يسمعها مرة أخرى .. يسمعها بأذن واعية، وينظر إلى المعاني التي وردت بها ويتذكر هذه الأمور، من الممكن أن يُشرب القلب المعنى هذه المرة بطريقة صحيحة، ويمكن الحياة تصبح بطعم ولون آخر .. طعم الآخرة .. نريد أن نفعل هذا المعنى ونتذكره ، لعل هذه المرة يقع في قلبنا موقع التصديق واليقين.

5) فهم طريقة التقرب إلى الله سبحانه وتعالى

المعين الخامس : أن تفهم طريقة التقرب إلى الله كيف تكون ، تحتاج أن تعرف كيف يحبك الله سائر إليه ، حتى تجري إليه وتسارع إليه .. يجب أن تعمل وتديم على عملك، كما قال النبي ﷺ لما سئل: أي الأعمال أحب إلى الله؟، قال "أدومه وإن قل" [صحيح الترغيب والترهيب (3174)] .. وكان عمله كما تقول أمنا عائشة: ديمة، كان إذا عمل عملاً أثبتته ..

نريد أن نفهم هذا المعنى، نعمل ونستمر ونرتفع خطوة بخطوة .. ولكي يحدث ذلك، لابد أن يكون لدينا نوع من التوازن في العبادات .. في طلب العلم والعبادة والدعوة .. يكون عندنا اتزان في حياتنا كما قال النبي ﷺ - "والقصد القصد تبلغوا" [متفق عليه] ..

عندما دخل رسول الله ﷺ المسجد . وحبل ممدود بين ساريتين . فقال " ما هذا ؟ " ، قالوا: لزيب، تصلي . فإذا كسلت أو فترت أمسكت به . فقال " حلوه . ليصل أحدكم نشاطه . فإذا كسل أو فتر قعد" [صحيح مسلم]

ودخل النبي ﷺ - على أمنا عائشة وكانت عندها امرأة فقال من هذه ؟ فقلت امرأة لا تنام ، تصلي ، قال: "لا تنام الليل! خذوا من العمل ما تطيقون فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا" [صحيح مسلم]

لا بد أن يكون عندنا نوع من الاتزان ما بين الإفراط والتفريط، لا بد أن نفقه طريق التقرب والمسارة بالخيرات كيف يكون ..

لو فاتنا شيء نكون على علم بقانون الاستدراك: "من نام عن حزيه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتِبَ له كأنما قرأه من الليل" [رواه مسلم]

نستغل الفرص التي نكون فيها أكثر نشاطاً:

ابن مسعود كان يقول : "إن لهذه القلوب شهوة وإقبال، وإن لها فترة وإدبار ، فخذوها عند شهوتها وإقبالها، ودعوها عند فترتها وإدبارها"

نريد أن ننوع ما بين الأعمال ، انظروا الحديث المشهور .. حديث الترية، الذي أخذنا منه قاعدة المتابعة التربوية من قبل سيد البرية ﷺ، عندما قال: "من أصبح منكم اليوم صائماً؟"، قال أبو بكر: أنا، قال "فمن تبع منكم اليوم جنازة؟"، قال أبو بكر: أنا. قال "فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟"، قال أبو بكر: أنا . قال "فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟" . قال أبو بكر: أنا . فقال رسول الله ﷺ "ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة". [رواه مسلم]

نوع ما بين العبادات ،

أنت لا تستطيعين أن تكوني طالبة علم، ممكن تكوني عابدة .. العبادة والقيام والصيام ليست بابل، ممكن تكوني داعية .. من قال، كل واحد منا لديه قدرات .. أنت ترى نفسك في أعمال الخير، اثبت وزد وارثقي ..

أنت ترى نفسك في طلب العلم، نريدك أن تكون - بالله عليك - صخرة تسد علينا ثغرات .. نريدك أن تقف مجاهد في سبيل الله ضد الشهوات والشبهات، التي ملأت الدنيا ..

نريد أن نفقه كيفية التقرب ..

نعرف مراتب الأعمال .. نعرف فقه الفاضل والمفضول، متى نسيح ونذكر ومتى يكون الذكر أحب لله من الصلاة، ومتى تكون الصلاة أحب، ومتى العلم يكون أحب، ومتى تكون الصدقة أحب .. هذا الموضوع يحتاج فهم ويحتاج فقه ويحتاج تأمل ، والموضوع ليست له قوانين ثابتة؛ لأنها تختلف باختلاف أحوال الناس، حتى نسارع في الخيرات ... اعرف أين مكانك وتقرب به لرب الأرض والسموات ..
نريد أن نفهم ونوسع دائرة التقرب لله سبحانه وتعالى، ونكون من المتاجرين مع الله ..

← استمعوا لمحاضرة (تاجر مع الله)

وأنا اليوم أحييكم - لهذه المحاضرات - لأن المعنى محتاجين لفصله كثيراً ونعيشه، كيف يتاجر أحدنا ويحتسب الأجر في كل شيء فيعظم الأجر ..

احتسب الأجر في المباح .. نومك عبادة، أكلك عبادة، سيرك عبادة، حركاتك عبادة، سكناتك عبادة، حتى الشيء الذي لا يفكر فيه الواحد منا أنه يكون كذلك، حتى اللقمة تجعلها في في إمرأتك صدقة مقبولة إن شاء الله عند رب العالمين ، نريد أن نفهم كيف نحقق:

{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأُنعام: 162]

نريد أن نعرف أن الواحد إذا همَّ بعمل خير سيكون من المسارعين في الخيرات؛ لأن : "من همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن همَّ بعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة" [متفق عليه] .. وهذا الحديث عندما يقرأه عالي الهمة، ينظر على سبعمائة ضعف ويتمنى .. ينظر على أضعاف كثيرة ويقول: وأنا لا ، لماذا؟، لماذا عملي لا يضاعف بملايين ، بمليارات، وما ذلك على الله الغني بعزير،

﴿ نريد أن نحسه المتاجرة مع الله، ونناجر ونسارع في الخيرات،

نعرف أكثر من قربه في العمل الصالح الواحد .. تدخل المسجد تعتكف، وتنتظر الصلاة .. تأكل بنية حفظ النفس والتقوي على أعمال البر ، فتعد نيتك في العمل .. فتسارع في الخيرات، فتفقه كيفية الظفر بالأجور .. وتمرن نفسك عليها، فتحصل جبال الحسنات،،

بالله، يا مه تبغون الرفعة، لا تتركوا أنفسكم هكذا، فما نحه إلا في مزحمة، مه يجني منها أكثر بعلو عند الله قدره، وترتفع في الآخرة منزلته ...

فبادروا إلى العمل قبل أن يبادر بنا، فإنك عندها تغتبط وتفرح وتسعد بمبادرتك إلى الخير .. وإلا ستندم ولان حيه مندمي على التفرط في أعمال البر .

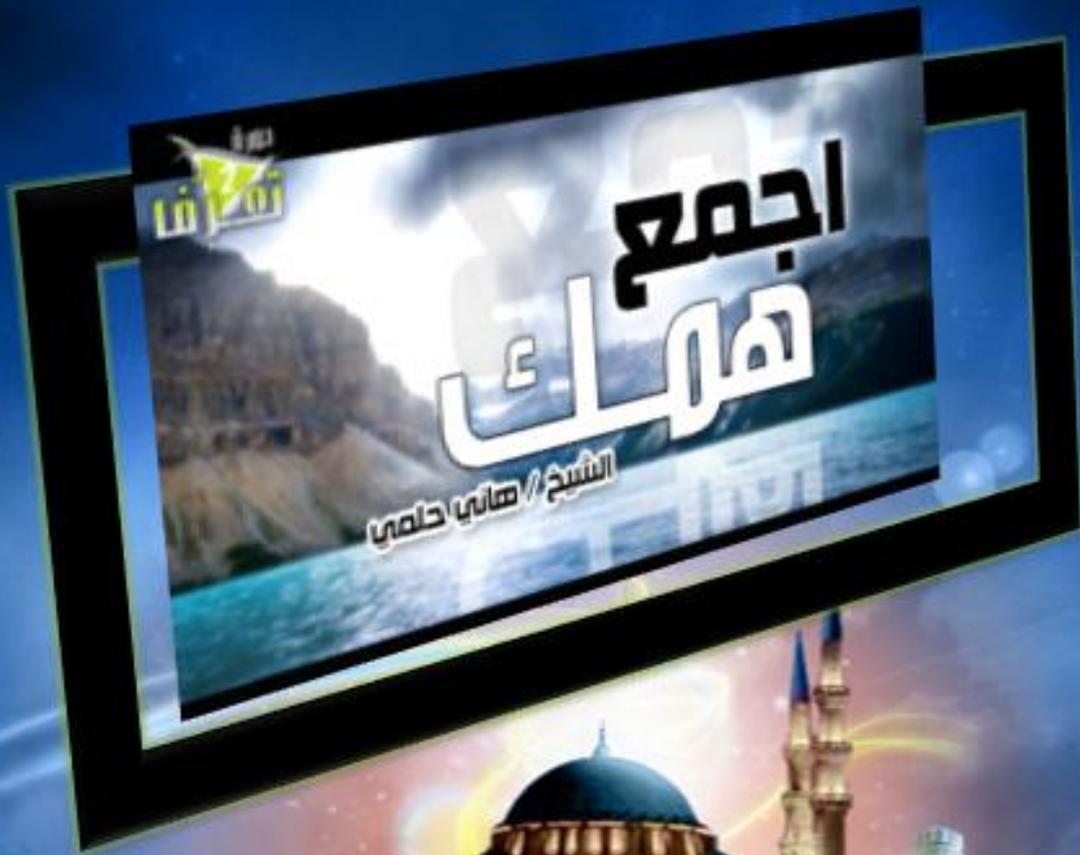
أتمنى أن يعجزون العجزاء حذاء قلوبهم، وحذاء قلبي قبل أن يحذاء قلوبهم ، أتمنى أن أحمس هذا المعنى وتعيشنوه معي ، ونعيشه مع الله سبحانه وتعالى ، وقلوبنا طائفة ملاقة في السماء ، وهممنا عالية ، وهممنا في الثريا ، ونحن مقبلين لوجه رب مجير .

يارب يارب تقبلنا بقبول حسن ، وأنبئت في قلوبنا هذه المعاني نباتا حسنا ، واصنعنا على عينيك .
يارب يارب تقبلنا منا إنهم أنت السميع العليم وتب علينا إنهم أنت التواب الرحيم .
فستجرون ما قلت لهم وأفوض الأمر لولي الأمر سبحانه .. إنه سبحانه بصير بالعباد

سبحانك اللهم ربنا وبصهدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك
وصل اللهم على النبي وصهد وعلى اله وصصه وسلم.

فضيلة الشيخ / هاني حلمي

مناجاة



مضيفة الشيخ

هاني حلمي

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



الحمد لله وكفى.

وصلى الله وسلم وبارك على النبي المصطفى. وآله المستكملين الشرف

ثم أما بعد؛

فنسأل الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا

علما ينفعنا

ربنا أتنا من لدنك رحمة، وهى لنا من أمرنا رشدا

اللهم أنزل على قلوبنا من أنوار معرفتك.

اللهم استودع قلوبنا معاني أسمائك وصفاتك.

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

اللهم اجعل ما أقوله وما تسمعون حجة لنا لا علينا

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك على حلمك بعد علمك

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك على عفوك بعد قدرتك

ما زلنا في رياض معرفة الله تبارك وتعالى ،
ومن خلال مدارسة علامات من عرف الله ،
نضع أنفسنا أمام مرآة ترينا حالنا مع الله تبارك وتعالى ،
وهل نحن بحق نصلح أن يُطلق علينا بأوصاف الإيمان، ومعاني الإلتزام ؟

إذا حققنا تلك العلامات، فإن شاء الله يكون ذلك طوق النجاة في معترك الفتن الذي نعيشه.

واليوم، العلامة، علامة تشغل بال كل واحد منا، علامة تناقش قضية من أخطر القضايا الواقعية في حياة كل مؤمن ومؤمنة،
قضية شتات الأهداف، قضية تفرّق الإنسان بين وظائف عدة وبين هموم شتى، لا يدري كيف يجمع شمله وهمّه
على الله تبارك وتعالى، لأجل ذلك، عندما نذكر أقوال السلف في هذا الباب، بمنتهى الواقعية نستبعدها، ونظن أن هؤلاء
يتكلمون عن أشياء حالمة بعيدة كل البعد عن التحقيق وعن التحقق في الواقع.

علم ما كنا تنكم ؟

عندما تذاكرنا علامات العارفين في المحاضرات الأولى، ذكرنا فيها قول يُنسب لأبي يعقوب السوسي حين سئل: "هل
يتأسف العارف على شيء غير الله تبارك وتعالى؟"، فقال الرجل: وهل يرى غيره فيتأسف عليه؟"
شخص يقول له : هذا يتكلم على اعتبار أنه واحد من الذين يسلكون الطريق إلى الله عز وجل، يقول: الواحد عندما يندم،
بمعنى أنت قبل الإلتزام، أنتِ قبل أن تعرفي طريق الرحمن، تكون نادماً على الأيام التي ذهبت وأنت لم تصلي فيها، ولم
تمسك فيها مصحف، ولم تتعلم فيها، وأنت وأنت

فيقول الواحد الكذب عرف الله يتحسر ويتأسف على شيء غير الله؟

فقال له: هل هناك أصلاً في قلبه شيء آخر غير الله حتى يتأسف عليه؟، فقال: فبأي عين ينظر إلى الأشياء؟

بأي عين ينظر على الدنيا من حوله؟ كل شيء قاطع، كل همّ شاغل

قال: ينظر إليه بعين الزوال والفناء

هذا مصداقه حديث النبي - **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - الذي رواه الحاكم في المستدرک والبيهقي وحسنة الألباني، لما قال -
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - " أتاني جبريل فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه "، من شئت، كل
شيء سَتَشغَل به وتُحِب أن تُحَصِّلَه سيفارقك، هذه هي عين الزوال والفناء، هذه هي حقيقة الدنيا، فلو نظرت بهذه العين

إلى الأشياء تجردت عن الهموم التي تقطع بينك وبين الله، لكن الشيطان يُزَيِّن والنفس تُسَوِّل، وأنت تُشغل بمثل هذه الأمور، والمعنى لا يصل إلى قلبك بالدرجة المطلوبة .
نحن نحتاج في هذه النقطة ابتداءً ونأصل بها درسنا اليوم، نحتاج برمجة إيمانية مختلفه في هذا المعنى تحديداً،

كيف تنظر إلى الأشياء ؟

سنقول أن العلماء يقولون: المفروض أنه عندما أنظر إلى الأشياء أنظر إليها على أن الله هو الفاعل لها، فهو لا ينظر إلى الأشياء بنظرة مجردة، إنما ينظر إلى هذه الأشياء على أن من ورائها حكمة الحكيم وتديره سبحانه وتعالى، فلا يرى هذه الأشياء بشكلها الذي أمامه، بشكلها الذي قد يفتنه أو يُزين له، وإنما يرى من ورائها رب، فيرى الله في مثل هذه الأشياء، يرى الله الفاعل لكل شيء حوله.

إذن المستهينات التي سنهجم النفس إليها، لا ينظر إليها هكذا، هذه المستهينات من الظاهر يعرف أنها فانية، إنما من ورائها رب هو الذي فعلها، وهو الذي دبرها وهو الذي خلقها، فينظر إلى هذه الأشياء بهذه العين، عين الفناء والزوال على اعتبار أنها من أمامه ويرى من ورائها الرب تبارك وتعالى .

قال يوسف ابن علي: " لا يكون العارف عارفاً حقاً، حتى لو أعطي مثل ملك سليمان - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - لم يشغله عن الله طرفة عين ."

أن الدنيا لا تفتنه، كيف ذلك ؟

قالوا له حتى لو الدنيا معه، حتى ولو كان أغنى أغنياء الأرض، قلبه لا يلتفت، هذا معنى ألا تكون هذه الأشياء في قلبك، وإنما قد توجد في يدك.

لما سُئل الإمام الزُّهري: " ما الزهد؟"، قال: ليس الزهد بتشيعيث اللمة، ولا كشف الهيئة

قال لهم ليس الأمر أن يكون شعرك غير منظم، ويكون ثوبك مُغبراً، وتكون في الظاهر هيئتك تدل على أنك منقطع عن الأشياء لله تبارك وتعالى

ولكن الزهد صرف النفس عن الشهوة "

الزهد الحقيقي أن هناك أشياء ستقطع بينك وبين الله سبحانه وتعالى، فأنت كيف تزيلها؟، وكيف تتفاعل وتتعامل مع هذه الأمور الموجودة في كل واحد منا؟.

علامة سكنون القلب إلى الله أن يكون بما في يد الله أوثق منه مما في يده

الذي في يدي من الأشياء التي تفتن، الأشياء التي على يقين منها، أنا الآن نقودي في جيبي، ونقودي هذه من الممكن أن أفعل بها أشياء كثيرة مما أحب، لكنني لا أنظر إليها بهذه العين، أنظر إليها يعين الزوال وأرى أن الذي أخبرني به الله سبحانه وتعالى من النعيم، هو الذي ثقني فيه أكثر من ثقني في النقود التي في جيبي، والزوجة التي في بيتي، وسيارتي، أنا أوثق في هذا النعيم الذي في الجنة ورؤية الله ورفقة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهذه المعاني، أنا أوثق وأيقن من الذي في يدي من الأشياء التي لا يماري فيها أحد من أنها ملكي، ويخصني، هذا هو.

وقال الشيلي: "العارف لا يكون لغيره لاحظاً"

عينه لا ترمش نحو .. ياه بيت أنيق جداً .. ياه هذه السيارة بها خصائص ممتازة جداً ... ياه فلان هذا أكيد مرتاح، نسمع عن زوجته كل خير، ياه .. لا ينظر، الألواح التي على الطريق، الإعلانات الموجودة التي تقول " هيت لك " لا ينظر إليها، لا يذهب، عينه لا تلتفت، **شعاره** { ... وَلَا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ } [الحجر / 65]، فلا يتلفت، فلا يصل متلفت.

قالوها قاعدة من قواعد الوصول إلى الله عز وجل: لا يصل متلفت.

تصوروا واحد يسير كل فترة ينظر يمين، حتى وأنت سائق وأنت لا تقدر أن تضغط على البنزين وتجري، لأنك تلتفت، إنما واحد مركز تماماً فيقدر على الوصول سريعاً.

فقالوا: " لا يكون لغيره لاحظاً، ولا بكلام غيره لاحظاً "

وأصلاً هذا لا ينشغل بقليل وقال، لا ينشغل بأحوال الناس، ولا ينشغل بأنه يتكلم فيما لا يعنيه، هو قرآني، يتكلم بكلام ربه، وحين يتكلم يتكلم عن ربه، وحين يجلس مع الناس يحدثهم ويثني على ربه فيحجب الخلق في الله تبارك وتعالى، فلا يكون بالكلام الذي ينطقه بغير الله يلفظ، وإنما عن الله وبالله يتكلم، ولا يرى لنفسه غير الله حافظاً، فلا يقلق ولا تتتابه مخاوف الناس، لأنه دائماً أبداً مستشعر { ... فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } [يوسف / 64]

جمع الهم والشمل على الله تبارك وتعالى

فهذا الكلام يدور حول معنى جمع الهم والشمل على الله

ويدور حول تفعيل اسم الله **الهمد** في حياتك، فالصمد هو المقصود الهدف الطريق،
تفعيل اسم الله **الأول الآخر** فهو أول الطريق وآخر الطريق { **إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ** } [العلق / 8] النهاية عنده،

فعندما يكون الطريق واضحاً تماماً أمامي وعندما أفعل هذا المعنى سيجمع عليه الشمل

ولكن كيف يحدث ذلك وكيف أصل لمرحلة أن أستطيع أن أركز وأحصر ذهني في هدف واحد هدف رضاه والوصول إليه؟

فهذا هو ما نريد أن نتذكره، فتعالوا في البداية نرى حديث القرآن عن هذا المعنى، بشكل مضطرد، أول شيء كل الآيات التي تكلم الله فيها عن التوحيد والشرك تصلح لأن تكون دليلاً على هذه العلامة وأي آية يتكلم الله فيها عن تأصيل معنى التوحيد والشرك، لأن التوحيد هو الذي نتكلم عنه **انك تجمع شملك على الرب الواحد الأحد سبحانه وتعالى الوتر.**

من القرآن

① فلما تتذكروا مثلاً قول الله تبارك وتعالى: { **فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ** } [الذاريات / 50] { **وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ**

اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ } [الذاريات / 51]

فلا ينفع أن قلبك يُحب غيره، فلا ينفع أن قلبك يذلل ويخضع وينكسر لغيره، لأنه لا يوجد أحد يصلح أن يأخذ هذه الوظيفة من قلبك، فلا ينفع لأحد أن يشارك الله في ذلك.

فهو يقول لك فر لي لأنك ستنتشنت في أودية الدنيا، لو ذلقت شمال ويمين بعيد عن الله سبحانه وتعالى، فستهلك ويصيبك الاكتئاب والأمراض النفسية والاضطرابات والعلل، وسترى التنغيص فيما تستهسنه وتقبل عليه غير الله.

فيقول الله { **فَقَرُّوا...** } أي اذهب له، واجري عليه، وتخلص من قيودك لأنك مكبل بهذه الأشياء، فتخلص منها وفر إلى الله عز وجل، { **...إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ** } { **وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ...** } لا محبوب لا يُخضع لسواه سبحانه وتعالى { **...إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ** }

والآية ليس بعادة القرآن أن يلح على هذا الختام مرة تلو الأخرى، فلو في غير ما نعرف من أسلوب القرآن كان مثلاً نهى الآية بشيء آخر، يركز على هذا المعنى {...إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} {وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ}

فهذا التكرار وهذا التأكيد على هذا المعنى يقول اجترسوا فأعظم مصيبة ستبتلون بها فإنني أنذركم وأهذركم وأعطيكم هنا الضوء الأحمر قف ولا تلتفت

{...إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} فالقصة واضحة والطريق واضح لكن أنت تريد أن تمشي يمين وشمال فستضيع وتهلك {...وَجَاءَكُمْ التَّذْيِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ} [فاطر / 37] فهذا مثال.

① المثال الثاني انظروا إلى هذه الآية والمعنى الرقاق الذي أشار إليه بعض العلماء حوله قال الرحمان في سورة الزمر {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر / 29] {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا...} فالآية تقول أن هذا المثل ضرب للمشرك والموحد {...رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ...} أي مختلفون متخاصمون {...وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ...} أي خالص {...هَلْ يَسْتَوِيَانِ...} ؟ فجعل الله مثلاً للمشرك حسبما يقوده إليه مذهبه من ادعاء كل من معبوديه عبوديته.

أي أن هذا عبد يتشارك فيه جماعة ويتجادبونه في مهماتهم المتباينة فهذا يطلب شيء وهذا يطلب شيء آخر، فتصور أن أحداً لديه خادم يعمل في بيت به أكثر من فرد، الوالد والوالدة والابن والزوجة، وكل فرد يطلب من هذا الخادم شيء، الأب طلب شيء، والأم طلبت شيء، والابن طلب شيء، وزوجة الابن طلبت شيء، فكيف يعيش هذا الخادم؟ لو كل واحد بهذا الشكل.

وواحد خادم لشخص فقط فيعيش مستقر وهادئ بلا مشاكل...

{...هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا...}

هذا استفهام إنكاري، يقول الأمر في منتهى الجلاء والظهور بحيث لا يستطيع أحد أن يتفوه بأن هذا يستوي مع هذا.

① وانظروا للأمثلة التي سنصل منها للمعنى الذي أريد أن أصل إليه وهو **تفريغ القلب لله وجمع الهم والشغل عليه**، وقالوا أن هذا اعتُبر بحال الوالدين إذا اختلفا على الولد، فالأم تقول شيء، والأب يقول شيء آخر، والولد لا يستطيع فعل شيء بينهم، فإنه يعصر إرضائهما إلا بمشقة، وكذلك من يعبد مع الله إلهاً آخر، عابد الأوثان مثلاً، فإنه معذب الفكر ومتى توهم أنه أرضى واحداً في زعمه تفكّر فيما يصنع مع الآخر، وقالوا هذا في المصانع للناس الذين هم أصحاب الوجوه قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** "من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم

القيامه"، فهو مُصانع الناس فلهذا بوجه وللاخر بوجه ثان ومع كل واحد بطريقة، فهذا مطلوب أضحك معه وهذا مطلوب أتكلم معه بجدية وهذا مطلوب أعمل معه كذا وكل واحد يريد أن يرضيه.

فتلمس رضا الناس يشنت القم

فواحد يريد أن يرضي زوجته وأمه ولا يستطيع ماذا يفعل في هذه القصة؟ فهذه مشكلة حياتية عائلية مشهورة وهو يريد أن يرضي ابن له وابن آخر إذا فعل لهذا الابن كذا وكذا الابن الآخر سيفعل له مشاكل فلا يستطيع أن يرضيهما الاثنين فيفعل كذا ولكن فيها إجحاف لأن هذا أصلح من هذا فيقع في مشكلة ماذا يفعل، فهو مشنت الهم ما بين هذا وذاك، وكذا أحد أصدقائه يريد أن يأتي معه اليوم في فرح أصدقاءه، وآخر يريد في موضوع مهم يجب فعله وهو يريد إرضاء الاثنين ولا يستطيع...

فتلمس رضا الناس يُفسد

"ومن أَرْضَى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس فتشتت به الهموم" إذا إرضاء الواحد أسهل وأيسر.

فما الفائدة؟

قالوا لا يستوى القلب المشرك أو المشترك، مع القلب المفرد الخالص

فالقلب المشترك أو المشرك هذا تتفرق همومه وتشتت أنواره بتشتيت شواغله وعلائقه وتفرق محباته وتفرق أهوائه وحظوظه.

أما القلب المُفرد فيجتمع محبته وتتوفر أنواره وأسراره فكما لا يحب سبحانه العمل الذي يشاركه غيره "أنا أغنى الأغنياء عن الشركاء فمن أشرك معي غيري وكلته إلى شركه"، فكذلك لا يحب القلب المشترك.

فقالوا - بخذوها قاعدة - فرغ قلبك من الأغيار يُملاً بالمعارف والأسرار فانزع منه كل شيء قاطع يُملاً هذا القلب إذا بالخيرات والمعرفة بالله تبارك وتعالى.

كيف السبيل للوصول إلى الله تبارك وتعالى

جاء شخص إلى الجنيد فسأله سؤال في غاية الدقة، قال له كيف السبيل إلى الوصول؟
ماذا أفعل لأصل إلى الله؟

قال له: أمامك خمس أشياء لو فعلتها ستصل إلى الله وقبلك يكون بالفعل جمع شمله على الله عز وجل:

1- توبة تزيل الإصرار

أي تمحو عنك الإصرار على الذنوب.

2- خوف يقطع التسويف

انتبهوا يتكلم على ما يقولون عليه الآن العلماء المعاصرين أو بتعبير ابن القيم **العلائق**.. الروابط عن الأشياء التي تسجنك عن القيود، ما هذه القيود؟

القيود الأول هو **الإصرار** فقال نحتاج لنوع في التوبة مُختلف، توبة يكون لها وقع قطع السكين فتقطع أول عالق أول رابط وهو اسمه الإصرار والاعتیاد على ذنب معين وحب الذنب وتعلق القلب به فنحن نحتاج توبة تزيل الإصرار. **وثاني** شيء نحتاج **إلى خوف يلهب جماسة الإنسان ويفجر طاقته** فيقطع التسويف.

فبالله عليكم، حال واحد خارج من قبره مستشعر، أو رأى حادثة أمامه، أو رأى موت فجأة أمامه، أو رأى أي نذير من النذر، فهل حاله في الهمة والنشاط، كحال واحد يسمع موعظة، وهذه هي شاحنته الإيمانية، ليس يكون كذلك، فعادةً عندما يشاهد أحد معنى أو يترسخ عنده هذا المعنى، **يشعر أن لا يوجد وقت**، فإحساسك بمرضان وإحساسك بعمرة عشرة أيام تريد أن تعمل فيها وتُسرع وتُحز فتقطع التسويف فلا يمكن أن نقول غدا لأن الوقت ضيق فإحساسك ب{... لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ} [الشورى / 17] خوف يقطع التسويف.

3- ورجاء يبعث على العمل

فلا يمكن أن يكون هناك عدم اتزان فمن يأخذ هذا الكرباج يمكن أن يجري، ولكن بعد قليل ألمه هذا يمكن أن يوقفه بعد فترة، والمطلوب أن يكون هناك حادي للأرواح إلى بلاد الأفراح على تعبیر ابن القيم وهذا الحادي هو **الرجاء وبسن الظن في الله سبحانه وتعالى** . . رجاء يبعث على العمل.

4- قال: وبإهانة النفس بقربها من الأجل وهذا هو مجاهدة النفس وزجرها عن الشهوات والمألوفات

قال ما هو أعظم زاجر؟ هو {... وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الأنفال / 24] {... اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الأنفال / 24]

فأعظم زاجر هو استشعار مشاهد القيامة، استشعار قرب الأجل، استشعار أن الوقت قصير، فاستشعار هذه المعاني يبعث في النفس المجاهدة وتُهيئها لله.

5- بُعد النفس عن الأمل

"لا يزال قلب الكبير شاباً في حب اثنتين : في حب الدنيا وطول الأمل"

[صحيح البخاري]

فبالتالي يقصر أمله، فيحرص على الإنجاز في عمله.

حسناً أين محل الشاهد؟ هذا الكلام جميل جداً.

فقال له الرجل وبم يتوصل إلى هذا؟ وهؤلاء الخمس أشياء... قد قلت لنا توبة وخوف ورجاء

وإهانة نفس وقصر أمل. فكيف نصل إلى هؤلاء الخمس؟

✓ قال بقلب مفرد، فيه توحيد مجرد ✓

قال القصة بأكملها في التوحيد، كل القصة في جمع الشمل، القصة كلها أن يكون الله فقط في حياتك، فلو أن هذا وُضع يأتي ما بعده، فأصل الأصول معرفة الله تبارك وتعالى، وأن يصير القلب محققاً لمعنى الإخلاص والتوحيد، وهذا هو مصداق كلام النبي **صلى الله عليه وسلم** وهو حديث الباب حديث الموضوع الذي رواه ابن ماجه وحسنه الألباني "من جعل الهموم هما واحدا هم الميعاد _ هم المصير هم الوصول إلى الله الآخر _ كفاه الله سائر همومه ومن تشعبت به همومه _ أليس هذا حالنا ؟ من أحوال الدنيا قال **صلى الله عليه وسلم** _ لم يبالي الله في أي أوديتها هلك"

من هو مشغول بالمال والمنصب وشهوات الدنيا، إذا كنت تريد المال خذ المال لكن ستهلك بها، إذا كنت تريد النساء خذ نساء لكنها ستكون سبب فتنك وضياعك، إذا كنت تريد كذا وكذا مما يعتاده الناس فأنت وما تريد، وهو قول النبي **صلى الله عليه وسلم** أيضاً في الحديث الذي رواه الترمذي في جامعه وصححه الألباني "من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأت من الدنيا إلا ما قُدّر له".

فأول معنى استفدناه من تدبر آيات القرآن التي تتكلم في هذا المعنى، فنحن قلنا أن أي آيات تتكلم عن معنى التوحيد والشرك فهي صالحة للاستدلال على هذا المعنى.

① الاستشهاد الثالث عجت لها والله في تحضير مادة هذا الدرس، وأول مرة أجد كنز أقف عليه في معنى عالي جداً، وهو معنى **تفريغ القلب لله** وهذه الآية تمر علينا ولكن لا نتوقف عندها في دلالتها هذه فالله سبحانه وتعالى لما

تكلم عن أم موسى قال {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [القصص / 10]

فهل مر على أحد معنى فارغاً؟

فأنا لما رجعت إلى كلام السلف، فالماوردي ذكر فيها ستة أقوال، ولكن سنأخذ منها القول الأول وهو الأشهر وهو قول ابن عباس وقتادة قال: "صار فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى"، صار القلب هنا جُمع على شيء واحد، وصار فارغاً من أي شيء آخر، من أي تعلقات أخرى.

وكأنه يقول أن الواحد عن طريق الحب الحقيقي يستطيع أن يُفَرِّغ القلب فلا يبقى فيه إلا الرب {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ...} لدرجة أنها كادت تصيح هذا ابني كما يقول ابن عباس أو لما صارت هي حاضنته وجيء بها لترضعه كادت تقول ابني... ابني {...لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا...} قال قتادة بالإيمان {...لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} قال السدي كانت من المؤمنين ولكن لتكون من المصدقين {...إِنَّا رَأَوُهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [القصص / 7]

فالشاهد هنا واضح، قالوا: فينبغي للعبد الطالب لمولاه أن يصبح فارغاً من كل ما سواه، وليس في قلبه سوى حبيبه، فعلامة الحب جمع القوم في قم واحد، وقو حب الحبيب ومشاهدة القريب المجيب.

هل علمتم لماذا أنا سعيد بها؟

لأن معنى تفرغ القلب من غير الرب، معنى عزيز، ومعنى عالي، ومعنى كلنا ننشده فكيف يارب يكون قلبى لك؟

قال بترياق الحب

بعض العلماء يقول هذا المعنى في الرضا، قالوا الرضا يُفَرِّغ القلب لله، والسخط يُفَرِّغ القلب من الله، فهناك أحوال لو وصلت لها قلبك سيفرغ سيظهر وسيزول كل الشواغل وستقطع العوائق لو وصلت لهذا المعنى الحب وتتداوى به يفرغ القلب {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا...} يا ليت يصبح فؤاد كل واحد منا فارغاً لله تبارك وتعالى فمن شاهد حبيبه كاد أن يُبْدِي به، أليس القلب هو الذي يرى {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} [النجم / 11] ولكن نحن لا نرى الله بأعيننا في الدنيا (لن تراني) ولكن الذي سيرى الله القلب، فهم قالوا: من شاهد حبيبه كاد أن يبدى به، أي أن الشخص عندما يقترب تجده يكون في حال غير الحال فرحاً وغباطاً، لولا أن الله يربط على قلبه ليكون من الثابتين الراسخين في العلم به فمن يقترب يحس بهذه المعاني ويحس بقرب الرب.

أفعلها لأنني لا أحب كلام غير واقعي،

فأنت عندما تقود سيارتك تتكلم معه وأنت تمشي تقول يا رب ماذا أفعل اليوم؟

فأنت تتكلم معه وتستشعر قرب القريب، وعندما يحدث موقف، عندما تدخل البيت فواحد يرى أن الله هو الفاعل، فعندما تكلمه زوجته وتحتد معه وهو فعل ذنب منذ قليل وهو يعرف، ويعرف أنه سيعاقب، فعندما يجد المشكلة، فتجده يقول الموضوع ليس كذلك هي طوال عمرها هكذا وسيحاول أن يُغمض طرفه عن السبب الحقيقي، وهناك آخر يقول أن الله هو الفاعل لكل شيء وهو سلطها عليّ، وهذا جزاء ما فعلت، وأفهم الأمر وأرى أثر خطيئتي على دابتي وعلى زوجتي، فهناك واحد يراها هكذا، وهناك آخر لا يرى هذه المعاني، فهو لا يرى زوجته بل يرى ما وراءه، وهو لا يرى أن فلان هذا تهجم عليه الآن وأفسد عليه عمله وفعل مشكلة كذا وعكّر عليّ صفوي وهو لا يرى المعنى بهذه الطريقة ولكنه يراها من المدخل الذي يفهمه جيداً، وليس معنى هذا أنه لا يتعامل بالأسباب أو أن أحداً أخطأ لن يقول له الصبح كذا ولكنها بداخلي أنني أعرف لماذا حدث هذا الكلام ولن أحلها بالحلول... فنحن نفعل ذلك هذا ليس أدب حوار وهذا ليس كلاماً وقد فعلت كذا وكذا فالموضوع كذا وكذا فأنت تريد أن تُحلها من الظاهر فقط، وتعرف أنها في باطنها لها معنى آخر ولكنك تحاول أن تتغافل عنها فلو أنك ستعامل بهذا الأسلوب سوف تُعامل به ولكن عندما تنظر ما وراءه وتفهم أن من يجمع شمله على الله لا يرى في الكون فاعلاً إلا الله .

① وأريد أن أقول لكم معنى وقفت عليه وشرحناه في اسم الله **القادر القدير المقتدر** وهو أيضاً معنى عالي نحتاج فيه إلى وقفة فالعلماء قالوا:

أن الناس على ثلاثة منازل في التوحيد :

1- توحيد في أفعال الله

2- وتوحيد في صفات الله

3- وتوحيد في ذات الله اسمعوا

وافهموا لأن المعنى عالي جداً، ويحتاج وقفة جد،

فقالوا **التوحيد الأول**:

هو توحيد الصالحين والعلماء المجتهدين - توحيد الأفعال - وهو **ألا يرى فاعلاً إلا الله**،

قد قلناها من قليل ونأتي بالتطبيقات

قال **وهذا ينمّر الاعتماد على الله، والثقة بالله، وسقوط بخوف الخلق من قلبه**، لأنه يراهم كآلات، فهو لا يرى المعنى بالطريقة التي يحاول كل الناس أن تستخدمها، إنما دائماً أبداً أنا أجلس هنا رسالة، ما هي الرسالة؟ هناك كلمة ستسمعها ولكن أنا لا أعد لها بالاً، لا في التحضير ولا في الإلقاء وتكون مفتاح لقلبك، أنت لا تجلس هنا ولا تسمع

هذا الكلام سُدى، ولم يختار أنت بالذات لتسمع هذا الكلام من وسط ملايين سُدى، ولم تخرج في بيت والدك هذا سُدى، ولم تعمل في هذه الشركة سُدى، ولم تدرس هذه الدراسة سُدى، فلا فاعل إلا الله ما هي الحكمة؟ ومن يستطيع أن يفك شفرات الرسائل فهو الذي يصل إلى هذه الدرجة، فكل فعل من أفعال الله كل شيء أثر من آثار فعله وكل سكنة وكل حركة منك هو أثر لفعل من أفعاله، فلا يرى إلا الله ولا يعتمد إلا على الله ولا يثق إلا بالله وعينه لا تكون على الناس ويسقط خوفهم من قلبه ويراهم كآلات القدرة تحركهم وليس لهم نفع ولا ضرر عاجزون عن أنفسهم، فكيف عن غيرهم هذه هي المرحلة الأولى هنا كيف يرى الله؟

يرى الله في الفعل من خلال الفعل يُترجم من خلال الفعل يفك الشفرة فيصل إلى قلبه .

هناك آخر لا ينظر للمسألة من ناحية الآيات التي حوله ولكنه ينظر إليها من ناحية صفاته

وهذا من آمن وعرف وتغلغلت معاني الأسماء والصفات في قلبه فهذا لا يرى قديراً إلا الله، هـ ولا قادر، ولا مقتدر إلا هو، ولا عليماً إلا الله، ولا سميعاً إلا الله، ولا بصيراً إلا الله، فصفاته هي التي تشغل باله، **فينمر هذا الأنس به وهداه وبلاوة الطاعة ولذة العنايئة والإستبشاش من الخلق .**

لأن الأول يرى الأفعال ويترجمها، أما الثاني فأخذها من المعرفة فهل فهمتم الفرق؟

فالأول يترجم الأفعال لمعاني

أما **الثاني** فعنده يقين بهذه المعاني بعيداً عن الفعل، فهو لا يرى معنى متحقق إلا هذا فأنا أرى أنني ضعيف وفقير ومسكين وأعرف أن الله هو القوي فلا حول ولا قوة لي إلا من قبله فأنا مشغول بهذا فلذلك لا أتوكل على غيره ولا على إمكانياتي أو إمكانيات أصدقائي أو لا إمكانيات معارفي ولا كل هذه المعاني فبالتالي يستوحش من الخلق لأن الخلق لن يفعله له شيء ويأنس بالله وحده فيملاً عليه ربه سمعه وبصره وحياته فيحقق {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام / 162] هل وصلت المعلومة؟ **الأول يُترجم والثاني من طريق المعرفة عنده يقين بهذه المعاني .**

أما الثالث فهو محسن فهو توحيد الذات

فلا يشهدون إلا الله، ولا يروون معه سواه، فيعبد الله كأنه يراه، فهو لا يرى، هو الآن شُغل به وحده، أشعر أن هذا الكلام له معاني عالية،

بالله عليك هذا ليس له تطبيقات في الواقع؟ عندما يخطب شاب فتاة أو يعقد عليها فأصبحت محور أساسي في الحياة وهو يراها زوجة وبدأ يتقرب إليها فتجده انفصل عنك فتبحث عنه لا تجده لماذا؟ مشغول، فالموضوع أصبح رسائل وهدايا وخروجات وكذا وهي كل شيء في الحياة، فينسى كل شيء، وشغلت باله فشغل بها، شغل بذاتها، فهو يعجبه شكلها، وطريقتها فشغل بصفاتها، فهي طيبة وحنونة وودودة وكذا وكذا، فهو مشغول بالصفات، أو شغل بأفعالها، أنها دائما تتعامل معه بأسلوب معين فهو طوال الوقت مشغول بذلك، **فيُشغل الإنسان بالفعل أو بالصفة أو بالذات** وأعلامهم الذي يوصف بالذات لاشك وهذا في واقع الناس موجود،

فلماذا تتعجب عندما يجمع أحد شمله على الله؟

أن يكون حاله هكذا فعندما أدخل من باب الفعل، وافهموا هذه المعاني، لأن والله العظيم هذا الأساس الذي نريد أن نصل من خلاله إلى وصفة العلاج، كيف أجمع شملي على الله، يا أخي فأنت في الحالة الثانية في حالة الزوجة أو في حالة هذه الحبيبة، قد فعلت المطلوب أن تفعله بالضبط مع الله، لكنك تأتي هنا فيكون لديك قليل من الإشكاليات والثغرات فهي هنا أصبحت العنصر الأساسي، أصبحت هي المقصد، فأهم شيء الآن أن يكون بيني وبينها ألفة وأن تحبني وأحبها وأفهمها من أنا وماذا تريد هي؟

فأنت مشغول بهذه القصة، فهي بالنسبة لك محور الحياة، فهي حياة زوجية وعائلية، وتريد أن تؤسس بيت، وتريد كذا وكذا، فهذا هو نفس الحال فهو شغل بالفعل، فيقول هي أسلوبها جميل ويتذكر لها هذه الأشياء،

إدنا عدد لي نعم الله عليك وأفعاله في حياتك لكي تكون هذه بداية فتح القلب لمعرفة جديدة أساسها الحب والذل والانكسار والتعظيم

وهذه المعاني الجليلة مع الله سبحانه وتعالى، فنحن نحتاج إعادة للمعرفة من جديد بالله سبحانه وتعالى ولا تكون هذه المعرفة النمطية المعروفة بأنه سبحانه وتعالى الذي خلقنا ودبرنا ويجب أن نصلي له ونُركي وكذا وكذا، وهذا الكلام التقليدي ولكنه غير مُفعل، وعندما أدرس التوحيد بالطريقة الأكاديمية، فالتوحيد ثلاث أنواع ألوهية وربوبية وأسماء وصفات، فليس هذا المعنى المطلوب، أما عندما أحب واحدة لم يتعامل معها بالشكل النمطي فلن يقرأ عنها في الجريدة لكنه يتلمس هذه المعاني ويتأكد منها ويستشعرها وعندما تقول له هل أنت مُعجب بفلانة؟ نعم والله يا شيخ، لماذا؟ فيعدد بسبب كذا وكذا وعندما تسأله هل تحب الله يقول نعم والله يا شيخ تسأله لماذا؟ يقول لأنه كريم جدا ورحيم جدا وسبحانه وتعالى القدوس {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا...} [الأعراف / 180] ويردد التسعة وتسعين ويفعلها أنشودة اسم فهذا ما نفعله نحن نلعب، فعندما أقول لك أدخل اسم الكريم في قلبي، ولا تقول لي كلام نمطي أقرأه في شرح الأسماء والصفات، فأريد أن أخرج من هنا وأقول يا ااه لكرم الله، فاشرح لي من خلال الأفعال التي عاملك الله بها ووصل لي هذه المعاني للقلب لذلك تدخل من الأفعال فيجب أن تجلس لترجم الأفعال

إلى معاني، المعنى يا رب أن يقر المعنى في قلبي، يا رب أن المعنى يكون مترسخ في القلب وفيه يقين بهذا المعنى
فدخل من الأفعال أخرج صفات.

فمن وراء تلك الأفعال تقول أن ربي كريم ورب جواد ورب حلیم ورب شكور ورب ودود، فالقلب مُلاً بهذه الصفات
وتريده بعد ذلك لا يأنس؟؟؟ فيأنس ستجد نفسك هكذا سأتي بهذا المثال لأنه مثال حيوي لو هي زوجته أو واحد
صديق له لو شغله ستجد التليفونات التي ستأتي من أحد آخر ينهيها لكن زوجته تتحدث معه بالساعتين ويحب ذلك
وفرحان جداً لأنه وصل له معنى آخر أليس هذا صحيحاً؟

**لان الأفعال تؤدي إلى صفات إلى أن تكون هذه الصفات سبب لتعلقه بالذات، وهذا في حق الصباد يؤدي إلى
الوحشة، وفي حق الله يؤدي إلى الناس وجمع القم،**

لأنني عندما أصل بعد ذلك أقول أن فيها عيب كذا وكذا، فالقلب يتلمسه، والله يُريه لك، وتجد نفسك بسبب سطوة
الحب تتغاضى عنه، ولكنه يشعر بأثره، فلو تعلق بالذات فالذات فانية، وهذا هو معنى "أحب من شئت فإنك مفارقه"
والذات هنا متغيرة، فلو أعجب بجمال الصورة، فالصورة تتغير ولو أعجب الصفات التي يعجبه منها 80 في المائة
والباقي يضايقه فهي كذلك في حق المخلوقات، أما في حق الله أفهمتم هذا المعنى أم لا؟

إذا المدخل من الفعل للصفة للذات.

حسناً من المعاني الخاصة، بموضوع جمع الهم، وقلنا أن هذا

أول واجب عملي من الواجبات العملية لدرسنا اليوم دراسة منزلة الاتصال في كتاب مدارج السالكين

وابن القيم كالعادة يذكر كلام الهروي والهروي قال أن أول درجة الاتصال بالله على درجات، فأول درجة سماه اتصال
الاعتصام، وهو ما سنأخذه كشاهد لموضوع جمع الهم قال: ويكون اتصال الاعتصام، تصحيح القصد ثم تصفية
الإرادة ثم تحقيق الحال.

ابن القيم يقول: وتصحيح القصد يكون بشيئين - محل الشاهد - أفراد المقصود وجمع الهم عليه.

فكل الناس الذين يتكلمون في النجاح والهدف، يقولون أول شيء أن يكون هدف واضح هدف مُحدد، هدف أمامك
يتم التركيز عليه، هدف قابل للقياس، فكل هذه المعاني التي يتكلمون فيها في هذه المعاني في الإرادة وفي غيرها،
هنا أفراد المقصود، فلا يصلح أن تكون مجموعة أهداف في وقت واحد لا ينفع أنك تريد أن تفعل هذا وذاك، تحفظ
قرآن، وتتعلم العلم الشرعي، وتنتهي من الفرض العين عليك، وتريد أن يكون لك حال مع الله، وتكون متعبد لله، وتريد

و... وتجد نفسك في النهاية لا تستطيع فعل شيء، فيجب أن تحدد وترتب الأولويات، فبدأ من كذا ثم كذا فيجب أن يكون هناك هدف واحد محدد هنا، **إفراد المقصود** (الهدف) وهو الرب تبارك وتعالى كما قلنا وجمع الهم عليه وهو العلماء عندما اختاروا اسم دقيق سموه **توحيد القصد والطلب** فهو المقصود وهو المطلوب سبحانه وتعالى.

ثم بعدها قال: **تصفية الإرادة بتخليصها من الشوائب.**

فتكون إرادة صافية من كل ما سواه، الذي قلنا عليه الأغيار، وما نسميه ما سوى الله سبحانه وتعالى، ما يتعوّض به الإنسان عن الله تبارك وتعالى وليس بعوض، كل هذه المعاني التي تلتفت إليها بحيث تكون متعلقة بالله، وبمراده الديني، فماذا يطلب الله منك؟ فهذا هو الذي يشغلك وهو ما تحاول أن تدرب نفسك عليه حتى يكون هواك تبعاً لما جاء النبي **صلى الله عليه وسلم** به فهذه هي **المرحلة الثانية**، أن **تُصَفِّي الإرادة والتي هي تصحيح النية.**

ثم **تحقيق الحال**، فلا يكفي بمجرد العلم مثل حالاتنا نحن، بالذات بعض الاتجاهات الموجودة في ساحة الصحوة الإسلامية اتجهت منحى العلم على اعتبار أن مشكلة الأمة الآن هي الجهل، فأخرجنا طلبة علم للأسف الشديد ليس عندهم الأدب المطلوب أو التكاملية المطلوبة، فبالتالي اكتفى بالعلم غالباً ويسير من عمل، وهذا لا يحقق الحال، فلا يكفي بمجرد العلم حتى يصحبه العمل، ولا بمجرد العمل حتى يصحبه الحال، **فنحن نتكلم في علم وعمل وثمره اسمها الحال فيوجد إرادة ومحبة وتوكل وحقائق إيمان موجودة في القلب**

بالله يا معاشري المسلمين والمسلمات أين اللخل في أطراف هذه المعادلة الثلاثية؟

أهناك علم؟ ستجد بعض الناس لديه كل واحد يأخذ واحدة منهم وفرحان بها والباقي يتركه. فتجد علم وتجد أناس تُردد لك العقيدة الطحاوية وترد لك على شبهات المرجفين والمشككين وكذا ثم تقول له هذه المعاني إحساس ومعاني وأعمال تُمّت على أنك مؤحد لله ربا وإلها و... فلا تجد وتجد آخر عنده أعمال ويجتهد في أحوال وموسم الطاعات وصيام وقيام وشغل تمام جداً

لكن أين الحال؟

كل واحدة تقل لأنه لا يوجد توازن ما بين هذه المعادلة الثلاثية، فلا يجمع شمله وهمه على الله تبارك وتعالى، لأن الهم والشمل بعد قليل مدخله شرعي، ولكن بعد ذلك تخرج حظوظ النفس، فهو في البداية دخل كي يتعلم العلم ويرد على كذا ويبدأ بالردود ويدخل من هنا إلى هناك فتجد قلبه شُتت بعيداً عن الهدف الأساسي الذي كان يرجوه والرد على الشيخ فلان وفتنة كذا و... الكلام الذي تعرفوه هذا

إذًا علينا أن نعرف أن المعرفة لله تبارك وتعالى لا تتأني إلا بجمع الهم.

الواجب العملي الثاني لأن الموضوع كبير ولن ينتهي في محاضرة أريدكم أن تتبعوا كتاب صيد الخاطر

خاصة وابن الجوزي من أكثر مَنْ كتب عن جمع الهم، وهذا المصطلح تجدوه كثيراً، فلو أن أحد عنده أي مُحرك من محركات البحث الموجودة الآن بكثرة يكتب كلمة جمع الهم، ويبحث عنها في صيد الخاطر، ويقرأ الفقرات التي ذكرها ابن الجوزي في هذا الموضوع، وتصلح مادة مُكتملة لشتات هذا الأمر يجمع لك جمع الهم .

① من كلام ابن الجوزي المهم الذي لا نستطيع أن نتعداه في هذا الباب قال: اعلم أن الآدمي قد خُلق لأمر عظيم، وهو مطالب بمعرفة خالقه، بالدليل ولا يكفيه التقليد، فالعقيدة ينفع فيها هذا الكلام، وذلك يفتقر إلى جمع الهم في طلبه.

فلا ينفع أن يكون هذا الكلام من جملة الأشياء في حياتك، إذا كنت تريد أن تدخل المعرفة بطريق صحيحة، فلا تأخذها بطريقة أيامنا هذه، وهي خاصية القص واللصق، فهو يأخذهم بتقليد، ويقول أنا لست مُقلد، ولكنه أخذهم بتقليد فهذا لا يصح فمعرفة الله بالذات يجب أن تجتهد لتحصيلها وتجمع همك عليها.

② وذكر في فائدة خاصة أيضاً أخرى: أن مَنْ عَرَفَ الله جمع شمله عليه وأتى بها من معنى دقيق جداً قال : رأيت سبب الهموم والغموم الإعراض عن الله، والإقبال على الدنيا، وكلما فات منها شيء وقع الغم لفواته.

فلماذا تُشتت الهموم؟

كما بيّن لنا النبي ﷺ قال شتت الله عليه شمله من أجل الدنيا، قال : فأما من رُزق معرفة الله تبارك وتعالى استراح، لأنه يستغني بالرضا بالقضاء، فمهما قَدَّر له سبحانه وتعالى رضي، فبالتالي ليس لديه مشكلة في هذا الجزء لا يقل لماذا حدث كذا ولا يعترض فالرضا يقفل عليه باب الغموم هذا، وإن دعا - انتبهوا لأغلب الناس - حتى اليوم هناك إخوة وأخوات يقولون يا شيخ والله منذ سنين أدعي ولا هناك فائدة، ألم تسمعوا أن هذا فيه نهي صريح من قبل النبي ﷺ يقول دعوت فلم يُستجاب لي، أما هذا إن دعا فلم يرى أثر الإجابة لم يختلج في قلبه اعتراض وإنما يرى أنه مملوك مُدبّر فتكون همته في خدمة الخالق فهو يرفع يديه ابتداء وليس طلباً كما قلت لكم من قبل إنما امتثال والطلب يأتي بعد ذلك،

ومن هذا صفتة لا يؤثر جمع المال ولا مخالطة الخلق ولا الالتفات للشهوات، فهي تأتي تبعاً فهو أعطاه المال فأتته الدنيا وهي راغمة، هو يريد أن يستمتع في الحياة فيعطيها له تبع لم تأتبه بطلبها وإنما جاءتته كأثر تفرق كثيراً لأنه إما

أن يكون مُقصرًا في المعرفة فهو مقبل على التبعيد، فأنتم اليوم لما تسمعوا هذا الكلام ستخرجون بقرارات عملية وإيجابية وتطبيقية فأنت مقصر في المعرفة، إذاً تحتاج أن تزيد رصيد التبعيد لله تبارك وتعالى، حتى تزهد في هذه الفانيات القاطعات عن الله لينال الباقي، وإنما أن يكون له ذوق في المعرفة، وقلبه فُتح وربنا سكب في القلب هذه المعاني، فشغل بها عن أي شيء آخر فجمع شمله عليها، إذاً من عرف الله جمع شمله عليه ثم بعد ذلك وضع لنا قانون فيه :

كيف تجمّع الهم؟

① قال ابن الجوزي: لا ريب أن القلب المؤمن بالإله سبحانه، وبأوامره، يحتاج إلى الانعكاف على ذكره وطاعته، وامتنال أوامره، وهذا يفتقر إلى جمع الهم.

فنحن ندور حول هذا المعنى، فأنا أريد أن أدخل الصلاة، ولا ألتفت، وأريد حقًا يكون سرحاني أن يكون في الله ولا تكون الدنيا القاطع بهذا الشكل، والفتنة لا تصل إلى قلبي بهذا الشكل، فقال لن يصلح ذلك إلا لما تخلو به وتنقطع له وتبتل له ويعكف قلبك شيئًا ما على ذكره وطاعته وامتنال أوامره ليُجمع الهم .

وهذه فائدة العكوف عليه، فائدة الانقطاع له، فصاحبنا الذي نتكلم عليه الذي يجمع شمله على امرأة أو على العمل وأرى شاب عمره 35 ولديه إمكانيات مادية جيدة ولا يفكر في الزواج لماذا؟ يقول أريد الزواج ولكني مشغول، دائم الترحال ومشغول في المال وجمعها والشعور بلذات أنه أصبح ثري فهذا شغله عن أي شيء آخر، فعكف قلبه على ذلك، فأصبحت جلسته هكذا، وأنا قد جلست في جلسة رجال أعمال وهم يتكلمون أمامي، وكان على الغذاء وتأتي سيرة كل الأسر الموجودة من الأثرياء وماذا فعل ومن تزوج ومن أين أتى بالأموال وكل البيانات محفوظة ومعروفة وذكره لها موجود أليس هذا ما يحدث؟ فتجد كل طبقة تعرف أنت من أي أسرة وكذا واشترى كذا... يعرف من كل هذه الأشياء فهو مشغول بهؤلاء فجمع شمله عليهم وجمع همه عليهم وكفى بما وُضع في الطبع من المنازعة إلى الشهوات مشتتا للهم فيكفي أن يكون في رأسك أي من شهواتك لأن أي واحدة منهم تُشتت شملك ويُشتت همك، واحد يدخل في الموضوع ويقول أن أكبر شهوة لي هي شهوة النساء والله قال {رَبِّينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ...} [آل عمران / 14] ذكرها الله رقم واحد وآخر يقول له وكيف ستأتي بها بدون مال؟ فهذا تطبيق عملي لقول النبي ﷺ "إن لكل قوم فتنة وفتنة أمتي في المال" فهو يطبق وفاهم ويعرف من أين المدخل فيقول ستضع النساء أمامك صف بمالك فالمال هي التي تجعلك ذو قيمة في هذه البلد ليس

لأن أبوك رجل صالح وطيب... لا بل "إن أحساب أهل الدنيا المال" كما قال النبي **صلى الله عليه وسلم** فهو همه هنا وكل تركيزه في هذا الجزء.

وآخر شغل بالمراكز الاجتماعية وبالألقاب (الأستاذ الدكتور فلان ورئيس القسم) ومشغول بهذه القصة، ودماغه كلها العقلية العملية، والأبحاث، ولا يخرج من مكتبه، فهو يجمع شمله كله في هذه النقطة، كل واحد لديه منازعة إلى الشهوات فثشتت الهم،

فينبغي للإنسان أن يجتهد في جمع قومه لينفرد قلبه لذكر الله وإنفاذ أوامره والتقوى لقائه ولذلك إنما يحصل بقطع القواطع والامتناع عن الشواغل، وما يمكن قطع القواطع

(اسمعني بالله عليك واكتب)

1- لا يمكن قطع القواطع... جملة ابن الجوزي رجل في منتهى الواقعية، وحتى كلامه عن الزواج، فهم بشكل خاطيء، فهو يقول أنه من مشتتات الهم، لكن انظروا يتكلم بمنتهى الواقعية، سيخرج لنا شيخ الآن، ويقول لنا أنت رجل منقطع لله، اترك هذا العمل واترك النساء واخرج في سبيل الله في مكان 6 أو 7 أشهر، وانقطع فيها تمامًا ما هذا؟

فهو سيرجع مرة أخرى تحترقون تحترقون، هل هذه هي القصة؟ أن أفعل ذلك؟

فهذا لن يحل للمشكلة ولكنه قد يكون حلاً جزئياً للمشكلة، فأنا سوف أعود مرة أخرى لنفس البيئة، فهل أطلق زوجتي مثلاً؟ فهي الآن قاطع، وهل أترك العمل؟ وهل ألقى بالأولاد في البحر؟ فهم يشغلونني ولا أعرف أنام منهم وبطلباتهم وطلبات البيت، فماذا أفعل؟ وأعلمهم الزهد وهذه المعاني وكذا... ليس واجباً عليهم فماذا أفعل؟ تكلم معي كلام عملي إذا قلت لي كله مرة واحدة فلن ينفع ...

فهذه الروابط تحتاج لتدرج فما يمكن قطع القواطع جملة فينبغي أن يقطع ما يمكن منها فبدأ بالمحاولة الإيجابية الناجحة

فما القاطع الآن؟ هناك قاطع ليس من الأساسيين في حياتك ولكنه قاطع ويضيع الوقت شاغل ويشتت شملك وهمك فيقول لك واحد دنيوي معلومة وسط الكلام، يأتي بك يميناً ويساراً فهذا وجوده في حياتك من السهل أن تُخرجه ببطيء، فابدأ بمن من الممكن أن يفعل بك هذا الأثر فهذا قاطع، فينبغي أن يقطع ما يمكن منها ابتداءً ويتدرج في ذلك،

إذا الأصل الأصيل في مسألة جمع الهم أولاً التدرج في قطع القواطع.

2- قال : وما رأيت مشتتا للهم مبددا للقلب مثل شيئين أحدهما أن تُطاع النفس في طلب كل ما تشتهي

"أو كلما اشتهيت اشتريت"

إذَا الْأَصْلُ الثَّانِي أَنْ نَقُلَ لِنَفْسِكَ أَجِيَانًا " لَا "

فأنا أقول كلمة أحيانًا حتى أكون ضابطًا للمسألة، فسنبداها بتدرج في مخالفة النفس، ومجاهدتها فقل لنفسك " لا " أحيانًا، وإنما " نعم " لكل شيء تؤدي إلى ضياع القلب.

3- قال : والثاني مخالطة الناس خصوصًا العوام والمشى في الأسواق (المحلات التجارية) فإن الطبع يتقاضى

بالشهوات وينسى الرحيل عن الدنيا

وزمان مشايخنا قالوا لنا ليس من الصحيح أن تنظر {وَلَا تَمُدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْسِهِمْ فِيهِ وَرِزْقٌ رَّبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ} [طه / 131]

فخذ احتياجك، إنما المشى والتأمل في فتن الدنيا، يُشغل فأنت دخلت المحل التجاري تريد أن تشتري كذا، فتمشي فيه وترى أشياء أخرى، وتقول جميلة جدًا سأشتريها المرة القادمة، فالدنيا هكذا، لن تنتهي فكلما ترى شيء جديد لن تنتهي فيقطع، فبالتالي من الصحيح أن تكون الخلطة محدودة، وبالذات قال مسائل الدنيا، بهذا الشكل فخلطة أهل الدنيا، أصلًا مزاحمة الناس في الدنيا في الأسواق وفي غيرها يُنسى الرحيل عن الدنيا ويوجب الكسل عن الطاعة والبطالة والغفلة والراحة فيثقل على من أَلَفَ مخالطة الناس التشاغل بالعلم أو بالعبادة،

إذَا رَقِمَ 3 نَقُولُ عَزْلَةَ شَعُورِيَّةٍ أَوْ حَسْبِيَّةٍ فَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ جَانِبٌ مِنْ عَكُوفِ الْقَلْبِ وَالْبُعْدِ عَنِ هَذِهِ

الْأَشْيَاءِ وَغَلِقَ هَذِهِ الْعَثِيرَاتُ لِلْفِتَنِ هَكَذَا أَخَذْنَا الثَّلَاثَ أَسْسَ بِحَوْلِيهَا نَدُورُ... بِجَمْعِ الْهَمِّ .

وضرب أمثلة في غاية الدقة، لتكون مثال على هذا مثل طلب الرزق، وهو مشغلة كل الرجال، وأكبر من أي مشغلة أخرى، طلب الرزق وتأمين المستقبل، وهذه المعاني وابن الجوزي قال معنى والله أنا أول مرة يأتي على البال، ودائمًا نحن للأسف حتى في الدعوة نخطئ هذا الخطأ، أتعرفون ضرب مثال بقصة سيدنا أبو بكر لما ترك المال وأتى للنبي ﷺ بماله كله، فقال تركت لهم الله ورسوله، إذا الشيء الصحيح ألا أدخر مال، وأنه إذا ادخر مال فقد تربينا على معاني قريبة من ذلك، أنك إذا ادخرت مال هذا عيب في إيمانك.

فيقول ابن الجوزي أن المسألة ليست هكذا: وإنما أسعد الناس من له قوت بقدر الكفاية فهو عنده ما يكفيه.

هذا أول شيء، وفي نفس الوقت أن يمن الله سبحانه وتعالى فيعطيه شيئًا يدخره ليقطع عنه هذه المشغلة بالمال،

فيقول: تفكرت فرأيت أن حفظ المال من المتعين (أن ادخر المال وحفظه شيء واجب) وما يسميه الجهلة

المتزهدين توكلاً من إخراج ما في اليد ليس بالمشروع فهذا الكلام غير شرعي والدليل أن النبي ﷺ قال

لكعب "أمسك عليك بعض مالك"، وقال له "لأن تترك ورثتك أغنياء خير لهم من أن تتركهم عائلة يتكفون الناس"،

قال فإن اعترض جاهل فقال قد جاء أبو بكر بكل ماله فقال الجواب أن أبا بكر كان صاحب جأش وتجارة فإذا أخرج الكل أمكنه أن يستدين عليه فيتعيش

فعندما تأتي لواحد في السوق، وما شاء الله عليه، ولديه علاقات، وأخرج ماله كله، فعندنا يريد مال، سيرفع الهاتف ويقول يا فلان أرسل لي كذا من المال، وإنما واحد ليس عنده، ويخرج كل ماله، ويقول تركت لهم الله ورسوله، فهذا خلل في الشرع.

وستقول لي السيدة عائشة أخرجت المال كله، بعث إليها بآلاف الدراهم، فأخرجته كلها، وقالت لها بريرة هلا أمسكتي شيئاً قالت لو ذكرتيني لتذكرت... ما هو الجواب؟، عبد الرحمن بن عوف كان ينفق عليها، فلم تترك نفسها هكذا أتعرف لماذا؟ الذي يتكلم عليه هو أخرج المال، ثم أقول ماذا أفعل في الشهر القادم ومن أين آتي بالمال؟ أكلم فلان أنزل للعمل أفعل كذا أو كذا... فهذا الكلام هو الذي يُشتت الهم، ويقول الدين ماذا نفعل فيه وقسط الشقة وقسط السيارة ومصروفات المدرسة فهذا ليس بمعنى شرعي... ربنا يستر... فال هذا ليس بمعنى شرعي .

① ونحن عندنا غلو، فعندما أحد يسمع هذا الكلام، يفرح جداً ويقول ادخر المال وأعيش، فنحن نقول أنه يتكفف يأخذ الكفاف، ولكن المعنى الشرعي يقول: "متى كان مشتتاً للهم فصار أمراً غير شرعياً" لو إنفاق المال سيُشتت هم، فهذا غير صحيح إنما يوضع الأمر في نصابه ويضرب ابن الجوزي مثال فيقول ومن تحرك بابه نهض قلبه، رزق قد جاء رزق قد جاء - فهو جالس منتظر هل هذا من اتصلت به هل هو من سيساعدني في هذا الموقف - فقال هذا مشتت للهم.

② وقال : وقد رؤي سلمان يحمل طعاما على عاتقه فقيل له أتفعل هذا وأنت صاحب رسول الله قال إن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت، وقال سفيان: إذا حصَّلت قوت شهر فتعبد.

فهل فهتمم الفرق؟

③ الشيخ الألباني كان يعمل 4 أشهر ينفق على نفسه بقية العام، فأعمل بعض الوقت، وأدخر بعض المال، أستطيع أن أتعيش منه، ثم أتفرغ فهو حقق جمع الشمل والهم على ذلك.

④ قال: واعلم أن الاهتمام بالكسب يجمع الهم.

ولكن لأننا أهدافنا سيئة، فلذلك يشتت الهم، فعندما يكون المال في يدي، أقول يا رب حتى أستطيع أن أطعم عائلتي، والحمد لله ألف حمد وشكر، ولما يأتي المال زيادة يقول كما يقول الشاب عندما يكون فقيراً في البداية يقول

شقة إيجار قديم فأريد يا رب 10000 جنية، فيرسل له الله 15000، فيقول شقة إيجار قديم، فالمال سيضيع هباء فلن تنفع، أو إيجار جديد ستضيع الأموال هباءاً، فيقول اصبر قليلاً، هناك شقق في المكان الفلاني، ادفع مقدمة 25000 جنية، وابدأ يعمل ثم لما يكون عنده هذه الشقة يقول المكان سيئ وصعب جداً، فسأعيش فيه ثم أنتقل منه أصبر قليلاً، ثم لما يكونوا ضعفهم فلقد أتوا ال 25000 جنية عندما يكونون 50000 جنية إن شاء الله، ويوجد منطقة سكنية راقية ويمكن أن أسكن بها وأذهب لأحجز بها في المكان الفلاني، ويستمر في هذه اللعبة بهذه الطريقة فهو في بداية الأمر قال 10000 جنية وأتفرغ تماماً، ثم يقول في هذا الزمن الصعب ولا 100000 جنية يجعلوني أستطيع التفرغ،

فيزيد في الرقم وكل الناس في كل الطبقات وأنا أتكلم على الفقير ثم انظر على من فوقه فالشقة بربع مليون لن تكفي الآن، ولن تعجب العروسة الفلانية، ويجب أن أشتري في المكان الفلاني بكذا، أليس هذا ما يحدث ؟ أذهب لشراء الشقة في المجمع هذا كذا وكذا ليتماشى.

وبسبب ذلك أصبح جمع المال، يجمع الهم؟ بل يُشئت الهم، لأن هذه الدنيا الخفية التي في قلبك التي لا تظهر فعندما أمسك مال وفير في يدي، ليست أن المال أتى فأفكر فيما أصنع ؟ أضع هدف السيارة مثلاً الذي أقودها لن تستمر معي لمدة سنة فأفكر فيما أعلى منها فكلما يعلو في طبقة فيقولون له اصبر حتى تُحصّل 10000 جنية أخرى فتشتري سيارة جديدة يعلو ينظر للسيارة الأعلى، وهكذا كلما يعلو، كلما يشئت هم، فهو غير صادق في بداية الأمر ولا يقول هذا يبلغني المقيّل، أصبح المقيّل تفسيره جميل، فكل واحد يقول هذه السيارة تبلغني المقيّل، وهذه السيارة بثمن كبير لكن هذا ما يبلغني المقيّل، ولذلك هذه المعاني نحن للأسف الشديد نتعامل معها بشكل آخر فنحن وضعنا ثلاثة أسس، وقلنا مثال من الأمثلة في مسألة طلب الرزق وذكر فيها ابن الجوزي هذا المعنى.

① الغزالي وهو يتكلم عن دواء الصبر للشهوة، كيف تعالج الشهوة يا جماعة ؟ عندنا شهوات وشبهات،

فالشهوات تعالج

{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة / 24]

قال الشهوة لا تُحل إلا بالصبر

والشبهة

لا تُحل إلا بالعلم الذي يأتي باليقين

لأن الشبهة تولد شك، والشهوة تؤدي إلى الجزع، لأنها تؤدي إلى الرغبة فيها، يريد أن يتزوج، يريد مال، يريد كذا، فحلها الصبر،

فوضع ثلاثة أسس انتبهوا لأنه سيقول كلام مهم جداً قال لكي تعالج الشهوة تحتاج:

1- صيام

2- بُعد عن المثيرات

3- تسلية بالمباح

فالصيام مثل أن أحداً يقطع الطعام عن هذا الحيوان المستأنس فيضعف قوته فلا يصبح بالقوة الضارية التي فيه شيء من الأشياء التي يُروضوا بها الحيوانات أن يمنع عنه شيئاً ما في البداية حتى ينهك قوته.

والبعد عن المثيرات أن تبعد هذه الشهوة هذا الطعام هذا اللحم عن هذا الحيوان المستأنس وتغيبه بحيث أنه بعد قليل يبأس من وجوده فلا يجعله متطلب له فأنا طوال الوقت أمر على هذا المكان وفيه كذا وكذا وعيني تقع على كذا من المثيرات فأکید ستكون مشكلة، فيتصبر بأن يبعد عن المثيرات.

والثالثة بأن يعطيها جزر **فيسليها بالمباح** فهو ينشغل بمباح آخر عن الشهوة التي هو فيها فهو مشغول بشهوة النساء فنقول له العب كذا من الرياضة كي يتسلى بالمباح عن الحرام.

① وقال: أن هذا العلاج يحتاج أن يُقوى باعث الدين

فهذا العلاج لوحده بدون أن يكون هناك مولد طاقة، وهو الدين الذي في قلبك تقوي هذه البواعث الدينية، لن ينفع وبم يحصل ذلك؟

كيف يُقوى باعث الدين

قال :

1- أن تطمع النفس (سنوجه شهوتها في منطقة أخرى) إلى فضائل الصبر والمجاهدة

فيبدأ يضع لها مستحسن آخر، فيقول اصبر وإن النصر مع الصبر {... إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر /

10] {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا...} [العنكبوت / 69]

والنبي ﷺ صبر وفعل كذا.

2- التدرج في مصارعة باعث الهوى

قال عندما تأتي بحمّال أو شيال أو فلاح أو مُجاهد وآخر خياط أو عطار أو فقيه فأيهما كقوة بدن أقوى؟ الأول لماذا؟ لأنه مدرب على حمل الأشياء الثقيلة.... فهو يختلف عن الرجل الفقيه الذي يجلس أمام الكتب وغير متعود على هذا المعنى، فقال أن المعنى أنك تُدرجها في هذا حتى تستقوي، فكلما نجحت في " لا " التي قلناها في أساس

جمع الهم، فكلمنا فعلت ذلك تقويها وكلمنا تقويها تكون هذه القوة تجعلها تستطيع أن تكف عن باعث هذه الشهوة التي تشتت الشمل.

كم نقطة عملية أخذناها؟

قلنا الصيام والبعد عن المثيرات والتسليية بالمباح ومعرفة فضائل المجاهدة والصبر وان تتدرج معها في معنى المصارعة والمجاهدة

4- وقال :- محل الشاهد - أن أشد شيء في ذلك، كف الباطن عن حديث النفس.

فالخواطر التي تأتيها، فلو أنك صائم عن الأكل والشرب، فأنت مضاعف البدن، ولكن النفس من الداخل تقول امرأة وكذا وعش حياتك والناس والمال، فالنفس تريد هذا وذاك فكيف تغلق هذا؟

قال أن هذا أشد شيء، فكل الذي سبق يمكن أن يغلق أشياء كثيرة وإنما حديث النفس، إنما يشتد ذلك على من تفرغ له بأن قمع الشهوات الظاهرة، فيغض بصره، ويأتي شاب ويقول والله لا أشاهد مسلسلات أو أفلام أو أي شيء ورغم ذلك أنا أضيع في هذه الشهوة، فالمشكلة في كف الباطن عن حديث النفس، فإن قمع الشهوات الظاهرة، وأثر العزلة، وجلس للمراقبة والذكر والفكر، فإن الوسواس لازال يجاذبه من جانب إلى جانب، وهذا لا علاج له البتة إلا قطع العلائق كلها ظاهراً وباطناً بالفرار، وهو العزلة والتبتل عن الأهل والمال والولد والجاه والرفقاء والأصدقاء فهذا يمكن لصاحبنا هذا عندما يذهب لعمرة 10 أيام أو شهر يذهب رمضان كله من أوله إلى آخره وينوي فيها هذه المعاني من الانقطاع التام فيكون القلب تحت الغسيل المباشر فينظف من هذه الوسواس ويتعود على عادات جديدة ومكان جديد وعلى عبادات أخرى وكذا... فالنفس ستهجم عليه ولكن مع مباشرة هذا الغسيل للقلب يختلف يقول: فيحدث هذا الأمر فيعتزل عن هذا يتمرن ويتدرب على معنى القناعة ثم كل ذلك لا يكفي ما لم تصل الهموم هما واحدا وهو الله.

فهو غسل وصفى ولكنه لم يدخل في التحلية، فقد قلنا انزع وازرع، فغسل فقط ولكنه لم يضع. وقلنا نحن نحتاج أن نضع هم واحد وهو المعرفة، فبالله أليس هذه أخطاؤنا فتجد نفسك في وقت غسلت لكنك لم تضع أو في وقت شُغلت بالظاهر وتركت الباطن أو في وقت حاولت أن تجمع ما بين الأمور وكان لا بد أن تأخذ حظك من الوحدة والعزلة،

① لذلك قال ابن الجوزي: والخلوة أصل وجمع الهم أصل الأصول وأساسه الوحدة فإن سبب رجوع القلب وجمع الهم والنظر في العواقب والتهيؤ للرحيل وتحصين الذات يعود على هذا الأمر.

① لدرجة أنه قال كى يستقيم المعنى عندكم، قال: ولا تحسن اليوم المجالسة - هذا في عهد ابن الجوزي من القرن السادس نتكلم في 8 قرون أو 9 قرون- قال: ولا تحسن اليوم المجالسة إلا لكتاب يحدثك عن أسرار السلف أما مجالسة العلماء فمخاطرة إذ لا يجتمعون على ذكر الآخرة في الأغلب.

فيقول ألم ترى ماذا قال فلان اليوم، والرد المبين وكلام الأقران يطوى ولا يروى، ومجالسة العوام فتنة للدين، فهم مشغولون بالمباراة، مشغولون بأشياء أخرى وكذا، فإذا لابد من جمع الشمل... فهو قال على الأقل أن يكون عندك هذه الخلوة فتقرأ فيها كتاب أو تسمع فيها محاضرة وتجتمع فيها إذا وجدت القرين المشابه الذي يجمع عليك هذا الأمر وإلا فابتعد.

نصيحة زوجية لأننا قلنا أن موضوع الرزق فهو أكبر مُشئت ماذا تفعل؟ فابن الجوزي قال في هذا الموضوع كلام جيد جدًا فيقول: هيهات أن يجتمع الهم مع التلبس بأمر الدنيا خصوصا بالشباب الفقير فهو ليس عنده إمكانيات ويريد كذا وكذا لا ينفع... فإنه إذا تزوج اهتم بالكسب وبالطلب فيتشتت الهم ثم يرزق بالأولاد يُكسر به ، كما قال سفيان فقال: فإن قال قائل فكيف أصنع؟ (ماذا أفعل؟) قال إن وجدت ما يكفيك من الدنيا أو معيشة ما تكفيك فاقنع بها وانفرد وابتعد (وهي العزلة الشرعية ومقصوده أن لا يكون لك احتكاك كبير) فإن تزوجت بففقيرة تقنع باليسير وتصبر أنت على صورتها وفقرها ولا تترك نفسك تطمح إلى ما تحتاج إلى فضل نفقاتها فهذا في حال واحد ليس عنده مال فهذا يجمع عليك الشمل.

فإذا رُزقت بإمرأة صالحة جمعت همك فذاك، وإن لم تقدر فمعالجة الصبر أصلح لك من المخاطرة، وإياك والمستحسنات فإن صاحبهن إذا سلم كعابد صنم، فهي جميلة فكأنه عابد صنم، فالذي يتزوج واحدة جميلة إذا سلم كعابد صنم، وإذا حصل بيدك شيء فأنفق بعضه فبحفظ الباقي تحفظ شتات قلبك... هذا أحسن حال في الغالب ما هو الحال؟

الحال هنا، هي الفكرة التي جلسنا نندندن حولها جمع الشمل هنا أن أول شيء أول كلمة وأراجع معك ما قلناه على مدى المحاضرة لأن هذا الذي سيحل لنا مشكلة الزوجة ومشكلة خلطة الناس ومشكلة أشياء كثيرة هو أول شيء قال ننظر إلى الأمور في أول الدرس ننظر للأشياء بأي عين؟ بعين الفناء والزوال فهذا هو أن هذا الهدف المستحسن كيف ينظر إليه بشكل حقيقي؟ أن تنزع عنه الحجاب وانظر بطريقة صحيحة إذا فعلت ذلك يبدأ يخف تعلقك الشديد بالشيء وراجع المنغصات كي تفهم حقيقة الأمر كي تضعه في نصابه.

واجبنا العملي على درس اليوم هو جمع الهم في الصلاة

وقالوا التدريب العملي على جمع الهم، والشيخ محمد إسماعيل له في كتاب " لماذا لا نصلي " يوجد معنى يتكلم فيه على معنى حصر الذهن أثناء الصلاة هذا المعنى دقيق جداً وهو كيف أجمع شملي على هدف واحد داخل الصلاة؟

① من اللطائف هنا أنني وجدت أن العلماء فسروا الخشوع بجمع الهم، فقالوا في قول الله تبارك وتعالى: {الَّذِينَ هُمْ

فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} [المؤمنون / 2] قالوا الخشوع في الصلاة جمع الهم وعلامته - هي تدريب عملي - ألا

يجاوز بصره مصلاه مثل في الطريق إلى الله سبحانه وتعالى وألا يلتفت ولا يعث.

قال أبو الدرداء: هو إخلاص المقال وإعظام المقام واليقين التام وجمع الاهتمام.

هو إخلاص المقال وأنت تنطق تعرف من تناجي، فإنك لا تناجي أصم وإنما تناجي رب سميع.

وتعظم المقام فأنا أمام الله العبد الذليل الخاضع الحقير أكون أمام الرب الجليل العظيم.

واليقين التام بأن صلاتك صلاتك وجمع الاهتمام فتكون الصلاة كما قال النبي ﷺ "وجعلت قرة عيني في

الصلاة"

ولذلك كان إذا حزبه أمر لماذا يقوم للصلاة؟ كي يجمع الهم أي أن الآن حزب الأمر فسأبدأ بالانشغال حدث اليوم

كذا وكذا فقم صلي جدد بسرعة قبل أن يشبك في قلبك أي عالق.

② قال ابن القيم لماذا الصلاة؟ قال لأنها تختص بجمع الهمة وحضور القلب والانقطاع عن كل شيء سواها بخلاف

غيرها من الطاعات فإنها ثقيلة على النفس

فالصدقة أن تنوي عمل خير وأخرجت المال وانتهى الأمر، والصيام هكذا لا تحتاج مجاهدة، والخاطر وكذا وكذا،

أما الصلاة 10 دقائق ركز أو ربع ساعة ركز فأنت أمام الله

أحصر ذهنك في هدف واحد أنت أمام الله،

هيا اجمع قلبك على مناجاة الرب والثناء عليه والإقبال عليه

هيا عليك الآن أن تستشعر عظم المقام

نريد أن نطبق هذا المعنى، واستأنسوا بالرسائل الموجودة مثل رسالة الشيخ المنجد ثلاثين سبب لخشوع في الصلاة

وغيرها من أشياء مثل كتاب خالد أبو شادي كتاب جيد "أول مرة أصلي" في هذه المعاني، معاني الصلاة موجودة في

غير ما موضع، والكتب التي تتكلم عن معاني وأسرار الصلاة فاستشهدوا بشيء من ذلك أو سجل خواطرك وصل صلاة خفيفة.

هذا تدريب عملي

صلي صلاة خفيفة

واجمع فيها قلبك

وانظر أين يكون أول الخيط

أنا كنت داخل ومركز وقرأت الفاتحة، واستحضرت معانيها ثم سورة قصيرة ثم دخلت في منطقة أدخلها لي دائماً وتكون من مدخل شرعي أو مدخل حسن وأخرجني من هنا وأدخلني هنا وهناك أين المدخل؟

وسجّل هذه الخواطر لتعرف أين تغور قلبك.

تعالوا نمارس هذا الأمر على مدى هذا الأسبوع ونسجل هذه المعاني كي نرى كيف نقطع هذه الحبال بترياق ودواء جمع الشمل على الله تبارك وتعالى.

أسأل الله جل وعلا أن يتقبل منا ومنكم

وأن يأخذ بأيدينا وأيديكم إليه أخذ الكرام عليه

إنه ولي ذلك والقادر عليه

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فضيلة الشيخ / هاني حلمي

يُضدك قليم



فضيلة الشيخ
هاني ماضي

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



الحمد لله وكفى.

وصلى الله وسلم وبارك على النبي المصطفى وآله المستكملين الشرف...

ثم أما بعد..

فأسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل جمعنا هذا جمعاً مرحوماً

وأن يجعل التفرق من بعده تفرقاً معصوماً،

وأن يجعل منا ولا بيننا ولا حولنا شقياً ولا محروماً

اللهم علمنا ما ينفعنا وأنفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ينفعنا

اللهم اجعل ما أقول وما تسمعون حجة لنا لا علينا

سبحانك اللهم ربنا وبعمدك على علمك بعد علمك

سبحانك اللهم ربنا وبعمدك على عفوك بعد قدرتك

سندناسه إله شاء الله تبارك وتعالى في هذا اللقاء علامة جديدة من علامات العارفين بالله تبارك وتعالى،

وهي علامة تدل على صفاء القلب، تدل على تبدل هذا القلب، وتدل على وصول أنوار الهداية للقلب،

علامة فيها معنى سجود القلب وفيها معنى إخباره لله تبارك وتعالى،

هي تنشأ عن حال مع الله تبارك وتعالى عجيب،

♥ فنجد قلبه هذا العارف، يضحك وعينه تبيكي ♥

كما قال أبو يزيد : "العارف تبكي عينه ويضحك قلبه"

ولكي يتضح لكم المقصود من هذه العلامة، علينا أن ننظر إلى حال سيد العباد صلوات ربي وسلامه عليه .. فقد

روى أبو داود وصححه الألباني من حديث مُطَرَّف عن أبيه رضي الله عنه قال : رأيت النبي ﷺ يصلي وفي

صدره أزيز كأزيز الرحا من البكاء . [صححه الألباني، مشكاة المصابيح (1000)] .. ورواه النسائي بلفظ : أتيت النبي

ﷺ وهو يصلي وجوفه أزيز كأزيز المرجل، يعني يبكي . [صححه الألباني، مشكاة المصابيح (1000)] .. ورواه ابن خزيمة

وابن حبان في صحيحيهما بنحو رواية النسائي إلا أن ابن خزيمة قال : ولصدره أزيز كأزيز الرحى.

النبي ﷺ يدخل في الصلاة فيبكي مشفقاً، فيبكي خاشعاً، يخشى به تبارك وتعالى،،

ومع ذلك، وفي نفس الوقت يروي الطبراني، وصححه الشيخ الألباني أنه ﷺ قال: "جعلت قرة عيني في الصلاة"

[صحيح الجامع (3098)]،

فكيف يمكن الجمع بين هذين الحالين؟ ..

تبكي العين ويضحك القلب، حال البكاء وحال السرور،

لأنها ثمرة معرفة الله تبارك وتعالى ➔

انظروا لكلام القشيري في قول الله تبارك وتعالى في وصف أهل النار: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ} [الصفات: 35]

فيقول القشيري "احتجاجهم بقلوبهم أوقعهم في وهدة عذابهم؛ ذلك لأنهم استكبروا عن الإقرار بربوبيته سبحانه وتعالى. ولو عرفوه لافتخروا بعبوديته؛ قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ .. } [الأعراف: 206]، وقال تعالى: {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ ..} [النساء: 172]"

فقرر القشيري هذه العلامة فقال :

"فمن عرف الله فلا لذة له إلا في طاعته وعبوديته"

فيبدو الإنسان حزينا، ويبدو أثر خوفه من الله تبارك وتعالى، وكأن ذلك سيُفسد على الواحد حياته وليس الأمر كذلك .. فتبكي العين ، لكن يتزَلَّ اللهُ عزَّ وجلَّ على القلب بالسكينة .. بالسرور ..

﴿لأن القلب هو الذي يرى .. { مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى } [النجم: 11]

فحينئذ يكون الإنسان منا حال عبادته مع وجله مع خوفه مع حزنه، يكون في نعيم، ويذوق لذة التعبد .. وهو معنى قول الله تبارك وتعالى:

{ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ } [الإنفطار: 13]

قالوا: في نعيم في الدنيا؛ لأنهم في لذات الطاعات وحلاوة المناجات، وهي من أعلى النعيم في الدنيا والله. وقد ذكرنا قبل ذلك كثيراً في عدة مواعظ هذا الذي أشار إليه ابن الجوزي رحمه الله من كلام بعض عباد بني إسرائيل، لما قال: يارب كم أعصيك ولا تعاقبني، فقال: كم أعاقبك ولست تدري؟ ألسنت قد حرمتك لذة مناجاتي ؟ ..

لذة المناجاة، لذة التعبد، حلاوة الطاعة، حلاوة الإيمان، هذه يذوقها من عرف من هو الرحيم الرحمن،

وهاني لذة النبوة من القرآن والسنة

وخذوا تقرير هذه العلامة من الكتاب والسنة، فقد ذكر أهل التفسير معاني جليلة حول حلاوة التعبّد ولذة التعبّد لله تبارك وتعالى ، فمن ذلك ما ذكروه في قول الله تبارك وتعالى:

{ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [الأعراف: 204]

فقالوا كلاماً رقيقاً ، قالوا: الاستماع لكلام الحبيب أشهى للقلوب من كل حبيب، لاسيما لمن سمعه بلا واسطة، فكل واحد ينال من لذة الكلام على قدر حضوره مع المتكلم.

عندما يكون القلب صافياً، نقياً .. هذا القلب قلب مُزكى مُطَهَّر، فَيَقْبَلُ عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فيفتح الله في القلب أذناً لتذوق حلاوة هذه الكلمات .. فيعيش في حال غير الحال، ويدوق لذة لا تدانيها ولا تقاربها لذة ، فمن ذاق عرف .. ومن عرف لم يهدأ له بال حتى يُمتَّع بالسماع بلا واسطة كما ذاقها الكليم، وذاقها النبي الكريم ﷺ.

وقالوا في قول الله تبارك وتعالى { لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ

لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَيَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ } [الحج: 37]

ذكر الغزالي حول هذه الآية معنى أيضاً جميل، قال: ليس المقصود من إراقة دم القربان في الضحايا والهدي .. ليس المقصود هو الدم واللحم، بل ميل القلب عن حُب الدنيا، وبذلها إيثاراً لوجه الله تبارك وتعالى. وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة، وإن عاق عن العمل عائق .. { لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى .. }، أي: يناله عمل القلب .. التقوى ها هنا .. التقوى ها هنا، محلها القلب ..

التقوى: التي تتمثل في نية القربة وإرادة الخير، وإخلاص القصد لله وهذا هو المقصود، ثم قال : وعمل الظاهر مؤكّد له ..

© يعني أولاً الباطن ، وبعد ذلك يؤكّد بعمل الظاهر ،

قال : ولذلك كانت نية المؤمن أبلغ من عمله ، فإن الطاعات ... استمعوا ..

هذا محل الشاهد: فإن الطاعات غذاء القلوب، والمقصود لذة السعادة بقاء الله تبارك وتعالى والتنعيم بها ، وذلك

فرع محبته والأنس به ..

إذاً، الطاعات يكون لها أثر .. قلنا العين باكية، وهذه القطرات من الدموع تتزل على القلب قبل أن تتزل على الخدود، فتطهر القلب، وتغسل القلب، وتغذي القلب .. فيصير القلب فرح سعيد ، يشعر بقاء الله ويتنعم بذلك ، وهذا لا يحصل إلا لمحِب، عارف من هو الذي يعبد، فهذا فرع عن محبة الله، وعن الأنس به فلا يكون .. استمعوا لأن هذا هو:

الحكم الواجب العملي: كيف أشعر بحلاوة التعبد؟، كيف أشعر بلذة الإيمان؟؟

قال : ولا يكون إلا بذكره، ولا يُفرَّغ هذا القلب إلا بالزهد في الدنيا وترك شواغلها والإنقطاع عنها ..

إذاً، حتى نصل إلى هذه المترلة: من عرف الله عزَّ وجلَّ بكت عينه وفرح قلبه ..

حتى نصل إلى لذة التعبد وحلاوة الإيمان:

◉ نحتاج إلى أن نزيد في أواد الذكر خاصة،

نزيد .. فمن يذكر الله عزَّ وجلَّ وقتًا ما، فليضاعفه؛ ليكون له أبلغ الأثر على قلبه ..

يكون دائم الاستغفار لله تبارك وتعالى .. دائم التهليل لله جلَّ وعلا .. دائم القول بالباقيات الصالحات ، سبحان

الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ..

يرسخها ويحطم بها تلك الصخور التي على القلب، وهذه القيود التي تحول بين القلب وبين التحيب لله والأنس به سبحانه وتعالى، حتى يشعر القلب حينئذ بالفرحة الحقيقية .. {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ

خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس: 58]

وهذا القلب لا يمكن أن يُستودع محبة الرحمن، والأنس به سبحانه وتعالى ويكون فيه الشوق إلى لقاء الله جلّ وعلا ويكون هذا القلب حقاً صدقاً يضحك ..

﴿إِذَا فُرِغَ مِنَ الدُّنْيَا﴾

وهذا بالزهداء فيها، وهذا يكون حينما يضعها الإنسان منا في كفة، ويضع الآخرة في كفة .. حين يردد على نفسه هذه الآيات التي تحرك القلب تجاه الربّ ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: 46]

اخرج الدنيا من القلب، هناك آمال ينبغي أن تُشَدَّ لها .. لن ينفك ولدك، يـا من تشتغل بأهلك، بولدك .. يـا من جُلَّ اهتمامك على زوجك وعلى ولدك وعلى أهلِك وعلى دنيا تحصيلها، إن لم تستخدمي هذه الأمور في الطاعة، وتكون قُربه إلى الله جل وعلا فهي دنيا ..

﴿فَلَمَّا يَظْعَكْ مِنَ الْآخِرَةِ فَمَوْءِدًا﴾

فينبغي ألا يكون التعلُّق تعلقاً فاسداً، فنتفرَّغ ونُفرِّغ القلب من شواغله ونقطع أوقات لله تبارك وتعالى .. فإذا أدينا حقوق الناس، وأدينا الواجبات التي علينا ...

فينبغي أن نتعب الله بالتبذل .. بلانقطاع؛ حتى يفرغ القلب، فيشعر بتلك المعاني العظيمة،

هل فهمتم؟ وهل تقرر عندكم هذا المعنى العظيم الجليل؟ ..

فافهموا عني ، فوالله إن هذا الأمر الخطير من الأهمية العظيمة بمكان .. لو أنعم الله علينا بالبصر والفهم، ولو كنا بحق صادقين نريد أن نُحصِّل تلك المعاني الإيمانية .. نريد بحق أن نكون عباداً لله، نكون بحق عارفين من هو الله ، مُحصلين لتلك العلامات لتكون أمامنا نبراساً على الطريق حتى نعرف هل نحن ملتزمون، مستقيمون ، مؤمنون حقاً؟ .. أم أننا في وهم كبير!!

﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 24]

أما في السنة المطهرة: فمعلوم أن معرفة الله عز وجل تورث الإيمان ، والإيمان وصف النبي ﷺ أن له حلاوة وأن له طعمًا، وانظروا إلى الأحاديث في هذا الباب فهي أيضًا خطيرة، وربما بعض الناس لم يسمع ببعضها رغم خطورته وأهميته ..

الحديث الأول: وهو الحديث المشهور الذي في الصحيحين "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون

الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .." [متفق عليه]

لن ينال أحد منا ضحك القلب، وحلاوة الإيمان حتى يؤثر الله على نفسه في موطن، وهذا واجبنا العملي الثاني ..

الواجب الأول: تفريخ القلب ودوام الذكر

الواجب الثاني: موقف نُؤثر الله ونؤثر رسول الله ﷺ فيه على أنفسنا

ليكون هذا الموقف مُدلاً على صدق رغبتنا في وصول تلك المعاني إلى القلب، أين التطبيق العملي ؟ أين إيثارنا لربنا على شهواتنا؟ ..

شهوة الكسل والنوم والراحة، والدعة، وشهوة التمتع بالدنيا، وشهوة أنه لا يمكن تحت أي ظرف من الظروف أني لا أقوم بعمل كذا وكذا وكذا من الأمور التي أوسع فيها على نفسي .. لا يمكن ألا أتزه .. لا يمكن ألا أفعل كذا .. لا يمكن ألا يحصل كذا .. شهوات .. شهوات قاطعات ..

متى يقول العبد منا لا لشهوة منه تلك الشهوات إيثاراً لله ورسوله؟؟!

والمعنى الثاني: " .. وأن يجب المرء لا يحبه إلا الله .."

﴿ تصفية المعاملات لنحصل أوثق عرى الإيمان: (الحب في الله والبغض في الله) ﴾

الصحة الصالحة، الصحة المعينة، رفقة الخير في زمن الغربة .. هذا الذي يُبَلِّغنا تلك الأحوال وهذه المقامات.

والأمر الثالث: " .. وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار"

وهذا إن بقي في القلب راسبه، إن بقي في القلب حب المعصية، إن بقي في القلب التعلق برواسب الجاهلية، يكون الإنسان منا دائم الإلحاح على نفسه .. دائم الذكر دائم الدعاء ..

يا رب كره إلي الكفر والفسوق والعصيان .. يا رب لا أعود هذه الأيام أبداً، يا رب لا تذكرني بها .. يا رب لا يكون في قلبي أثر من آثارها .. يا رب اسل سخائم صدري .. يا رب اغسل حوبتي .. اغسل قلبي من آثار الذنوب .. باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اغسلني بالماء والثلج والبرد ..

يقطع كل الصلوات التي تجعله قريباً من هذه الأحوال، كما قال أبو الهيثم بن التيهان في بيعة العقبة الثانية:

﴿ إن بيننا وبين القوم خطباً، وأنا لقاطعوها ﴾

أما الحديث الثاني: وهو الذي أريد أن تتأملوه جيداً، هذا الحديث رواه أبو داود وصححه الألباني، أن النبي ﷺ قال " ثلاثٌ من فعلهن فقد طعمَ طعمَ الإيمان:

1) من عبد الله وحده وأنه لا إله إلا الله ..

﴿ إذا، التوحيد .. التوحيد الخالص ..

توحيد يجعلنا على وصال بالله جلّ وعلا، من خلال تعرفنا على أسمائه وعلى صفاته .. من خلال تعبدنا له حق العبودية .. هذا التوحيد العملي المطلوب .. والأمر الثاني : قال:

2) وأعطى زكاة ماله، طيبة بما نفسه، رافدة عليه كل عام ..

﴿ إذا، إيثار الله جلّ وعلا على محبوبٍ عظيمٍ لدى النفس ..

{وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا} [الفجر: 20] .. {وَأِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} [العاديات: 8]

فيؤثر الله عزّ وجلّ، فيخرج زكاة ماله طيبةً بما نفسه، لا يصنعها إلا ابتغاء وجه الله، ولا يتيمم الخبيث ..

فقال النبي ﷺ " .. ولا يعطي الهرمة ولا الدرنة ولا المريضة ولا الشرط اللثيمة ولكن من أوسط أموالكم .. "

فينبغي ألا يأخذ صاحب العاهات أو العيوب، كما هو مقرر في كتب الفقه في هذا الباب ..

" .. ولكن من أوسط أموالكم، فإن الله لم يسألكم خيره ولم يأمركم بشره .. "

ع إِذَا، الأَمْرُ الثَّانِي: الزَّكَاةُ ..

والزكاة تكون من أوسط الأموال؛ ليكون أيضاً هذا فيه الدلالة على إيثار الله على هوى النفس .

ثم الثالثة، وهي محل الشاهد: يقول:

" .. وزكِّي نفسه " [صحيح الجامع (3041)]

فقال الرجل للنبي ﷺ: وما تزكية النفس؟، قال: "أن يعلم أن الله عز وجل معه حيث كان" [السلسلة الصحيحة

(1046)]

﴿ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ .. ﴾

هذا الذي يُطَهِّرُنَا ..

ع معرفة الله بأسمائه الدالة على مراقبة العبد له ..

سبحانه وتعالى الرقيب .. الشهيد .. السميع .. البصير .. العليم ..

يعرف العبد أن الله معه حيث كان، يعلم سره وعلايته .. يعلم بواطنه وظواهره .. وإذا أتى الله نفوسنا تقواها،

وزكها فهو سبحانه وتعالى خير من يزكيها، فإنه حينئذ يشعر الإنسان منا بتلك المعاني العالية حين تزكى النفس

ويُطَهِّرَ القلب ..

وما تزكية النفس؟ .. أن يعلم أن الله عز وجل معه حيث كان ..

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال " ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ - رسولاً" [صحيح مسلم]، فدلنا على معنى آخر ..

C وهو معنى الرضا ،

وكيف أنه يُحصّل هذه الأحوال من: ضحك القلب وحلاوة الإيمان وطعم الإيمان ..

فتلك الأحاديث قررت لنا أن للإيمان طعم، ولالإيمان حلاوة .. وهذه الحلاوة .. وهذا الطعم لا يُحصلها الإنسان إلا بمعرفة الرحيم الرحمن ، فلا يضحك القلب إلا إذا تحققت تلك المعاني.

الأمر الثالث: أوصيكم ونفسي بهذا الباب المهم في كتاب **(إغاثة المفان)** في الجزء الأول الباب السادس، الذي عقده الإمام ابن القيم ليقرر نفس المعنى الذي نتحدث عنه ..

قال الإمام ابن القيم، وأنا سأخص لكم ما ذكره على أن تعودوا لقراءة هذا الباب، وهو أيضاً من جملة الواجبات العملية الخاصة بهذه المحاضرة، قال:

الباب السادس: في أنه لا سعادة للقلب ولا لذة ولا نعيم ولا صلاح إلا بأن يكون الله هو إلهه وفاطره وحده، وهو معبوده وغاية مطلوبه، وأحب إليه من كل ما سواه ..

متى سيضحك القلب؟

قال: عندما تكون معاني التوحيد، معاني المعرفة الحقيقية بالله تبارك وتعالى راسخة بالقلب .. أنا أعرف أن هناك أناس كثيرون، عندما نذكر هذه المعاني ويكون القلب غافلاً أو شارد أو بعيد عن ذوق تلك الأمور، أحياناً الناس تُحبط وتقول: أنت تتحدث في معاني عالية جداً، ونحن أقل من ذلك بكثير، نحن مازلنا لم نحصل الشيء الذي يبلغنا!! .. وأنا أقول: هذا من تحذيل الشيطان ابتداءً، حتى نغلق الباب عن الوسوس .. لأن بعض الناس يسمعي، وممكن يكون في الطريق منذ سنة أو سنتين أو ثلاث، أو شهر أو شهرين، أيأ ما كان .. وحاول أنه يبلغ ذلك، فأتته تلك الأحوال وضحك قلبه وحدثت له بعض البشارات، لكن بعد قليل حدثت له انتكاسات

وحدث له فتور وحدث له ما لا يحمد .. فحينئذٍ البعض يصاب بالإحباط واليأس، حينما نذكر تلك المعاني؛ لأنه لم يعد يذوقها، وأنا أقول جواباً عن تلك الشبهات الشيطانية:

أولاً: هذا مه فعل الشيطان ..

{..وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُوْلًا} [الفرقان: 29] .. فإياكم وتلك المعاني .

ثانياً: عندما نتكلم بهذا وتُلاح به على القلب هذا مه العلاج وهذا مه الدواء ..

وهذا مما يجعل النفس تشتتهي أن تصل وتُبَلِّغ، وهذا مما يجعلها أكثر انقطاعاً لله تبارك وتعالى .. هذه المعاني عندما نعيشها حتى ابتداءً في أذهاننا وفي خيالاتنا، ونرجو من الله عزَّ وجلَّ أن تتحقق في واقعنا، ونتلمسها في قلوبنا .. مجرد ذكرها والإلحاح على النفس بها ..

هذا سبب من أسباب التدوي، لكن علينا أن نُحسِّن طرق المعالجة بهذه الكلمات لقلوبنا؛ حتى لا يستخدم

الشيطان هذه الكلمات استخدام آخر ، فيحول بيننا وبين ما نشتهي !

فافهموا عني هذا، واسمعوا ما قرره الإمام ابن القيم هنا، من حجج ليقدر هذه القاعدة ..

لأننا نحتاج دائماً في المعالجة إلى أمرين:

الأمر الأول: القناعة العقلية ..

والأمر الثاني: الحماسة القلبية ..

نحن نحتاج حتى نطبق، نحتاج إلى إرادة .. هذه الإرادة تبعث فينا العمل، ونحتاج من قبلها علم يكون سبباً في بعث الإرادة والهمة .. فعندما نقول: يا جماعة، والله لن تذوقوا طعم الإيمان ولا حلاوة الإيمان التي ستكون سبباً من أسباب التثبيت على الطريق .. والله لن نذوق ذلك إلا إذا ترسخت هذه المعاني فينا .. فيبدأ الواحد منا يركز، ويستحضر هذه المعاني أمامه .. ويقول: نعم، لماذا أنا لا أريد أن أقتنع بهذا المعنى؟

لماذا الدنيا أصبحت تستحوذ على القلوب بهذا الشكل، هل تعلمون لماذا ؟

لأننا تركنا هذه القلوب لشبهات الشياطين، شياطين الإنس والجن .. واحتكاكنا بأهل الدنيا أفسد علينا ذلك، فأصبح لدينا حاجز نفسي في التطبيق، وأصبح استمتاعنا الحقيقي الواقعي الذي هو الرصيد الحقيقي الذي في قلوبنا، هو الاستمتاع بالدنيا !!

فعندما نتكلم عن حلاوة الإيمان .. يا سلام! وهل الواحد يكره أن يكون لديه ذلك أيضًا ؟ .. لكن قبل ذلك، عنده اهتمام بالتمتع الدنيوي .. والله سبحانه وتعالى جعل التمتع الحقيقي هو متاع الآخرة .. {وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ..} [هود: 3] .. المتسع الحقيقي .. فلا بد أن نتبرمج، قبل أن أسوق كلام الإمام ابن القيم هنا، وأقول النقاط التي دلل بها على هذا المعنى الجليل، نريد أن نأخذ هذا الأمر على سبيل البرمجة الفكرية؛ حتى تكون لدينا القناعة العقلية، التي تولد الحماس القلبي ، الذي إذا اجتمع مع قناعة عقلية سليمة أنتجت التغيير الحقيقي ، فهمتم؟

ابن القيم يقول - رحمه الله - "معلوم أن كل حَيٍّ سوى الله تبارك وتعالى: من ملك أو إنس أو جن أو حيوان، فهو فقير إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ولا يتم ذلك له إلا بتصوره للنافع والضرار .."

أول شيء كلنا نريد أن نكون سعداء، وكلنا نتمنى أن تضحك قلوبنا، في الزمن الذي لا يعلم شأنه إلا الله .. كلنا نحتاج هذا المعنى، كلنا نبحث عن السعادة ..

فيما تتحقق السعادة؟!

أن أحقق مصلحتي ومنفعتي، وأن أدفع عن نفسي أي ضرر ممكن أن يُفسد عليَّ حياتي ..

وهل أنا أعرف ما ينفعني وما يضرني؟

أم إنني آخذ هذا الكلام وفق هواي، أو وفق كلام الناس، أو وفق العادات، أو وفق التصورات التي تُبث من حولي .. إعلام يقول لي: أنك إذا فعلت ذلك ستكون سعيد .. إذا فعلت هذه المعصية الفلانية ستعيش .. إعلام يقول لي: أنه ليس من الضرر أن تفعل المعصية الفلانية، لن تكون مشكلة بالنسبة لك ..

فابن القيم يقول: "ولا يتم ذلك له إلا بتصوره للنافع والضار، والمنفعة من جنس النعيم واللذة، والمضرة من جنس الألم والعذاب".

قال أننا نتكلم في أربعة أمور:

الأمر الأول: أن أعرف ما هو المحبوب المطلوب الذي سأنتفع به وأتلذذ بإدراكه ..

الأمر الثاني: معرفة المعين الذي سيوصل إلي هذا الأمر ..

ما هو الشيء الذي يجعلني فرح وأكون مبسوط، وأشعر بلذة الإيمان ولذة التعبد وهذه المعاني؟

والأميرين الآخرين: قال: **ومكروه بغيض ضار ..**

إذاً يجب أن يعرف ماهية .. ويعرف أيضاً وهو الأمر الرابع:

معين دافع له عنه

إذاً .. (1) أمر محبوب مطلوب الوجود .. (2) وأمر مكروه مطلوب العدم ..

(3) ووسيلة تحصل هذا المحبوب .. (4) ووسيلة تدفع هذا المكروه ..

قال: وهذه الأمور الأربعة ضرورية للعبد، بل ولكل حيوان لا يقوم وجوده وصلاحه إلا بها.

فإذا تقرر ذلك، فالله تعالى هو الذي يجب أن يكون هو المقصود ..

⊖ لا بد أن يكون هدي الحقيقى هو : : قربه ورضاه ..

قال : الله هو المقصود؛ لأن اسمه الصمد .. المقصود لذاته سبحانه وتعالى ..

.. المطلوب الذي يُراد وجهه ويُبتغى قربه ويُطلب رضاه، وهو المعين على حصول ذلك.

إذاً منه سيكون النفع منه لي؟ منه الذي ينبغي أن يكون محبوبى الأول؟

الله جبارٌ وعلا ..

ومع سيمدني بالحوّل والقوة ؟ وسيعينني على تحصيل هذا الأمر ؟

الله جبارٌ وعلا ..

قال : وهو المعين على حصول ذلك. وعبودية ما سواه والاتفات إليه، والتعلق به: هو المكروه الضار،

إذا ما الذي ينبغي أن يكون مكروهي ؟

❁ من أحب أحدًا سوّك الله عُذّب به ولا بد ❁

علّق قلبك بأي شيء من الدنيا .. تعلّقني بأي شيء من حطام الدنيا الفاني، ستجدي العذاب والمرار .. ستجدين الضرر والمكروه الحقيقي ..

من الذي سيدفع عني ضرر الدنيا؟ وضرر الشيطان؟ وضرر النفس؟ وضرر الهوى ؟ من الذي سيدفع عني ذلك ؟

هو الله سبحانه وتعالى ..

قال: فالجامع لهذه الأمور الأربعة هو سبحانه دون ما سواه. فهو المعبود المحبوب المراد. وهو المعين لعباده على وصوله إليه وعلى عبوديته. والمكروه البغيض إنما يكون بمشيئته وقدرته، وهو المعين لعبده على دفعه عنه، لذلك قال أعرف الخلق به ﷺ: "أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ" [صحيح

الجامع (1280)]

وكان يقول ﷺ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسَلْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ" [متفق عليه]

فالذي يُنجي هو الله .. والذي إليه الملجأ هو الله .. والذي الاستعاذة به هو الله، الذي يُعيدنا من شر ما هو كائن بمشيئته وقدرته سبحانه وتعالى ..

إذا الأمر كله لله، والحمد كله لله، والملك كله لله، والخير كله في يديه لا يُحصي أحد من خلقه ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه سبحانه وتعالى .. وهذا تحقيق معنى قوله : {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: 5]

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ...} .. عبوديته سبحانه وتعالى، عبوديته التي هي من معنى ألوهيته .. حبه والتذلل له والانكسار بين يديه ..

{...وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} .. من معاني ربوبيته جلّ وعلا ..

قال : فإن الإله هو الذي تأله القلوب ..

يا جماعة، اسمعوا بالله بأذان القلوب؛ لأن الكلام لا أريده أن يتزل على قلوبنا هكذا ويمر فقط .. الإله الذي تأله القلوب هو الله .. تسمع و فقط، لكن القلب غير مُستشعر! .. أحس معي واستشعر هذه المعاني بالله، القلب لا يد أن يأله .. أي: ينكسر ويذل ويخضع ويُحب ربّه تبارك وتعالى.

فاخبة والإنابة والإجلال والإكرام والتعظيم والذل والخضوع والخوف والرجاء والتوكل .. هذه كلها من أعمال القلوب تجاه الربّ المعبود سبحانه وتعالى ..

توحيدنا للإله يُحقق تلك المعاني في قلوبنا، وتوحيدنا للربّ نعرف أنه الذي يُربينا فيُعطينا خلقنا وهدانا {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٨) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى} [الأعلى: 2,3] .. والذي يهدينا إلى مصالحنا ..

فلا إله إلا هو، ولا رب إلا هو. فكما أن ربوبية ما سواه أبطل الباطل، فكذلك ألوهية من سواه كذلك.

ابن القيم قال : وفي القرآن سبع مواضع ذكّر فيها تقرير هذا المعنى::

الأول: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: 5]

والثاني : {...فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ...} [هود: 123]

الثالث : { ...وَمَا تُوْفِقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } [هود: 88]

الرابع : { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ... } [الفرقان: 58]

الخامس : { ...قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ } [الرعد: 30]

السادس : { ...رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } [المتحنة: 4]

السابع : { ...وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً } [الزَّمَل: 8]

{ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا } [الزَّمَل: 9]

فقال : فهذا هو الوجه الأول .. الوجه الأول : أن الإنسان منا يحتاج أن يُحصَل منفعة، ويدفع عن نفسه ضرر، ويحتاج إلى الطريقة التي تجعله يُحصَل هذه المنفعة، وما هو الشيء الذي من خلاله يدفع هذا الضرر .. هؤلاء الأربعة أمور لا يتحصَل عليهم العبد إلا من ربِّه سبحانه وتعالى .. لو آمن بالله ربًّا وبالله إلهًا، يكون القلب حينئذٍ مُحصَل للمنفعة دافع عن نفسه المضرة .. حينئذٍ يفرح القلب .. يضحك القلب؛ لأنه وحَّد الله وهذا معنى أن من حقق ذلك جمع الله عليه الشمل وكان غناه بين عينيه ثم الدنيا تأتيه وهي راغمة، كما قال النبي ﷺ فيمن كان همه الآخرة .. همه أن يُقبل على الله .. همه لقاء الله .. همه النظر إلى وجهه الكريم.

ابن القيم قال: الوجه الثاني : أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لعبادته، الجامعة لمعرفته والإنابة إليه ومحبته، والإخلاص له، فبذكره تطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم، وبرؤيته في الآخرة ..

يا رب نسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقاءك،

يقول: وبرؤيته في الآخرة تقر عيونهم، ويتم نعيمهم، فلا يعطيهم في الآخرة شيئاً خيراً لهم ولا أحب إليهم، ولا أقر لعيونهم، ولا أنعم لقلوبهم: من النظر إليه، وسماع كلامه منه بلا واسطة.

أنك تسمع الكلام من لدن الله تبارك وتعالى بلا واسطة .. أنتصرون يا جماعة كيف يكون هذا المعنى؟ فنحن عندما نُصلي وراء قارئ، وقرأ بصوت حسن جميل ويُزين القرآن بصوته يطير القلب من الفرح .. فما بال

القلب لو سمع القرآن من لدن الرحمن، سمع بأذنه كلام الرحمن .. فكيف يكون عيشه ؟ .. سيدنا موسى عندما فقط كلمه ربه قال : رب أرني، لم يقدر اشتاق .. فما بالناس إذا سمعنا الكلام هكذا مباشرة فكيف يكون الحال؟

ولم يعطهم في الدنيا شيئاً خيراً لهم ولا أحب إليهم، ولا أقر لعيونهم من الإيمان به، ومحبتهم والشوق إلى لقائه، والأنس بقربه، والتنعّم بذكره.

ثم أشار ابن القيم إلى الحديث الذي رواه النسائي والإمام أحمد وابن حبان في صحيحه وهو حديث صحيح من دعاء النبي ﷺ : "اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي اللهم. وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضى والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضى بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة .." [رواه النسائي وصححه الألباني]

ابن القيم يقول : هذا الدعاء العظيم جمع كل ما هو حسن في الدنيا .. أطيب شيء في الدنيا وهو: الشوق إلى لقاء الله، وأطيب شيء في الآخرة وهو: النظر إلى وجه الله.

فجمعهما النبي ﷺ في قوله " .. وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة .."

قال: أن النعيم نوعين هناك: نعيم يكون للبدن، وهناك نعيم يكون للقلب .. نعيم البدن معروف، ونعيم القلب هو: قرة العين؛ لذلك قال " .. وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع .."

هذا هو نعيم القلب .. هذه هي حلاوة الإيمان،،

انتبهوا،

الوجه الأول: قضية المنفعة والمضرة.

والوجه الثاني: يرتبط بالشوق ويرتبط بالأنس ويرتبط بسكن القلب ..

النعيم الذي لا ينفد حين يكون القلب على هذه الأحوال التي طلبها النبي ﷺ في حديث عمّار ابن ياسر المتقدم.

الوجه الثالث: الفقر ..

لأن الواحد منّا محتاج إلى ربّه، ويقول ابن القيم: ليس له نظير كي أشبه به، لكن أكثر شيء ممكن أن يُقرّب المعنى

قليلاً احتياج الجسد إلى الغذاء والشراب ..

"فإن حقيقة العبد قلبه وروحه، ولا صلاح له إلا بإله الحق الذي لا إله إلا هو، فلا يطمئن إلا بذكره، ولا يسكن إلا بمعرفته وحبّه، وهو كادح إليه كدحا فملاقيه، ولا بد له من لقائه، ولا صلاح له إلا بتوحيد محبته وعبادته وخوفه ورجائه"

يعرف هذه المعاني .. يعرف ربه حق المعرفة، فيعرف أنه أحوج ما يكون إلى ربه حين يشعر بفقره ويشعر بأهمية أن يكون متقرباً إلى ربّه تبارك وتعالى من خلال تلك المعاني .. من حبه .. من سكون القلب له .. من سجود القلب من خوفه من رجاءه .. يعرف حينئذٍ أنه لا نجاة له ولا فلاح له ولا لذة له ولا سعادة له إلا أن يتحصّل هذا في قلبه ويعرف أنه أفقر ما يكون لذلك.

الوجه الرابع: قال: أن أفضل نعيم في الآخرة وأجلّه وأعلاه على الإطلاق هو النظر إلى وجه الربّ تبارك**وتعالى، وسماع خطابه ..**

الحديث في صحيح مسلم حديث صُهَيْب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم ينقل الله موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار؟، فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه .." [صحيح الجامع (521)]

يا رب قلوبنا تصير مُشْتَاقَةً .. يا رب هذا الكلام نشعر به .. يا رب أدخل هذه المعاني في

قلوبنا .. يا رب أشعرنا باحتياجنا لهذا الكلام والله ..

يا رب إذا كان منا من هو مُتبلِّدٌ إحساسه، ومن منا في غفلةٍ وشروءٍ وفي انتكاسٍ وفي فتورٍ .. يا رب اجعل لهذه الكلمات أثرًا في إزالة تلك الحُجُبِ عَنَّا ..

ففي الحديث: فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه ..

يا رب متعنا بالنظر إلى وجهك الكريم،

فلم يعطهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، وإنما كان ذلك أحب إليهم لأن ما يحصل لهم به من اللذة .. (هذا هو ضحك القلب والله) .. اللذة والنعيم والفرح والسرور وقرّة العين، فوق ما يحصل لهم من التمتع بالأكل والشرب والحوار العين ..

وأى نسبة بين هذه اللذات وبين لذة النظر إلى وجهه الكريم!!؟

لذلك الآية التي تُقطع عندما نمر عليها، ونخاف أن يكون لأحدنا نصيب منها ..

{كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ*} ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ { [المطففين: 15,16]

فجعل أشد العذاب أنهم يُحجبوا عن الله، وبعد ذلك قال وسيصلون الجحيم .. ويصير بالتالي أعلى النعيم، نعيم التمتع بما في الجنة؟! .. لا ..

والله، أعلى النعيم التمتع برؤيته ..

لذلك قال: { إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ*} عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ { [المطففين: 22,23]

يقول ابن القيم "ولقد هضم معنى الآية من قال: ينظرون إلى أعدائهم يعذبون، أو ينظرون إلى قصورهم وبساتينهم، أو ينظر بعضهم إلى بعض .."

{عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ} [المطففين: 23]

الذى فسر كلمة "يَنْظُرُونَ": بأنهم ينظرون إلى المعذبين، فيحمدون الله على العافية .. و ينظروا إلى إخوانهم أو ينظروا إلى النعيم، من القصور والبساتين والخور وماشابه ..

قال: وكل هذا عدول عن المقصود إلى غيره، وإنما المعنى: ينظرون إلى وجه ربهم ..

{ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ } [المطففين: 22]

نعيمهم نظرهم إلى وجه ربهم الكريم ..

و ضد حال الكفار الذين هم عن ربهم محجوبون.

{ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ } [المطففين: 16].

يقول ابن القيم : وتأمل كيف قابل سبحانه ما قاله الكفار في أعدائهم في الدنيا وسخروا به منهم، بضده في القيامة، فإن الكفار كانوا إذا مر بهم المؤمنون يتغامزون ويضحكون منهم: { وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَصَالُونَ }

[المطففين: 32]

فقال الرحمن: { فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ } (*) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ { [المطففين: 34,35]

فأطلق النظر، ولم يقيده بمنظور ..

ولم يقل ينظرون لأي شيء بالتحديد، والنظر إلى الله تبارك وتعالى هو أعلى ما ينظر إليه

والنظر إليه أجل أنواع النظر وأفضلها، وهو أعلى مراتب الهداية، فقابل بذلك قولهم:

{ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَصَالُونَ } [المطففين: 32].

فالنظر إلى الرب سبحانه مراد من هذين الموضعين

ابن القيم يقول: { عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ } [المطففين: 23] .. ينظرون إلى الله تبارك وتعالى ابتداءً، ثم باقى المنظورات.

إذاً، الوجه الرابع .. لو أن أحدنا برمج نفسه على هذا المعنى:

إن أفضل النعيم: هو النظر إلى وجه ربك الكريم، وسماع خطابه .. وهفت نفسه إلى ذلك وصار هذا مقصودًا له .. فإنه حينئذٍ يشعر بلذة لا يدانيها لذة ..

**أه يستشعر تلك المعاني فقط قبل أن يذوقها حق اليقين، مجرد استشعارها تجمّع القلب على قصد طريق
الربّ،،**

الوجه الخامس: يقول: أن المخلوق ليس عنده للعبد نفع ولا ضرر، ولا عطاء ولا منحر، ولا هدي ولا ضلال، ولا نصر ولا خذلان، ولا خفض ولا رفع، بل الله وحده هو الذي يملك له ذلك كله ..

إذًا، لا سعادة له إلا أن يعرف من هو ربه، فيضحك قلبه ..

{ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [فاطر: 2]

يقول: { وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِذْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ

عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [يونس: 107]

إذًا لو فهمنا هذا وعرفنا هذه المعاني، يكون ذلك من فطنة العبد ..

يقول ابن القيم: ويذكر أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه:

"أَدْرِكْ لِي لَطِيفَ الْفِطْنَةِ، وَخَفِي اللَّطْفِ، فَإِنِّي أَحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا لَطِيفُ الْفِطْنَةِ؟ قَالَ: إِنَّ وَقَعْتَ عَلَيْكَ ذُبَابَةً فَأَعْلَمَ أَنِّي أَنَا أَوْقَعْتُهَا فَاسْأَلْنِي أَرْفَعُهَا. قَالَ: وَمَا خَفِي اللَّطْفِ؟ قَالَ: إِذَا أَتَيْتَ حَبَّةً فَأَعْلَمَ أَنِّي أَنَا ذَكَرْتُكَ بِهَا"

الله .. الله على المعنى الرقاق العالي .. إن أحدنا يعلم أن الله هو الذي يرزقه، وهو الذي ينصره .. أن يعلم أنه إذا مسه بسوء لم يرفعه عنه غيره .. وإذا ناله بنعمة لم يرزقه إياها سواه ..

قال له: عندما يأتك أدنى شيء، حتى لو وقعت عليك ذبابة .. قل: نعم، الذي أوقعها عليّ ربّي، ولا يرفعها عني إلا هو .. وأعرف أنه لو أتتك حبة .. أعرف أن الله سبحانه وتعالى يذكرك بنفسه من خلال تلك الحبة، فلا تنسى شكرها ..

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر قال: سمعت وهباً يقول: قال الله تعالى في بعض كتبه:

"بِعِزَّتِي، إِنَّهُ مَنْ اعْتَصَمَ بِي، فَإِنْ كَادَتْهُ السَّمَوَاتُ بِمَنْ فِيهِنَّ، وَالْأَرْضُونَ بِمَنْ فِيهِنَّ، فَإِنِّي أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَخْرَجًا، وَمَنْ لَمْ يَعْتَصِمْ بِي، فَإِنِّي أَقْطَعُ يَدَيْهِ مِنْ أَسْبَابِ السَّمَاءِ وَأَخْسِفُ بِهِ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ الْأَرْضَ، فَأَجْعَلُهُ فِي الْهَوَاءِ، ثُمَّ أَكِلُهُ إِلَى نَفْسِهِ، كَفِّي لِعَبْدِي مَلَأَى، إِذَا كَانَ عَبْدِي فِي طَاعَتِي أَعْطِيهِ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَنِي، وَأَسْتَجِيبُ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْعُونِي، فَإِنِّي أَعْلَمُ بِحَاجَتِهِ الَّتِي تَرْفُقُ بِهِ مِنْهُ".

الله ... والله كل كلمة تحتاج إلى درس .. لكن المعنى الذي ينبغي أن يُسَطَّرَ الآن حين نسمع مثل هذه الكلمات على القلوب ..

ألا نعتصم إلا به .. ألا نوجه قلوبنا لغيره ...

أن نعرف أن الله عزَّ وجلَّ أجود علينا بالخير .. وأنه يعطي عباده الذين يسعون في طاعته، يعطيهم قبل سؤالهم إياه .. ويستجيب لهم قبل أن يدعوه .. فهو أعلم بأحوالهم وأعلم بحاجاتهم .. فإذا، نفوض له الأمر .

يا عبد الله .. يا أمة الله، ألم ترق القلوب لمثل هذه المعاني !!؟

قال عطاء الخراساني: لقيت وهب بن منبه، وهو يطوف بالبيت، فقلت له: حدثني حديثاً أحفظه عنك في مقامي هذا وأوجز، قال نعم:

"أَوْحَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى دَاوُدَ: يَا دَاوُدُ، أَمَا وَعِزَّتِي وَعَظْمَتِي لَا يَعْتَصِمُ بِي عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِي دُونَ خَلْقِي - أَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْ نِيَّتِهِ - .. (مجرد أن نيتك تتوجه إلى الله تبارك وتعالى) .. فَتَكِيدُهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ إِلَّا جَعَلْتُ لَهُ مِنْ بَيْنَهُنَّ مَخْرَجًا؛ أَمَا وَعِزَّتِي وَعَظْمَتِي لَا يَعْتَصِمُ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي

بِمَخْلُوقٍ ذُوِي - أَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْ نَيْتِهِ - إِلَّا قَطَعْتُ أَسْبَابَ السَّمَاءِ مِنْ يَدِهِ، وَأَسَخْتُ الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ،
ثُمَّ لَا أَبَالِي بِأَيِّ وَادٍ هَلَكَ".

يقول ابن القيم: ونظير ذلك: من يتزل به بلاء عظيم، أو فاقة شديدة، أو خوف مقلق، فجعل يدعو الله سبحانه ويتضرع إليه، حتى فُتِحَ له .. وهذا ما أتحدث عنه من بداية الدرس .. حتى فُتِحَ له من لذيذ مناجاته وعظيم الإيمان به، والإنابة إليه ما هو أحب إليه من تلك الحاجة ..

يظل أحدهم يدعو إلى أن يشعر بقرب الله تعالى .. { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ .. } [البقرة: 186]

فيصير القرب عنده أشهى من المطلوب .. أنا لا أريد شيئاً بعد ذلك، حتى لو كنت أقول أنني أحتاج لكذا وكذا .. لكن إحساسى بقرب الله تعالى مني ولذة مناجاته، أصبحت أطيّب عندي من كل مطلوب ..

ولكنه لم يكن يعرف ذلك أولاً حتى يطلبه، ويشتاق إليه ..

لو المعنى هكذا، عرفنا الله تعالى من خلال المناجاة والتعبد .. وعرفناه بلطيف الفطنة وخفي اللطف ..

حينئذ تدرسه المعاني في القلب، فيضحك القلب،،

والوجه السادس: أن تعلق العبد بما سوى الله تعالى مضرة عليه، إذا أخذ منه فوق القدر الزائد على حاجته،

شخص يحب زوجته .. أخت تحب والدها .. هذا حب جبلي لا إشكال فيه، لكن أحياناً يتعلق الواحد منا بالمخلوق أزيد عن الحاجة ..

فإذا نال من الطعام والشراب والنكاح واللباس فوق حاجته ضره ذلك، ولو أحب سوى الله ما أحب، فلا بد أن يسلبه ويفارقه،

" .. أحب من شئت فإنك مفارقه " [حسنه الألباني، صحيح الجامع (73)]

فإن أحبه لغير الله فلا بد أن تضره محبته ويعذب بمحبوبه،

يا كل من تعلق قلبه بغير الله، اسمع تلك الكلمات ..

قال: والغالب أنه يعذب به في الدارين ..

يُعَذَّبُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَيُعَذَّبُ بِهِ فِي الآخِرَةِ إِلَّا أَنْ يَطْهَرَ قَلْبَهُ ..

قال الرحمن {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ} [التوبة:

[34,35]

هذا أحب المال وشغل به، فقال الرحمن بعد هذه الآيات ..

{فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ}

[التوبة: 55]

إذًا، العذاب كل العذاب في معرفة القلب لسواه وفي تعلق القلب بغيره، ومعرفة القلب لغيره ..

ومن أبلغ العذاب في الدنيا: تشتيت الشمل وتفرق القلوب، وكون الفقر نصب عيني العبد لا يفارقه،

هذا ضحك ما بعده ضحك، فلو فهمنا ولو عقلنا ولو وطنًا أنفسنا وأشتغلنا بذكر ربنا .. حينئذٍ يشعر القلب

بتلك المعاني، فيضحك ..

اعرفوا وافهموا وتيقنوا ..

أن من أحب شيئًا سوى الله عزَّ وجلَّ فالضرر حاصل له بمحبوبه: إن وجده وإن فقده، فإنه إن فقده عُذِّبَ بفراقه وتأم على قدر تعلق قلبه به، وإن وجده كان ما يحصل له من الألم قبل حصوله، ومن النكد في حال حصوله، ومن الحسرة عليه بعد فوته، أضعاف أضعاف ما في حصوله ..

فافهموا هذا المعنى .. ثم قال:

الوجه السابع: أن اعتماد العبد على المخلوق وتوكله عليه يوجب له الضرر من جهته هو ولا بد، عكس ما أمله منه ..

الواحد يركن بقلبه على غير الله، فيُخذل .. وهنا يشعر بالألم والنكد، فيبكي القلب لا يضحك ..

والعكس تمامًا في التوكل على الله تعالى ..

قال الله جلَّ وعلا { **وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا** }

[مريم: 81,82]

وقال { **وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ** } [يس: 74,75]

فحينئذٍ عليك أن تمتثل وعليك أن تفهمي وتمثلي لقول الله تبارك وتعالى:

{ **فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ** } [الشعراء: 213]

أي: في الدنيا والآخرة بركون القلب على غير الربّ تبارك وتعالى.

والمعنى الثامن والأخير: قال الإمام ابن القيم:

الوجه الثامن: أن الله سبحانه غنيّ كريم، عزيزٌ رحيم.

فهو محسن إلى عبده مع غناه عنه، يريد به الخير، ويكشف عنه الضر، لا جلب منفعة إليه من العبد، ولا لدفع مضرة، بل رحمة منه وإحسانا.

فكَلِ الخلق يحتاجك لنفسه .. أما الله سبحانه وتعالى فإنه يريدك لك ..

كل الناس يريدونك ليأخذوا عنك .. أما الله فلا يريد منك شيئاً فهو الغني ..

{ **مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا** } [الذاريات: 57]

{ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا }

[الإسراء: 111]

فهو سبحانه لا يوالي من يواليه من الذل، كما يوالي المخلوق المخلوق، وإنما يوالي أولياءه إحسانًا ورحمة ومحبة لهم.

فهذه وجوه ثمانية قرر بها الإمام ابن القيم هذه العلامة:

أن من عرف ربه تبارك وتعالى حصل هذا النعيم المقيم .. { إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ } [المطففين: 22]

حصله إذا برمج نفسه على تلك المعاني الثمانية، حينئذ يشعر بهذا الأمر و يحصله، فيذوق طعم الإيمان وحلاوة

الإيمان ..

أهتلة للفة النهب من سيرة النبي ﷺ والصحابة

وأخيرًا، أذكر لكم بعض الأمثلة السريعة التي جاءت في سيرة النبي ﷺ وفي سيرة الصحابة، والتي تدل على هذه العلامة .. كيف أن من حصل تلك المعرفة، كان يشعر بشيء آخر في حال تعبده، لذة العبادة الحقيقية التي نحتاجها كلنا ..

أليس النبي ﷺ كان أشد الناس لله عبادة، إن شئت أن تراه قائمًا أو راکعًا أو ساجدًا أو ذاکرًا في أي ساعة من ليلٍ أو نهار وجدته ﷺ .. كان كما تقول أمنا عائشة: "كان كل عمله ديمة، وأيكم يستطيع ما كان رسول الله

ﷺ يستطيع" [رواه أبو داود وصححه الألباني]

كاه يتالم !! وهل سمعتم أنه قال: أنه يتالم؟؟

إن هذا التعبير ليس بصحيح، هل كان يتالم وهو ﷺ قدماه متورمتان من أثر طول القيام؟

ما تألم؛ لأنه كما في هذه العلامة .. إذا كان البكاء على العين، فإن القلب يفرح ..

و إذا كان التورم في القدم، فإن القلب يفرح ..

وإذا كان القلب يضحك، فإن الواحد منا لا يشعر بمثل ذلك،،

النبي ﷺ كان عند الشدائد والصعاب، كان أقرب الخلق من الرحمن ..

يوم بدر، قال علي " .. ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم، إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح "

[رواه ابن خزيمة وصححه الألباني]

قد كان رسول الله ﷺ يكون في السفرة كما يخبر أبو الدرداء: الكل يشعر بشدة الحر، يقول "وما فينا صائم إلا

النبي ﷺ وما كان من ابن رواحة"

النبي كان يخفف عنه كل ذلك: " .. إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني " [متفق عليه]

كان ﷺ وصاله بالله .. فرح قلبه بالله .. ضحك قلبه بالسكون، والسكينة التي تحل بالبعد حال التعبد ..

فيا مه تديوه تطبيقاً عملياً لهذه العلامة ..

عليكم أن تكونوا من السابقين السابقين في أبواب التعبد .. من أصحاب الأعمال الفذة الكبيرة في هذا المقام،

تدليلاً على صدق ذلك فينا ..

انظروا إلى رقيق القلب، غزير الدمع: أبو بكر ..

الذي كان إذا صلى، صلى أسيفاً .. لا يستطيع أن يقوم من مقامه من كثرة بكائه .. وهو في نفس الوقت أكثر

المؤمنين يقيناً وتصديقاً بالنبي ﷺ .. وهو في نفس الوقت لا يترك باب من أبواب الطاعات ..

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن

كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل

الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان" ..

فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي، ما على من دعي من هذه الأبواب من ضرورة. فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟

انظروا علو العمة .. انظروا الشعور بلذة الطاعة .. انظروا قلوب هؤلاء، كيف كانت؟!

قال النبي ﷺ "نعم، وأرجو أن تكون منهم" [رواه الترمذي وصححه الألباني]

هذا هو الذي أبحث عنه، نبحت عن مسارعة في الخيرات علو همة حتى أرزق هذه المقامات العلا .. حتى نكون كما كان شيخ الاسلام يقول:

"إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة .."

ما يصنع أعدائي بي؟! .. أنا جنتي وبستاني في صدري، أنى رحمت فهي معي لا تفارقني ..

إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة"

وكان يقول في محبسه في القلعة:

" لو بُدِّلَت ملء هذه القلعة ذهبًا، ما عدل عندي شكر هذه النعمة .. ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير"

فكان في سجوده يديم أن يقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ..

وكان يقول: "المحبوس من حُبِسَ قلبه" .. المحبوس الذي لا يذوق قلبه هذه المعاني.

كانوا يشعرون بلذة القرب .. لذة المناجاة، التي ليست من الدنيا كما قال سلفنا الصالح ..

يا ربِّ، اجعل من هذه الكلمات سبباً لأي أن تضلك قلوبنا ونُسِّرَ برَبِّنا .. وننعم بمعرفتك، فيكون ذلك سبباً لحصول تلك الطمأنينة والسكين واللذة والسعادة لأي قلوبنا أجمعين ..

يا ربِّ، أنزل على قلوب المسلمين السعادة والفرح والهناء بك يا ربِّ ..

واجعلنا يا كريم .. يا أكرم .. يا جواد ..

من عبادك الذين طارت قلوبهم لك، وأنسوا بك، واشتاقوا لرؤيتك ..

اجعلنا **بيِّنًا** أرعى الراحمين، من أهل معرفتك الخاص .. من أهل معيتك الخاص ..

بيِّنًا رب **أحبنا** رب ..

وأرزقنا يا كريم لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك ..

نسألك نعيمًا لا ينفذ .. نسألك نعيمًا لا ينقطع .. وما ذاك عليك بعزيز ..

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

وكلّ اللهم على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم،

فضيلة الشيخ / هاني حلمي

مَنْهَاج

Crying & Recognition

البكاء
والشأن

الشيخ / هاني حلمي

فضيلة الشيخ

هاني حلمي

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



الحمد لله وكفى،

وصلاة وسلام على عباده اللذين اصطفى

لا سيما عبده المصطفى وآله المستكملين الشرفاء

ثم أما بعد؛

فأسأل الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا

وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علماً ينفعنا

اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع

ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع

ومن دعوة لا يستجاب لها

ربنا آتنا من لدنك رحمة

وهيء لنا من أمرنا رشداً

قال يحيى بن معاذ: يخرج العارف من الدنيا ولا يقضي وطره من شيتين: ﴿

بكاءه على نفسه

وثنائه على ربه

فهكذا شأن العارفين دائماً، يدور الواحد منهم بين هذين المقامين،

مقام الحمد والثناء على الله عز وجل

فتجد الواحد لا هجاً بذكر الرحمن، بحمده والثناء عليه جل وعلا،

وتراه خالياً باكياً من خشية الله يبكي على نفسه.

﴿ بكاءه على نفسه ﴾

﴿ فأما البكاء على النفس ... فإنه سبيل النجاة ﴾

✓ فقد روى الترمذى وقال حسن غريب وصححه الألباني من حديث عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: " قلت يا رسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك ، ليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك ". (الألباني-صحيح الترمذى

(2406)

هذا البكاء على النفس قد يورث العبد العتق من النيران، إن أدى لخشية الرحمن .

✓ النبي ﷺ فيما روى الترمذى وصححه الألباني قال: "لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم ". (الألباني صحيح الترمذى-1633)

وهذا أمر مُحال أن يعود اللبن بعد نزوله من الضرع أن يعود مرة أخرى

فهذا تشبيهه من النبي ﷺ يفيدنا أن النار تُهرم على هذا العبد الذي يبكي من خشية الله

✓ وكيف لا نبكي والمخاوف من حولنا تهز قلوبنا

خوف عقوبة الذنب وخوف الاستدراج

وخوف الخاتمة وخوف مشاهد القبور

وخوف الحشر وخوف العرض

وخوف أن يبدولنا من الله ما لم يكن في الحساب.

يبكي على نفسه وقد طال حرمانها من ربها، يبكي على نفسه وقد اشتاقت للقاء ربها.

ولكن بأي قلب سنلقاه؟!!

كيف لا نبكي ونحن نشفق أن يوضع الكتاب، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا وقد أحصاها ربنا ونسبناها
والأعمال حاضرة وربنا لا يظلم مثقال ذرة، **فكيف بالله لا نبكى.**

﴿ لو بُئِغَ الْعَبْدُ هَذَا لِمَقَامٍ ... فَإِنَّ اللَّهَ يَصْطَفِيهِ ﴾

✓ فإن النبي **صلى الله عليه وسلم** أخبر أن من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله،

ذلك العبد الذي ذكر الله بخالياً ففاضت عيناه

الواحد يُقارن ما بين حظه من ربه وتقصيره في جنب ربه، ومنة ربه عليه

فيورثه ذلك هذا البكاء على النفس، يورثه ذلك هذا البكاء للشعور بالحرمان.

آه وما يدريك ما معنى الحرمان، إن وفق العبد لهذا البكاء صار محبوباً للرحمن.

✓ النبي **صلى الله عليه وسلم** في ما روى الترمذي وصححه الألباني قال: " ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين، وأثرين:

قطرة دموع من خشية الله، وقطرة دم تهراق في سبيل الله، وأما الأثران فأثر في سبيل الله، وأثر في فريضة من فرائض

الله". (الألباني صحيح الترمذي-1669)

لأن الواحد منّا جلس مع نفسه ينظر في نعم ربه، وينظر في تقريطه، لأورثه ذلك هذا البكاء.

كان الواحد من السلف يرى أن من أعظم الأعمال أن يوفق لدعوة من خشية الله.

﴿ من أقوال الصحابة والسلف ﴾

﴿ وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يقول:

لأن أدمع من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار

﴿ وكان كعب الأحبار يقول:

لأن أبكي من خشية الله فتسيل دموعي على وجهي أحب إلي من أن أتصدق بوزني ذهباً

أحوال الملائكة

فتعالوا نبكي، وما لنا لا نبكي وهذا حال أشرف الخلق،
 هذه الملائكة يخبرُ النبي ﷺ كما روى الإمام أحمد وحسنه الألباني أنه قال لجبريل: " ما لي لا أرى
 ميكائيل ضاحكاً قط؟، قال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار". (الألباني صحيح الترغيب-3664) .
 وقال ﷺ فيما روى الطبراني في الأوسط وحسنه الألباني: "مررت ليلة أسري بي إلى الملائكة الأعلى،
 وجبريل كالحلس البالي من خشية الله تعالى".
 فهذا حال تلك الملائكة اللذين لا يعصون الله ما أمرهم أذلاءً خاضعون يمشون ربهم.

أحوال الأنبياء والرسل

فمالنا لا نبكي، وقد بكى الأنبياء، والرسل،
 ✓ ألم يقل الله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ
 وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَكُتِيًّا﴾ [مريم: 58]
 اللهم هذا السجود فأين البكاء مالي لا أبكي؟؟ أبكي على نفسي.
 ✓ ورسول الله ﷺ يجلس على القبر، فتدمع عيناه، ويقول لمثل هذا فأعدوا
مالي لا أبكي!!!

بكاء الصحابة

✓ والنبي ﷺ يخطب ذات مرة خطبة، يقول أنس والحديث في الصحيحين ما سمعت خطبة مثلها،
 فقال: " لوتعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين،
 فبلغ النبي ﷺ في خطبته أن ذكر موقف الجنة والنار، فقال: " عرضت علي الجنة والنار آنفا في عرض هذا
 الحائط، فلم أر كاليوم في الخير والشر، ولوتعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ". (الألباني صحيح الجامع
 4002).

فبكى الصحابة لما ذكروهم النبي ﷺ بمشاهد الآخرة، وصدر منهم هذا النشيج، وهذا الصوت من البكاء من
 خشية الرحمن

كان الواحد منهم يبكي لا حرصاً على الدنيا، ولا جزعاً من الموت، وإنما يناف أن يلقي الله عز وجل وفي قلبه شيء من الدنيا.

فمالنا لا نبكى على أنفسنا؟؟

✓ روى الحاكم وحسنه الألباني عن أبي سفيان عن أشياخه قال: " قدم سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه على سلمان يعودده قال: فبكي، فقال سعد: ما يبكيك أبا عبد الله؟ توفي رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ، وترد عليه الحوض، وتلقى أصحابك.

فقال: ما أبكي جزعاً من الموت، ولا حرصاً على الدنيا، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهداً قال: لتكن بلغة أحدكم من الدنيا كزاد الراكب، وحولي هذه الأسود، قال: وإنما حوله إجانة وجفنة ومطهرة، فقال: يا سعد اذكر الله عند همك إذا هممت، وعند يديك إذا قسمت، وعند حكمتك إذا حكمت ". (المنذرى الترغيب والترهيب

(154/4)

ليكن ما تتبلغون به من العيش كما يتبلغ الواحد منا في سفره، قال وحولي هذه الأسود فقال سعد إنما حوله إجانة يعني شيء من الآنية يغسل فيه الثياب، وجفنة هذه التي يأكل فيها ويشرب، ومطهرة إداوة يتخذها للوضوء.

✓ وبكى معاذ رضي الله عنه بكاءً شديداً ف قيل له ما يبكيك؟ قال: لأن الله عز وجل قبض قبضتين واحدة في الجنة والأخرى في النار فأنا لا أدري من أي الفريقين أكون؟

أما يستحق كل هذا ان نبكي على أنفسنا؟!!

✓ كان حذيفة رضي الله عنه يبكي بكاءً شديداً ف قيل له ما بكائك؟، فقال له: لا أدري على ما أقبل أعلى رضاً أم على سخط.

✓ وكان عبد الله بن رواحة يضع رأسه في حجر امرأته فيبكي، فبكت امرأته فقال ما يبكيك؟، قالت رأيتك تبكي فبكيت قال: إني تذكرت قول الله عز وجل { وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا } [مريم: 71] فلا أدري أنجو منه أم لا.

✓ ولما نزل قول الله تبارك وتعالى: { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ } [الحديد: 16] قال ابن مسعود: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين .

بكاء السلف

ومالنا لا نبكي وقد بكى من هو أشرف منا وأعظم قدر منا

بكى الحسن فقيل له ما يبكيك؟، قال: أخاف أن يطرحني الله غدا في النار ولا يبالي.

وكان بعض الصالحين يبكي ليلاً ونهاراً فقيل له فيما ذلك؟، فقال: أخاف أن الله تعالى رأني على معصية فيقول
مر عني (إبعد) فإني غضبان عليك.

وهذا إسماعيل بن زكريا يروي حال حبيب بن محمد وكان جاراً له يقول: كنت إذا أمسيتُ سمعتُ بكاءه وإذا أصبحت سمعتُ بكاءه، فأتيتُ أهله فقلتُ ما شأنه يبكي إذا أمسى ويبكي إذا أصبح قال: فقالت لي: يخاف والله إذا أمسى ألا يصبح وإذا أصبح ألا يمسي.

وكان فضالة بن صيفي كثير البكاء فدخل عليه رجل وهو يبكي فقال لزوجته ما شأنه؟، قالت: زعم إنه يريد سفرًا بعيداً وما له زاد.

وحدث من شهد عمر بن عبد العزيز وهو أمير على المدينة أن رجلاً قرأ عنده {وَإِذَا أَلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ} فبكى عمر حتى غلبه البكاء وعلا نحيبه فقام من مجلسه فدخل بيته وتفرق الناس.

وقال خالد بن صقر السدوسي كان أبي خاصاً لسفيان الثوري قال أبي فاستأذنت على سفيان في نحر الظهر فأذنت لي امرأة فدخلتُ عليه وهو يقول {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سُرُّهُمُ وَنَجْوَاهُمْ} [الزخرف: 80] ثم يقول بلى يا رب بلى يارب بلى يارب، وينتحب وينظر إلى سقف البيت ودموعه تسيل فمكثت جالسا ماشاء الله ثم أقبل إلي فمكث معي فقال منذ كم أنت هاهنا ما شعرت بمكانك.

هذا دأب الصالحين في كل زمان، يكون على أنفسهم، يكون من خشية ربهم لمعرفة ربهم من هوربهم، يعرفونه بصفات الجلال، فيها بونه ويخشونه، ويخافون أن يلقوه، وهو غير راض عنهم .

بكاء علمائنا

كان الشيخ ابن باز رحمه الله قريب الدمع يبكي كثيراً، حتى إن بكاءه يصل إلى حد الجياش الشديد، فكان يبكي عند ذكر الوعد والوعيد، وكان يبكي عند حصول بعض المصائب لبعض المسلمين، ويبكي عند حصول بعض الغرائب في الدين التي هي من أعظم المصائب، يبكي عند ذكر السلف الصالح وأحوالهم في الزهد، ويبكي حين يذكر شيوخه وإخوانه الذين ماتوا قبله، يقول بعض تلامذة الشيخ رأيت الشيخ يبكي عند قصة تخلف كعب بن مالك رضي الله عنه عن غزوة تبوك، وبكى بكاءً شديداً عند حديث الإفك وقصة أمنا عائشة، وبكى عند حديث جرير بن عبد الله البجلي الذي رواه الإمام أحمد في قصة الأعرابي الذي أسلم ثم وقصته دابته فقال **صلى الله عليه وسلم**: " عمل قليلاً وأجر كثيراً "، وبكى عند بيعة الأنصار في بيعة العقبة الثانية للنبي **صلى الله عليه وسلم** وكان يتأثر كثيراً عندما يُقرأ عليه من كتاب **زاد المعاد** لاسيما عند ذكر فتح مكة وكان يكثُر فيه من الصلاة على النبي **صلى الله عليه وسلم**.

وهكذا كان الشيخ الألباني، رقيق القلب غزير الدمع. فهو لا يحدث بشيء فيه ما يبكي، إلا وأجهش في البكاء. حدثته امرأة جزائرية أنها رأته يسأل عن الطريق الذي سلكه النبي **صلى الله عليه وسلم** فدل عليه فصار على خطواته لا يخطئها فلم يحتمل الشيخ كلامها وأجهش بالبكاء.

ورأى أحد الأخوة النبي **صلى الله عليه وسلم** فسأله إذا أشكل عليه شيء في الحديث فمن يسأل؟ فقال له النبي **صلى الله عليه وسلم** في الرؤية سل محمد بن ناصر الدين الألباني فذكر ذلك للشيخ فبكى بكاءً عظيماً، وأخذ يردد اللهم اجعلني خيراً مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون ، اللهم اجعلني خيراً مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون.



إننا والله لبجاجة إلى أن نرقق تلك القلوب ونلينها بقطرة تنزل على القلوب قبل أن تنزل
على الخدود، ولن يحدث لنا ذلك حتى:
نعرف الله عز وجل... فنخافه ونرجوه، ومن خافه ورجاه رق قلبه ودمعت عينه،
ومن جهل ربه... قسى قلبه وأجدبت عينه

فإن الخذلان، أشد الخذلان أن يترك الواحد منا البكاء من خشية الرحمن
بـ قال أبو سليمان الداراني: لكل شيء علم - لكل شيء علامة - وعلامة الخذلان ترك البكاء من خشية الله
تبارك وتعالى.

بـ إذا عرفنا من هو الله عز وجل: بكينا على أنفسنا،

بكينا وقلوبنا متذببة إلى ربنا،

بكينا وقلوبنا بخائفة وجلّة،

بكينا وقلوبنا راجية،

وهذه الأمور الثلاثة أشار إليها النبي **صلى الله عليه وسلم** في معنى " ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه " **بـ**
إذا أردنا أن تلين قلوبنا ببكائنا على أنفسنا:

☑ فلا بد أولاً من **معرفة الله تبارك وتعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله،**

ولابد أن نشهد ذلك من خلال تدبر القرآن {إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا
ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يكون يزيدهم خشوعاً} **[الإسراء: 107]**
فالذي سيعرف الله تبارك وتعالى لن يتوصل إلى ذلك إلا بقراءة القرآن، وتدبر آياته، وحينئذ سيبكي على نفسه،
وتلك علامة معرفته.

☑ **وستراه ذاكرًا لله تبارك وتعالى،** فإن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تبارك وتعالى، كما يقول
ابن القيم.

☑ **وعليه أن يكثر من الطاعة** فكما أوصى سلفنا، قال أحمد بن سهل رحمه الله: قال لي أبو معاوية

الأسود: يا أبا عليّ من أكثر لله الصدق نديت عيناه وأجبتة إذا دعاها.

فبالصدق مع الله تبارك وتعالى يورث العبد هذه الأحوال، ويبلغ بعدها من مقامات الخشية والخوف ويبلغ من
مقامات الإيمان ما يجعله في أعلى الجنان.

☑ **فيا أخي ويا أختي علينا أن نذكر أنفسنا،** ذكروها بالموت وبرؤية المحتضرين إن العين تدمع والقلب
يحزن، ولما جاءت امرأة تشتكى قسوة القلب لأمتنا عائشة رضي الله عنها جاءت تلك المرأة تشكو

قسوة قلبها فقالت لها أمانة عائشة: أكثرى ذكر الموت، يرق قلبك وتقدرين على حاجتك، قالت:
ففعلت فوجدت أن قلبها رق، فجاءت تشكر لأمانة عائشة ذلك.

وكان سعيد بن جبير يقول: لوفارق ذكر الموت قلوبنا ساعة لفسدت قلوبنا، استعينا بذكر الموت وبرؤية

المحتضرين ،

✓ وباكل الحلال فإنه من أعظم أسباب لين القلب،

✓ وبالابتعاد عن المعاصى فما تأتي القسوة إلا بالذنب على الذنب وأرق الناس قلوباً أقلهم ذنوباً،

✓ رققوها حين تسمعون المواعظ فتبكون على أنفسكم كما كان هدي النبي ﷺ في تربية

أصحابه فقد روى الترمذي وصححه الألباني من حديث العرياض بن سارية قال: " وعظنا رسول الله

ﷺ يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل

إن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله، قال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبد

حبشي فإنه من يعيش منكم ير اختلافاً كثيراً، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك

منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ " (الألباني صحيح الترمذي

.2676)

✓ ذكروها بقلّة الزاد والمشقة العصيب يوم تقوم لرب العالمين يا عبد الله ويوم تقومين ولا ملجأ

ولا منجى من الله إلا إليه، لما حضرت محمد بن سيرين الوفاة بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي

لتفريطي في الأيام الخالية وقلة عملي للجنة العالية وما ينجيني من النار الحامية.

✓ ابكي وإن لم تستطع أن تبكي على نفسك فتباكى،

✓ ابكي وزر القبور فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة كما قال نبينا ﷺ فيما رواه

الإمام أحمد في مسنده وصححه الألباني "ألا كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها فإنها ترق القلب

وتدمع العين وتذكر الآخرة"، ولا تقولوا هجر،

✓ ذكروا تلك القلوب وقذخه الأنفس بما تعتبر به، كان عبد الله بن مسعود كلما خرج إلى السوق

فمر على الحدادين فيرى النار إلا رأيت عينيه تسيلان من خشية الرحمن،

✓ إن لم تجدوا هذا البكاء فسلوا الله أن يرزقكموه،

اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع

ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى كان عتبة الغلام سأل ربه ثلاث خصال صوتاً حسناً

ودمعا غزيراً وطعاماً من غير تكلف، فكان إذا قرأ بكى وأبكى ودموعه جارية طيلة دهره، وكان يأوي إلى منزله

فيصيب فيه قوته ولا يدري من أين يأتيه، يا أخوانى لمثل هذا فاعملوا، فلا يقضي العارف وطره من الدنيا من

شيئين فيجد لذلك والله أثراً حسناً، بكاؤه على نفسه، وثناؤه على ربه.

ثَنَاءُهُ عَلَى رَبِّهِ - ﷺ

أما الثناء فهو أعظم ما يتقرب به العبد إلى الله تبارك وتعالى،

﴿أما الثناء... فهو محبوب لله عز وجل﴾

لأنه محبوب لله، والعبد المتحيب لربه لا يستطيع أن يفارق هذا المقام مقام الحمد والثناء،

✓ روى البخاري في الأدب المفرد وحسنه الألباني عن الأسود بن سريع قال: قلت يا رسول الله ﷺ

إني مدحت ربي عز وجل بمحامد، قال: ألا إن ربك يحب الحمد

فأحمدوا الله عز وجل وأكثروا من الثناء عليه فإن الله يهب ذلك.

✓ وقد روى البخاري من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ " لا أحد أغير من الله

ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن"

✓ ولا شيء أحب إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه سبحانه وتعالى.

﴿سبباً للقرب﴾

فالثناء سبب للقرب

✓ فالنبي ﷺ يخبرنا في حديث الشفاعة، أنه سيستأذن على ربه فيؤذن له، قال ويلهمنى محامد أحمدته

بها، لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخر له ساجداً، فأقع ساجداً لربي عز وجل،

ثم يفتح علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه علي أحد قبلى، ثم يقول يا محمد ارفع رأسك وسل تعطى

واشفع تشفع.

✓ وعلمنا ربنا تبارك وتعالى كيف نشئ عليه ونعظمه، فكما في فاتحة الكتاب يبدأ العبد طلبه بالثناء، وكأن الله يقول

له يا عبدي قل: قل الحمد لله رب العالمين، فالثناء الجميل إنما يستحقه العظيم الجليل، فلا يستحق الحمد سواه، إذ

لا مُسدى للنعم على الحقيقة إلا الله، وما بكم من نعمة فمن الله، وإنما استحق الحمد وحده لأنه رب العالمين،

وكان سائلاً سألته لم ائتمنت بالحمد؟

فقال لأنى رب العالمين، أنا أوجدتهم برحمتي وأمددتهم بنعمتي فلا منعم غيري،

فاستحققت الحمد وحدي،

مني كان الإيجاد وعلي توالي الإمداد، فأنا رب العباد،

فالعوالم كلها في قبضتي، وتحت تربيتي، ورعايتي، فالحمد لله رب العالمين.

من أثنى ... فقد قام بركن من أركان الشكر

وإذا أثنى الواحد منا على الله فقد قام بركن من أركان الشكر...

فالشكر على ثلاثة أركان:

شكر بالقلب

وشكر باللسان

وشكر بسائر الأركان

فشكر القلب... أن يعتقد أن النعم كلها من الله

وأما شكر اللسان... فالثناء على الله وكثرة المدح له

وأما شكر الجوارح... فأن يعمل الواحد منا بها العمل الصالح

من أثنى ... فقد دعا الله بأسمائه الحسنى

الثناء على الله عز وجل من دعائه بأسمائه الحسنى

فالله عندما قال: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف:180]

قال أهل العلم:

الدعاء على نوعين:

دعاء ثناء

ودعاء رجاء

دعاء ثناء... ومدح

ودعاء رجاء... وطلب

فالله يقول ادعوني بتلك الأسماء، فيقول الواحد منا:

يا رحمن، فيثني عليه ويطلب منه ويتوجه إليه بمسألته ارحمني

يا حكيم احكم لي

يا رزاق ارزقني

يا فتاح افتح لي

يا تواب تب علي

وهكذا فيثني على ربه.

الثناء سبباً لرفع الدعاء

وهذا الثناء يكون سبباً لرفع دعائه، ومظنة قبوله،

فقد روى الترمذي وقال حسن صحيح عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاة لم يمجد الله تعالى ولم يصلي على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: "عجل هذا" ثم دعاه فقال له أو لغيره: "إذا صلى أحدكم أي إذا دعا أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه سبحانه وتعالى والثناء عليه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بما شاء"

ثناء الأنبياء

وهكذا كانت طريقة الأنبياء كانوا دائماً مثنيين على ربهم في عباداتهم لا سيما في دعائهم،

✓ انظروا إلى نبي الله إبراهيم وهو يقول:

{رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكَبِيرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ، رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ، رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ} [إبراهيم: 38-41]

فأثنى على ربه، ثم تبتل إليه، وابتهل داعياً راجياً

{الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ، وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ، وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ، رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ، وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ، وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ، وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: 78-89]

يارب نأتيك بقلوب سليمة، يارب ارزقنا قلوباً سليمة، وألسنة صادقة

فهكذا كان شأن الأنبياء في ثنائهم على الله تبارك وتعالى

✓ ترى ذلك في دعاء شعيب {وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ} [الأعراف: 89]

✓ وفي دعاء يوسف {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [يوسف: 101]

✓ وهكذا كان النبي الأمين ﷺ يعلمنا ذلك، فكان يشي على الله، ثم يتقدم بالدعاء،

اللهم لك الحمد ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء

البارد، اللهم طهرني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ
 ✓ كان **صلى الله عليه وسلم** في النسك يرتقي الصفا فيقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ثم يدعو يصنع ذلك ثلاث مرات.
 ✓ وهكذا كان **صلى الله عليه وسلم** يتقدم دائماً بالثناء والتعظيم لله تبارك وتعالى.
 ✓ فهذه أم سليم تغدو ذات يوم إلى النبي **صلى الله عليه وسلم** والحديث رواه الترمذي وحسنه الألباني فقالت: " علمني كلمات أقولهن في صلاتي - تريد كلمات تقولها في دعائها - فقال: كبري الله عشرا، وسبحي الله عشرا، واحمديه عشرا، سبحان الله والحمد لله والله أكبر عشر مرات ثم سل ما شئت، يقول الله نعم نعم".

ثناء الصحابة

وهكذا كان صنيع صحابة رسول الله **صلى الله عليه وسلم**
 ✓ فقد روى الحاكم في المستدرک ولم يتعبه الذهبي عن علي رضي الله عنه قال: "كنت مع النبي **صلى الله عليه وسلم** ومعه أبوبكر رضي الله عنه ومن شاء الله من أصحابه، فمررنا بعبد الله بن مسعود وهو يصلي، فقال النبي **صلى الله عليه وسلم** من هذا؟ فقبل عبد الله بن مسعود، فقال إن عبد الله يقرأ القرآن غصاً - أي طرئاً - كما أنزل، فإذا بعبد الله يشني علي ربه ويحمده، فأحسن حمده علي ربه، ثم سأله فأجمل المسألة،

فما كانت مسألة عبد الله بن مسعود؟

سأل الله إيماناً لا يرتد

اللهم إنا نسألك إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفد، ومرافقة محمد **صلى الله عليه وسلم** في أعلى عليين في جناتك جنات الخلد

وكان النبي **صلى الله عليه وسلم** كلما دعا عبد الله يقول: سل تُعطى سل تعطه، فقال علي: فانطلقت لأبشره فوجدت أبا بكر قد سبقني وكان سباقاً بالخير.

✓ الثناء على الله عز وجل كانت طريقة الصالحين

وقد ذكر الله تبارك وتعالى نماذج من ذلك في كتابه،

كما ذكر جل وعلا في شأن عباده

{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}

فيقولون

{رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ}

فيثنون على الله ابتداءً ثم يسألون فيقولون {فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران: 191]
 { رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ، رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ
 فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ } [آل عمران: 192، 193]

✓ وهكذا كان شأن الصالحين، فهذا الإمام موسى الكاظم يذكرون في ترجمته يقولون:
 إذا صلى العشاء العتمة، حمد الله ومجده ودعاه، فلم يزل كذلك حتى يزول الليل، فيظل من العشاء للفجر حامدًا
 مثنيًا على الله ممجدًا إياه داعيًا مصليًا ينتقل ما بين تلك المنازل طيلة ليله.

تكملة - وصية -

وأنا هنا أوصيكم ونفسي بهذا الكتيب النافع
 كتاب **مناجاة** لشيخنا الشيخ محمد بن إسماعيل المقدم
 وكذلك كتاب **تسييح ومناجاة وثناء على ملك الأرض والسماء** للدكتور محمد موسى الشريف
 وفيهما خير كثير يصلح في هذا الباب، ولعل أفضل ما يختم به في ذكر هذه العلامة أن نطبقها تطبيقًا عمليًا فنذكر
 تسييحًا ومناجاة وثناء على ربنا، رب الأرض والسماء،
**فدعونا نعيش في حال غير الحال ، ونجمع قلوبنا الآن فلا نلتفت عن ربنا،
 لا تلتفتوا إلى أي شيء ، لا إلى ناس ، ولا إلى قوم ،
 لا إلى دواخل ولا إلى أي شيء ، الآن بالله إجمعوا القلوب واجعلوها تسمع بأذن واعية ثناء العبد منا على
 ربه وحبيبه وقرّة عينه**



سبحان الذي تعطف العز وقال به
 سبحان الذي لبس المجد وتكره به
 سبحان الذي لا ينبغي التسييح إلا له
 سبحان ذي الفضل والنعمة
 سبحان ذي المجد والكره

سبحان ذي الجلال والإكرام

سبوح قدوس رب الملائكة والروح

سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح

سبحان ربي العظيم

سبحان ربي الأعلى

سبحان الله العظيم

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته

سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك

سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب

سبحان الله عدد ما خلق في السماء، سبحان الله عدد ما خلق في الأرض، سبحان الله عدد

ما بين ذلك، وسبحان الله عدد ما هو خالق

والله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك

سبحان الله وبحمده، لا قوة إلا بالله، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، أعلم أن الله

على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا

سبحان ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة

والحمد لله عدد ما خلق الله، والحمد لله ملء ما خلق الله، والحمد لله عدد ما في

السموات والأرض

والحمد لله ما أحصى كتابه

والحمد لله عدد كل شيء

وسبحان الله مثلهن

الحمد لله بعزته وجلاله

الحمد لله بعزته وجلاله تتم الصالحات

ربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء
والمجد، أحمق ما قال العبد، وكلنا لك عبد

اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطى لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه

الحمد لله الذي يطعم ولا يُطعم

من علينا فهدانا، وأطعمنا وسقانا، وكل بلاء حسن أبلانا

الحمد لله غير مودع، ولا مكافأ، ولا مكفور، ولا مستغنى عنه ربنا

الحمد لله الذي أطعم من الطعام، وسقى من الشراب، وكسى من الخري، وهدى من

الضلالة، وبصر من العمية، وفضل على كثير ممن خلق تفضيلاً

الحمد لله رب العالمين

الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، والحمد لله عدد ما في كتابه، والحمد عدد ما أحصى
خلقه

والحمد لله ملء ما في خلقه، والحمد لله ملء سماواته وأرضه، والحمد لله عدد كل

شيء، والحمد لله على كل شيء

اللهم أنت أحمق من ذكر، وأحمق من غبد، وأنصر من ابثغي، وأرثف من ملك، وأجود

من سئل، وأوسع من أعطى

أنت الملك لا شريك لك، والفرد لا ند لك، كل شيء هالك إلا وجهك

لن تطاع إلا بإذنك، ولن تُعصى إلا بعلمك

تطاع فتشكر، وتُعصى فتغفر

أقرب شهيد، وأدنى حفيظ، حلت دون النفوس، وأخذت بالنواصي، وكتبت الآثار، ونسخت

الأجال

القلوب لك مفضية، والسر عندك علانية

الحلال ما أُحللت، والحرام ما حرمت، والدين ما شرعت، والأمر ما قضيت، والخلق خلقك،
والعبد عبدك

وَأنتَ اللهُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ، تَم نورك فهديت فلك الحمد

عظم حلمك فعفوت فلك الحمد

بسطت يدك بالعطايا فأعطيت فلك الحمد

ربنا وجهك أكرم الوجوه، وجاهك أعظم الجاه، وعطيتك أفضل العطية وأهناها
تطاع ربنا فتشكر، وتُعصى ربنا فتغفر، وتجب المضطر، وتكشف الضر، وتشفي السقم، وتغفر
الذنب، وتقبل التوبة، ولا يجزى بالأثك أحد، ولا يبلغ مدحتك قول قائل

يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك

لا إله إلا الله العظيم الحليم

لا إله إلا الله رب العرش العظيم

لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم

لا إله إلا الله الواحد القهار، رب السماوات والأرض وما بينهما، العزيز الغفار

اللهم لك أسلمت، وعليك توكلت، وبك أمنت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك

حاكمت

اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن

ولك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن

ولك الحمد أنت الحق، ووعدك حق، وقولك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق،

والساعة حق، والنبيون حق، ومحمد **صلى الله عليه وسلم** حق

اللهم رب السماوات السبع، ورب الأرض، ورب العرش العظيم

ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان

أعوذ بك من شر كل شيء أنت أخذ بناصيته

اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء

اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر

اللهم إني أعود بعزتك لا إله إلا أنت، أعود بعزتك أن تضلني

أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون

يا من أظهر الجميل، وستر القبيح، يا من لا يؤاخذ بالجريرة، ولا يهتك الستر، يا حسن

التجاوز، يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، يا صاحب كل نجوى، يا منتهى كل

شكوى، يا كريم الصفح، يا عظيم المن، يا مبتدئ النعم قبل استحقاقها

ياربنا، ويا سيدنا، ويا مولانا، ويا غاية رغبتنا، أسألك يا الله ألا تشوي خلقنا بالنار

اللهم بك أصول، وبك أحوال، وبك أقاتل

اللهم إنا نستعينك، ونستهديك، ونستغفرك، ونؤمن بك، ونتوكل عليك، وثني عليك الخير

كله، ونشكره ولا نكفره، ونخلع ونترك من يفجره

اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك،

إن عذابك الجد بالكفار ملحق

اللهم إني أسألك باسمك الطاهر الطيب المبارك الأحب إليك، الذي إذا دعيت به أُجبت،

وإذا سُئلت به أُعطيت، وإذا استرحمت به رحمت، وإذا استفرجت به فرجت

اللهم إنك تسمع كلامنا، وترى مكاننا، وتعلم سرنا وعلايتنا، لا يخفى عليك شيء من أمرنا

يارب أنا البائس الفقير، المستغيث المستجير، الوجل المشفق، المقر المعترف بذنبه

أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف

الضرير

دعاء من خضعت لك رقبتك، وفاضت لك عيناه، وذل لك جسده، ورغم لك أنفه

اللهم أنت الملك، لا إله إلا أنت أنت ربي، وأنا عبدك

ليبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشئ ليس إليك، أنا بك وإليك، يارب تباركت ربنا

وتعاليت

اللهم أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمَعَاذِكَ مِنْ عِقَابِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي

ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ

اللهم هَذَا لِثَنَاءٍ، وَسُبْحَانَكَ لَا يَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ

وَهَذِهِ أَيْدِينَا مَمْدُودَةٌ إِلَيْكَ، وَقُلُوبُنَا يَمَلَأُهَا الرَّجَاءُ

فَاللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ خَشْوَعِ الْفِتَاقِ، وَنَعُوذُ بِكَ أَنْ نَطْغَى وَأَنْ نَذَلَّ وَنُذَلَّ وَأَنْ نَظْلَمَ

أَوْ نُنْظَلَمَ

وَنَعُوذُ بِكَ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرْنَا غَيْرَ بَاطِنِنَا

وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ السُّلْبِ بَعْدَ الْعَطَاءِ

وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ الْحُورِ بَعْدَ الْكُورِ

وَنَعُوذُ بِكَ أَنْ تَزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا

وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا

وَنَعُوذُ بِكَ وَنَشْكُو إِلَيْكَ قَسْوَةَ قُلُوبِنَا

وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ رُؤْيَةِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ رُؤْيَةِ أَعْمَالِنَا، وَنَعُوذُ بِكَ

هَذَا حَالِنَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ

يَا رَبِّ

يَا رَبِّ

يَا رَبِّ

يَا رَبِّ

يَا رَبِّ عَرَفْنَا بِكَ، وَحَبَبْنَا إِلَيْكَ، وَارْزُقْنَا حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يَحُبُّكَ، وَارْزُقْنَا عَمَلًا صَالِحًا يَقْرِبُنَا لِحُبِّكَ

نَسْأَلُكَ، نَسْأَلُكَ فَعَلِ الْخَيْرَاتِ، وَتَرَكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبِّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَفْخَرَ لَنَا وَتَرْحَمَنَا، وَإِذَا

أُرِدْتَ بِقَوْمٍ فَتَنَّهُمْ فَاقْبِضْنَا إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونِينَ

نسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقاءك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة

مضلة

نسألك نعيماً لا ينقطع، نسألك قرّة عين لا تفنى ولا تميل

يارب يارب تقبل

يارب تقبل

يارب تقبل

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك وتتوب إليك

وصلّى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فضيلة الشيخ / هاني حلمي

www.manhag.net



فضيلة الشيخ
هاني حلمي

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى

وصل الله وسلع وبارك على النبي المصطفى،

وآله المسنكملين الشرف

ثع أما بعد؛

فاسأل الله نبارك ونعالى أن يعلمنا ما ينفعنا

وأن ينفعنا بما علمنا

وأن يزيدنا علماً ينفعنا

ربنا أننا من لدنك رحمة وهيهن لنا من أمرنا رشداً



على مدى هذه السلسلة المباركة كنا نمر على علامات العارفين بالله تبارك وتعالى ولكن علامة اليوم لها شأنٌ خاص لأنها لب المعاملة وأساس تبني عليه علاقتك بربك تبارك وتعالى ، علامة اليوم لها منزلة عن سائر العلامات لأنها سَتُعْرَفُنَا بِاللَّهِ أَكْثَرَ وَتُعْرَفُنَا بِأَنْفُسِنَا كَذَلِكَ .

علامة اليوم مستقاة من قول **أبي يزيد البسطامي** : إنما نالوا المعرفة بتضييع ما لهم والوقوف مع ما له .

هذه هي القضية ، مالك وماله ، أنت تريد وهو يريد ، وهل إرادتك توافق إرادته ؟

العلماء يقولون : هم ثلاث إرادات ،

إرادة الله الكونية وإرادة الله الدينية وإرادة العبد ،

والعبد السعيد الموفق الذي تجتمع عنده الثلاث على الموافقة ، فالله يريد شرعاً له اليسر ، فإذا به كونه يوفقه لذلك ، ويكون هذا هو مطلب العبد أصلاً فتجتمع الإرادات ، أنا أريد أن تكون لي المتزلة عند الله عز وجل وبالفعل أضع أمام عيني هدفاً ويوفقي الله عز وجل له وهذا الهدف يوافق ما يحبه الله حقاً ما يحبه ويرضاه ، ابن القيم في تقرير هذه العلامة في المدارج يقول : فالحق تبارك وتعالى مراده من عبده استحضر عبوديته لا الغيبة عنها ، أن تكون دائماً واضعاً هذا الهدف وهو حق الله .. حديث معاذ في الصحيحين لما قال له النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** : يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله ؟ فقال له النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** : إن حق الله على العبد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً ، تلك هي قضيتك الأساس .. قضية العبودية ، لماذا أعيش؟؟ كي أحققها ، زمان عملنا محاضرة للأخوات .. ماذا بعد الحجاب وقلت أن الأخوات عندما ترتدي النقاب فتشعر أنها حققت رأس العبودية ، وتزوج فتستشعر أنها قد تم لها الأمر ، فهي تظن ذلك على أنه ما هي إلا أن سارت خطوة في طريق العبودية ، المفترض أنها توظف حياتها لهذا الهدف ، ما مرادها ؟ أن تكون أمة لله تبارك وتعالى ، يحدث هكذا مع الأخوة كذلك ، فأحياناً لما يتسنن ويظهر ذلك في ظاهره وعندما يبدأ في أخذ قسط من العلم أو يكون له شيء من دور دعوي أو تعبدية أو ما شابه ، يظن أنه حقق العبودية ، ومفهوم العبودية مفهوم قاصر جداً للأسف الشديد في أذهان الناس ،

ماذا يريد الله منك ؟ يريدك عابد ، وما معنى العبودية ؟ هذا هو محل الإشكال ، أننا لا نفهم هذه القضية ، معنى العبودية بعضهم يقول : أن يدور مع مراد الله أينما دار ، أن يدور مع مراد الله أينما دار ويتبع رسوله أينما سار ، ابن القيم يقول : فالحق مراده من عبده استحضر ذلك - استحضر العبودية - لا الغيبة عنها - لا تنسى هذا المعنى طرفة عين أنك عابد .. أنك عبد- والعامل على الغيبة عنها عامل على مراده من الله ،

وأنت ماذا تريد ؟ أنت تريد شيئاً من الله ، أنت تريده يعطيك مالاً .. يعث إليك برزق .. يزوجك .. يعطيك متاع من متاع الدنيا .. يعطيك جاه .. يعطيك قوة .. يعطيك كذا .. مرادك أنت من الله ، ولا مانع أن في المقابل أنا سأفعل كذا وكذا وأريد منه جنة ، على مرادك أنت لا على مراده هو ، لذلك يخرج المعنى الذي يُسمى (حظ النفس) ، فهو واقعاً ماذا يريد؟؟ أنت ستذهب لطلب العلم ، ما مراد الله منك ؟ أن العلم يورثك الخشية ، أنك تتعلم فتزداد منه قرباً ، وأنت ما هو مرادك ؟ أن يصير لك شأن وتعرف تتحدث ، تجلس في المجالس تباهي أي أحد بما تحفظ ، وأنت تقول أنا حاصل على إجازة من فلان .. وتعلمت على يد كذا .. وأنا قارىء في كتب فلان وفلان .. وتستعرض بضاعتك .. هذا مرادك أنت وهدفك الحقيقي ، فماذا يحدث ؟ حظ النفس ومراد الرب ، تعارضاً لذا لا يتم لك الأمر ، إنما يتعثر من لم يخلص ، وهكذا .. يتزوج .. لماذا يتزوج؟؟ أرضي ربي عني ، لأعف نفسي حتى لا أقع في المنكرات والمخطورات الشرعية .. تمام .. كلام ١٠ على ١٠ ، لكن في واقع الأمر أنا أريد.. لماذا؟ الناس تستمتع وتعيش حياتها فلم لا أعيش أيضاً ؟ لذا ستجده في اختياره وفي منزله حتى اليوم يعاني من أثر حظ النفس ، تريدون أن تنهوا جميع مشاكلنا ؟ أي مشكلة تخطر على بالك في منزلك .. في عملك .. أياً ما كان ستجد وراءها كلمة اسمها (حظ النفس) .. ماذا أريد؟؟ أنا أريد أن أنام .. والله يريدني قائم ، فأبدأ أنا لن

أقول بشكل صريح أنني أريد أن أنام ، إنما سأقول أنا أريد أن أنام لأتقرب إلى الرحمن بصلاة الفجر ، فأزيتها ، مثل صاحبنا في الزواج . لماذا تتزوج ؟ كي تستمتع ؟؟ يقول لك لا.. لا أنا أتزوج والدليل أي أخذتها محجة أو منتقبة أو تتعلم في كذا.. لأنه وقتما اختار عدة أشياء من حظ النفس ، لا يعني ذلك أن يختار من لا تطيب له ، لكن رقم واحد كان ماذا ؟؟ رقم واحد الحقيقي الذي شدة .. ديانتها أم جمالها ؟ رقم واحد .. هذا هو ما سيحاسب عليه ، وهذا هو ما ستكلفه تلك الإشكالية ، حظ النفس .. حق الرب ، مراد الله مرادك أنت ، فيقول من يعمل وهو ناسي موضوع العبودية فيعمل على مراده من الله وعلى حظه والتنعيم بالفناء في شهوده لا على مراد الله منه ، وبينهما ما بينهما ،

فكن على مراد الله منك لا على مرادك أنت من الله

يقول : فكيف يكون قائماً بحقيقة العبودية من يقول : **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ...}** **[الفاتحة / ٥]** ولا شعور له بعبوديته البتة ، بل حقيقة إياك نعبد .. علماً ومعرفة وقصدًا وإرادة وعملاً و هذا مستحيل في وادي الفناء ومن له ذوق يعرف هذا وهذا.

هذا الكلام يقوله في بداية المدارج وهو يتحدث على معنى **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** **[الفاتحة / ٥]** والفكرة التي فيها ، طبعاً لفظ الفناء الذي يقصده ابن القيم غير المصطلح التصوفي تماماً ، معنى آخر غير ذلك ، يفنى عن هذا يتخلص من حظ نفسه ، معنى الفناء الذي يقصده ابن القيم أن يتخلص (يفنى حظ النفس) يتخلص من حظوظ النفس القاطعة بينه وبين الله تبارك وتعالى

حسناً .. هيا لنرى هذا المعنى كي يتقرر لدينا أننا نقف مع ماله .. وهل نعرف ماله . هل نعرف مراده أصلاً ؟ تعالوا لنرى القرآن وهو خير دليل لنا في هذه المسألة .. كيف نعرف مراد الله منا ؟ ماذا يريد ؟ قلنا القرآن يتحدث عن الإرادتين لكن تعالوا لنرى الإرادة الدينية لأنها ما سنتوقف عنده لا الإرادة الكونية لا نتوقف عندها لأن هذا أمر هو الذي سيصير ، الله يريد كذا سيكون **{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا...}** **[يس / ٨٢]** تلك هي الإرادة الكونية .. **{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** **[يس / ٨٢]** ، أما نحن نريد الانشغال بالإرادة الدينية التي من المفترض أن تكون نصب أعيننا ، تعالوا لنرى ماذا قال القرآن ، القرآن قال **{...يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ...}** **[البقرة / ١٨٥]** كل هذه قواعد حتى وإن سيقف في جو معين من الآيات لكن كقاعدة الله يريد بنا اليسر ونحن أحياناً نريد بأنفسنا العسر ، حين نخرج هذه النفس عن الصراط المستقيم ، وحين لا تتبع النبي الأمين **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فما تغلو وإما تُفِرِّطْ ، كل هذا أنت تعسر الأمور ، أما الله فيريد بك اليسر ، أنا مع كل آية أسأل سؤال .. هل نحن على مراد الله منّا في ذلك أم لا ؟ هل نحن أصلاً نستشعر في التشريع ذلك أم لا ؟ لو أحدًا أخرج لنا الآن حقيقة علمية أن من يستيقظ لصلاة الفجر – وقرأت كذلك فعلاً – أنه يساعده على كذا في الدورة الدموية وكذا وكذا ، فوقتها سنستشعر أن صلاة الفجر بما فوائد وحكم ومزايا عظيمة تستوجب أن يقوم المرء لها ، تستشعر أن الأمور هكذا بما فائدة كبيرة للنفس ، هكذا يكون لدي يقين ولو سمعت أن من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله وبعد قليل عندما تستهلك وتضيع وسط زحمة الأمور هل أكون مستشعرها ؟؟ أيهما الذي يأتي بقلبي ؟؟ لتكون فاهم .. هل تستشعر بذلك أن هذا ما سييسر لك أمرك ؟؟ يعني إذا قال الله جل وعلا **{...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}** **[الطلاق / ٢]** **{وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ...}**

[الطلاق / ٣] الأمور ستيسر بتلك الطريقة **{فَسَتَيْسَّرُ لِلْيُسْرَى}** **[الليل / ٧]**

{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى} **[الليل / ٥]** **{وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى}** **[الليل / ٦]** **{فَسَتَيْسَّرُ لِلْيُسْرَى}** **[الليل / ٧]** أنك تيسر بذلك ، هل عندما تُخرج مالك تستشعر أن هذا تحقيق لمراد الله منك فالله يُريد بك اليسر ؟ كل واحدة تحتاج إلى إجابة داخلية ، ليست إجابة إنشائية.

الآية الثانية هما موضحان في القرآن:

١- يريد بنا اليسر . ٢- يريد بنا العدل ،

قال الله {... وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ} [آل عمران / ١٠٨] وفي موضع آخر قال {... وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ} [غافر / ٣١] فالله يريد بنا ذلك ، بالله الذي لا إله غيره .. هل لا تمر على قلبك رياح التسخط أحياناً ؟ أي وأنت تمر بجد عدلٍ في قضاؤك أم هناك مشكلة في التعرف هنا فأنت أحياناً تشعر أن مراد الله منك ليس هو العدل ؟ إنما الله يريد... خلقك لتتعذب ولماذا ابتلاه والأسئلة التي يُشِيرُهَا الملحدون وغيرهم ..

أتريد أن تفهمني أن من لديه الآن الأمراض المستعصية والناس التي خلقت بعاهات هل هؤلاء لم يُرد بهم ظلم ؟ ألم يظلمهم ؟؟ أخرجهم في فقر وشدة وأنتم تقولون على غير الإسلام مثل جماعة أفريقيا و .. و .. هؤلاء لماذا خلقوا إذن ؟ فلما يشتت وتجد بعض الناس عندما تسمع تلك الكلمات فلا تجد لديها إجابة ، لأنه لا يعرف مراد الله لأنه لم يفهم عن الله ، لأن المعرفة لم تتحقق عنده فيحصل به الأمر في النهاية أن يقول هذه إرادة الرب ويسكت ، ولا يُعرِّف الناس من هو الرب وما هي صناعه في كونه وكيفية حكمه لهذا وأمور أخرى كثيرة لا بد أن توضع في خلفية الإجابة على مثل هذه التساؤلات السيئة ، فهل أنت حقاً لديك يقين بأن الله لا يريد ظلمًا للعالمين ؟ هنا سل نفسك عن هذه الرياح .. رياح التسخط .. هل تمر بقلبك وتمر مرور الكرام أم أحياناً تتأثر بغيارها ؟

الأولى اليسر الثانية العدل ، الثالثة .. {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذِينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [النساء / ٢٦] ثم يؤكد بعدها {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا} [النساء / ٢٧] {يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} [النساء / ٢٨] لو أردنا أن نضع عنواناً على هذه الآيات فهذه آيات مراد الرب في القرآن ، لأنها ذكر فيها معنى الإرادة أكثر من مرة وذُكر في أكثر من معنى

أول شيء - المعنى الثالث - البيان والإرشاد ، أحياناً كثيرة عندما يقول الله {... وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ} [الأنعام / ٥٥] كي تتضح الدنيا أمامك ، العلة في ذلك أن تستبين أمامك سبيل المجرمين حتى تعرف الفرق بين فسطاط الحق وفسطاط الباطل ، تعرف تفرق ما بين الأمور ، يهديك ويرشدك ويرشد بالآيات الكونية وبالآيات الشرعية ، ويرشد بهذه الرسائل ، يبين لك أين الحق وأين الباطل .. أين المعروف وأين المنكر ، ألا يستطيع أحد منكم قراءة بعض الرسائل التي أرسلها الله له في حياته ليحقق هذا المعنى ؟ كي يبين لك كي تفهم ، تفهم نعمته .. وتفهم غرورك ، {... مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} [الإنفطار / ٦] تفهم رحمته حتى في بليته لك لأنه سبحانه وتعالى يتلي ليهذب لا ليعذب ، تفهم عنه معاني لا تصل إليها أبداً إلا بالبلاء ، يبين لك ، الطريق لن يكون هكذا ، لو سرت فيها هكذا ستسقط ، فلا بد أن يبين لك بإشارات وبمواقف ، والتربية بالمواقف أوقع أنواع التربية تأثيراً ، فتأثرت شيء بالبيان والإرشاد والهداية وبأن يذكر سنن الذين من قبلكم بأن يذكر لك سنته كيف سارت فيمن مضى كي تستفيد في وقتك الراهن وفي المستقبل ، تعرف تقرأ التاريخ أو تقرأ تاريخك أنت ، أتذكرون ما قبل الالتزام وما بعد .. هل تفعلون هذه المقارنات ؟ أم نسيتم {... كَذَلِكَ كُنْتُم مِّن قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ...} [النساء / ٩٤] أم انتهت مع زحام الحياة ؟ كل هذا بيان وإرشاد كي تعرف ما هو مراده منك ؟

4.. ما مراده منك ؟ مراده التوبة .. يريد أن يتوب ، وإذا أراد أن يتوب فقد تقع في الذنب وهذه سنتوقف عندها لتكون محور الدرس ، ما مراده في الذنب كلنا خطاين ولماذا كل بني آدم خطاء ؟ لماذا أصبحت فينا هذه الخاصية وليست كشأن الملائكة مثلاً ؟ لماذا لم نُصِحْ مثلهم ؟ لماذا كُتِبَ علينا هذا التكليف ؟ ما مراده منه ؟ العبد يذنب وأنه يسمى نفسه غفَّار وغفور كي يُذنب العبد فيعامله بهذه الصفات ومعاني هذه الأسماء ما مراده ؟ يريد أن يتوب ، ماذا ستفتح التوبة للعبد ؟ كي أفهم ما مراده مني في كل وقته .. ما حكمته؟ ما السر في هذا؟ لأني لو فهمت ذلك وقارنت بينه وبين حظ النفس تتم المعادلة .. معادلة العبودية ، ويفعل المقارنة . أنا أريد أن أتوب عليك والذين تذهب لهم يريدون أن تتعد وتقبل ميلاً عظيماً ، الله يريد أن يتوب علينا أما الذين يتبعون الشهوات ممن تُشاكلهم ونُصاحبهم ونُخالطهم وتُتأثر بهم فيريدون أن تميلوا عن الصراط ميلاً عظيماً..

يقول خامساً .. {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} [النساء / ٢٨] .. أنت لا تفهم نفسك ، لا تفهم انك عندما تتوسع في الشهوات وتفتح لنفسك في هذا الباب أنت ضعيف فتزيدها ضعف ، الله يريد أن يخفف عنك النقل لأنه بالضبط مثل شخص ضعيف مثلما نقول عليه مثل وزن الريشة ونقول له أن يحمل حملاً ثقيلاً ، كيف سيحملها؟ لا يستطيع تحمل هذا ، فأنت تضع على كتفك جبال الأوزار ، ماذا تفعل ؟ تُضعف في نفسك أكثر ، لا أستطيع أن أتحمّل أي شيء من ثقل الحمل على كاهلي من ذلك ، الله يريد أن يخفف ، يريد ألا يتقل كاهلك بالأوزار التي تُعيقك ، أنت تفعل ذلك عندما تتوسع على نفسك في هذا الباب ، فانظر إلى مراد الله وإلى مرادك أنت

يقول سادساً .. {...مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة / ٦] ما جعل عليك في الدين من حرج وهذا من معنى تخفيفه ومن معنى تيسيره ، فما جعل عليك في هذا الدين من حرج كما يقول الفقهاء : الأمر إذا ضاق اتسع فَيُرَخِّصُ ويجب أن تؤتي رُخصته سبحانه وتعالى ، الكلمة التي نريد أن نتوقف عندها... هذه الكلمة {...وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ...} أنت تُنجس نفسك والله يُريد أن يُطهرك ، أليست الذنوب نجاسات ؟؟ ألا تراها نجاسات ؟ ألا تشعر أنها نجس قدر ؟ النظرة المسمومة قدر سم ، الكلمة التي لا تُعطي لها بال وقهوي بها في النار سبعين خريفاً ماذا يكون تأثيرها على القلب ؟ والله يريد أن تكون طاهراً ونظيفاً ومن منا لا يجب أن يكون كذلك ؟ إن الرجل ليحب أن يكون ثوبه جميلاً وهيبته جميلة لكن يا من تُزينون الظواهر وتنسون البواطن ، الله يريد أن يطهرك وقبل أن تطهر ثوبك الظاهر طهر ثيابك الباطن {وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ} [المدثر / ٤] ، يقول سبحانه وتعالى {...وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ} [الأنفال / ٧] الله يريد أن تكون راية الحق دائماً شامخة وأنت أحياناً ترضى بالدون وترضى بالسفول وترضى بالدنية والله يريد أن يحق الحق وأن يظهر الحق ، ويظهر أهله ويظهر أوليائه لكن أحياناً أنت رضىت بالحياة الدنيا واطمأنتت بها ورضيت بالذل والصغار كما هو حال غالب المسلمين في هذا الزمان ، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري

ثامناً .. وتلك آية توضع وتكتب على رأس هذا الأمر كله لأنه ضابط عام .. {...تُرِيدُونَ...} هذه إرادة العبد {...تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ...} [الأنفال / ٦٧] تلك هي الحقيقة من الآخر ، {...تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ...} [الأنفال / ٦٧] ، إذا لو أردت أن أفهم مراد الرب فرقم واحد هل هذا يؤدي إلى الآخرة ؟ تعالى نرى في كل النماذج التي تحدثنا عليها .. أنا أتزوج .. آتي بنقود .. أتعلم .. أفعل كذا وكذا .. أنت تريد الآخرة إذا ليست دنيا كل ما يقطعك عن الآخرة فهو الدنيا وكل ما يشغلك بالآخرة فليس من الدنيا بشيء ، ضعها ضابط ، إذا كان سيقطعك ويشغلك مشغلة تُفسد عليك حالك مع ربك فهذه هي حقيقة الدنيا الخفية التي في قلبك ، التي تريدها ، هذا هو عرض الدنيا ، أما الله فيريد الآخرة

من خلال تلك الآيات هذا مراد الله منا و ما يحبه الله لنا وما يرضاه لنا ، أحياناً تأتي شبهات في هذا المعنى ومن يتفقه من خلال هذا الدرس ومن خلال رؤوس الأقلام التي ذكرناها اليوم ومن خلال المثال الذي سنضربه من خلال معرفة مراد الله من العبد في الذنب ، من يتفقه في هذا المعنى هذا الذي سيبلغ الفهم عن الله ، وهذا الذي ستكون في قلبه عين البصيرة ، وهو من سيكون تعلم العلم الحقيقي النافع ، تعالوا لنعلم القرآن أعطانا أمثلة أيضاً على معاني مشتبهة ، لماذا يرزق الله الكافر ؟ الكافر .. لماذا يرزقه ؟ ما مراد الله من ذلك ؟

قال {وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطَاءً فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [آل عمران / ١٧٦] في ضوء الآية السابقة {...تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ...} [الأنفال / ٦٧] أي نظر ؟ كيف تنظر ؟ معهم نقود .. معهم إمكانيات ومعهم ... ومعهم ونحن لا ، أنت نظرت بأي عين ؟ نظرت بعين الدنيا أم بعين الآخرة ؟ نظرت بعين الدنيا فاعتذرت ، {لَا يَغْرَتُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ} [آل عمران / ١٩٦] ، إنما لو أخذتما بميزان الآخرة قال الله {...يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطَاءً فِي الآخِرَةَ...} ليست ملكهم {...وَلَهُمْ

عَذَابٌ عَظِيمٌ { فبمنظور الآخرة هم على رأس قائمة الرسوب ، كذلك أحياناً تنظر - كما لو نظرنا على دول الغرب وأمريكا وما يعيشونه من رفاهية والدخل السنوي للمواطن الأمريكي أو الأوروبي ونحن هنا والفقر وهذا الكلام قال الله **{فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ}** [التوبة / ٥٥] في أيها المستغربون نعم خذوا عنهم الخير ، لكن لا تفتنوا بمظاهر الدنيا التي لديهم لأن هذا ما يحدث لنا ، نحن نفتن بالدنيا لا نفتن بأن لهم رسالة وقضية يعيشون من أجلها وأهم يسودون العالم وأن المسلمين لا بد أن يكونوا هم الصفوة **{...وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}** [آل عمران / ١٣٩] أنت لست كذلك ، أنت ترى أننا سنصبح كذلك عندما تكون لدينا ناطحات السحاب والتكنولوجيا ولدينا تلك الإمكانات التي سنستخدمها للفراخية والترفيه ونعيش ، نحن لسنا أهل دنيا .. أفهمتم ؟

حسناً تعالوا نرى المثال ، ابن القيم وهو يتحدث في منزلة التوبة ويشرح كلام الهروي في لطائف وأسرار التوبة فذكر ثلاثة أشياء وستتوقف عند الدرجة الأولى التي يشرح فيها هذا المعنى وتعالموا نرى مراد الله ، يقول الهروي : أولها - من أسرار التوبة - أن ينظر الجناية والقضية - أنا الآن مدمن ذنب لا أستطيع أن أتخلص منه ، ما المفروض أن أفهمه وماذا يريد الله مني ؟ أن ينظر الجناية والقضية - فيعرف مراد الله فيها ، - وما هو - إذ خلّك وإتيانها - تركت تفعلها - فإن الله عزوجل إنما خلّى بين العبد وبين الذنب لأجل معنيين :

المعنى الأول .. أن يعرف عزته في قضائه ، وبره في ستره ، وحلمه في إمهال رآكبه

وكرمه في قبول العذر منه ، وفضله في مفرته

تلك خمسة أشياء في المعنى الأول

المعنى الثاني :: أن يقيم على عبده حجة عدله فيعاقبه على ذنبه بحجته

تعالوا نفهم ابن القيم كيف سيخرج من هذا المعنى كم من المعارف؟ لنفهم بعد ذلك كيف تُخرج الحكمة والسر وتفهم مراد الله مما يكون سبباً في شغل نفسك بذلك عن مراد نفسك أنت ، ففي مراد النفس .. فما هو مرادي من الذنب ؟ اللذة .. السعادة .. والهوى - اتباع الهوى - أنا أريد أن أفعل ذلك لذا طالما أريده أخذه ... فمن المصيبة أن تربية الناس اليوم على ذلك .. ما تشتهي خذه .. فينشئ ناس أهل اتباع هوى ، وهذا أنا أراه باطراد في كل من أتعامل ، أهلي علموني هذا وربوبي هكذا ما تشتهي خذه ، كلمة "لا" لا أعرفها ، وبالتالي هو على هذا المراد ، مراده أنا أريد كذا فهذا لا بد أن يتحقق ، وهذا يتنافى مع العبودية **{...وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى}** [النازعات / ٤٠] فابتداءً أنت تريد عكس المعنى تماماً **{...وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ...}** [الأنفال / ٦٧] المعادلة مرة أخرى وأنتم ماذا تريدون **{...تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا...}** أنت تريد ما في نفسك سواء دنيا أو آخرة ، ليست قصتي ، حتى في الآخرة تفعل ذلك ، أنا مزاجي الآن علم .. إذاً هي علم .. أنا مزاجي الآن وعظ .. إذاً وعظ .. أنا مزاجي الآن دعوة إذاً هي دعوة ، أنا أشعر أي سأصبح هنا مميّزاً أكثر من هنا فلا بد لأنني أريد الدنيا فأعمل في الجزء الذي سأظهر فيه ، هذا حقيقة المراد **{...وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ...}** انظر ما هو مرادك؟ لذة وسعادة و .. و .. لكن هو سبحانه وتعالى قادر على أن يقطع عنك مرادك ، اضرب رأسك في الحائط ، عرفت الله بنقض العزائم ، أنا مرادي اللذة والسعادة وكذا وكذا ... إذاً .. سنقطعه عنك .. فأنت وقتها لن تتل مرادك ، إذاً يحول بينك وبين الذنب ، لا بل يُمكنك من الذنب ، لماذا يا رب كنت عافيتني أفضل ، لا الأحسن لك أن تذب .. الأفضل لي أن أذب ؟ نعم لأن لديك آفات خفية ومعاني لو بقيت فيك ستكون مشكلة ، إذاً ما الحل ؟ أبعث لك هذا لو فهمت المراد منه فستعود لناخ العبودية ، قال ابن القيم : اعلم أن صاحب البصيرة إذا صدرت منه الخطيئة فله نظر إلى أمور:

١- أن ينظر إلى أمر الله ونهيه فيحدث له ذلك الاعتراف بكونها خطيئة والإقرار على نفسه بالذنب

إذا أول معنى .. أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي ، إذا ما مراد الله هنا مني ؟ أن أذهب له وأنا أعلم من هو ، لذلك عَلِمَ عبدي أن له رب يغفر الذنب قد غفرت لعبدي ، يُعرفك من هو ويُعرفك من أنت هذا هو أول معنى..

٢- أن ينظر إلى الوعد والوعيد فيُحدث له ذلك خوفاً وخشية تحمله على التوبة .. أنت ناسي الجنة والنار ، متناسيهما تماماً ، فتفعل ذنب سيئ جداً وتقول ما عقوبته أنا فعلت كذا ويسأل وما كفارته ؟ فيقال له احذر .. هذا الذنب النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال من يفعل كذا يصبح كذا ، فوقتها هذا يذكره أن هناك جنة ونار لأنه غفل في وسط الدنيا عن الجنة والنار ، ومن منكم يتذاكر ذلك في يومه وليله ولا يغيب عنه ، الأصل معكوس أننا أحياناً نمر علينا معاني الجنة والنار لكن الأصل ليس هكذا أن الأصل لدينا الجنة والنار فأحياناً الدنيا تُلهينا

إذا المعنى الثاني أن ينظر للوعد والوعيد فيُحدث له ذلك الخوف والخشية

المعنى الثالث وهنا سيتوسع .. أن ينظر إلى تمكين الله له منها وتخليته بينه وبينها وتقديرها عليه وأنه لو شاء لعصمه ، لماذا لم تمنعني ؟ لأن ذلك سيطعه على رياض موقنة من المعارف وأسرار القدر والحكمة مثل ماذا ؟ عدد معي هنا وكل واحدة ستشهد بما اسم من أسماء الله تبارك وتعالى ، الذي قالمه الهروي ، ما أول ما قال ؟ قال يعرف عزته في قضائه ، ما العز هنا ؟ استمع لابن القيم ماذا يقول : أول شيء تحت هذا البند لماذا مكنتي من الذنب وما مراده من ذلك ؟

قال ١ - شهود اسمه العزيز ، فالعزيز الذي يقضي بما يشاء وهو لكمال عزته حكم على العبد وقضى عليه بأن قلب قلبه وصراف إرادته على ما يشاء وجعله مُريدًا شائياً لما يشاء منه ، فهذا من كمال العز ، تأتي أنت بلسان المتسخط وتقول لماذا هكذا؟؟ لماذا قَدَّرها ؟ لماذا فعلها ؟ اضرب رأسك في الحائط ماذا ستصل ؟ لو أنك دخلت من باب الاعتراض واعترضت وقلت لا ينفع ولا يصح ولم يكن والمفروض كذا كذا كذا ، قل ما تريد هو يقوفا من هذه الناحية قبل أن نتحدث عن لطائف وأسرار المعنى لو دخلتها من مدخل العزيز ، ماذا تريد ؟ واحد يعترض الآن على مديره ويقول له هذا لا يصلح الوضع كذا كذا كذا ، والآخر يقول له حسناً ماذا ستفعل ؟ إلام سيوصلك هذا الكلام ؟ لا شيء ، عزيز لا يُغالب ، أتغالبه ؟ اعرف من أنت ومن هو ، العزيز الذي لا يعز عنده أحد ، عزيز لا يُغالب ، فلا يقدر عليه إلا ذو العزة الباهرة ، **{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً...}** [فاطر / ١٠] فيعرف العبد أنه مدبّر مقهور ، ناصيته بيد غيره فحينئذ يفنى عن نفسه ، إذاً حظ النفس الذي تفرح به ولا تعرف الخلاص منه لن يفيدك بشيء لأنه عزيز ، يحول بينك وبين ما تشتهي ، لأن ما تشتهي هو حظ النفس ، **{وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ...}** [سبا / ٥٤] أتريد ذلك؟؟ حسناً ، أتعرفون قصة الرجل المشهورة الذي أراد أن يتزوج امرأة نصرانية وهو مؤذن .. القصة المشهورة التي يذكرها القرطبي في التذكرة ، شاهداً أنا أريد أن أتأذذ وقد فنتت بالمرأة الجميلة ولا يهم الدين **{وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ...}** [سبا / ٥٤] ، لا حصل دنيا ولا حصل آخرة ، أنت أيضاً كذلك ، هي كذلك عندما آتي بالنقود سترتب عليها كذا ، بيعت إليك بحادث يستغرق المال **{وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ...}** [سبا / ٥٤] ، كنت أدبر كل هذا المال كي أشتري السيارة الفلانية صرفتهم جميعاً على تصليحها ، **{وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ...}** [سبا / ٥٤] ، المسألة كيف ستحسبها ؟ لذا أنا مقهور فأفنى عن حظ النفس ، وماذا أيضاً ؟

قال وأن يشهد أن الكمال والحمد والغناء التام والعزة كلها لله وأن العبد نفسه أولى بالتقصير والدم والعيب والظلم والحاجة وكلما ازداد شهوده لذه ونقصانه وعيبه وفقره ازداد شهوده لعزة الله ، الله يريد أن يُعلمك عزته ، فيأتي بك من باب الدل ، فتدل له فتشهد أنه العزيز ، ومنها أن العبد لا يريد معصية مولاه من حيث هي معصية ، ليس صحيحاً ؟ فإذا شهد شريان الحكم وجعله فاعلاً لما هو غير مختار له .. أنا والله لم أكن أريد أن أفعل ذلك ما الذي جعلني أفعل تلك الوقعة السوداء ؟ والله لم أكن أريد فعل ذلك ، ومن جعلك تفعل كذا ؟ إذاً الله أراد شيئاً ، لكن الله أراد بي اليسر ويُريد بي التخفيف والله يريد أن يتوب عليّ ، نعم أنت وصلت ، هو يريد أن يتوب عليك ، يريد أن يعاملك بهذا لأن هذا سيأتي بك من مقام العبودية أعظم مما

تفهم أنت ، وأنت واقف ذليل ليس مثلما تقف في الصلاة وتقضي صلواتك وأورادك وتفعل كل شيء .. أتذكرون أول التوبة ؟ كل الناس بلا نقصان في هذا المعنى ياجامع كل من يلتزم يقول ليس هناك أفضل من الأيام الأولى ، تريد أن تقطع نفسك وتفعل وتسوى لماذا ؟ هو كذلك تشهد حينئذ أنك عبد مقهور مُدَبَّر ولن أفعل ذلك ولا بد أن أفعل ويا رب تقبل توبتي ، فِيريك حينئذ عزته سبحانه وتعالى في قضائه

٢- يريك معنى اسمه البر السَّيِّر فيشهدك بره و في ستره . أين هو ؟ معنى لو كانت للذنوب رائحة لقدرنا الناس ، أحد منكم بلا ذنب يخشى أن أطلع أنا عليه ؟ أو أنني بلا ذنب أخشى أن تطلعوا أنتم عليه ؟ من زعم غير هذا فهو كاذب ، كل واحد منا أكيد عنده ذنوبه التي لا يجب أن يطلع عليها أحد لأن هذا هو معنى الاثم والاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس ، فانظروا إلى بره في ستره ، يا أخي رفق قلبك ، يا أخي افهم عن ربك ، ويا أخي اشهد هذا المعنى وابلِكِ على نفسك ، والله محتاج لها ، والله محتاجها .. ابلِكِ على نفسك لا على خطيئتك ، في حديث عقبة بن عامر قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ما النجاة ؟ قال (وليسعك بيتك وابلِكِ على خطيئتك) إنما عندما النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال (إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه) قال له ماذا ؟ قال (الزم بيتك وابلِكِ على نفسك) ابلِكِ على نفسك ، لا تبكي أنك فعلت ذنب بل ابلِكِ على حرمانك من جود ربك ، من قريبك من ربك ، ليس لأني فعلت ذنب لا ، بل لأني حتى اليوم لا أعرف أن أتقدم يا من تقول منذ سنين وأتمنى أن أتعلم العلم الفلاني ولم انته ، يا من تقول منذ سنين وأتمنى أن أختتم القرآن ولم أختتم ، يا من تقول أتمنى أن يكون لي دور ويكون لي رسالة أتمنى أن يكون لي قضية أعيش لأجلها ، أتمنى وأتمنى ... ولم تُحصَلْ شيء .. ابلِكِ على نفسك ، فيشهدك بره في ستره ، فهو سبحانه وتعالى من أسمائه البر ومن أسمائه السَّيِّر ، فيشتغل العبد بمطالعة منة السَّيِّر ومنة البر فيذهل عن ذكر الخطيئة فيبقى مع الله ، يقول لك أنت فعلت ذنب فتقول يا رب استرني .. يا رب لا تفضحني .. يا رب أتم برك عليّ ونعمتك عليّ .. ويعمل حَوْلَ هذا المعنى فوجد الله له سائرًا لعيبه وبرًا به فاشتغل بهذا المعنى فماذا حدث ؟ كان ذنبًا ثم ماذا حدث ؟ أين أتى به ؟ أصبح عابدًا بالأسماء والصفات ، على أنه دخلها بماذا ؟ دخلها بذنوب والمفترض أنه قاطع فإذا به واصل

المعنى الثالث ماذا قال ؟ : وحلمه في إمهال راحته ، الحليم ، رقم ٣ يشهد اسم الله الحليم الذي هو قول الله تبارك وتعالى **{وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمْ لَهُمُ الْعَذَابُ...}** [الكهف / ٥٨] فيشهد الحليم الذي لا يُعَجَّلُ بالعقوبة فيُحدث له ذلك معرفةً بره تستوجب الحياء وتستوجب الخجل وتستوجب الندم وتستوجب مقامات في التعبد ربما لا يحصلها بفعل كبير طاعات ، فيشهد حلمه أنه يفعل الذنب .. أتفهمون ماذا تعني ؟ أنا أعطيت ابني نقود كي يصرفها على كذا وكذا يعطيها للمدرس الذي يعطيه درس أنظر أمام عيني يخرج علبة السجائر ويضع السيجارة ويبدأ في شربها وأنا صامت ؟ كيف يحدث هذا ؟ ماذا ستفعل له ؟ اجتمعت كل الأشياء فكونه يشرب في حد ذاته بلوى وكونه متجريء ولا يرى أباه الذي أعطاه هذا الخير ويفعل أمامه هذا متجريء وقد أخذ من نقود أبيه بل أشد هو سارق أبيه ، ما هذا ؟ بالضبط هكذا ، أنت خائن وخائن بماذا ؟ لأنك تأخذ نعمه وتعصيه بما من غير أن يعطيك هذا لهذا الغرض فتأخذها وفي نفس الوقت تتجرأ وفي نفس الوقت يلجم عليك في ذلك كله ولا يُعَجَّلُ لك بالعقوبة ، لو ابنك فعل ذلك ماذا ستفعل ؟ ستطرده وتضربه .. فانظر في نفسك .. وقل أنت **{...كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيًّا}**

[الإسراء / ١٤] فيشهد حلمه في إمهال راحته

رابعاً .. يشهد كرمه في قبول العذر منه ، أي أن العبد عندما يعتذر لا يعتذر بالقضاء والقدر وابن القيم يقول هذه محاصمة ومحادة ، أي عندما يأتي للاعتذار يقول يا ربى ماذا أفعل ؟ أنت من جعلتني أفعلها ، إنما حين يعتذر يعتذر وهو يرى جنائته ، وهو مشتغل بهذا المعنى فيقبل ربه عذره بكرمه وجوده ، يقول يا رب أنا لا أستحق والله العظيم لا أستحق ، أعرف البلوى التي فعلتها فلا أستحق أن تعفو عني وتقبل عذري ، فعندما يقبل عذره وتجده يفرح ، والله يفرح بتوبة عبده ، فعندما تجده كذلك ما هذا الكرم ؟ بل يبذل السيئات حسنات ، غير ممكن ، فماذا تريد أكثر من ذلك كرم وجود ؟

٥- يشهد معاني أسمائه الغفور الغفار ، يقول ابن القيم : فيشهد فضله في مغفرته لأن المغفرة فضل وإلا فلو أخذ بمحض الحق كان العدل محمودا وإنما عفوهُ بفضلهُ لا باستحقاقك ، فيوجب لك ذلك الشكر والحبّة والإناة والفرح والابتهاج وحينئذ يعرف من هو الغفار وحينئذ يفهم {وَأَيُّ لَفْغَارٍ لَمَن

تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} [طه / ٨٢]

سادساً .. قال : يبلغ من خلال الذنب منازل الذل والخضوع والانكسار والافتقار فيكُمّل للعبد - هناك منازل أنت هكذا ذللت لكن تلك المترلة الأعلى أن تضع رأسك في الأرض في تعاملك مع ربك ، لا يأتيك هاجس أو وسواس يقول لك أنت أصبحت بخير الحمد لله فتقول له هسس أنا أدري بحالي ربنا يتوب عليّ ويغفر لي ويسترني ، فلا يتمكن الشيطان منك في لعبة العجب أو الرياء أو الكبر ولا تلك المعاني لأنه ذليل ، فيكمن له حينئذ مترلة الذل ومترلة الخضوع ومترلة الانكسار والافتقار

اسمعوا ماذا يقول ابن القيم : فإن النفس فيها مضاهاة للربوبية ، النفس بها ذلك لذا ففي الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه الحديث لأبي سعيد الخدري ولأبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال (قال الله عز وجل العز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبتة) ورواه البرقاني في مستخرجه من الطريق الذي اخرجته مسلم لكن بلفظ يقول الله عز وجل (العز إزارى والكبرياء رداى فمن نازعنى شيئاً منهما عذبتة) وماذا يقول ابن القيم؟ ولو قدرت - النفس - لقاتل كقول فرعون ولكنه قدر فأظهره وغيره عجز فاضمر ، انظر للنفس كيف تكون؟ بما هذا المعنى وهذا العتو والعلو ، هذه النفس .. هذا أنت .. لاتدعي خلافه هذا فيك لكن الفكرة كيف تُروّض على معاني العبودية قال:

فيخلصها الله من هذا بذل العبودية بأربع مراتب:

أولها .. **ذل الحاجة** .. فأنت تمرض وتذهب للأطباء فيقولون لك لا علاج لك ، فلا يوجد سواك يشفييني من هذا ، أنت تحتاج مال وتُعَلّق أمامك الأبواب وليس هناك سواه الرزاق وهكذا

الثانية .. **ذل الطاعة والعبودية** ، وهذا ذل الاختيار وهذا ذل أهل الطاعة وهو سر العبودية

الثالث .. **ذل الحجة** .. فإن احب ذليل ، من يجب يحدث له ذلك ، وكل الناس تعرف ذلك في محاب البشر ، عندما تحب شخص ما جداً تجد نفسك خاضع له ، ذليل له دون أن تدري ، لم يُصنع بك ذلك ؟ فإذا أحببتة حق الحب ذللت له

الرابعة .. **ذل المعصية والجناية** ، فإذا اجتمعت الأربعة - ذل الحاجة وذل الطاعة وذل الحجة وذل المعصية - كان الذل لله والخضوع له أكمل و أتم ، حينئذ يورتك ذلك المعنى الحقيقي للفقر ، فانظروا ما مراده؟؟ ماذا فعل بك الذنب ؟ كل تلك المعاني ،

ابن القيم زاد فاهروى قال عزته في قضائه وبره في ستره وحلمه في إمهال راحبه .. كرمه في قبول العذر منه .. وفضله في مغفرته ، ابن القيم زاد عليها ثلاث .. الأول شهود معاني الذل التي ذكرها ، والمعنى الثاني قال لتعمل آثار أسمائه وصفاته أي تلك السلسلة التي نتكلم فيها وهي معنى تعرف .. كي تتعرف ، تتعرف لو لم تذبوا لجااء الله يقوم يذبون ليغفر لهم ، يقول : فإذا فرضت الحيوان بجملته معدوماً فمن يرزق الرزاق ؟ إذا كان كل واحد عنده رزقه لماذا سيرزق الرزاق ؟ وإذا فرضت المعصية والخطيئة منتفية من العالم فلمن يغفر لمن يعفو وعلى من يتوب وعلى من يحلم ؟ وإذا فرضت الفاقات كلها قد سُدت والعبيد أغنياء معافون فأين الذي سيسأله ويتضرع له ويتهلل بين يديه وهكذا ؟ قال فسبحان من تعرّف إلى خلقه بجميع أنواع التعريفات ودلّهم عليه بأنواع الدلالات ، وفتح لهم إليه جميع الطرق ثم نصب إليه الصراط المستقيم

المعنى الثامن .. قال .. وهنا وقفة المعاني الرقراقة العالية جداً ، فابن القيم قبل أن يُصدّر هذا المعنى ترك مسافة وكتب فصل لأمرها وحدها تريد وقفة

فقال : ومنها السر الأعظم الذي لا تقتحمه العبارة ولا تجسر عليه الإشارة ولا ينادى عليه مناد الإيمان على رؤوس الأشهاد بل شهدته قلوب خواص العباد فازدادت به معرفة لربها ومحبة له وطمأنينة به وشوقاً إليه ولهجاً بذكره وشهوداً لبره ولطفه وكرمه وإحسانه .. ما سر العبودية ؟ قال : وهو المضمن فيما ثبت في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (لا الله أفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان عليه راحلة بأرض فلا فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح) فالحديث مشهور لكن ابن القيم سيذكر فيه كلاماً يقطع قلوب المحبين ، قال : وهذا الفرح له شأن ينبغي للعبد إهماله والإعراض عنه .. لماذا ؟ ولا يطَّلَع عليه إلا .. انتبه لو ليس لك في هذا الجزء لا تدخله .. من الأول .. إلا من له معرفة خاصة بالله وأسمائه وصفاته وقال : وقد كان الأوّل بنا طيّ الكلام فيه - كان الأفضل ألا أتحدث ولا أقول ما سأقوله الآن - إلى ما هو اللائق بأفهام بني الزمان وعلومهم ونهاية أقدامهم من المعرفة وضعف عقولهم عن احتماله غير أنّا نعلم - يا رب نكون منهم - أن الله عز وجل سيسوق هذه البضاعة إلى تجّارها ومن هو عارف بقدرها وإن وقعت في الطريق بيد من ليس عارفاً بما فُرب حامل فقهه ليس بفقير ورُب حامل فقهه إلى من هو أفقر منه .. يقول انتبهوا الكلام الذي سأقوله كلام خطر لأن هناك ناس ستغتر به وتأخذ على غير مقامه وهناك من ستُترّله منزله .. ما هذا المعنى الرائق العالي ؟

أول شيء بدأ بها ابن القيم ببيان كرم الإنسان عند الرحمن {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...} [الإسراء / ٧٠] ماذا قال ؟ : اعلم أن الله سبحانه وتعالى اختص نوع الإنسان من بين خلقه أن كرمه - انظروا من سيقراً هذا الكلام كيف سيفهمه : هو حب الله للعبد لأن ناس كثيرة تحدّثوا في هذا المعنى وأحياناً كثيرة يؤخذ على غير محمله فحب الله للعبد انظروا كيف يحبنا الله .. فالتناس تغتر بذلك بدل أن تتزل هذا الكلام مقامه العالي ،

يا أخي كرمك وفضلك وشرفك وخلقك لنفسه وخلق كل شيء لك وخصك من معرفته ومحبه وقربه وأكرمك بما لم يعطه غيرك وسخر لك ما في السماوات والأرض وما بينهما حتى الملائكة الذين هم أهل القرب منه استخدمهم لك وجعلهم حفظة لك في منامك ويقظتك وطمأننتك وإقامتك وأنزل إليك وعليك كتبه وأرسل لك وخاطبك وكلمك واتخذ من الناس الخليل والكليم والأولياء والخواص والأخبار .. فلأنت عنده بالمتزلة ، لك شأن ليس لسائر المخلوقات ، وقد خلق أباك بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأظهر فضله على الملائكة فمن دونهم من جميع المخلوقات ، وطرد إبليس عن قربه وأبعده عن بابه إذ لم يسجد له مع الساجدين واتخذ عدواً له .. فلأنت بتلك المزية مستحي إذا كنت لله على فهم ومعرفة .. ثم يقول : وللمحبيب - هو أنت - يا محبوب وللمحبيب عدوه هو أبغض خلقه إليه قد جاهره بالعداوة وأمر عباده أن يكون دينهم وطاعتهم وعبادتهم له دون وليهم معبودهم الحق وقال لك هذا الشيطان {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا...} [فاطر / ٦] ثم أنت بعد ذلك بهذا الجود وبهذا الكرم مغتر ،

يخبرك أنه أجود الأجودين وأكرم الأكرمين وأرحم الراحمين سبقت رحمته غضبه وحلمه عقوبته وعفوه مؤاخذته وأفاض على خلقه النعمة وكتب على نفسه الرحمة يجب الإحسان والجود ويجب أن يُحسن لك ويجود عليك ويعطيك من فضله ومن بره فهو ذو الفضل كله والفضل كله بيده والخير كله منه إليك والجود كله منه لك ، ثم أنت بعد ذلك تركز وتعرض لسخطه .. انظروا ماذا يقول .. فإذا تعرض عبده ومحجوبه - كلمة محجوبه تقطع قلبك يا حبيب الرحمن كيف تتعرض لسخط المنان !! فإذا تعرض عبده ومحجوبه الذي خلقه لنفسه وأعد لك تلك الأنواع من الكرامة والفضل إذا تعرض لغضبه وارتكب مساخطه وما يكرهه وأبقى منه وشردت عنه ووليت ظهره ربك وواليت عدوه وتحيّزت لعدوه وتركته هو

قال : فهذا يستدعي من الجواد الكريم خلاف ما هو موصوف به من الجود والإحسان والبر بأن تتعرض لغضبه وإلى سخطه وانتقامه ويصير غضبه وسخطه حال بك بسبب معصيتك قال : فبينما ذلك الحبيب مع العدو في طاعته وخدمته ناسياً لسيده - نسيت ربنا {...تَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ

أَنْفُسَهُمْ...} [الحشر / ١٩] - ناسياً لسيدته منهنمكاً في موافقة - ها هو حظ النفس هذا مرادك - موافقة عدوه قد استدعى من سيده خلاف ما هو أهله إذ عرضت بهذا الحبيب فكرة - وأنت سائر تذكرت - فتذكرت بر سيدك وتذكرت عطفه وتذكرت جوده وتذكرت كرمه وعلمت أنه لا بد أن تصير إليه وأنت معروض عليه وأنه إن لم يقدم العبد عليه بنفسه قُدِمَ به عليه على أسوأ الأحوال فقمرت إلى سيدك من بلد عدوك وجد العبد في الهرب إليه حتى وصل إلى بابه فوضع خده على عتبة بابه وتوسد ثرى أعتابه متذللاً متضرعاً خاشعاً باكياً أسفاً يتملق سيده ويسترحمه ويستعطفه ويعتذر إليه قد ألقى بيديه إليه واستسلم له وأعطاه قياده وألقى إليه زمامه فعلم سيده ما في قلبه فعاد ما كان الغضب عليه رضا ومكان الشدة عليه رحمة وأبدله بالعقوبة عفواً وبالمنع عطاءاً وبالمؤاخذة حلماً فاستدعى بالتوبة والرجوع من سيده ما هو أهله وما هو موجب أسمائه الحسنی وصفاته العلی فكيف يكون فرح سيده به وقد عاد إليه حبيبه ووليه طوعاً واختياراً وراجع ما يحبه سيده منه برضاه وفتح طريق البر والإحسان والجود التي هي أحب إلى سيده من طريق الغضب والانتقام والعقوبة

وهذا موضع الحكاية المشهورة حين حصل له شرود وإباق من سيده فرأى في بعض السكك باباً قد فُتِحَ وخرج منه صبي يستغيث ويبكي وأمه خلفه تطرده حتى خرج فأغلقت الباب في وجهه ودخلت فذهب الصبي غير بعيد ثم وقف مفكراً فلم يجد له مأوى غير البيت الذي أخرج منه ولا من يتوبه غير والدته فرجع مكسور القلب حزيباً فوجد الباب مرتجاً فتوسده ووضع خده على عتبة الباب ونام فخرجت أمه فلما رأته على تلك الحال لم تملك أن رمت نفسها عليه والتزمته تقبله وتبكي وتقول يا ولدي أين تذهب عني ومن يؤيك سواي؟ ألم أقل لك لا تخالفني ولا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جُبلت عليه من الرحمة بك والشفقة عليك وإرادة الخير لك ثم أخذته ودخلت فكان القول الأم لا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جُبلت عليه من الرحمة والشفقة وتأمل قوله (لا الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها) وأين تقع رحمة الوالدة من رحمة الله التي وسعت كل شيء

فإذا نظرت إلى هذا فهتت سر فرح الله بتوبة عبده ، وإذا نظرت إلى تعلق الفرح الإلهي بالإحسان والجود يقول ابن القيم أنكم تظنون أن الرجل الجواد الكريم عندما يخرج المال تظنون أن الفرحه للمُعطى أشد من فرحة المعطى والله أبداً ، من يجرب الجود والكرم يجد فيهما لذة أعظم من اللذة التي يأخذها الآخر المُعطى له فلذلك الله سبحانه وتعالى يفرح بعبده ويفرح بتوبة عبده لأنه سمي نفسه احسن الجواد المعطى سبحانه وتعالى ،

ثم يقول : فما الظن بمحبوب لك تحبه حباً شديداً أسره عدوك وحال بينك وبينه وأنت تعلم أن العدو سيسومه سوء العذاب ويعرضه لأنواع الهلاك وأنت أولى به منه وهو غرسك وتربيتك ، ثم إنه إن فلت من عدوك ووافاك على غير ميعاد فلم يفاجئك إلا وهو على الباب يتملقك ويتراضك ويستعينك ويمرغ خديه على تراب بابك وأعتابك فكيف يكون فرحك به ؟ وقد اختصصته لنفسك ورضيته لقربك وآثرته على سواه هذا ولست الذي أوجدته وخلقته وأسبغت عليه نعمك والله عز وجل هو الذي أوجد عبده .. لست أنت من أوجدت أو خلقت ولا فعلت كل ذلك فما بالك بالله

الذي أوجدك وخلقك {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى} [الأعلى / ٢] {وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى} [الأعلى / ٣]

يقول : ومن هذا - من فرحه - ضحكته سبحانه حين يأتي من عبوديته - هذا العبد - بأعظم ما يحبه فيضحك سبحانه فرحاً ورضاً كما يضحك من عبده إذا سار عن وطائه وفراشه ومضاجعة حبيبه إلى خدمته يتلو آياته ويتملقه ويضحك من رجل هرب أصحابه عن العدو فاقبل إليه وباع نفسه لله ولقاه النحره حتى قتل في محبته ورضاه ويضحك إلى من أخفى الصدقة عن أصحابه لسائل اعترضهم فلم يعطوه فتخلف بأعقابهم وأعطاه سرّاً حيث لا يراه إلا الله ، الحديث المشهور الذي عند ابن حبان لما قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** (ثلاثة يجهم الله ويستبشر بهم ويضحك لهم ..) وفي حديث آخر قال (ومن ضحك الله له في موطن فلا حساب عليه) الثلاثة كل واحد من هؤلاء الأول أثر الله سبحانه وتعالى على شهوته ، نائم مع زوجته في فراش الزوجية فيثور ويتربك شهوته لإرضاء ربه ، والثاني يقف الجيش كله هرب وبقى هو ، فحام بصدوره عن الناس كلهم إما أن يموت شهادة وإما أن يدفعهم

، والثالث أتى للناس رجل فقير يطلب منهم الحاجة فكلهم منعه إلا هو فركض خلفه وانتظر لحظة السر حيث لا يراه أحد فأعطاه دونهم .. هو ذلك .. المميز .. هو ذاك الذي له حظ من اسم الله الوتر ،

فلو كل تلك المعاني تأملناها في مراد الله أن تقع في الذنب وأنا أردت أن أشبه بذلك ولم أقل مراد الله في خلقك أو مراد الله في تكليفك أو مراد الله في النعم التي ينعم بها عليك ولكن أخذتها بما يستوجب فهمك ، لماذا تفعل الذنب ؟ .. ترى كل تلك المعاني والمقامات فإذا قارنت بعد ذلك بين مراد الله ما هو له وبين مرادك أنت عرفت من أنت وعرفت من هو فأثرته على نفسك..

لذا يا جماعة واجبنا العملي لدرسنا اليوم مقامان لطالما تحدثنا عنهما

المقام الأول :حين تقارن بين ما له وبين مالك يستوجب ذلك الذل والانكسار قالوا : من رام الدخول إلى حضرة الكريم الغفار فليدخل من باب الذل والانكسار فما طلب لك شيء مثل الاضطرار ، ماذا تعنى ؟يجبك وأنت مضطر وأنت تقول له أمن يجيب المضطر وأنا مضطر فأجبنى ، فما طلب لك شيء مثل الاضطرار ولا أسرع بالمواهب مثل الذلة والافتقار ، أتريد أن يفرض جوده وتترل هباته ؟ ليس ثمة شيء أسرع بذلك سبباً من ذلك وافتقارك ، قال : فإذا قرعت الباب ورمت الدخول مع الأحباب فقل بلسان التضرع والانكسار يا أيها العزيز الغفار مسنا الضر وهو البعد والغفلة وجننا ببضاعة مزجاة - وهي أعمالنا المتعبة المدخولة المليئة بحظوظ النفس - وقلب معلول فأوف لنا ما أملناه من الجزاء المأمول وتفضل علينا بالقبول والوصول وقل اليوم نغفر لكم ونعطي مساوئكم ونوصلكم بما مني إليكم من الإحسان لا بما منكم إلينا من الطاعة والإذعان ، ليس بسبب أعمالك لكن لأنه كريم ، هؤلاء إخوة يوسف لما أظهروا فاقتهم واستقلوا بضاعته وأحضرُوا شكايتهم سمح لهم وقربهم وكشف لهم عن وجهه الجميل ومنحهم العطاء الجزيل فما ظنك بالرب العظيم الجليل الذي هو أرحم الراحمين ومحل أمل القاصدين ، بالذل والانكسار وشهود تلك المعاني الكبار تُبَلِّغ الخلوص من حظ النفس ومراعاة مراد الرب لا مرادك أنت منها

المعنى الثاني وقد تذاكرناه عما قريب وينبغي الوقوف عنده مليا المعنى الثاني : الحياء ،

وأنا هنا آتيكم بآية لم نتوقف عندها في آيات الحياء ، وهي قول الرحمن {...وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ} [الشعراء / ٢٢٧] قال بعضهم سيعلم المعرض عنا ما فاتنا منا ، فماذا فقد من وجدك وما الذي وجد من فقدك ؟ لقد خاب من رضيّ دونك بدلاً ولقد خسّر من بغىّ عنك متحوّلاً كيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الإحسان أم كيف يطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتنان!!

إنها وقفنا تحتاجان إلى كثير تأمل وكثير تدبر ودرسنا اليوم قاعدة ربانية من استلهمها وأخذ بها ليفهم عن ربه هذا الذي تعرف وهذا الذي بلّغ

نسأل الله عز وجل أن نكون منهم

سبحانك اللهم ربنا و بحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك

وعلّم اللهم علمك نبينا محمد وعلّم آلّه وحبّه وسلم

فضيلة الشيخ / هاني حلمي

منهاج

الأنس والوحشة

فضيلة الشيخ

هاني ماضي



w w w . M a n h a g . N e t

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{فَإِنْ زَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة / 209]

بعد أن كنت أقيم كل ليلة وأشعر بلذة المناجاة، وأشعر بلذة القرب، وبعد أن كان قلبي موصول بالرب

كم نعصي ربنا ولا ندرك حقيقة العقوبة أُلست قد حرمتك لذة مناجاتي

أعود بالله السميع العليم من الشيطان الرجيس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى،

وصلى الله وبارك على النبي المصطفى، وآله المستكملين الشرف،

ثم أما بعد؛

فأسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل جمعنا هذا جمعًا مرحومًا،

وأن يجعل التفرق من بعده تفرقًا معصومًا،

وأن يجعل منا ولا بيننا ولا حولنا شقيًا ولا محرومًا،

اللهم علمنا ما ينفعنا وإنفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا ينفعنا،

اللهم اجعل عملنا كله صالحًا ولو جهك خالصًا ولا تجعل فيه لأحدٍ غيرك شيئًا،

ربنا أتنا من لدنك رحمة وهى لنا من أمرنا رشداً.

نتدارس بحول الله تعالى وقوته في هذه المحاضرة العلامة الخامسة عشر

وهي تنمة العلامات التي اخترتها لتكون ميزاناً لكل واحدٍ منا يعرض نفسه وحقيقة أمره عليها حتى لا ينخدع منخدع في زمان أو هام الاستقامة والالتزام.

ومن اللطيف أن هذه العلامة ستكون كاشفة لقلوبنا وأحوالنا فمن منا لا يشتكي الوحشة وغربة القلوب في فتن هذا الزمان ؟

ومن منكم لا يفقد قلبه ويتندم على الأيام الخالية حين كانت لنا قلوب ثم فقدناها.

من أقوال السلف

قال ذو النون: لكل شيء عقوبة، وعقوبة العارف انقطاعه عن الذكر، فالعارف يأنس بالذكر ويستوحش من الخلق ويفتقر إلى الله فيغنيه عن الخلق، ويدخل لله فيعزه في الخلق.

تأملوا حال سلفنا رضوان الله تعالى عليهم ستجدون أكثرهم كان لا يقوى على مخالطة الخلق، فكان يفر إلى الخلوة ليأنس بحبيبه وسيده ومولاه وقره عينه، ولهذا كان أكثرهم يطيل الوحدة.

وقيل لبعضهم: ألا تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول أنا جليس من ذكرني؟

وقال آخر: وقل يستوحش مع الله أحد؟.

وكان يحيى بن معاذ كثير العزلة والانفراد فعاتبه أخوه فقال له: إن كنت من الناس فلا بد لك من الناس، فقال يحيى: إن كنت من الناس فلا بد لك من الله، وقيل له إذا هجرت الخلق مع من تعيش؟ قال: أعيش مع من هجرتهم له .

في صفة الصفة عن عبد الواحد بن زيد قال: كان أصحاب غزوان يقولون له: ما يمنعك من مجالسة إخوانك؟، فيبكي عند ذلك ويقول:

إني أصبت راحة قلبي في مجالسة من لديه حاجتي،

فالحمد لله الذي جعل الذكر جنة أوليائه وجنّ لهم من أعدائه،

فهو حادي المؤمنين حال رخائه وبلسم المصاب حال قضائه وسلوى المحزون حال بلائه
ومسك الرياحين حال لقائه،

فمن ذكر الله في وحشة، كان الأنس من اصطحابه،
ومن رطب لسانه به كان السعد من أحبابه،
ومن لجأ به إليه في شدة الأهوال انكشفن عن بابه،
ومن خلا ذاكرًا واختلى خلى القلب عن أسقامه،
ومن سار إليه به كان السبق في ركابه، كيف لا ولا حياة للقلب إلا به.

✽- إنها علامة الأنس بالله -✽

الأنس بذكر الله

والوحشة من مخالطة الخلق القطاع عن طريق الرحمن

إنها علامة عكوف القلب على الرب مفتقرًا

أيها العبد وذليله، أيتها الأمة بين يدي رب جليل كريم، خاضعين متبتلين منكسرين.

☪ عقوبة الوحشة ☪

☪ وقبل أن نعيش هذا المعنى دعونا نقدم للأمر من طرفٍ آخر، من عقوبة الوحشة، التي هي نقيض الأنس، فاسمعوا هذه الكلمات، فو الله ما مرت عليا هذه الكلمات الذهبيات التي كتبها ابن القيم رحمه الله ذلك الرجل العارف بأسرار تلك القلوب، وهو يحدثنا وكأنما يحدثنا عن أنفسنا في هذا الزمان في كتاب **طريق الهجرتين** ☪ يقول: **من ذاق شيئاً من ذلك - يعني من معرفة الله تبارك وتعالى - وعرف طريقاً موصلًا إلى الله ثم تركها وأقبل على إرادته وراحاته وشقواته ولذاته وقع في آثار المعاطب.**

أليس هذا هو نحن؟

☪ أليست هذه القلوب ذاقت وعرفت وامتن الله عز وجل علينا بالفطرة السليمة ابتداءً، ثم تلوثت وأذنب العبد **منا الذنب على الذنب فران على القلب،**

ثم أذن الله لنا بالفتح **ففتحت أبواب الرحمة** وامتن الله عز وجل علينا أن أخرجنا من الظلمات إلى أنوار

الهدايا

ثم بعد ذلك من منا لم يتنكب الطريق؟ ومن منا لم يتعرض لتلك الفتن؟

فبعدما ذاق وقع في آثار تلك القلقات وأودع قلبه سجون المضايق وعذب في حياته عذاباً لم يعذب به أحد من العالمين،
فحياته عجز وغم وحزن،
وموته كدر وحسرة،
ومعاده أسفٌ وندامة،
قد فَرَّطَ عليه أمره، وشَتَّت عليه شمله، وأحضر نفسه الغموم والأحزان،
فلا لذة الجاهلين ولا راحة العارفين،
الواحد منا وقع في شراك الدنيا ... لما توسع على نفسه في أمور المباحات،
ووقع شيئاً فشيئاً في المكروحات،
وصار يرى المنكر فلا يتقى،
تمر عليه الأوقات وهو يعرف الفاضل فيقا فتراه يتقاعس عن تلك الفضائل.

أليس هذا حال غالب الناس اليوم ممن يدعون أنهم على طريق الاستقامة والالتزام.

يقول ابن القيم: يستغيث فلا يُعَاث ويشتكي فلا يُشْكَى، فقد ترحلت أفراده فصارت مُدِيرَة وأقبلت ألامه وأحزانه وحسرته، فقد أبدل بآنسه وحشة.

أين قلبي ؟ لا أجد قلبي

وبعزه دُلا

أين القوة والبول والعِزَّة التي كُنْتُ أشعُرُ بها قبل ذلك ??

وبغناه فقرا، وجمعيته تشتيئاً، وأبعدوه فلم يظفر بقربهم، وأبدلوه مكان الأنس إحاشاً، ذلك

لماذا كل هذا يحدث ??

بأنه عرف طريقه إلى الله

عرفته وسمعته، فاستمعت لكثير من الدروس ومنها تعرفت عليه سبحانه. عرفت الطريق

ثم تركها ناكباً عنها، مُكَبِّباً على وجهه، فأبصر ثم عمي، وعرف ثم أنكر، وأقبل ثم أدير،
 ودُعِيَ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...} [الأنفال / 24]

فما أجاب وفتح له.

تفتحت الأبواب، فولى ظهره الباب

يأتي عليه موسم كموسم رمضان.

يا باغي الخير أقبل

يا باغي الشر أقصر

الأبواب مُفتحة، وهو للأسف قد ولى ظهره الباب

كما قيل لبعضهم: ماذا اصنع إذا كان الباب مُتعلقاً؟، قال: الباب مفتوح لكن أنت الذي أعطيت
 ظفرك له، ولو التفت لوجدت الباب في ظفرك منفتحاً.

قد ترك طريق موله وأقبل بكليته على قواه،

فصرنا نعبد الله على طرف، ونعبد الله على الهوى، فإذا أجمبت شيء صنعته، وإذا كان في
 الأمر مجاهدة ومشقة تركته.

والذين يصنعون ذلك يعبدون الله؟؟؟

لا والله، يعبدون هواهم {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ...} [الجاثية / 23]

قال: فلو نال بعض حظوظه، وتلذذ براحاته وشؤنه، ففقد مقيد القلب عن انطلاقه،

محبوس، هذا هو الذي سجن نفسه فيكون للأسف الشديد مُعاقب بسجين كما أخبر رب العالمين.

لأنه سجن نفسه في الشهوات، فُيعاقب من جنس عمله فيصير في سجين والعباد بالله

قيد قلبه عن الانطلاق وميادين الأنس ورياض العجبة وموائد القرب

قد انهدت بسبب إغراضه عن إلهه الحق، إلى أسفل سافلين

بعد أن كنت أقيم كل ليلة وأشعر بلذة المُناجاة وأشعر بلذة القرب، وبعد أن كان قلبي موصول بالرب!!!

كم نعصي ربنا ولا ندرك حقيقة العقوبة؟؟؟؟

" أُلست قد حرمتك لذة مناجاتي "

وحصّل هؤلاء القالكين فصار في عدادهم ، فنار الحجاب تطلع كل وقت على فؤاده

{ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَسَّدَةٌ } [الهُمَزَة / 8] { فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ } [الهُمَزَة / 9]

وإعراض الكون عنه إذ اعرض عن ربه حائل بينه وبين مراده

حتى الأشياء التي تركت طريق الله من أجلها، وهذه الأشياء التي أذهب إليها هي خلق من خلقه، وقلوب المخلوقين بيد الرحمن يُقلبها كيف يشاء. فهؤلاء سيعرضون عنك يا أيها العولي ظهرك ربك. وسوف ترى تنغيص ذلك عاجلاً غير آجل

فقو قبر يمشي

أصبح في قبر، أصبح عايش وهو ليس بعائش. أصبح يُقال عليه حي وهو ميت

فإنه قد عمي قلبه،، وليس العبرة بعمى الأبصار،، وإنما العبرة بعمى القلوب

{...فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج / 46]

انظروا الكلام، أليس هذا وصفي أنا ؟؟ أليس وصفك أنت ؟؟

روحه في وحشه من جسده، وقلبه في ملال من حياته، يتمنى الموت ويشتقيه

ولسان حاله: يا ليت الواحد يموت ويخلص من الدنيا ومن فيها، أنا عندي اكتئاب، أنا عندي
علل نفسية أنا تعبت ومللت

أنا كفاية علي كل هذا!!!

أليس هذا الكلام لسان حال غالب الناس مع شدة ما يرون ؟؟ من عذاب. عذاب الانتكاس، ولو
كان فيه ما فيه، ويا ليت الموت راحة،

حتى إذا جاءه الموت على تلك الحال، والعياذ بالله، فلا تسأل عما يحل به من العذاب الليم، بسبب
وقوع الحجاب بينه وبين مولاه الحق، وإحراقه بنار البعد عن القرب، والإعراض عنه وقد حيل بينه
وبين سعادته وأمنيته

يقول: لو الواحد الفقير هذا، العبد المسكين هذا، لو يتصور كم هو يُلقي بنفسه إلى
المهالك، كم هو يُعذب نفسه وهو لا يدري، لتقطع والله قلبه ولم يلتذ بطعام ولا شراب،
وليرج إلى الصعدات يجأ إلى الله. يصرخ لربنا، ويستغيث به ويستعته ويطلب منه المغفرة
والعفو في زمن الاستعاب

انظروا إلى الوحشة وحالها عندما تستدكم على الواحد

لذة الأنس بالله تبارك وتعالى

وانظروا في المقابل لصفة العبد الذي أنس بالله ودار مع مراد الله حيث دار

انظروا لابن القيم وهو يتكلم في **المدارج** عن من تعبد الله تعبدًا مُطلقًا، فليس له غرض في تعبده هذا إلا إنه يتتبع مرضات الله أين كانت

يقول: فمدار تعبده عليكما فهو لا يزال منتقلًا في منازل العبودية، دابه ان يكون مع اولياء الله، مع الصالحين، فإن رايت العلماء رايتهم معقم، وإن رايت العباد رايتهم معقم، وإن رايت المجاهدين رايتهم معقم، إن رايت الذاكرين رايتهم معقم، وإن رايت المتصدقين رايتهم معقم.

فهو دائماً مُتدقق بهذا المعنى، المعنى الحقيقي لـ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة / 5]

فتجده يلبس ما تقياً ويأكل ما تيسر، يشغل بما أمره الله، يواكب الوقت

ما المعطوب مني الآن يا رب؟ هذا هو شغله الشاغل.

مجلسه حيث انتقى به المكان، لا يشغله يكون في الأمام أو في الخلف،

بل العهم أن أنا الآن عبد مأمور، عبد مقهور.

فالعهم هل أنا أقوم بحق ربي علي أم لا؟

ليس مهم مكانتي بين الناس، لا يشغلني شكل بيتي، لا يشغلني ما هي درجة علو المدارس التي يدخلها أبنائي،

لا يشغلني أن أكون وسط الناس بشكل معين أتباهى به وأتفاخر به، ليس كل هذا مهم

بل العهم، هل أنت راضي يا رب؟؟ أم لا ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

يدين بدين الأمر أنا توججت ركانبه،

هو أمر ربنا أين؟؟ فيدور معه حيث استقلت مضاربه

فتجده دائماً إذا وقع نفع، كالغيث، وكالخلعة لا يسقط ورقفا وكلما منفعة

فيقول: فبقو لله وبالله ومع الله

﴿ ثم يقول كلمة ذهبية تُكتب بماء الذهب والله، بل بماء العيون: **قد صَحِبَ الله بلا خلق،، وصَحِبَ الناس بلا نفس** ﴾

أفهمر واكتب، وافهمي واعقلي

﴿ **قد صَحِبَ الله بلا خلق** ﴾

فهو يكون سائر في الطريق إلى الله وغير ملتفت للناس، لا يبحث عن رضا الناس، لا يهمه أن الناس تقول عنه كذا وكذا، لا يهمه أي شيء، إنما المهم: رضا ربه عنه، فلا يلتفت للناس فهذا لا تجده يقع في الرياء ولا في العُجْب ولا يقع في آفات القلوب هذه، لأن صاحبه هو الله

اللهم أنت صاحب في السفر و{...لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا} [الكهف / 62]

فيا رب كُن لنا صاحباً في سفرنا هذا

صحب الله بلا خلق وصحب الناس

صحب الناس بجسده بلا روح،

روحه مع ربه،

قلبه موصول بربه

"قد صَحِبَ الله بلا خلق،، وصَحِبَ الناس بلا نفس"

بل إذا كان مع الله عزل الخلائق عن البين وتخلى عنهم
لما اليوم القلب أصبح موصول بالله سبحانه وتعالى، بدأ يشعر بالوصول
تجده يتبتل وينقطع فيتعبد لله تبارك وتعالى بعيداً عن نظر الناس،
لذلك دائماً عبادة السر عنده أعلى من عبادة العلانية، بل ربما لا يُعَدُّ عبادات العلانية شيئاً،
وإذا كان مع خلقه عزل نفسه وتخلى بها بحيث لا تتلوث بخلطة الناس.

فيقول: فواقن له، ما غربه بين الناس

هذا هو الغريب هذا هو من قال فيه النبي **صلى الله عليه وسلم**: طوبى للغرباء أناس صالحون هناك أناس سوء كثير تعرف منهم وتُنكر، وما أشد وِدْشْتَه منهم. وما أعظم أنسه بالله وفرجه به، وطعمأنينته وسكونه.

لك القرار

والله المستعان وعليه التكلان

وازنوا بين الصورتين : صورة المستوحش وصورة المُستأنس

وانظروا أيُّ الفريقين تحب أبها العبد أن تنتمي إليه

أيُّ الحزبين يا أختاه تحبين أن تكوني من أهله؟

كيف السبيل إلى الأنس بالله تبارك وتعالى

هل اشتاقت أنفسكم إلى أن تكونوا من أهل الأنس بالله وبذكر الله

تعالوا أضع لكم كما هي العادة **الوصفة العملية** لبلوغ ذلك

قأول هذا: عودوا أنفسكم على العودة إلى الفطرة السليمة

أريد هذا المعنى أن يفهم ويتضح في أذهانكم وأبدد التصورات الفاسدة فيه

☑ غالب الناس تقول: أيام أول الالتزام لن تعود مرة أخرى، لقد تلوثت فطرنا وتعودت على نظام في الحياة، لا

نعرف كيف الخروج منه؟

☑ لم أعُد مسلسل بحبال بل أصبحت مُسلسل بأغلال، أغلال من حديد لا تُصهر، لقد أصبحت مشدود

لهذه الأشياء!!

☑ كن واقعي وتكلم معي كلام يُمكن تطبيقه، ماذا تريدني أن أفعل؟ أتريدني ان أظل في كهف أو أذهب

للمكوث في صحراء؟ ماذا أفعل؟

☑ فنحن بني آدم ونعيش وسط الناس ومتأثرين بالمجتمع بما فيه من مفسد، ماذا أفعل؟

☑ فأنا أربي ابني أو بنتي في بيتي ثم بعد ذلك يخرج إلى المدرسة يرى فيها كذا وكذا، فيتلوث كيف يكون ابني هذا يخرج كنسى مصالحه في وسط هذا المناخ الملوث؟

☑ كن واقعي وقل لي منذ عشر أو عشرين سنة في بُعد عن الرحمن، وعندما امتن عليَّ الله سبحانه وتعالى بالالتزام وأنا لم أستطع أن أتخلص من رواسب الجاهلية هذه، أنا لذي تصورات ولدي اعتقادات تحتاج لوقت لأتعالج!

☑ ماذا سأفعل ليكون القلب موصول بالله مثلما تقول ويكون مستأنس ولا يشعر بالوحشة ولا يشعر بالأشياء التي ذكرتها الآن في حال الانتكاس الذي هو مرض الغالبية

أول شيء أقول: كَوْنَكُمْ تَعُودُونَ إِلَى الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ وَتُطَهِّرُوهَا مِمَّا تَلَوْتُمْ بِهِ هَذَا أَمْرٌ سَيَحْدُثُ لَا مَحَالَةَ وَلَيْسَ بِحَوْلِنَا وَلَا قُوَّتِنَا وَإِنَّمَا بِحَسَنِ ظَنِّنَا بِرَبِّنَا

وعظت جارية عبد الواحد ابن زيد فقالت: اعلم أن العبد إذا كان في كفاية ومال إلى شيء من الدنيا سلبه الله حلاوة الزهد وظل حيراناً ولها،
فإن كان عند الله نصيب عاتبه فكأنه يقول له: عبدي أردت رفع قدرك عند ملائكتي وأجعلك دليلاً لأوليائي ومُرشدًا لأهل طاعتي فمِلت إلى عَرَضِ الدُّنْيَا وتركتني؟
فأورثك ذلك الوحشة بعد الأنس.

أَيُّهَا عَقُوبَةُ فِيهِ طَيِّبُهَا الرَّحْمَةُ،

يُعرفكم من هو؟ يُعرفكم حلاوة طريقه، وكم هي مرارة البُعد عنه، يُعرفكم أنه في القرب منه العز وفي البعد عنه الذل،

أن الواحد عندما يكون موصول به فيكون العبد الغني، وأن العبد المُطرد عنه هو الفقير المحتاج،

فقالت هذه الجارية: ارجع إلى ما كنت عليه

كأنه تقول أن الله سبحانه وتعالى يقول لهذا العبد الشارد: ارجع إلى ما كنت عليه، أُرْجِعْ إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْرِفُهُ مِنْ نَفْسِكَ.

ارجعوا وفكروا في بداية الالتزام ماذا كان يحدث؟

كان هناك حُرقة كفى بي هذا هل سأعيش تائه وبعيد عن الله؟

كيف لم أكن أفكر بهذه المعاني؟

كيف لم أكن أفكر في الآخرة؟ كيف لم أكن أرى المصير أمامي؟

ما هذه الغفلة التي كنت بها؟ ما هذا الحال الذي كنت أعيش به؟ لا لابد أن فكر بطريقة مختلفة.

أليس هذا لسان كل مسلم ومسلمة في بداية الطريق والقوة التي يدخل بها ابتداء،

هنا هو المطلوب

وما هذا الحال الذي نحن فيه... هل سينفع العيش هكذا؟ ونموت هكذا؟

لو أن ملك الموت أتانا الآن هل نُحبون أن تقبضوا الآن؟

إياك ان تكون مغرور وتقول نعم أنت أدرى بحالك وأنت أدرى بحالك

{بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ} [القيامة / 14] {وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ} [القيامة / 15]

نريد أن نفيق وتكون أول خطوة في الطريق لأنس ونُزيل الوحشة

ارجع إلى ما كنت عليه، يُرجع الله إليك ما كنت تعرفه نفسك

وما ذلك إلا بحسن الرجاء، بحسن الظن،

بالتبئل لله والانقطاع له والدعاء بصدق

وإخلاص بحُرقة قلب يُرد الله إلينا قلوبنا

هذا هو المعنى الأول.

المعنى الثاني: افهموا قانون الأنس والوحشة

في هذه الذهبية لابن القيم الذي سِعلمنا فيها معنى الصدق وكيف يكون لدينا ميزان في هذه المسألة الأنس والوحشة،

يقول ابن القيم في كتاب الفوائد: من فقد أنسه بالله بين الناس ووجدته في الوحدة فحق صادق

ضعيف

أي من يجد قلبه

☑ أريد أن أضبط هذا الموضوع لأن هناك كثير من التصورات الخاطئة

وهو أن الواحد يقول لنفسه ماذا أفعل؟ إذا سأطل بالبيت وأقفل على نفسي،

لكن أين من يُخالط الناس ويصبر على أذاهم خير ممن لا يُخالط الناس ولا يصبر على أذاهم؟

أين هدي النبي محمد ﷺ؟ أين شريعة الإسلام التي جعلت على الرجال جمع وجماعات يحتكون فيها وينزلون فيتعاملون في الأسواق ويحتكون بالناس؟

أين حقوق المعاملات التي تكون نشأة عن الاختلاط ما بين الجيران ونحو من ذلك للجميع!!

إذاً أكيد أن المسألة ليست بالهروب، والهروب من المشكلة لا يحلها وأحد أركان معادلة التغيير "واجه" لا بد أن أواجه

هو يقول من يأنس بالله ويجد قلبه في الخلوة، سيجد قلبه في ذلك، لكن عندما يكون بين الناس يضعف، قال أن هذا صادق إن شاء الله، لكن ضعيف،

ومن وجدته بين الناس وفقده في الخلوة ففقه معلول

هذا ينتظر رمضان وجو القيام والقارئ والجو الإيماني ويجد الناس كلها تشتغل فيشتغل فهذه من علامات الرياء "النشاط في الجلوة والخصول في الخلوة"

النشاط في الجلوة: أي أمام الناس وعندما يكون وحيداً يخمّل فهذه من أمارات الرياء والعياذُ بالله

ومن فقده بين الناس وفي الخلوة ففقه ميت مطرود

ومن لا يأنس ولا يجد قلبه لا بين الناس، ولا يجده في الخلوة، فنعوذ بالله من موت القلوب، ومن الطرد، واللعن، فهذه من أماراته

ومن وجدته في الخلوة وفي الناس فذا المحب الصادق القوي

ثم قال ابن القيم كلام الله، والله طار قلبي عند قراءته، والله ما أعظمه، لأنه يضبط لنا مسألة الاتزان، مثلما كنا نقول دائماً الملتزم هو المُتزن،

يقول: ومن كان فتحه في الخلوة لم يكن مزيجه إلا متقا

أنا أجد قلبي في الخلوة إذا زد هنا زد هنا حتى تقوى وإن شاء الله تجد قلبك أيضاً في الخلوة

ابدأ من هنا

و من كان فتحه بين الناس

أنا أعمل في الدعوة، أنا أعمل في تعليم الناس

فأنا أشعر أن الدعوة هي التي تشغلني لكنني أجد قلبي والله عندما أعمل بهذا الكلام

قال: فمن كان فتحه بين الناس ونصحه و إرشادهم كان مزيده معهم

اعمل هنا وزد هنا حتى يحضر قلبك.

ومن كان فتحه في وقوفه مع مراد الله حيث أقامه وفي أي شيء استعمله كان مزيده

أنا يفتح الله عليّ في القرآن أكثر من غيري، فأعمل بالقرآن وزد.

أنا يفتح الله عليّ في تعلم العلم هذا هو والله الذي يرقق قلبي.

فاشغل هنا وزد، أنا قلبي لا يأتي إلا بطول القيام

أنا قلبي لا يأتي إلا بطول الذكر والاستغفار والصلاة على خير الأنام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أنت قلبك يأتي بماذا؟

أنت قلبك ماذا يحركه؟

هذا هو، فيكون مزيدنا منه إذا نزيد هنا لكي يرد لنا ما كان لنا.

يقول: وفي أي شيء استعمله كان مزيده في خلوته، ومع الناس أي ما كان اكتبه فأشرف

الأحوال إلا تختار لنفسك حالة سوى ما يختاره لك.

لا تريد أن يوسوس الشيطان للواحد ويقول له: أنا منذ أن عملت هذا العمل، أنا منذ بدأت أعمل في الدعوة قلبي

كذا وكذا!!!!

يا أخي ربنا سبحانه وتعالى وضعك في هذا المكان لما؟ وضعك في هذا المكان لحكمة ما، فحيثما أقامك فكن

مع مراده منك.

أنظروا الكلام

يقول: فأشرف الأحوال ألا تختار لنفسك حالة سوى ما يختاره لك ويقيمك فيه فكن مع مراده منك ولا تكن مع مرادك منه.

هذا الكلام من ذهب لأنه سوف يضبط لنا حياتنا لها إذا فهمنا لماذا أراد الله أن أنشأ في هذا البيت لماذا؟ لحكمة ما، ما هي هذه الحكمة؟، يجب أن أفهمها وأعرفها حتى أعرف ما هي العبودية التي جعلها الله لي.

فأنا أرى أخوة وأخوات تتزوج فنقول لها أعظم طاعة الآن تتقربي بها لربك سبحانه وتعالى هي طاعة زوجك، فهذا لا يكون على هواها لأنه به جهاد وبه مشقة، فبتبدأ تقول أنا منذ أن تزوجت ولا أستطيع قراءة القرآن، ولا أعرف أعمل كذا ولا أعرف كذا، لأنه فتح لك باب أعظم، أنت كيف تفهمينها؟

أنت تريد أن تصلي كذا وتصومي كذا وتعملي كذا الآن أصبح هناك باب آخر لكن ليس على هواك،

ولو أتى على هواها تقول: أنا متعبدة لله بطاعة زوجي وكذا ويكون الأمر على الهوى فهم يجتمعوا على المخالفات و يجتمعوا على كذا

و طالما الأمور تسير على ما يرام لا يهم إذا كنا نسير على طريق الله أم لا؟ ليست مشكلة

فطبعاً لا هذا ولا ذاك المفروض أنا أكون على مراد الله مني.

الآن ما هو حق الله مني؟ ما هو حق الله الذي يريد مني؟ أكون معه

إذا نفهم هذه المعاني، حيث أقامنا ما مراده منا ولا أختار لنفسي بعد اختيار الله لي

ربنا من عليّ بمواهب معينة، هذه المواهب لست أنا من وضعها في نفسي فهو إن أرادني في هذا المكان.

كنت هو يردني أن أكون من أهل العلم إذا عليّ أن أكون كذلك، يردني أن أكون عابد، يردني أن أكون فقط قائم ولو برفع لبنة في صرح هذا التمكين.

أنا حيثما أقامني ربي...

ثانياً: افهموا قانون الأنس و الوحشة

وراجعوا هذه الكلمات والأفضل تحفظوها لأنها في غاية الأهمية، وتذاكروها،

ونريد الناس تسمع هذه المعاني وتتكلم فيها وتناقشوا فيها،

كل واحد يناقش مع بيئته مع إخوانه، والأخوات مع أخواتها ومع زوجها ومع والدتها تتكلم في هذه المعاني،

لكي نفهم حكمة ربنا منا،

فنفهم هذا القانون العظيم الذي يضبط لنا كيف تكون قلوبنا موصولة بالله وكيف تنقطع قلوبنا عن الله ونحن لا ندري قانون الأنس والوحشة .

ثالثاً: تعرّفوا على فضائل عكوف القلب ليأنس هذا القلب بالله وبذكره.

وهنا راجعوا ما ذكره الغزالي في الإحياء، وكما هو معروف كتاب الإحياء يحتاج دائماً لمن يقرأ فيه أن يكون عارفاً بما يكون فيه أحياناً من بعض الأخطاء فيرجع لطبعة محققة عليها تحريجات الحافظ العراقي لكي لا يقع في بعض مسالب هذا الكتاب، لأن الكتاب فيه نفع عظيم جداً لكن في نفس الوقت نبهوا العلماء على بعض الأخطاء فيه، فينبغي مراجعة مثل ذلك.

المهم .. كتاب الإحياء وهو يتكلم عن فضائل العزلة.

ويعمل الغزالي عمل مقارنة بين فضائل الخلطة وفضائل العزلة وأيهما أفضل

وقال مثلها مثل فضائل النكاح وفضائل التبتل وعدم النكاح وأيهما أفضل

بشكل عام الأفضل هو الأرضى لله سبحانه و تعالی

ويعمل ويشكل عام النبي ﷺ حسم القضية من البداية:

بأن الذي يخالط الناس خير ممن لا يخالط الناس

لكن الذي يخالط الناس بأي طريقة ؟ من الذي قصده النبي ﷺ ؟

لأن الموضوع سيكون منازل الذي قالها ابن القيم هنا:

الذي يجد قلبه في وجود الناس ويجد قلبه في الجلوة والخلوة هو هذا أعظم الناس

وهذا هو الذي أراده النبي ﷺ .

أقل منه الذي يجد قلبه في الخلوة ولا يجد قلبه بين الناس، قال هذا المؤمن الصادق الضعيف، هذا هو الأضعف

منه

ويكون هذا بيان لمعنى الحديث

﴿ فذكر الغزالي جملة من الفضائل، علينا أن نضعها نُصب العين، قال من ذلك بشكل عام:

﴿ تكصيل الطاعات

﴿ والعواظبة على العبادات

﴿ والفكر

﴿ وتربية العلم

﴿ والتخلص من ارتكاب العناهي التي يتعرض الإنسان لها بالمخالطة مثل الرياء والغيبة والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

﴿ وأيضا الاختلاط

الصاحب صاحب فيجعل الواحد منا أحيانا بتطبع بطبع صاحبه فيقع في بعض الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة
وحيثما أراد التفصيل حصر الأمر في ستة أمور.

﴿ **الأمر الأول منها** هو بالضبط ما نريد أن نتوقف عنده لأنه هو هذا المعنى المراد تمامًا من المحاضرة

هو الأنس بذكر الله والتفرغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله عن مخالطة الخلق

والاشتغال باستكشاف الحكم والأسرار

كل هذه المعاني لا تأتي إلا مع شخص باله مثلما نقول " **فارغ من همومهم وشواغلهم وقواطعهم** "

﴿ لذلك ذكر الغزالي عن بعض الحكماء قوله: لا يتمكن أحد من الخلوة إلا بالتمسك بكتاب الله،

والمتمسكون بكتاب الله قم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله، فقوله، الذاكرون عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله فحالم كله على ذلك، فقد أقبل الأنس بذكر الله.

﴿ النبي **صلى الله عليه وسلم** كما هو معروف كان بداية أمره، أن كان يتحنث الليالي ذوات العدد في غار حراء، وكان يعزل عن الجميع، وكان الله عز وجل أراد أن يكون في هذا رسالة لأمة النبي محمد **صلى الله عليه وسلم**، لا بد أن نتعلم فقه التبتل.

ماذا يعني التبتل؟؟

﴿ يعني الانقطاع لله، يعني كيف يعكف القلب على الله تبارك وتعالى.

لذلك من سبل الأنس عكوف القلب على الله تبارك وتعالى، وفي شريعتنا الاعتكاف، كما هو معلوم من أن النبي **صلى الله عليه وسلم** كان يعتكف في العشر الأواخر من رمضان لهذا المعنى، فكان النبي **صلى الله عليه وسلم** في هذا الوقت الذي يأنس فيه بذكر الرحمن وبالمناجاة كان يُقبل على الله بقلبه وكان يستغرق فكره في التفكير في آلاء ربه حتى كان الناس يظنون أن **أبا بكر** خليفه فقال النبي **صلى الله عليه وسلم** الذي استغرق همه بالله، قال له: " لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الرحمن".

خليلي هو ربي سبحانه وتعالى، هذا هو ما كان يشغل النبي **صلى الله عليه وسلم**.

وقيل لبعض الحكماء: ما الذي ارادوا بالخلوة واختيار العزلة؟

لماذا يجب أن يكون للواحد منا حظ من الخلوة، وحظ من التبتل، وهذه المقامات والمعاني العظيمة؟

فقال: يستدعون بذلك دوام الفكرة، وتثبيت العلوم في قلوبهم، ليحيوا حياة طيبة، ويذوقوا حلاوة المعرفة.

إذ التفرد للعبادة كيف يحدث؟ بعكوف القلب، بالتبتل، بالانقطاع، بالخلوة، يحصل ذلك.

إذاً يجب أن يكون لكل واحد منا نصيب من هذا، ويعلم جيداً ماذا سيفعل في خلوته، يثبّت العلم في قلبه، يذوق حلاوة المعرفة، يديم الفكر في ذلك.

وقيل لبعض العباد: ما أصبرك على الوحدة؟

ما الذي يصبرك على هذه الجلسة، وعلى هذا الانقطاع؟

فقال: ما أنا وحدي، أنا جالس الله تعالى، إذا شئت أن يناجينني قرات كتابه، وإذا شئت أن أناجيه صليت.

وقيل لبعض الحكماء: إلى أي شيء أفضى بكم الزهد والخلوة؟، قال: هذا أفضى بنا إلى الأنس بالله.

وقال سفيان بن عيينة: لقيت إبراهيم بن أدهم رحمه الله في بلاد الشام فقلت له: يا إبراهيم تركت خراسان - تركت بلدك وانتقلت من بلد لآخر، لما كل هذا؟ - فقال: ما تهنأت بالعيش إلا ما هنا، أفر بدينني من شاققك إلى شاققك، فمن يراني يقول حمّال، أو ملاح، أو موسوس، وما كان منه إلا أن فر

بدينه إلى الله

{فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} [الذاريات / 50]

وقيل للحسن: يا أبا سعيد ها هنا رجل لم تره قط جالساً إلا وحده، خلف سارية - هذا الرجل لا يجلس مع أحد ودائماً منعزل -

فقال الحسن: إذا رأيتموه فأخبروني،

فنظروا إليه ذات يوم، فقالوا للحسن هذا الرجل الذي أخبرناك به،

وأشاروا إليه فمضى إليه الحسن، فقال: يا عبد الله أراك قد حُببت إليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس؟ - لماذا تجلس وحدك؟ تعالي نتحدث وتجلس معنا -

قال: أمر شغلني عن الناس،

قال: فما يمنعك أن تأتي الرجل الذي يُقال له الحسن؟ - الرجل لا يعرفه، فقال له اذهب لدرس الرجل الذي يُقال له الحسن فتجلس إليه -

فقال: أمر شغلني عن الناس،

فقال له الحسن: وما ذاك الشغل يرحمك الله؟،

قال: إني أصبح وأمسي بين نعمة وذنوب، فرأيت أن أشغل نفسي بشكر الله تعالى على النعمة، والاستغفار من الذنوب،

فقال له الحسن: أنت يا عبد الله أفقه عندي من الحسن، فالزم ما أنت عليه.

هو لم يقل له لا تتعلم، ولم يقل له انصرف عن العلم، ولكن وجد عند الرجل الفقه الأكبر، فقه معاملة الرب، وفي زمان السلف لم يكونوا مثلنا يحتاجوا لأن يتعلموا الفرض العين وأساسيات الدين، لم يكن هذا مرادهم، إنما الرجل الذي يتكلم بهذا الكلام عنده فهم عالي، فأتى بما ينبغي عليه، ثم شغل نفسه بحق ربه عليه.

وقيل بينما أويس القرني جالس إذ أتاه هرم بن حيان فقال له أويس: ما جاء بك؟، قال: جئت لأنس بك؟ - قال له جئت أجلس معك قليلاً ونتحدث فتقول لي شيئاً وأقول لك شيئاً، جئت استأنس - فقال أويس: ما كنت أرى أن أحداً يعرف ربه فيأنس بغيره!

هذه المقامات عالية وأنا أعرف هذا، وهذا الكلام الشيطان يدخل به على الناس، ويقول لهم: هذه مقامات ومعاني كبيرة جداً علينا، نحن في منزلة أقل بكثير، مازلنا في بداية الطريق، هل سنبدأ بأن لا أحد يأنس إلا بالله!!

نحن عندما يكون حالنا جيد جدًا نأنس على الأقل بالصالحين.

﴿ وأنا أقول من يتدرب على هذا المعنى ويضعه نصب عينه ويمضي بين الناس به، **بالتدريج** ستعلى المنزلة وسيعلى هذا الرصيد في القلب، حتى تجيد التعامل مع الرسائل التي يرسلها لنا ربنا في الطريق إليه.

أنت متعلق بفلان؟ إذن سترى ماذا يفعل بك!

أنت متعلق بشيء معين؟ سترى ماذا سيكون حاله معك!

ولو وضعنا هذه القاعدة على كل منغصات الناس، لوجدنا فيها الحل لكل تساؤلات الناس الحائرة.

لقد رببت ابني، فكان عاقبة الأمر أن عقني!، لأنك ركنت على الولد فهذا نصيبك!

أحسن لزوجتي وألبي لها كل مطالبها، ثم بعد هذا كله تتحدثي معي بهذا الأسلوب!، ركنت بقلبك على زوجتك فهذا مصيرك!

القلب لا ينبغي أن يتعلق بغير الله، افهموا هذا جيدًا، افهموا عن الله الرسائل التي يرسلها لنا حتى لا تلتفت قلوبنا لغيره سبحانه وتعالى.

﴿ وقال الفضيل: إذا رايت الليل مقبلاً، فرحت به، وقلت أخلو بربي.

الليل خاص لله، {إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا} [المزمل / 7] النهار أعمل واجتهد واسعى، إنما الليل

{إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءًا وَأَقْوَمُ قِيلاً} [المزمل / 6]

قلت أخلو بربي، وإذا رايت الصبح أدركني استرجعت - إنا لله وإنا إليه راجعون - كراهية لقاء الناس، وأن يجيئني من يشغلني عن ربي.

﴿ وقال عبد الله بن زيد: طوبى لمن عاش في الدنيا، وعاش في الآخرة، قيل له: وكيف ذلك؟، قال: يناجي الله في الدنيا، ويكون في جوار ربه في الآخرة.

هذه هي الحياة! وهذا هو المعنى الذي ينبغي أن نحيا من أجله!

مناجاة الله في الدنيا، ومجاورة الرب.

الجار قبل الدار، {... رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا...} [التحريم / 11]

﴿ قال ذو النون: سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة ربه،

﴿ وقال مالك بن دينار: من لم يأنس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة المخلوقين، فقد قل علمه، وعمي قلبه، وضيع عمره.

نريد أن نتعلم الفضفضة مع ربنا، الكلام مع ربنا،

يا سيدي، يا مولاي، يا ربي، يا قرة عيني، يا إلهي....

ياااااا من وسعت كل شيء علماً، ياااااا من رحمته تسبق غضبه، يا رب، يا رب ماذا أفعل؟ كيف أسير إليك؟ حائر يا رب في تنظيم حياتي، حائر ما بين الواجبات، يا رب يسر لي هذا الأمر يا رب، لأعطي كل ذي حق حقه، يا رب.

يفضفض، يشتكي، يقول، يكلم ربنا، يفتح المصحف ويقرأ، ويقول الآية تكلمني وتقول لي افعل كذا وافعل كذا،

هذه الآية تخاطبني وتقول لي احذر هذا السبيل {...وَلْتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ} [الأنعام / 55]

وهذه الآية تقولي لي {...مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ...} [النساء / 123] هذه الآية تقول لي {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ

اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ...} [الجاثية / 21]

هذه الفضفضة، وهذه المحادثة مع ربنا، وينقطع عن كثرة الكلام واللغو والثرثرة التي لا معنى لها مع الناس في قيل وقال التي نهينا عنها.

﴿ ويروى عن بعض الصالحين أنه قال: بينما أنا أسير في بعض بلاد الشام، إذ أنا بعابد خارج من بعض تلك الجبال، فلما نظر إليّ تنحى إلى أصل الشجرة وتستر بها، فقلت سبحان الله تبخل عليّ بالنظر؟

يا أخي بخيل عليّ أي أجالس، أي حتى أراك!

فقال هذا: إنني أقمتُ في هذا الجبل دقراً طويلاً أعلاج قلبي في الصبر عن الدنيا واطلقت فطال في ذلك تعبي وفني فيه عمري، فسألت الله أن لا يجعل حظي من أيامي في مجاهدة قلبي، فسكّنه الله عن الاضطراب وألف الوحدة، والانفراد،

فلما نظرت إليك خفت أن أقع في الأمر!

أنا ما صدقت وجدت قلبي! فخفت أن تكون أنت سبب في رجوع قلبي وانتكاسته إلى ما كان عليه

فقال: فأليك عندي فإني أعوذ من شرِكِ برب العارفين وحبیب القانتین، ثم صاح واهاه من طول

المكث في الدنيا، ثم حول وجهه عني، ثم نفذ يديه، وقال إليك عني إليك عني يا دنيا، يا دنيا غري غري، إليك عني يا دنيا، لغيري فتريني واهلك فغري.

ثم قال: سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع إليه ما ألقى قلوبهم عن ذكر الجنان والحدور الحسان فلا شيء، إذ عندكم من مناجاته.

المعنى هنا أن نكون محافظين ونركز جدًا في اضطراب القلب، وأنه يسأل ربنا مثل ما هذا الرجل سأل الله، أن يسأل الله عز وجل أن يرزقه المجاهدة حتى يألف الأنس به سبحانه وتعالى، حتى لا يكون أشهى عنده، ولا ألد من مناجاة الله ومن ذكره.

رحمهم قال بعضهم: إنما يستوحش الإنسان لخلو ذاته عن الفضيلة، فيكثر عندئذ ملاقاته الناس.

فهذا عنده ملل وضائقة به نفسه ويريد أن يختلط بالناس لأنه لا يجد في قلبه هذا الوصال بالله تبارك وتعالى، فيكون مستوحش، يريد أن يخرج ويتنهزه ويفعل ويفعل ويفعل، إنما لو كان هذا القلب موصول، فأول ما يجد نفسه في خلوة يجد أهل البيت انصرفوا إلى أي شيء، ها قد جاءت الفرصة الذهبية أنا وربنا فقط، إنما غالب حال الناس للأسف الشديد لما يحدث هذا، ينتهكوا الحرمات ويقعوا في ذنوب الخلوات، فنعود بالله من ذنوب السر، قالوا الاستأناس من علامات الإفلاس، لأن فراغ القلب شرطه أن يكون العبد خاليًا وهذا هو معنى "رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه".

فوائد الخلوة

الفائدة الأولى: أنه سينقطع لهذه العبادات، فيرزق هذه المعاني من مناجاة الله ولذة العبادة والأنس به سبحانه وتعالى.

الفائدة الثانية: في الخلوة التخلص عن المعاصي التي يتعرض الإنسان لها.

ذكرنا أن غالبًا لا يسلم مخالط من أمور أربعة: من الغيبة، والنميمة، والرياء، والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكل من يخالط الناس لا بد أن يداريهم أن يتلون مع هذا وذاك، وتلك المداراة قد توقعه في ما هو أسوأ، فمن داراهم رأيهم، ومن رأيهم وقع فيما وقعوا فيه، وهلك كما هلكوا، ولا نقول هلك الناس،

قانون المخالطة

وإنما نقول أنه ينبغي علينا أن نعرف قانون المخالطة،

فلا نختلط بأهل المعاصي لأنهم **سم**،

ولا نختلط بأهل الدنيا إلا بمقدار لأنهم **داء**،

وإنما علينا أن نرتوي من سلسيل الصالحين فإنهم لنا **كالماء الماء**،

إنما الذي يختلط بالناس فيداريهم، فقد يقع في النفاق، وقد روى **أبو داوود وصححه الألباني** أن النبي

صلى الله عليه وسلم قال: "من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار".

👉 وكان **الفضيل** جالساً وحده في المسجد الحرام فجاء إليه أخ له، فقال له: ما جاء بك؟ قال **المانسة يا أبا**

علي، فقال: **قبي والله بالمواحشة!!!**

كيف تكون مانسة!! وبين له وبرر له خطأ هذا الفكر،

فقال: **قل تريد إلا أن تتزين لي واترين لك، وتكذب لي واكذب لك، إما أن تقوم عني أو أقوم عنك.**

فعندما الواحد يُدعى لمجلس معين، فيريد أن يظهر بمظهر العالم وأن يظهر بشكل جيد، فيتزين للناس وقد يقع في بعض المخالفات لإرضاء الناس، وبالتالي يكون ذلك أمانة الإفلاس.

👉 وقد كان السلف يتلاقون فيحترزون جدًّا في كلامهم حتى في كلمة كيف أصبحت وكيف أمسيت؟ فكان سؤالهم عن أحوال الدين لا عن أحوال الدنيا.

👉 قال حاتم الأصم لحامد اللفاف: **كيف أنت في نفسك؟** فقال حامد: **مُعافى**، فكره حاتم هذا

الجواب، وقال **يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة**

قال له الحمد لله على عافية، قال له العافية الحقيقية يوم أن تضع قدمك في الجنة وتتجاوز الصراط .

👉 وكان إذا قيل لعيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: **كيف أصبحت؟**، قال: **أصبحت لا أملك تقديم**

ما أرجو، ولا أستطيع دفع ما أحاذر، وأصبحت مرتقناً بعلمي، والخير كله في يد غيري، ولا فقير أفقر مني.

👉 السلف عندما كانوا يختلطون كانوا يتذكرون أمر الآخرة.

👉 كان أبو الدرداء إذا قيل له: **كيف أصبحت؟**، قال: **أصبحت بخير إن نجوت من النار.**

👉 وكان الربيع ابن خثيم إذا قيل له كيف أصبحت؟، قال: أصبحت من ضعفاء مذنبين نستوفي أرزاقنا
ونتظر أجالنا.

👉 وقيل لحسان بن أبي سنان: ما حالك؟، قال: ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب؟

حتى تصبح خلطة الواحد منا بالناس مفيدة يجب أن نعتاد في بيوتنا، في ما ينبغي علينا شرعاً أن يكون بيننا وبينهم
نوع اختلاط.

نريد أن نهى البيئة التي حولنا، ليعيشوا معاني الآخرة.

لماذا كلما قلنا هذا الكلام تستغربوه!!، لأن القلوب أصبحت قلوب متعلقة بالدنيا، ماذا في أن نتعود على كيف
أصبحت؟ ويكون الجواب مثل أجوبة السلف، الزوجة تقول هذا لزوجها، الأب يقول هذا لابنه، ويعلمه هذه
المعاني، والصديق مع صديقه، وتكون هذه من معالم الأخوة الإيمانية الحقيقية بين الأخوة وبين الأخوات.

كيف أصبحت؟

نعتاد أن نقول هذا الكلام، لكن يا شيخ نشعر أننا متكلفين ونحن نقول هذه المعاني، تكلفوها حتى تصير لكم
سجية.

كيف أصبحت؟ أصبحت بخير إن نجوت من النار.

ونكتب هذه الكلمات ونرسلها برسائل الهواتف المحمولة ونضعها على المواقع، ونكتب هذه المعاني لنكون دائماً
ذاكرين لأمر الآخرة، لتخلص من الخلطة الفاسدة التي توحش القلوب ونتعلم معنى الأنس بالله يوم تكون قلوبنا
معلقة باليوم الآخر.

الغائبة الثالثة: قال في ذلك خلاص من الفتن والخصومات، وفيه صيانة للدين والنفس،

لأن النبي ﷺ في ما روى أبو داود والنسائي في اليوم واللييلة بإسناد حسن، لما ذكر الفتن قال: " إذا
رأيت الناس مرجت عهدهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا - وشبك بين أصابعه، أي متناحرين متنازعين - قال له
عبد الله بن عمرو: فما تأمرني؟

قال: ألزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بأمر الخاصة، ودع عنك أمر العامة"
عندما حدثت الفتنة بعد مقتل سيدنا عثمان كان في الصحابة 10000، فما خف أيام الفتنة أكثر من 40 رجلاً،
"الفتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد خير فيها من

القائم،

والقائم خير فيها من الماشي، والماشي خير فيها من الساعي"

وكل ما تبطئ كل ما يكون ذلك أفضل، والفتن شديدة هذه الأيام، والفتن تزداد علينا، ونحن نحتاج أن نفهم كيف نتوقى ونتحفظ منها، ففي العزلة بنص هذا الحديث حفظ وخلص من ذلك .

القائده الرابعه: قال الخالص من شر الناس.

لأن خلطة الناس بنص الحديث أذى، كما ذكرنا : " الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم "

فإذا اختلقت بالناس فهذا أذى، { ... وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ... } [الفرقان / 20]

قال عمر: في العزلة راحة من القرين السوء،

وقال ابن السَّمَّك: كتب صاحب لنا أما بعد؛ فإن الناس كانوا دواء يُتداوى به، فصاروا داء لا دواء لك منه، ففر منكم فرارك من الأسد.

وأيضاً ليس على معنى التعميم وإنما على معنى التغليب لأن التعميم شر ومن قال هلك الناس فهو أهلكهم وإنما على معنى التحفظ من الفتن

وقد مدح الله عز وجل المتسترين فقال: { ...يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَعْيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ... } [البقرة / 273] فعلىنا أن نفهم ذلك ونتخلص من هذه الآفات لأنهم سيؤذونك مرة بالغبية ومرة بسوء الظن ومرة يتهموك ومرة يقدهوا في عرضك ومرة يطعموا فيك ومرة بالنميمة ومرة... ومرة... فهذه الأمور إذا شغل الإنسان منا نفسه بها لا يستقيم له بأي حال ديانة

والقائده الخامسه: أن يقطع طمع الناس عنك - الناس لن تطمع فيك - ولا أنت تطمع فيهم

لأن من احتك بالناس أورثه احتكاكه بهم الطويل أحد هذين الأمرين إما أنه يطمع فيما عند الناس وحينها سيلتفت قلبه فهذا أبداً أن يأنس وأكد سيستوحش في الخلوته بربه لأن ما يشغله هي الدنيا وإما أن الناس سينشغلون به وقد يفتنوه وهذا أيضاً مضيعة له.

قال الشافعي: اهل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام

وقال عون ابن عبد الله: كنت اجالس الأغنياء فلم أزل مغموماً كنت أرى ثوباً أحسن من ثوبي

اسمعوا يا أصحاب الطبقات العليا واسمعوا يا من تُختلطون بمن هم أعلى منكم اسمعوا كلام الرجل الذي خبر

هذا الأمر عون ابن عبد الله

ودابة أفره من دابتي فجالست الفقراء، فاستحرت فالواحد يكون بعيد عن ذلك.

﴿ حُكِيَ أَنَّ الْمُزْنِيَّ صَاحِبَ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ خَرَجَ مِنْ بَابِ جَامِعِ الْفَسْطَاطِ وَقَدْ أَقْبَلَ ابْنَ عَبْدِ الْحَكَمِ فِي مَوْكِبِهِ فَبَهَرَهُ مَا رَأَى مِنْ حُسْنِ حَالِهِ وَحُسْنِ هَيْئَتِهِ فَمَا كَانَ مِنَ الْمُزْنِيَّ إِلَّا تَلَا قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: { ... وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ... } [الفرقان / 20]

ثم قال: بلى أصبر، بلى أصبر، بلى أرضى، وكان فقيراً مُقْلًا

العائدة السادسة: قال الخلاص من مشاهدة الحمقى ومشاهدة الثقلاء فإن رؤية الثقل هي العمى الأصغر

﴿ لدرجة أنه ذُكِرَ عن الأعمش أنه قيل له مما عمشت عينك قال: من النظر إلى الثقلاء،

﴿ وقال الشافعي وفيها شيء من الدعابة قال: ما جالست ثقيلًا، الثقيل هو الذي يجلس ويطيل في جلسته وبالتالي يُضيع الوقت ويُضيع الزمان الذي رأس مال العبد متًا

قال: ما جالست ثقيلًا إلا وجدت الجانب الذي يليه من بدني كأنه أثقل عليّ من الجانب الآخر

هو ثقيل الطبع وثقيل الوزن أيضا فبالتالي يتخلص بالخلطة من ذلك كله.

كل هذا الكلام يقول: إذا أردنا أن نأنس بالله ونأنس بذكره سبحانه وتعالى لابد أن يكون لنا حظ من اللطوة لابد أن يكون لنا عبادة اسمها عبادة التبئيل

إن الله سبحانه وتعالى عندما وضع رؤوس التبعديات في أول الدعوة وضعها على:

{ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا } [المزمل / 2]

{ ... وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا } [المزمل / 4]

{ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ... } [المزمل / 8]

{ ... وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَتَبُّلاً } [المزمل / 8]

التوكل: { رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا } [المزمل / 9]

{ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ... } [المزمل / 10]

وبعد ذلك أعاد التبئيل مرة أخرى فقال: { ... وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا } [المزمل / 10] فذكر التبئيل مرتان، مرة

بقوله : { ... وَتَبْتَئِلُ إِلَيْهِ تَتَبِيلًا } [المزمل / 8] والمرة الثانية : { ... وَأَهْجُرُهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا } [المزمل / 10]

هجر جميل، هجر لا يترتب عليه مخالفة شرعية، هجر لا يترتب عليه أذى، هجر لا يترتب عليه عداوات ولا ضغائن، هجر يجعل

هم هم جسدك وليس هم قلبك

لذلك النبي **صلى الله عليه وسلم** الذي بلغ كمال المقامات كلها قال : "حب إلي من دنيكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة"

وكان النبي **صلى الله عليه وسلم** يقول نعم سيكون هناك استمتاع ببعض أمور الدنيا لكنها غير قاطع، قرة العين في الصلاة، الأنس الحقيقي في الصلاة، النساء لا تقطع القلب عن الله، الزينة الطيبة لا تقطع القلب عن الله، قرة العين في الصلاة

فيا من تريدون أن تأنسوا باله عليكم أن تفهموا هذه الأمور الثلاث وتعرفوا أن الأنس شفاء الصدور

👉 ابن القيم وهو يتكلم في **زاد المعاد**: عن الطب وما فيه وهو الجزء الرابع الذي خرج بعد ذلك باسم الطب النبوي، تكلم عن بعض المعاني يقولون علماء الطب اليوم نفس هذه المعاني

👉 قال: إن الأطباء يذكرون بعض العلاجات و، و، لكن معلوم ومُشاهد أن كل من قويَّ إيمانه وحب لربه وأنسه به وفرحه به وقويَّ يقينه به واشتد شوقه إليه ورضاه به وعننه وجد في نفسه قوة لا يُعبر عنها ولا يُدرِّكها وصف طبيب ولا يناله علمه، لأن الأنس شفاء للصدور شفاء من أمراض خفية

فبالتالي يا من تريدون أن يشفيكم الله تبارك وتعالى من آفاتكم عليكم بيلسم الأنس، يا أصحاب القلوب الحزينة ويا من اغتمتم بذكر الانتكاس ومعاني الوحشة، الأنس بالله فرح القلوب

👉 قال بعضهم: إنه ليمر بالقلب أوقات يقترّ فيقا طرباً بأنسه بالله وحب له

👉 ويقول ابن القيم في **طريق الهجرتين**: العبد لا فرح له أعظم من فرحه بوجود ربه وأنسه به وطاعته له وإقباله عليه وطمأنينته بذكره وعمارة قلبه بمعرفته والشوق إلى لقاءه فليس في الكائنات ما يسكن العبد إليه ويطمئن به ويتعمم بالتوجه إليه إلا أن يتوجه إلى الله سبحانه وتعالى فحينئذ يفرح القلب ويضحك القلب

الواجبات العملية

الواجبات العملية : بجانب تلك الواجبات التي ذكرناها في ثنايا المحاضرة

1- الكلام للرجال خاصة على اعتبار أن أمر الاعتكاف أيسر،

لهم هل تريد أن يعود لك قلبك وتكون حققت هذه العلامة ؟ **عليك أن تعتكف**، إذا لم تتمكن من الاعتكاف في بلدك اذهب لعمل عمرة، أو رتب لهذا الأمر، بحيث تكون العمرة فيها تحقيق لهذا المعنى، تحقيق معنى الاعتكاف.

وراجعوا كلام **ابن القيم في الزاد** وهو يتكلم عن حكمة الله سبحانه وتعالى في شرع هذا التُسك الاعتكاف، قال: شرع لقم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله وجمعيته عليه والخُلوة به والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه بحيث يصير ذكره وحبه والإقبال عليه هو شاعله الشاغل حينئذ يأنس وحينئذ يصير أنسه بالله بدلاً عن أنسه بالخلق فيعُده الله في ذلك للأنس يوم الوحشة في القبور حيث لا أنيس ولا ما يُفرح به سوى الله تبارك وتعالى

أتريدون أن تُحققوا هذا المعنى العالى؟

قلنا مفتاحه في **دوام الذكر يجلي القلب**،

وراجعوا في ذلك ما ذكرناه في سلسلة شرح **كتاب الواابل الصيب** وما ذكرناه هناك من فضائل الذكر ومن المعاني التي يُحدثها الذكر في القلب.

وأنا هنا أوصيكم ونفسي بمنهج وورد في الذكر ومعلوم أن النبي **صلى الله عليه وسلم** كان يذكر الله على كل أحواله فأوصيكم ونفسي بأمور

أولها: دوام الاستغفار لله تبارك وتعالى

ونريد أن يكون استغفار كثير ليُحدث الأثر في ران القلب فإذا هو استغفر وتاب ثَقُلَ قلبه يُجلى القلب بالاستغفار

الأمر الثاني: نحتاج إلى كثرة التسبيح لله تبارك وتعالى

الحديث الذي رواه **ابن السني وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع**: "ما تستقل الشمس فيبقى شيء من خلق الله إلا سبح الله بحمده إلا ما كان من الشياطين وأغبياء بني آدم"

نريد أن نكون من الأذكياء، قال الوليد فسألت **صفوان ابن عمرو**: ما أغبياء؟ قال: **شِرار خلق الله**

فُكثِر من التسييح لأن التسييح فيه تنزيه،

وفيه أيضاً طلب لذلك للقلب نُريد أن نجلي القلوب لتأنس، فالتسييح تنزيه الله عن العيوب، وفي نفس الوقت تُذكرنا بعيوبنا ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر لنا خطايانا ويُزهدنا عن هذه المنكرات التي في قلوبنا وأثار تلك الذنوب التي أحدثت هذا الران على قلوبنا.

﴿ نُكثِر ممن التسييح لاسيما أن نقول **سببان الله العظيم وبمعدّه** أو **سببان الله العظيم سببان** الله **وبمعدّه سببان الله العظيم** نحو هذا من الصيغ أو **بالبقيات الصالحات سببان الله والمعد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**

﴿ كان أبو بكر يقول: **من صيد من صيد ولا قُطِعَ من شجر إلا بتضييع التسييح**

فبالتالي نتواصى بذلك خاصة

﴿ وبطبيعة الحال أوصيكم ونفسي بقول **لا إله إلا الله وحده لا شريك له له المُلْك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**

فإن من زاد فيها كان خير خلق الله على الأرض الذي يذكر بهذه الصيغة أكثر من أي شخص آخر هذا أفضل الناس بنص حديث النبي **صلى الله عليه وسلم**

﴿ ولا ننسى **ذكر الحبيب** فذكر الحبيب يُجلي القلوب كما تعرفون في فضائل الصلاة على النبي **صلى الله عليه وسلم** : خطي طريق الجنة من ذكرت عنده فلم يُصلي عليّ فأكثروا من الصلاة عليه **صلى الله عليه وسلم**

﴿ وبشكل عام نحفظ ذكر من أي كتاب من كتب الأذكار المتوافرة مما هو غير محفوظ في أي معنى من المعاني لُتحقق الشئنة، ويكون فيها تدريب عملي على الشعور بالتواصل بالله والآنس به سبحانه وتعالى دائماً وأنا نازل من المنزل أو داخل المنزل وأنا ذاهب إلى المسجد وأنا ذاهب إلى قضاء حاجة، وأنا في كل ذلك ذاكر لله تبارك وتعالى ليتحقق هذا المعنى

إِذَا وَاجِبِينَ

1- العكوف

وقلنا هذا للرجال وفي حق النساء أنها تجعل من حجرة في بيتها هذا مكان تتبتل فيه للرحمن يكون في وقت لا ضجيج فيه ولا مشغلة لتعرف كيف تأتي بقلبيها لربها سبحانه وتعالى

2- والآثر الثاني: دوام الذكر

وقلنا سواء كان الاستغفار، والصلاة على النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، الإكثار من لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، والتسبيح بأي صيغة من صيغ التسبيح المأثورة وحفظ ذكر من الأذكار المهجورة، بجانب بطبيعة الحال الأذكار الموظفة، لاسيما الاهتمام بأذكار الصباح والمساء

لو حققنا هذا نكون إن شاء الله عارفين بالله وتحقق فينا هذه المعاني التي تذاكرناها على مدى المحاضرات السابقة

**في المحاضرة القادمة بإذن الله تبارك وتعالى تكون نهاية هذه السلسلة المباركة
سلسلة تعرف**

{فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} [غافر / 44]

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فضيلة الشيخ / هاني حلمي

مناجاة



فضيلة الشيخ
هاني حلمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اسمعوا بالله و استشعروا انكم طائرين وانكم الآن مُحَقِّقِينَ

و كأننا تُعْرَجُ الآن قلوبنا سماء فوقه سماء و كأننا الآن يُعْرَجُ بنا كما عُجِرَ بالنبي محمد

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

و قلوبنا تقترب من سدرة المنتهى و قلوبنا تكاد تحترق شوقا للقرب من ربها.

أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله و كفى و صلى الله و سلم و بارك على النبي المصطفى

و آله المستكملين الشرف

ثم أما بعد،

فأسأل الله تبارك و تعالى أن يجعل جمعنا هذا جمعا مرحوما

و أن يجعل التفرق من بعده تفرقا معصوما

و ألا يجعل منا و لا بيننا و لا حولنا شقيا و لا محروما

اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علما ينفعنا

سبحانك اللهم ربنا و بحمدك على حلمك بعد علمك

سبحانك اللهم ربنا و بحمدك على عفوك بعد قدرتك

أبنا العجبة في الله

هذه هي المحاضرة الخاتمة لهذه السلسلة المباركة سلسلة تعرف ، و بين يدي هذه المحاضرة أريد أن أطرح سؤالاً في غاية الأهمية لكل من استمع لهذه المحاضرات و استفاد منها أقول

ماذا كانت نيتنا في تعرف؟

كنا في تعرف نحاول أن نضع أنفسنا أمام مرآة كاشفة لتكشف لنا هل نحن على الطريق هل نحن بحق نعرف ربنا تبارك و تعالى إن تعرف كانت تتكلم عن أصل الأصول ألا و هو معرفة الرب تبارك و تعالى و لكن بصورة عملية ، ليست بصورة نظرية كانت تتكلم عن التوحيد العملي من خلال مدارس علامات العارفين و لكي نضع جوابا جامعا حول هذه المسألة، أريدكم أن ترجعوا إلى كلمات ذهبيات ذكرها ابن القيم رحمه الله في كتاب طريق المهجرتين

يقول: "وأما السابقون المقربون فاستغفر الله الذي لا إله إلا هو أولاً من وصف حالهم و عدم الاتصاف بهم"

و أنا أستغفر الله العظيم أن أكون و صفت الحال و أنا منه براء فأستغفر الله الذي لا إله إلا هو أولاً أن أكون قد و صفت حال العارفين و لم أتصف بذلك

يقول " بل ما شئنا له رائحة و لكن محبة القوم تحمل على تعرف مثلتهم و العلم بما و إن كانت النفوس متخلفة منقطعة عن اللحاق بهم ففي معرفة حال القوم فوائد عديدة"

لنضبط هذا الأمر حتى لا نكون ممن يقول و لا يعمل ممن يستمع و لا يطبق

أول معنى نحتاج إليه لتجديد النوايا في هذه السلسلة : أننا نحب هؤلاء الذين عرفوا الله عز وجل هؤلاء الذين سبقوا هؤلاء الذين قُربوا هؤلاء محبتنا لهم هي التي حملتنا على هذه المحاولة في أن نتعرف على مقامات الإيمان و على تلك المنازل نتعلمها فعل النفس تفهو و تشتاق لمشاكلتهم و اتخاذهم أسوة و قدوة على الطريق

ثم ذكر ابن القيم ثماني فوائد في كل واحدة نية، أي نعتبرها نحن نوايا سلسلة تعرف و أنا اخترت أن تكون المحاضرة الخاتمة لهذه السلسلة فيها هذا المعنى تحديداً لأننا نحتاج بعد هذه الجولة إعادة لشحن القلوب مرة أخرى لنعدّها للمرحلة الثانية التي ستكون بإذن الله تبارك و تعالى في

مدارس أسماء الله تعالى و صفاته،

ما هي النوايا؟

النبة الأولحة قال :ألا يزال المتخلف المسكين مزربا على نفسه ذاقا لها...أول نبة إن الواحد عندما ظل يدرس هذه المعاني احتقر نفسه و عرف شأنه فذم النفس عبودية و شعور الإنسان بجرمانه والله من أعظم ما يأخذ بيد الواحد منا إلى مقامات التعبد لأنه ينفي عن نفسه أفات كثيرة فذم النفس مطلب شرعي و في تعرف كان ذلك.

النبة الثانية قال : ألا يزال منكسر القلب بين يدي ربه تبارك و تعالى ذليلا له مستشعر بحقارته يشهد منازل السابقين و هو في زمرة المنقطعين و يشهد بضائع التجار و هو في رفقة المحرومين...إذاً أول معنى ذم النفس المعنى الثاني الانكسار و الافتقار بين يدي الله تبارك و تعالى من استشعار الانقطاع و استشعار الحرمان ألا نكون على حال هؤلاء.

النبة الثالثة قال : عساه أن تنهض همته يوما إلى التشبث و التعلق بساقه القوم و لو من بعيد حتى نكون خدام هؤلاء فيمكن يكون في ذكر هذه المعاني و ذكر هذه المقامات الإيمانية و أحوال العابدين و أحوال العارفين يمكن تكون باعث للهمة فالأمر الثالث لبعث المهمم للتشبث و التعلق و لو بخدمهم لعل الله عز و جل يتقبلنا بذلك و يجعلنا مع القوم فهم لا يشقى بهم جليسهم.

النبة الرابعة قال : لعله أن يصدق في الرغبة و اللجئ إلى من بيده الخير كله أن يلحقه بالقوم و يهبأه لأعمالهم فيصادف ساعة إجابة لا يسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه...فالنية الرابعة لعل هذه المدارس تكون سببا في بلوغ الواحد منا منزلة الصدق في الرغبة لعلها تكون سببا في صدق اللجئ إلى الله تبارك و تعالى حتى نلحق هؤلاء و نكون في ركبهم.

النبة الخامسة : أن هذا العلم هو من أشرف علوم العباد...مرة ثانية بالله لكي تسمع طلبية العلم هذا الكلام ، و ملتزمي هذا الزمان يسمعون هذا الكلام بالله هذا العلم هو من أشرف علوم العباد و ليس بعد علم التوحيد أشرف منه ، العلم الذي يورثنا حسن المعاملة مع الله تبارك و تعالى بل إن العلماء قالوا إن العلم الذي هو أعظم العلوم هو علم المعاملة و راجعوا كتاب **مختصر منهاج القاصدين** و كلام ابن قدامة في هذا المعنى في أول الكتاب علم المعاملة هو من أشرف العلوم فيقول : **ليس بعد علم التوحيد أشرف منه بل إني أقول إنه من صميم علم التوحيد بل هو التوحيد لأن هناك فرق كما يقول مشايخنا و علماءنا ما بين علم التوحيد الذي يُدرّس بطريقة أكاديمية و هو في الحقيقة علم ضوابط التوحيد أما لب التوحيد فليس كذلك و أنا أنصحكم بقراءة هذا الكتاب الماتع كتاب **جمالية الدين معارج القلب إلى حياة الروح** للدكتور فريد الأنصاري لأن فيه تفصيل لهذه المسألة الفرق ما بين ضوابط التوحيد و ما بين لب التوحيد، التوحيد الذي يورثنا عمل العقيدة التي تهيمن على الواحد منا فيظهر ذلك في أخلاقه في سلوكياته في تصرفاته.**

يقول :وليس بعد علم التوحيد أشرف منه و هو لا يناسب إلا النفوس الشريفة و لا يناسب النفوس الدنيئة المهينة فإذا رأى نفسه تناسب هذا العلم و تشتاق إليه و تحبه و تأنس بأقله فليشتر بالخير فقد أهّل له .

يا رب اجعلنا من هؤلاء يا رب...أن قلوبنا تصبح نشيطة هكذا يكون الواحد منا فيه هذه المهمة لطلب هذا العلم علم التربية و التزكية من خلال مدارس أسماء الله تعالى و صفاته من خلال معرفة أصل الأصول ألا وهو علم التوحيد العملي معرفة الله تبارك و تعالى

ابن القيم ينصحنا كلنا فيقول : فليقل لنفسه يا نفس فقد حصل لك شطر السعادة فاحرصي على الشطر الآخر فإن السعادة في العلم بهذا الشأن و العمل به فقد قطعت نصف المسافة فهلا تقطعين باقيها فتفوزين فوزا عظيما هذا هو العلم الحقيقي هذا هو العلم المطلوب العلم الذي يوصل القلوب بعلام الغيوب و أنا كيف أكون موصول بمن لا أعرف !!!

هذه المعرفة هي التي تتطلبها التي المفترض أن تكون باعث على العمل لكن دائما المعرفة تكون فيها نقصان في هذا الجانب و بالتالي العمل لا يكون على الدرجة المطلوبة بل إن بعضنا يقلب الأمور فيبدأ بالعمل و يتصور أن هذا هو المطلوب و سوف آتيكم من القرآن الكريم بما ينص على خلاف هذا الأمر تماما كما سيأتينا إن شاء في ختام هذه المحاضرة لكن افهموا هذا المعنى جيدا... النية الخامسة تحصيل أشرف العلوم تحصيل أشرف علوم العباد بعد علم التوحيد الذي يثمر العمل الصالح.

النية السادسة قال : أن العلم بكل حال خير من الجهل ، لأن بعض الناس قالت لي إن السلسلة ثقيلة و صعبة شيئا ما نحن محتاجين أن الأمور كانت تصبح أبسط وأيسر من ذلك ،

والبعض قال السلسلة فيها معارف تحتاج إلى وقت طويل والبعض يقول أنا و الله من ساعة ما سمعت بعض هذه المحاضرات و أنا نادم على سنين التزامي عرفت إن للأسف الشديد لم أكن من قبل ملتزما أو مستقيما و البعض قال لماذا تقول لنا هذه المعاني و هذه المعاني أعلى من مستوياتنا و تقيم علينا هذه الحجة و نحن مازلنا في بداية الطريق فأقول العلم بكل حال خير من الجهل و ابن القيم يقول تعالوا نقارن بين اثنين أحدهما عالم بهذا الشأن غير موصوف به و احد عرف بس هو مازال لم يصبح من العارفين و لا من العلماء الربانيين و لا من العباد الزاهدين الخاضعين المنكسرين لم يصل إلى هذه المقامات لكن تعلم عرف فقط يقول عالم بهذا الشأن غير موصوف به و لا قائم به و عندنا واحد آخر جاهل غير متصف به فهو خلو من الأمرين لا هو عرف هذه المعاني و لا هو متصف بها،

فأيهما أفضل؟

قال : فلا ريب أن العالم به خير من الجاهل و إن كان العالم المتصف به خيرا منهما إذا نحن عندنا واحد من ثلاثة إما تعلم و لم يطبق و إما واحد لا تعلم و لا طبق و إما واحد تعلم و طبق ففي هذه الحالة لا شك أن الذي تعلم هذه المعارف و اتصف بها هذا خيرهم ثم يليه الذي تعلم و لما يقيم بها لكن إن شاء الله يكون في سماعه لهذه المحاضرات و في تنفيذه للواجبات العملية التي احتوتها تلك السلسلة إن شاء الله يكون في ذلك سببا لأن يُبلغ و لو شيء من هذه المعاني فهذا أفضل بلا شك ممن لم يعرف و لم يطبق

قال: فينبغي أن يعطى كل ذي حق حقه و يتزل في مرتبته... إذا النية السادسة العلم بها أفضل من تركها.

النية السابعة: أنه إذا كان العلم بهذا الشأن هم و مطلوبه هم العبد و مطلوب العبد فلا بد أن ينال منه بحسب استعداده و لو لحظة و لو بارقة ولو أنه يحدث نفسه بالنهضة إليه... هذا أحسن

اسمعوا هذا الكلام لأنه مفيد جدا في حياتنا بشكل عام ، هذه النوايا التي يقوها ابن القيم عموماً في التعلم و المعرفة ولا سيما في معرفة الله تبارك و تعالی تصلح بأن تكون نصب العين دائما في كل خطوة نخطوها في طلب العلم يقول والله لما الواحد يسمع لهذه المعاني ، و يبدأ

يتطلبها و يبدأ بهم بأن يصنع شيء منها على حسب الاستعداد يكون الإمداد على حسب استعداد الواحد يكون إمداد الله له فلو كان استعداد قوي إن شاء الله يُبلِّغ... يُبلِّغ همته العالية المنازل العالية ولو كان استعداده مازال ضعيفاً لأنه عنده مشاكل كثيرة لا تجعله يستطيع الوصول إلى شيء من هذه المعاني مثل كثير من الذين يشكون سمعنا الدرس و تأثرنا يومين ثلاثة لكن القواطع .

والبعض قال عندما تكلمنا في درس قلبي كله لله و تكلمنا قبلها عن التعلق بغير الله و تكلمنا بعدها عن العوائد و العوائق و العوائق قال نحن محتاجين أن تكون لها سلاسل مُفردة لأن المعنى خطير و يحتاج إلى مزيد بيان و تفصيل قلتُ صحيح نحتاج إلى ذلك لكن مجرد المعرفة الآن بمثل هذه الأمور تكون إن شاء الله سبباً في العلاج فلو الواحد منا بدأ يعرف .. لماذا لا يعرف أن يمشي الطريق إلى الله بالطريقة الصحيحة؟ لماذا يمشي الخطوة و يرجع خطوتين؟ لماذا لا يستطيع تكملة الطريق بالشكل المطلوب؟ لماذا كل ما يضع هدف لا يصل إليه بالشكل الذي كان نفسه يبلغه ؟

لأن على حسب الاستعداد يكون الإمداد لكن تعالوا ننظر بالشكل الإيجابي أخذنا خطوة أفضل من الوقوف بدون فعل و لو وصل لقلوبنا شيء ولو قليل لو ١٠% أو ٢٠% من المطلوب خير نحن محتاجين محاولة ثانية و ثالثة و رابعة حتى نبلغ المتزلة التي تفهقوا أنفسنا إليها . قال ابن القيم لو أنك ظللت تسمع هذه المعاني و قلت يا رب بلغني هذه المنازل وهفت النفس للنهوض لبلوغ تلك الأمور مجرد هذا في حد ذاته شيء إيجابي و شيء جيد أفضل بكثير من الوقوف و من السكون و من الدعوى و من عدم التقدم لأن الواحد منا ينبغي أن يكون ممن يطلبون التقدم {وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ} [الحجر / ٢٤]

إذا النية السابعة نضعها تحت عنوان " على حسب الاستعداد يكون الإمداد "

النية الثامنة قال : لعله يجري منه على لسانه ، بالله اسمعوا هذا الكلام المعاني والله من الخطوة كثير يسأل عن هذا المعنى و كثير يتعثر بسبب عدم وجود الإخلاص في النوايا على مثل هذه الأمور يقول الواحد منا سمع حتى لا يأتي الشيطان يقول يا عم لا تسمع أحسن ابن القيم يقول : لا، يمكن الواحد منا سمع كلمة فلم ينتفع هو بها على الوجه المطلوب و لكن قد تجري على لسانه فينتفع به غيره سواء بقصده أو بغير قصده.

أخ أو أخت ترسل رسالة أن هناك دورة حول هذا المعنى وهناك سلسلة أحضرها لكم على اسطوانة أو تستطيعوا أن تأخذوا هذا الرابط على الموقع الفلاني تستطيعون من خلال هذا تسمعوها فيكون سبب ينتفع بها الآخر أفضل فيكون كل ما يجري من خير بسبب الدلالة يكون في ميزانه

المدال على الخير كفاعله

[الراوي :عبد الله بن مسعود و سهل بن سعد و أبو مسعود و بريدة الأسلمي و أنس بن مالك و أبو هريرة المحدث :الألباني - المصدر :صحيح الجامع - الصفحة أو الرقم:3399 خلاصة حكم المحدث :صحيح]

قال ابن القيم : والله لا يضع مثقال ذرة فعسى أن يرحم بذلك العامل يمكن هذا هو الذي نجد في ميزاننا يوم نلقاه سبحانه و تعالى

النية الأخيرة : هي نية الدلالة على الخير إذا هذه هي النوايا الثماني

ابن القيم ذكرها في فوائد العلم بهذا الشأن

وقال : وفوائده لا تنحصر فلا ينبغي أن تصغى إلى من يبسطك عنه أنا أشعر أن ابن القيم خرج من زمانه وجاء إلينا يقف على رؤوسنا و يهمس في أذاننا يا مسلمو هذا الزمان و يا مسلمات اسمعوا و افهموا و عليكم بأن تُصغوا إلى ذلك بأذن واعية وإياكم أن تسمعوا لوساوس الشياطين التي قالت لناس كثير أنت لن تستطيع أن تكمل أو إن الموضوع صعب أو إن الموضوع يحتاج إلى استعدادات هي ليست عندك ، يقول : إياك أن تصغى إلى من يبسطك عنه و تقول إنه لا ينفع ، لا تقول : أنا لا ينفع في هذا الكلام أنا صعب علي بلوغ هذه المنازل قال : بل احذر و استعن بالله و لا تعجز و لكن لا تغتر أيضاً ، كي يمسك الأمور من الوسط، قال : اسمع و تعلم افهم لكن في نفس الوقت لا تقف عند هذا و تقول قد أدت ما ينبغي عليّ.

فقال : ففرق بين العلم و الحال فإياك أن تظن أن بمجرد علم هذا الشأن قد صرت من أهله ، وأنا أقول هذا الكلام لنفسي ليس لأننا علمنا الناس هذه المعاني وجمعنا من كلام أهل العلم ما شرحنا به تلك العلامات نكون قد بلغنا، نحن فقط أخذنا خطوة لم نصر بعد من أهله هيئات ما أظهر الفرق بين العلم بوجوه الغنى

عندما يدرس الواحد اقتصاد و يدرس كيف ممكن أن يعمل مشروع و هذا المشروع يكسبه كذا و بين الغنى بالفعل هناك فرق واسع بين العلم بالشيء و بين الغنى المتحقق و بين العالم بأسباب الصحة طيب يتعلم ذلك و بين أن يكون هو صحيح بالفعل هيئات فبالتالي هذه خطوة في الطريق تبلغنا ما بعد و هذا ما كنت أريده أن يكون جوابا حول هذا التساؤل الذي ينبغي أن نقف عنده مليا

"ماذا كانت نيتنا فحي تعرف؟"

الأمر الثاني : أننا محتاجين أن نعرف وصف هؤلاء و أن نقف عند وصفهم كثيرا بعد أن علمنا علامات من عرف الله تبارك و تعالى لعلنا نبلغ تلك المتزلة

أولاً : بمشاكلتنا لهم**و ثانياً : وقبل كل شيء حبنا لهم**

ابن القيم بدأ يصف العارفين أهل الصبر {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ} [الواقعة / ١٠] {أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} [الواقعة / ١١] فقال : فاسمع الآن وصف القول و أحضر ذهنك لشأهم العجيب و خبرهم الجليل فإن وجدت في نفسك حركة و همة في التشبه بهم فاحمد الله و ادخل فالطريق واضح و الباب مفتوح إذا أعجبتك خصال امرئ فكنه تكن مثل ما يعجبك فليس على الجود و المكرمات إذا جنتها حاجبٌ يججبك،

ثم قال : وجملة أمرهم أنهم قوم قد امتلأت قلوبهم من معرفة الله، أريد أن نسمع و القلب يستمر في القول و المعاني التي تجول في خاطرنا ماذا تقول يا رب يا رب بلغنا تلك المنازل يا رب نكون مثلهم يا رب نكون كهؤلاء الذين عرفوك و هكذا يجول في صدرنا هذا كلما سمعنا شيئاً

من أوصاف هؤلاء ، قد امتلأت قلوبهم من معرفة الله و غُمرت بمحبته و خشيته و إجلاله و مراقبته فسرت الحبة في أجزائهم تشعر أن حب ربنا يملأهم معنى الخلة الحب أصبح كل شيء فيهم فلم يبقى فيها عرق و لا مفصل إلا و قد دخله الحب قد أنساهم حبه ذكر غيره و أوحشهم أنسهم به ممن سواه

كما تذكرنا في الدرس الماضي في مسألة الأنا و الوحشة قد فتى بحبه عن حب من سواه يا رب لا تجعل في قلوبنا حبا إلا لك و لا تعلق إلا بك و بذكره عن ذكر من سواه {فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ...} [البقرة / ١٥٢] فشغل العبد بكيف يكون هذا العبد الصغير الفقير الحقير كيف يكون محلاً لذكر الله له و بخوفه و رجائه و الرغبة إليه و الرهبة منه و التوكل عليه و الإنابة إليه و السكون إليه و التذلل و الانكسار بين يديه شغل العبد بكل ذلك عن أن يتعلق بغيره فإذا وضع أحدهم جنبه على مضجعه ، عندما يدخل لينام سعدت أنفاسه إلى إلهه و مولاه فهو قلبه مُعلق بالله روحه معلقة بالرفيق الأعلى و اجتمع همه عليه متذكراً صفاته العلى و أسمائه الحسنى هو ربنا سبحانه و تعالى عما قليل سيتزل إلى السماء الدنيا نزولاً يليق به و ربنا الودود سيتودد لي أنا وسيقول أتريد أي شيء مني؟ هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ هل من تائب؟ هل ربنا كرمه علينا بهذا الشكل؟ هل ربنا جوده علينا بهذا الوصف؟

لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فتجده عايش بين أسمائه و صفاته

يرى أثر نعمة العافية عليه فيشعر بالله السلام المؤمن ، يرى أنه أحياناً يحتاج أشياء أو يطلب أشياء لكن الله عز و جل يقهره على ما يشاء و هو القاهر فوق عباده فيعرف الله القاهر القهار المهيمن يرى أنه أحياناً يعجز عن أشياء فيرفع يديه لرب السماء و يتبتل إليه و ينقطع له في الدعاء فتفتح له تلك الأبواب و يمن الله عز و جل عليه بالحول و القوة فهو القادر القدير المقندر ، يعيش مع أسمائه و صفاته في كل شيء حوله يتلمس أثر هذه الصفة هنا و أثر هذا الفعل من أفعاله هنا و يشعر دائماً بالوصال بينه و بين الله .

ربنا أرسل لي هذه الرسالة ، لماذا؟ حتى أفهم منها كذا

ربنا ابتلاني بهذا البلاء ، لماذا؟ حتى أنكسر و لا أبتلى بالعجب حتى لا أبتلى بشيء من ذرة الكبر.

ربنا أرسل لي رسالة في نعمة من النعم حتى أعرف إن ربنا يبتلي بالنعم و يبتلي بالنقم **يختبر أشكر أم أكفر؟**

يظل طوال الوقت مستشعر أسمائه و صفاته متذكر لها مشاهداً له في أسمائه و صفاته قد تجلت على قلبه أنوارها ، و راجعوا درس أنوار الصفات و المعاني التي ذكرناها في كيفية معايشة الأسماء و الصفات و التداوي و الاستشفاء بها فانصبغ قلبه بمعرفته و محبته فبات جسمه في فراشه يتجافى عن مضجعه هكذا يتجافون عن المضاجع داعين الله عز و جل خوفاً و طمعا فيرزقهم الله عز و جل يُفتح لهم من أبوابه فهو الفتح العليم و قلبه قد أوى إلى مولاه و حبيبه إنما القلب متعلق بالحبوب بالودود فأواه إليه فربنا يقربه منه و يسجده بين يديه خاضعاً خاشعاً ذليلاً منكسراً من كل جهة من جهاته فيا لها من سجدة ما أشرفها من سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء مثل بالضبط أن الملائكة ساجدة حول العرش و يرفعون رؤوسهم من هذه السجدة بين يدي الله تبارك و تعالى قائلين : "سبحانك ما عبدناك حق عبادتك"

قيل لبعضهم : أيسجد القلب بين يدي ربه؟ قال : إي والله بسجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم القيامة.

قال: فشتان بين قلب يبيت عند ربه قد قطع في سفره إليه بيداء الأكوان و خرق حجب الطبيعة _قطع كل شيء ممكن يقطعه لربنا سبحانه و تعالى أصبح القلب يناجي الله تبارك و تعالى و يُسارع في الخطوات حتى بُلِّغَ القرب من الله عز وجل شتان بين هذا القلب الذي يبيت عند الله و بين قلب يبيت في هموم الدنيا و في غمومها و في شواغلها.

اسمعوا بالله و استشعروا أنكم طائرین و أنكم الآن محلقيين و كأننا تعرج الآن قلوبنا سماء فوق سماء و كأننا يُعرجُ بنا الآن كما عُرجَ بالنبي محمد **صلى الله عليه وسلم** و قلوبنا تقترب من سدرة المنتهى و قلوبنا تكاد تحترق شوقا لبلوغ القرب من ربهما.

يقول : حتى دخل على ربه في داره فشهد عز سلطانه العزيز و عظمة جلاله العظيم و علو شأنه العلي الأعلى المتعال و بماء كماله الجميل و هو مستو على عرشه سبحانه الرحمن على العرش استوى يدبر أمر عباده المهيمن جل و علا و تصعد إليه شؤون العباد الملك المالك المليك جل و علا و تعرض عليه حوائجهم و أعمارهم و هو اللطيف بهم فيأمر فيها بما يشاء فيترل الأمر من عنده نافذا فيشهد الملك الحق قيوما بنفسه مقيما لكل ما سواه غنيا عن كل من سواه و كل من سواه فقير إليه {يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن / ٢٩] يغفر ذنبا يُفرج كرها يفك أسيرا و ينصر ضعيفا و يجبر كسيرا و يُغني فقيرا و يُميت و يُحيي و يُسعد و يُشقي و يُضل و يهدي و يُنعم على قوم و يسلب نعمته عن آخرين و يُعز أرقاما و يُذل آخرين و يرفع أرقاما و يضع آخرين ويشهد كما أخبر عنه أعلم الخلق به و أصدقهم في خبره حيث يقول كما في الصحيحين وهذا لفظ مسلم " يمين الله ملئى لا يغيضها (أي لا يُنقصها) شيء سحاء الليل و النهار (أي دائمة العطاء) أرايتم ما أنفق مذ خلق السماء و الأرض فإنه لم يغد ما في يمينه سبحانه و تعالى مع كثرة إجابته لسؤال عباده لم ينقص ذلك من ملكه شيء و عرشه على الماء و بيده الأخرى القبض يرفع و يخفض سبحانه و تعالى.

فالواحد يري رب يقسم الأرزاق و يجزي العطايا و يمن بفضله على من يشاء من عباده بيمينه و باليد الأخرى الميزان يخفض بها من يشاء و يرفع به من يشاء عدلا منه و حكمة فلا إله إلا هو العزيز الحكيم، يشهد ربه وحده القيوم بأمر السماوات و الأرض و من فيهن الذي به قيام كل شيء ...

يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث فأصلح لنا شأننا كله و لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ليس له بواب فيُستأذن و لا حاجب فيدخل عليه و لا وزير فيؤتى و لا ظهير فيُستعان به و لا ولي من دونه فيشفع به إليه و لا نائب عنه فيُعرفه حوائج عباده و لا معين له فيعاونه على قضائها {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا} [الإسراء / ١١١] الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا و لم يكن له شريك في الملك و لم يكن له ولي من الذل و الله أكبر كبيرا أحاط سبحانه بها علما بهذه الأكوان ووسعها قدرة ورحمة فلا تزيد كثرة الحاجات إلا جودا و فضلا و كرما و لا يشغله منها شأن عن شأن و لا تغلظه كثرة المسائل و لا يتبرم بإلحاح الملحين فلو اجتمع أول خلقه و آخرهم و إنسهم و جنهم و قاموا في صعيد واحد ثم سألوه فأعطى كل منهم مسألته ما نقص ذلك مما عنده ذرة واحدة إلا كما يُنقصُ المِخِيطُ البحر إذا غمس فيه و هل يُنقصُ المِخِيطُ الإبرة هل تنقص من ماء البحر شيء إذا غُمست فيها و لو أن أولهم و آخرهم و إنسهم و جنهم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منهم ما زاد ذلك في ملكه شيء فلن تنفعه طاعاتنا و لا تضره معاصينا إنما هو الغني الجواد عطاؤه كلام و عذابه كلام {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس / ٨٢]

و يشهده العبد كما أخبر عنه أيضا الصادق المصدوق كما في صحيح مسلم لما قال النبي ﷺ إن الله تعالى لا ينام و لا ينبغي له أن ينام يخفض القسط و يرفعه و يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار و عمل النهار قبل عمل الليل حجابة النور لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه سبحانه الجليل سبحانه منور السماوات و الأرض سبحانه من حجابة نور سبحان من لا ينام و لا ينبغي له أن ينام سبحانه... سبحانه.

فإذا سألتهم و ما طريقة معرفة العبد لله فهذه و صفة جامعة أريد أن تتوقعوا عند كل اسم من أسمائه في كتابه بعض مشايخنا علمنا أننا نكتب كل الآيات التي ذكر فيها اسم الله نكتبها بأيدينا ليس إن الواحد يجمعها عن طريق الوسائل الحديثة، لا بل اكتب كل آية فيها اسم من أسماء الله اكتبه كأن في الكتابة نقش على القلب .

تأملوا ارتباط اسمه سبحانه و تعالى بسياق و موضوع الآيات فهذا من أفضل الطرق لمعرفة سبحانه و تعالى فما يُعرف ربنا بمثل {اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ} [العلق / ٣] {الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ} [العلق / ٤] {عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق / ٥] بمثل قراءة القرآن ؛ بمثل قراءة الآيات الشرعية قراءتها بتدبر و تفهّم و استخراج الأسرار فهذه أفضل الطرق لمعرفة الله جل و علا.

ابن القيم قال: (و بالجملة فيشهده في كلامه) و بعض العلماء يقولون إن من أعلى النعيم سماع كلام الله جل و علا، أن تسمع ربك سبحانه و تعالى و من صفاته أنه سبحانه و تعالى له صوت فالحديث في البخاري: (يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قُرب يقول سبحانه أنا الملك أنا الديان)

تصوروا عندما تسمعوا صوت الله سبحانه و تعالى و هو يقول هذا هل تشعروا حينئذ أن قلوبنا كيف ستكون متلقية لهذا الصوت؟ القلوب المشتاقة تعلمون لما الواحد يجب أحد والله المثل الأعلى و يسمع صوته من بعيد يرتجف القلب و يضطرب و طائر من الفرحه فكيف الحال بسماع صوت الله فنسمع كلامه و قد تجلّى سبحانه و تراءى لعباده و تعرّف إليهم فنعوذ بالله من جحود الجاحدين أفاالله شك؟ فاطر السموات و الأرض لا إله إلا هو سبحانه الرحمن الرحيم

فعندما يشهد الإنسان صفات ربه و أسمائه؛ يشهد قلبه ذلك ينسى بذكر هذا كل شاغل و ينسى كل ما سواه بل حينئذ يكون الرب سبحانه سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به و يده التي يبسط بها و رجله التي يمشى بها فبه يسمع و به يبصر و به يبسط و به يمشى قال: و بالجملة فيبقى قلب العبد الذي هذا شأنه عرشاً للمثل الأعلى ، تذاكرنا هذا المعنى أيضا لما ذكره ابن القيم في كتاب الفوائد

ابن القيم يقول: قال الله {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه / ٥] وأعظم المخلوقات عرش الرحمن سبحانه و تعالى الذي امتن الله عز و جل بأن يكون محلاً لاستوائه سبحانه و تعالى. و الله جل و علا مستوٍ استواء يليق به سبحانه و تعالى فوق عرشه.

ابن القيم يقول و القلب كذلك مثل العرش المستوى عليه معرفة الله سبحانه و تعالى و هذا ما نسميه المثل الأعلى يقول: فقلب العبد الذي هذا شأنه عرشاً للمثل الأعلى أي عرشاً لمعرفة محبوه لأننا قلنا أن هذه القلوب خلقت لتكون محل لمعرفة الله تبارك و تعالى و حبه و محبته و عظمته و جلاله و كبريائه

يقول : و ناهيك بقلب هذا شأنه فيا له من قلب من ربه ما أدناه و من قربه ما أحظاه فهذا العبد تراه يُتْرَه قلبه أن يُساكن سواء أو يطمئن بغيره فهؤلاء العارفون قلوبهم قد قطعت الأكوان و سجدت تحت العرش و أبدانهم تراها على الفُرْش و قلوبهم في الرفيق الأعلى

كما قال أبو الدرداء : إذا نام العبد المؤمن عُرجَ بروحه حتى تسجد تحت العرش



إذًا الطريقة لمعرفة الله تبارك و تعالي : أن نُطالِع أسماءه و صفاته و أفعاله سبحانه و تعالي فنفهم معانيها و نتدبرها و نسقطها على واقعنا.

قال العز بن عبد السلام في كتاب شجرة المعارف و الأحوال: فهم معاني أسماء الله تعالى وسيلة إلى معاملته بشماتها ؛ ثمرات الأسماء من الخوف و الرجاء و المهابة و المحبة و التوكل

من يفهم معاني هذه الأسماء جيدًا هو من ينال ثمرة تعرف.

معرفة الأسماء و الصفات عليها مدار الإيمان و هي ركن من أركان التوحيد و ذروة سنام العبودية.

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة : الذي يعرف أن الأسماء الحسنى مقتضية لآثارها – إذا عندما يدرس الواحد الأسماء و الصفات لا يعرف فقط أنه سبحانه و تعالي اسمه الحي و الحي ورد في القرآن و في السنة قال الله {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ...} [الفرقان / ٥٨] وورد عن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن كان يدعو فيقول أنت الحي الذي لا يموت و الجن و الإنس يموتون و ما معنى اسمه الحي؟ أي الذي لم يزل موجودا و بالحياة موصوفا لم تحدث له الحياة بعد الموت و لا يعترضه الموت بعد الحياة و سائر الأحياء يعترضهم الموت أو العدم كل شيء هالك إلا وجهه – هذا كلام جيد و ممتاز و رائع و يجب أن نفهم هذا ، لكن الأهم أن نعرف مقتضيات هذه الأسماء :

ما هو حظي من اسم الله الحي؟ أول شيء تدعي أن يحيي الله قلبك ؛ تدعي أن تكون حيا ليس الحياة ما يتعارف عليه الناس فإن الحياة الحقيقية هي حياة القلوب فإن هناك موتى و هم بين الناس يُظن أنهم أحياء و هناك من يظن الناس أنهم أموات و هم أحياء كما هو في شأن الشهداء.

مسألة هذه الحياة و كيف أن يحيي قلبي بذكره و بالأنس به سبحانه و تعالي هذا هو مقتضى هذا الاسم.

ابن القيم يقول : بشكل عام من يضع هذه القاعدة نصب عينيه سيحسن عبادة ربه لماذا؟ لأنها معادلة كل ركن فيها يؤدي إلى الآخر لأنه سيتعلق بما يحبه الله و يرضاه فيشمر له ذلك الحياء باطنا و الحياء حياة قلبه فيشمر له الحياء اجتناب الحرامات و القباح إذا كُفَّت النفس عن الرذائل؛ عن المخالفات ؛ عن المعاصي ؛ عن تلك المهلكات و لما يعرف الله بغناه و جوده و كرمه و بره و إحسانه و رحمته توجب له سعة الرجاء و لما يقبل أحدنا على الله عز و جل و هو يحسن الظن به و هو عنده تلك السعة في الرجاء أن الله سبحانه و تعالي سيقبضه و لن يضيعه و سيأخذ بيده

قال: فيحمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة و الباطنة بحسب معرفته و علمه و كذلك يعرف ربه سبحانه و تعالى بصفات جلاله و عظمته و عزه فيحمر له ذلك من الخضوع و الانكسار و الاستكانة و الافتقار فيشهد من خلال تعرفه على أسماء ربنا سبحانه و تعالى و صفاته يُحمر له مقامات التعبد كلها.

قال: و تُحمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعاً من العبودية الظاهرة و بالتالي الذي يكمل علمه بالأسماء و الصفات هذا هو العبد الرباني على الحقيقة.

تعالوا نبدأ الطريق التطبيقي نتعلم أسماء الله و صفاته ؛ تعالوا نسأل أنفسنا مع كل اسم : ما الأثر لهذا الاسم في حياتنا ؟ تعالوا نتعلم كيف تهتف قلوبنا { ... قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ } [الرعد / ٣٠] تعالوا ندع الناس أن يتعرفوا على ربهم { إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } [الزخرف / ٦٤] ؛ تعالوا نستغرق الأوقات في الشناء عليه بما نتعلمه من معاني تلك الأسماء و تلك الصفات { ... إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا } [الإسراء / ١٠٧] { وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا } [الإسراء / ١٠٨] { وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَنْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا } [الإسراء / ١٠٩] { قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى... } [الإسراء / ١١٠] سبحانه و تعالى؛ تعالوا نأخذ نية و لو تأملتم الآيات التي ورد فيها هذا المصطلح -الأسماء الحسنى- لو تأملتم هذه الآيات تجدها في القرآن في ٤ مواضع ذكرنا الموضوع الأول منها الذي في سورة الإسراء و الموضوع الثاني الذي في سورة الأعراف فيه نية من أهم ما تكون : أن يبدد الواحد منا حجب الغفلة بأنوار الأسماء و الصفات.

قال الله تعالى { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } [الأعراف / ١٧٩]

ثم كأنه أراد أن يبين لنا كيف نبدد تلك الغفلات فقال تعالى { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأعراف / ١٨٠]

الغافلون _ أي نحن _ أهل القطيعة الذين حجوا عن الله لما وصفهم الله وصفهم بأن قلوبهم لا تجول في معاني التوحيد و أعينهم لا تنظر إلى الأشياء بعين الاعتبار و آذانهم لا تسمع المواعظ و لا تتذكر فهم أشبه ما يكون بالأنعام لكن لكي نتخلص من هذه الحجب علينا بأن ندعوه سبحانه و تعالى بأسمائه و صفاته و تعرفون أن النبي **صلى الله عليه وسلم** علمنا هذا الحديث العظيم على أنه من أعظم موجبات الجنة إن لله تسعة وتسعين اسما ، مائة إلا واحدا ، من أحصاها دخل الجنة

صحيح البخاري

اسمعوا الأمور الخمس التي ذكرها العلماء في معنى الإحصاء؛ افهموها بالله لأن هذا هو منهجنا من خلال مدارسة الأسماء و الصفات قالوا:

يحفظها و يتعلمها و يتخلق بها و يتعلق بها و يتحقق بها ؛ الحفظ، العلم، التخلق، التعلق، التحقق

يحفظها لأن كل واحد منا يحتاج أن ينقش هذه المعاني في قلبه ؛ يحفظها حفظاً فيجعلها مستودعة في القلوب و يتعلم و هذا ما سيكون من خلال السلسلة القادمة نعرف ما هي المعاني نفهمها جيدا و نعرف من خلال مدارستنا معنى هذا الاسم و تحققه في واقعنا كيف نتعبد الله به و

نتخلّق و عندنا قاعدة مهمة في باب الأسماء و الصفات أن صفات الله و أسمائه تنقسم إلى قسمين صفات و أسماء جمال و صفات و أسماء جلال ؛ مع أسماء الجمال تخلّق يا عبد الله و تخلّقي يا أمة الله بما أُدِنَ لنا فيه من هذا المعنى الجميل لنكون بحق عبادا ربانيين

الله رحيم ارحم ارحم

الله عفو اعف اعف عنك

الله سبحانه و تعالي طيم اطم يطم عليك

الله سبحانه و تعالي شكور اشكر الناس فإنه من لم يشكر الناس لم يشكر الله

ياخذ هذا المعنى الجميل و يطبقه على حسب مقدرته البشرية

و في صفات الجلال عليه أن يزه نفسه من مشاكلة الله لأن هذه الصفات استأثر بها نفسه فلا يتعامل من خلالها فإذا كان الله هو العزيز فأنت ذليل و إذا كان الله عز و جل هو سبحانه و تعالي الجبار على معنى شدة الانتقام و ليس على معنى جبر الخاطر فهذه ينبغي أن يكون العبد ذليلاً منقطعاً لله تبارك و تعالي يجرّم على نفسه الظلم و يجرّم على نفسه الجبروت.

إذا كان الله هو المتكبر فأنت المتواضع و هكذا؛ التخلّق بالاسم و مقتضيات هذا الاسم و يتعلق؛ هذه المعاني الجميلة و الجليلة يكون القلب متعلق بها فمن خلال معاني الجلال يذل و ينكسر و من خلال معاني الجمال يُحب و يُقبل و يتحقق في هذه المعاني ليبلغ منزلة اليقين؛ يتحقق بمعنى أن يستشرف و ينظر في الآفاق و في آلاء الله تبارك و تعالي ليكون بذلك سبباً لتعرفه على الله جل و علا و قد أمرنا النبي ﷺ بذلك أن نتأمل و نتدبر آلاء الله عز و جل و لا نتفكر في ذاته.

قال ﷺ : تفكروا في آلاء الله ، و لا تفكروا في الله

[الراوي :عبد الله بن عمر المحدث :الألباني - المصدر :صحيح الجامع - الصفحة أو الرقم: 2975 :

خلاصة حكم المحدث :حسن]

أي في ذاته سبحانه و تعالي { ...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى / ١١]

تعالوا نتعرف من خلال الأسماء و الصفات فنخرج من الشقاء إلى الراحة و من الغفلة إلى التذكرة.

تعالوا نترى بتربية الرب الذي خلق فسوى و قدر فهدى و نتحقق بمعاني التوحيد فتذل قلوبنا له سبحانه و تعالي و تتجيب له و هنا موضع الشاهد الذي ذكرته في أول المحاضرة.

أريدكم أن تتأملوا هذه الآيات و لربما يكون للمرة الأولى أفهمها على هذا الوجه بعد أن طالعت بعض كتب أهل العلم في تفسير مفتوح سورة طه ؛

كان عندي مشكلة :لماذا قال الله لتشقى مع ذكر القرآن؟ لماذا لم يقل ما أرسلناك لتشقى إذا كان سيتكلم عن الرسالة و الدعوة؟

ما الارتباط بين القرآن و الشقاء؟ هل لأن النبي ﷺ لما كان يترل عليه جبريل فكان يتحمل الوحي فيتحمل ذلك بمشقة شديدة أم أن النبي ﷺ كان يبضع نفسه كما قال الله جل وعلا له {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ...} [الكهف / ٦] في حمل هذا الثقل العظيم {إِنَّا سَأَلْنَاكَ قَوْلًا تَقِيلاً} [المزمل / ٥] فكان يتحمل ذلك بمشقة بالغة... ما كان المعنى؟؟؟

إلى أن وجدت بعض المعاني التي تربط ما بين هذا الافتتاح و ما بين قوله تبارك و تعالى بعد ذلك {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [طه / ٨]

من يتأمل القرآن و الذي يتأمل ما جاء به النبي ﷺ يجد أن القرآن دليل على ما يُفضي إلى الراحة لا الشقاء؛ إلى السعادة التي لا تعرف العناء لكن لا يتوصل إلى الراحة إلا بعد التعب و لا يفضي العبد إلى السعادة إلا بعد الطلب فإذا اجتهد العبد في طلب ربه يكون من فتح الله عليه أن يرزقه بمرب ينقله من علم الجوارح إلى علم القلوب فإذا وصل العمل إلى القلب استراحت الجوارح فيفضي حينئذٍ إلى رُوح وريحان و جنة رضوان ؛ جنة العرفان ؛ جنة المعرفة

لهذا قالوا: ليس شيخك من يدلك على تعبك إنما شيخك من يريحك من تعبك.

فالله يقول للنبي ﷺ أنزلت عليك هذا القرآن ليكون دليلاً للراحة لا للشقاء لأن الراحة الحقيقية هي راحة القلوب و الراحة الحقيقية عندما نضع أول قدم لنا في الجنة، ما نزل القرآن عليك لتعمل عمل الجارحة لأن من يتعب جوارحه بالأعمال الظاهرة دون أن يكون لها تأثير على قلبه هذا الذي وضع نفسه في الشقاء و هذا الذي لا يُبلغ.

{مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى} [طه / ٢] إذا ماذا يخاطب القرآن ؟ و انظروا للسياق كله يتكلم عن القلب و عن الباطن.

عندما يقول {مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى} [طه / ٢] {إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن يَخْشَى} [طه / ٣] هذه الخشية عمل قلبي أم عمل من أعمال الجوارح؟ إنما المخاطب القلب و هذا القرآن يترل على القلب ؛ ماذا أحتاج حتى يخشى قلبي هذا ؟ حتى يتذكر قلبي هذا؟ حتى يكون قلبي موصول بالله تبارك و تعالى

احتاج شيين:

أولاً : القرآن

ثانياً : معرفة الأسماء و الصفات

أحتاج ألا يكون القرآن كما يصنع بعض الناس مزامير أو يُتخذ تلاوة أو يُتخذ كعمل من أعمال الجوارح يُنطق على اللسان فقط و ليس له أثر على القلب... أنت هكذا تعسر الأمور.... أنت هكذا تعسر الأمر عليك... أنت هكذا لا تفهمين كيف تمشى الطريق إلى الله.

هنا ستشقى لو اتخذته كعمل من أعمال الجوارح إنما اتخذته تذكرة لقلبك الغافل حتى تخشى أنزله على قلبك {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} [الشعراء / ١٩٣] {عَلَى قَلْبِكَ...} [الشعراء / ١٩٤] فأنزله على قلبك؛ أشرب قلبك هذا القرآن و افتح به أذناً واعية لتستمع لكلام الرحمن

فقال {تَزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى} [طه / ٤] و طالما قال خلق إذا يتكلم في الربوبية ؛ يتكلم عن تربية ؛ يتكلم عن لطفه بعبد {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك / ١٤] {...مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى} [طه / ٤] و التعبير هنا بالسموات العلا و لم يقل ممن خلق الأرض و السموات و كأن فيه الإشارة إلى رقي الإنسان بأي شيء؟ بهذا التزيل إذا نزل القرآن على القلب يربى هذا القلب من لدن الخالق الذي خلق فسوى و يعلى هذا القلب في المعارج حتى يُعرج به إلى السماء العلا لو أنزل هذا القرآن على القلب هكذا ثم قال {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه / ٥]

يقول ابن القيم : جعل الله القلب كالعرش للمثل الأعلى الذي هو معرفة الله تبارك و تعالى فلما بين صفة العلو في السموات العلا ذكر الرحمن الذي هو فوق سبع سموات على عرشه مستورا يليق به.

ونحن أيضا نحتاج أن نرتقي بقلوبنا و نعلو لنصل إلى الرفيق الأعلى هكذا ثم قال : {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى} [طه / ٦] فكل شيء له هو الملك سبحانه و تعالى فلم تلتفت يا عبد الله بقلبك لغيره؟ إن كل ما في السموات و كل ما في الأرض و ما بينهما و ما تحت الأرض و ما تحت الثرى كل ذلك له أفلا تكن لبيبا إذ سخر كل هذا لك لتكون أنت له فلا تشغل بما هو لك عما هو له.

قال {وَأِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى} [طه / ٧] يتكلم عن الباطن ؛ عن السر يقول إن تجهر بالقول فالله يعلم السر و يعلم ما هو أخفى من ذلك سبحانه و تعالى ؛ أسرارك خفاياك حقيقة باطنك.

يا رب القرآن هو الذي سيظهر القلب هو الذي سيعلو القلب ؛ هو الذي سيبلغ تلك المعارج ؟ قال نعم {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [طه / ٨]

قرآن و معرفة الأسماء و الصفات.

الدليل : الآية الأخرى التي فيها هذا الارتباط بين الأسماء و الصفات انظروا إلى خواتيم الحشر {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الحشر / ٢١] نتفكر في ماذا يا رب ؟ هو الله نزل هذا القرآن و من أعظم وظائف القرآن تعريفه للرحمن ؛ نتفكر في ماذا ؟ نتفكر في أنه {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} [الحشر / ٢٢] {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الحشر / ٢٣] {هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحشر /

[٢٤]

كثير يسألني يا شيخ منهيح في طلب العلم فأقول و الله خلاصة هذه السنين التي هي أكثر من ٢٠ سنة في هذا الطريق إلى الله عز و جل - نسأل الله القبول و نسأل الله حُسن الخاتمة و نسأل الله عز و جل الصدق و الإخلاص في القول و العمل - و الله خلاصة ما تعلمه الواحد منا أننا نحتاج إلى أمرين لنستشفي بهم و نتعرف بهم على ربنا و يكون في هذين الأمرين الشفاء و العلاج و الأسس التي نضع عليها صرح التزامنا هما : القرآن و فهمه و تدبره و المعاني التي طالما ذكرناكم بما - المعاني الخمس - التي ضدها الهجر أن نتعلمه؛ نتلوه حتى التلاوة و

نتدبره و نعمل به و نتحاكم إليه و نستشفي به قرآن حي في قلوبنا و في واقعنا؛ قرآن يمشي

و الأمر الثاني : معرفة الأسماء و الصفات فأوصيكم الخير بهذه السلسلة –سلسلة تعرف – لتكون مقدمة لسلسلة الأسماء و الصفات و قيل أن أختم هذه المحاضرة أريد أن أذكر شيئاً مهماً لأنني أجد الناس يهتمون كثيراً بدراسة الأسماء و ينسون دراسة الصفات و إن شاء الله تبارك و تعالى تكون هناك سلسلة مستقلة لصفات الله تبارك و تعالى لأنها أيضاً من الأهمية بمكان فدعوني أختم هذه المحاضرة بذكر بعض صفاته سبحانه و تعالى ؛ صفاته التي نزه نفسه عنها ؛ الصفات التي نفاها الله عن نفسه في الكتاب و في السنة فهو سبحانه لا ينام و لا ينبغي له أن ينام

{... لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ...} [البقرة / ٢٥٥] {... لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى} [طه / ٥٢]

{... لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ...} [الأحزاب / ٥٣]

{... لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام / ١٠٣] سبحانه

{... وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة / ٧٤] سبحانه

{... لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ فِي الْفُرْقَانِ} [الفرقان / ٢] سبحانه

{... وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} [ف / ٣٨] سبحانه

{... وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة / ٢٥٥] سبحانه

{... لَا مُعْتَبٍ لِحُكْمِهِ...} [الرعد / ٤١] سبحانه

{... لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ} [الزمر / ٢٠] سبحانه

لا يخاف؛ لا يطعم؛ لا يجار عليه؛ لا يعمل حتى تملاوا؛ لا يسأم حتى تسأموا؛ {... لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا...} [الطلاق / ٧] سبحانه لا يحفى عليه شيء؛ لا مكره له؛ ليس بأصم و لا غائب؛ ليس ربنا بأعوض؛ لم يلد لم يولد لم يكن له كفواً أحد؛ لم يتخذ ولداً؛ لم يكن له شريك في الملك؛ لم يكن له ولي من الدن؛ لم تكن له صاحبه خلق السموات و الأرض و لم يعيى بخلقهن سبحانه... سبحانه

الله ربنا سبحانه له من الصفات العلا كما له من الأسماء الحسنى و يحسن أن يكون الختام مع ضحك ربنا سبحانه و تعالى فالله جل و علا يضحك لعباده ضحكا يليق بجلاله و كماله

قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** : ضحك ربنا من قنوط عباده و قرب غيره فقال أبو رزَيْنٍ أُوِيضِحُّكَ الرَّبُّ قَالَ نَعَمْ فَقَالَ لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبِّ يَضْحَكُ

خيرا الحديث ذكره الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة

و يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر فيدخلان الجنة يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيُستشهد

و يضحك ربنا تبارك و تعالى كما يقول النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول فلا يلفتون وجوههم حتى

يُقتلوا أولئك يتلبطون في الغرف العلاء من الجنة يضحك إليهم ربك فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه.

يضحك الله عز و جل لعباده أعلى النعيم إذا جمع الله الأولى و الأخرى يوم القيامة جاء الرب تبارك و تعالى إلى المؤمنين فوقف عليهم و المؤمنون على كوم فيقول هل تعرفون ربكم فيقولون إن عرفنا نفسه عرفناه ثم يقول لهم الثانية فيضحك في وجوههم فيخرون له سجدا

{ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا } [النجم / ٦٢] { كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ } [العلق / ١٩]

سبحانك اللهم ربنا و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك و أتوب إليك

و ملّ اللهم علم نبينا محمد و علم آل و محبه و سلم

فضيلة الشيخ / هاني حلمي